

العلماء والحسنات
في بيئات
عملوا الحسنات

تأليف
عبد الهادي بن حسن وهبي

دار الطبع والنشر
للسنة

العلماء والحسنات
في بيئات
عملوا الحسنات

الطهارة والحيات
في بيوت
علاء الدين

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الخامسة

١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

دار الطبع والنشر

الجبيل - المملكة العربية السعودية

صرب: ٥٧٣ - رمز بريدي ٣١٩٥١ - هاتف: ٣٦٣٣.١٨

التوزيع داخل المملكة العربية السعودية

مكتبة بيت السلام

هاتف: ٤٣٨١١٥٥ - ٤٣٨١١٢٢ - فاكس: ٤٣٨٥٩٩١

جوال: ٠٥/٤٢٦٦٦٦٤٦ - ٠٥/٦٦٦٦١٢٣٦

الْقَائِمَاتُ وَوَدَّ الْحَسَنَاتُ
فِي بَيِّنَاتٍ
عَلَوُ الْحَسَنَاتِ

تأکیدی
عبدالرحمانی بن حسنہ وہابی

هَذَا الصِّدِّيقُ
لِلنَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَوْلَى مَا يَتَنَافَسُ بِهِ الْمُتَنَافِسُونَ، وَأَحْرَى مَا يَتَسَابَقُ فِي حَلْبَةِ سَبَاقِهِ الْمُتَسَابِقُونَ، مَا كَانَ بِسَعَادَةِ الْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ كَفِيلًا، وَعَلَى طَرِيقِ هَذِهِ السَّعَادَةِ دَلِيلًا، وَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ اللَّذَانِ لَا سَعَادَةَ لِلْعَبْدِ إِلَّا بِهِمَا، وَلَا نَجَاةَ لَهُ إِلَّا بِالتَّعَلُّقِ بِسَبَبِيهِمَا، فَمَنْ رُزِقَهُمَا فَقَدْ فَازَ وَغَنِمَ، وَمَنْ حُرِمَهُمَا فَالْخَيْرَ كُلَّهُ حُرِمَ.

وَلَمَّا كَانَ الْعِلْمُ لِلْعَمَلِ قَرِينًا وَشَافِعًا، وَشَرْفُهُ لِشَرَفِ مَعْلُومِهِ تَابِعًا، كَانَ

أَجَلُ الْعُلُومِ وَأَفْضَلُهَا وَأَشْرَفُهَا وَأَسْمَاها عَلَى الْإِطْلَاقِ، الْعِلْمُ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

فَالْعِلْمُ «الْأَعْلَى هُوَ الْعِلْمُ بِاللَّهِ نَفْسِهِ؛ الَّذِي هُوَ فِي نَفْسِهِ أَعْلَى الْمَوْجُودَاتِ، وَالْعِلْمُ بِهِ أَعْلَى الْعُلُومِ، وَإِرَادَةُ وَجْهِهِ أَعْلَى الْإِرَادَاتِ، وَذِكْرُهُ أَعْلَى الْأَذْكَارِ، وَاسْمُهُ أَعْلَى الْأَسْمَاءِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى] (١). فَالْعِلْمُ بِالْعَلِيِّ الْأَعْلَى هُوَ الْعِلْمُ الْأَعْلَى.

وَلَقَدْ شَهِدَ اللَّهُ ﷻ - وَشَهِادَتُهُ أَجَلُ شَهَادَةٍ وَأَعْظَمُهَا وَأَعْدَلُهَا وَأَصْدَقُهَا - لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَبِأَنَّهُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَبِأَنَّ مَلَائِكَتَهُ يَخَافُونَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَعْرُجُ إِلَيْهِ بِالْأَمْرِ، وَتَنْزِلُ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَصْعَدُ إِلَيْهِ. وَشَهِدَتْ لَهُ الْجَهَنَّمُ بِضِدِّ ذَلِكَ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ مُنْزَعٌ عَنِ الْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ.

«وَهَذِهِ بِدْعَةٌ صَلَغَاءٌ، شَنْعَاءٌ، عَمِيَاءٌ، صَمَاءٌ، لَا مُسْتَنَدَ لَهَا مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، وَلَا عَقْلٍ صَحِيحٍ، وَلَا نَقْلِ صَرِيحٍ، بَلِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْعَقْلُ الصَّحِيحُ بِخِلَافِهَا، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي مَوْضِعِهِ» (٢).

فَمَقَالَتُهُمْ كَاذِبَةٌ، وَشُبْهُهُمْ بَاطِلَةٌ، وَتَأْوِيلَاتُهُمْ عَاطِلَةٌ. يَظُنُّونَ أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُمْ؛ وَلَكِنَّ الْحَقَّ وَرَاءَهُمْ.

فَسَمَّوْا مَا فَوْقَ الْعَالَمِ «جِهَةً»، وَقَالُوا: مُنْزَعٌ عَنِ الْجِهَةِ.

وَسَمَّوْا عُلُوَّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ «مَكَانًا»، وَقَالُوا: مُنْزَعٌ عَنِ الْمَكَانِ.

وَسَمَّوْا الْعَرْشَ «حَيْزًا»، وَقَالُوا: مُنْزَعٌ عَنِ التَّحْيِيزِ.

(١) «شرح الأصبهانية» (ص ١٠٨ - ١٠٩)، لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «البداية والنهاية» (١١ / ١٢٤) [طبعة دار ابن كثير: دمشق - بيروت].

ثُمَّ تَوَصَّلُوا بِنَفْيِ ذَلِكَ إِلَى نَفْيِ عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَعُلُوِّهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ. سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.

وَهَذِهِ اصطِلَاحَاتٌ مِنْهُمْ، نَفَرُوا بِهَا الْجُهَالُ، وَسَوَّغُوا بِهَا الضَّلَالَ، وَنَفَوْا بِهَا صِفَاتِ الْكَمَالِ. يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى﴾ [١١] ﴿طه: ٦١﴾.

فَشَهَادَةُ الرَّبِّ تَعَالَى، وَالَّتِي لَا غَلَطَ فِيهَا وَلَا ظُلْمَ: تُكَذِّبُ هَؤُلَاءِ أَشَدَّ التَّكْذِيبِ، وَتَتَضَمَّنُ أَنَّ الَّذِي شَهِدَ بِهِ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَوْضَحَهُ وَأَظْهَرَهُ، حَتَّى جَعَلَهُ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الظُّهُورِ وَالْبَيَانِ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْحَقُّ فِيمَا يَقُولُهُ الْمُعْطَلَّةُ وَالْجَهْمِيَّةُ - الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَيْسَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ رَبٌّ يُعْبَدُ، وَلَا عَلَى الْعَرْشِ إِلَهٌ يُصَلَّى لَهُ وَيُسَجَّدُ - لَمْ يَكُنِ الْعِبَادُ قَدْ انْتَفَعُوا بِمَا شَهِدَ بِهِ ﷻ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ - عِنْدَهُمْ - لَمْ يَشْهَدْ بِهِ لِنَفْسِهِ، وَالَّذِي شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ، وَأَظْهَرَهُ وَأَوْضَحَهُ: فَلَيْسَ بِحَقٍّ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَفَادَ مِنْهُ الْحَقُّ وَالْيَقِينُ.

وَأَوَّلُ مَنْ نَفَى عُلُوَّ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ: الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ.

قَالَ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمُتَكَلِّمُ الضَّالُّ، رَأْسُ الْجَهْمِيَّةِ، وَأَسَاسُ الْبِدْعَةِ... وَكَانَ الْجَهْمُ يُنْكِرُ صِفَاتِ الرَّبِّ ﷻ، وَيُنْزِعُهُ بِزَعْمِهِ عَنِ الصِّفَاتِ كُلِّهَا، وَيَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَيَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ، بَلْ فِي كُلِّ مَكَانٍ»^(١).

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ مُدْرِكٍ الْقَاصُّ: سَمِعْتُ مَكِّيَّ بْنَ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ: ظَهَرَ عِنْدَنَا جَهْمٌ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِئَةً، فَرَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدٍ بَلَخَ يَقُولُ بِتَعْطِيلِ اللَّهِ عَنِ عَرْشِهِ، وَأَنَّ الْعَرْشَ مِنْهُ خَالٍ^(٢).

(١) «تاريخ الإسلام» حوادث ووفيات (١٢١ - ١٤٠هـ) (ص ٦٦).

(٢) «تاريخ الإسلام» حوادث ووفيات (١٢١ - ١٤٠هـ) (ص ٦٧).

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَكَانَ النَّاسُ فِي عَافِيَةٍ وَسَلَامَةٍ فِطْرَةٍ، حَتَّى نَبَغَ جَهَنَّمُ، فَتَكَلَّمَ فِي الْبَارِي تَعَالَى وَفِي صِفَاتِهِ، بِخِلَافِ مَا أَتَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، نَسَأَلَ اللَّهُ السَّلَامَةَ فِي الدِّينِ ^(١).

وَلَقَدْ وَقَفَنِي اللَّهُ تَعَالَى لِلْكِتَابَةِ فِي صِفَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ صِفَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﷺ، أَلَا وَهِيَ «الْعُلُوُّ وَالْفَوْقِيَّةُ»؛ لِيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ عَقَدُوا أَلْوِيَةَ الْبِدْعِ، وَأَطْلُقُوا عِقَالَ الْفِتْنَةِ، أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ فِي هَذَا الْبَابِ. «فَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ، مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ، مُجْمِعُونَ عَلَى مُفَارَقَةِ الْكِتَابِ، يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ، وَفِي اللَّهِ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، يَتَكَلَّمُونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْكَلَامِ، وَيَخْدَعُونَ جُهَالَ النَّاسِ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيْهِمْ. فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتَنِ الضَّالِّينَ» ^(٢).

أَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى «أَنْ يُوفِّقَنَا لِمَا يُرْضِيهِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ، وَأَنْ يُحِينَنَا عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي يَرْضَاهَا، وَيَتَوَفَّانَا عَلَيْهَا، وَأَنْ يُلْحِقَنَا بِنَبِيِّهِ وَخَيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَيَجْمَعَنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ» ^(٣).

الْبَرَاءَةُ لِلرَّبِّ

سَيِّدُ الْهَادِي بْنِ حَسَنٍ وَهَبِي ^(٤)

abdelhadi.wihbi@hotmail.com

(١) «تاريخ الإسلام» حوادث ووفيات (١٢١ - ١٤٠ هـ) (ص ٦٨).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٢٨٢ - ٢٨٤).

(٣) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ٢٢٣ - ٢٢٤)، للحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) ومن باب قوله ﷺ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»، قام الشيخ رامي سورة بَحْفَظَ اللَّهُ بتحقيق الكتاب، والشيخ محمد أبو حطب بَحْفَظَ اللَّهُ بقرائه قراءة حرة. جزاهم الله خير الجزاء، وأعظم لهم المثوبة..

أدلة علو الله على العرش

اعْلَمْ - وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ لِمَا يُرْضِيهِ مِنَ الْقَوْلِ وَالنِّيَّةِ وَالْعَمَلِ،
وَأَعَاذَنَا وَإِيَّاكَ مِنَ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ - أَنَّ صَالِحَ السَّلَفِ، وَخِيَارَ الْخَلْفِ،
وَسَادَةَ الْأَئِمَّةِ، وَعُلَمَاءَ الْأُمَّةِ، اتَّفَقَتْ أَقْوَالُهُمْ، وَتَطَابَقَتْ آرَاؤُهُمْ عَلَى
أَنَّ اللَّهَ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَنُعُوتِ الْجَلَالِ، الَّتِي جَاءَ بِهَا الْكِتَابُ
وَالسُّنَّةُ؛ يُثَبِّتُونَ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ، وَمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ،
مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَشْبِيهِ؛ وَلَا يَبْتَدِعُونَ
لِلَّهِ وَصْفًا لَمْ يَرُدِّ بِهِ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ.

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى: أَعْظَمُ، وَأَجَلُّ، وَأَكْبَرُ، وَأَعْلَى، وَأَكْمَلُ فِي صُدُورِ
أَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَنْ يَتَجَاسَرُوا عَلَى وَصْفِهِ، وَنَعْتِهِ، بِمُجَرَّدِ عُقُولِهِمْ
وَأَرَائِهِمْ، وَخَيَالَاتِ أَوْهَامِهِمْ. فَهُمْ كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدِهِ فِي قَلْبِهِ أَعْلَى وَأَكْبَرُ شَانٍ
مِنْ أَنْ يُحَرَّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَأَنْ يُقْضَى لَهُ بِالْعَزْلِ عَنْ إِيقَانِ^(١)

فَأَمَّنُوا بِمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ، وَصَحَّ عَنْ نَبِيِّهِ، وَأَمَرُوهُ كَمَا وَرَدَ مِنْ
غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِكَيْفِيَّةٍ، أَوْ اعْتِقَادِ شُبْهَةٍ أَوْ مِثْلِيَّةٍ، أَوْ تَأْوِيلٍ يُؤَدِّي إِلَى تَعْطِيلٍ^(٢)،
وَوَسَعَتْهُمْ السُّنَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، وَالطَّرِيقَةُ الْمَرْضِيَّةُ، وَلَمْ يَتَعَدَّوْهَا إِلَى الْبِدْعَةِ

(١) «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ص ١٨١ - ١٨٢) [طبعة دار ابن خزيمة - الرياض].

(٢) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ٧٨ - ٨٢).

الْمُرْدِيَةِ الرَّدِّيَّةِ، فَحَازُوا بِذَلِكَ الرُّتَبَةَ السَّيِّئَةَ، وَالْمَنْزِلَةَ الْعَلِيَّةَ^(١).

وَمِنَ الصِّفَاتِ الْعَظِيمَةِ الثَّابِتَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: «صِفَةُ الْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ»، وَالْأَدِلَّةُ عَلَى إِثْبَاتِهَا كَثِيرَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ، هَذَا أَوْ أَنَّ سَرْدَهَا فَأَلْقِ سَمْعَكَ، وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ، وَتَأَمَّلْهَا تَأَمَّلْ طَالِبٍ لِلْحَقِّ لَا نَافِرٍ عَنْهُ، وَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَإِيَّاكَ وَسُوءَ الظَّنِّ بِكَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ، فَذَلِكَ الْهَلَكَةُ، وَمَا ضَلَّ مَنْ ضَلَّ، وَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، إِلَّا لِسُوءِ ظَنِّهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^(٢).

أَحَدُهَا: التَّصَرُّيحُ بِالْفَوْقِيَّةِ مَقْرُونًا بِأَدَاةٍ «مِنْ» الْمُعَيَّنَةِ لِلْفَوْقِيَّةِ بِالذَّاتِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

قَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَأَعْلَمْنَا الْجَلِيلَ نَجَلًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ رَبَّنَا فَوْقَ مَلَائِكَتِهِ، وَفَوْقَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ، وَأَعْلَمْنَا أَنَّ مَلَائِكَتَهُ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ الَّذِي فَوْقَهُمْ^(٣).

الثَّانِي: ذِكْرُهَا مُجَرَّدَةً عَنِ الْأَدَاةِ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ [سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]: أَنَّ سَعْدًا [ابْنَ مُعَاذٍ]، حَكَمَ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ: أَنْ يُقْتَلَ مِنْهُمْ كُلُّ مَنْ جَرَتْ عَلَيْهِ الْمَوَاسِي، وَأَنْ تُسَبَّى ذَرَارِيُّهُمْ، وَأَنْ تُقَسَّمَ أَمْوَالُهُمْ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «لَقَدْ حَكَمَ فِيهِمْ حُكْمَ اللَّهِ، الَّذِي حَكَمَ [اللَّهُ] بِهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ»^(٤).

(١) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ٨٠). (٢) «معارج القبول» (١/ ٣٠٦).

(٣) «التوحيد» (ص ١١١)، لابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٥/ ٦٢ - ٦٣) (٨٢٢٣) [طبعة دار الكتب العلمية - بيروت].

وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٤٥).

الثَّالِثُ: التَّصْرِيحُ بِالْعُرُوجِ إِلَيْهِ ﷺ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وَقَالَ ﷻ: ﴿مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٢﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣ - ٤].

قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: يُقَالُ: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾: الْمَلَائِكَةُ تَعْرُجُ إِلَى اللَّهِ ^(١).
وَقَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: تَصْعَدُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ - وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَيْهِ، يَعْنِي: إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَيْهِ﴾ عَائِدَةٌ عَلَى اسْمِ اللَّهِ ^(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاثُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ -: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَآتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ» ^(٣).

قَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي الْخَبَرِ مَا بَانَ وَثَبَتَ وَصَحَّ أَنَّ اللَّهَ ﷻ فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَصْعَدُ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا، لَا كَمَا زَعَمَتِ الْجَهْمِيَّةُ الْمُعْطَلَةُ ^(٤).

الرَّابِعُ: التَّصْرِيحُ بِالصُّعُودِ إِلَيْهِ ﷻ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].
قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِلَى اللَّهِ يَصْعَدُ ذِكْرُ الْعَبْدِ إِيَّاهُ وَتَنَازُلُهُ عَلَيْهِ» ^(٥).

(١) رواه البخاري [قبل الحديث (٧٤٢٩)]، تعليقاً مجزوماً به.

(٢) «جامع البيان» (م ١٤ / ج ٢٩ / ص ٨٧). (٣) رواه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

(٤) «التوحيد» (ص ٣٨١)، لابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ. (٥) «جامع البيان» (م ١٢ / ج ٢٢ / ص ١٤٤).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالَيْهِ يَضَعُ كُلُّ قَوْلٍ طَيِّبٍ وَإِلَيْهِ يُرْفَعُ سَعْيُ ذِي الشُّكْرَانِ^(١)
وَتَأْمَلِ الْأَحَادِيثَ التَّالِيَةَ:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ تَمْرَةً مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَضَعُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^(٢).

٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، فَقَالَ: «إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأَحَبُّ أَنْ يَضَعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ»^(٣).

٣- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ، مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟ قَالَ: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأَحَبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»^(٤).

٤- عَنْ رِفَاعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَطَسْتُ فَقُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا، مُبَارَكًا فِيهِ مُبَارَكًا عَلَيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى. فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْصَرَفَ، فَقَالَ: «مَنِ الْمُتَكَلِّمُ فِي الصَّلَاةِ؟» فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَهَا الثَّانِيَةَ: «مَنِ الْمُتَكَلِّمُ فِي الصَّلَاةِ؟» فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ، ثُمَّ

(١) «الكافية الشافية» (ص ٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤).

(٣) رواه الترمذي (٤٧٨)، وصححه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «صحيح سنن الترمذي» (١/٢٦٩) [طبعة مكتبة المعارف - الرياض].

(٤) رواه النسائي (٢٣٥٧) (ترقيم أبي غدة)، وحسنه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «صحيح سنن النسائي» (١٥٣/٢) [طبعة مكتبة المعارف - الرياض].

قَالَهَا الثَّالِثَةُ: «مَنْ الْمُتَكَلِّمُ فِي الصَّلَاةِ؟» فَقَالَ رِفَاعَةُ بْنُ رَافِعٍ ابْنِ عَفْرَاءَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: قُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا، مُبَارَكًا فِيهِ مُبَارَكًا عَلَيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ ابْتَدَرَهَا بِضِعَّةٍ وَثَلَاثُونَ مَلَكًا، أَنَّهُمْ يَصْعَدُ بِهَا»^(١).

٥- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(٢).

٦- عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُنِي لَا يَنَامُ، وَلَا يَبْغِي لَهْ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ، لَأَخْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(٣).

قَوْلُهُ ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ». وَهَذَا النُّورُ لَا يُمَكِّنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ إِلَّا بِمِثْلِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُؤَدِّيَةِ لِلْمَعْنَى الْعَظِيمِ، وَأَنَّهُ لَا تُطِيقُ الْمَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا الثَّبُوتَ لِنُورِ وَجْهِهِ لَوْ تَبَدَّى لَهَا، وَلَوْ لَا أَنَّ أَهْلَ دَارِ الْقَرَارِ يُعْطِيهِمُ الرَّبُّ حَيَاةً كَامِلَةً، وَيُعِينُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، لَمَا تَمَكَّنُوا مِنْ رُؤْيَةِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ، وَجَمِيعِ الْأَنْوَارِ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلُويَّةِ كُلِّهَا مِنْ نُورِهِ، بَلْ نُورُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ - وَسَعَتُهَا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ - مِنْ نُورِهِ، فَنُورُ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَالْجَنَّاتِ مِنْ نُورِهِ، فَضْلًا عَنْ نُورِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ^(٤).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ:

(١) رواه الترمذي (٤٠٤)، وصحَّح إسناده الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في التعليق على «هداية الرواة» (٤٤٣/١).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٨)، ومسلم (١٩). (٣) أخرجه مسلم (١٧٩).

(٤) «فتح الرحيم الملك العلام» (ص ٥٧)، للعلامة السعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟!». وَفِي رِوَايَةٍ: «رَأَيْتُ نُورًا»^(١).

فَيَكُونُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مَعْنَى قَوْلِهِ لِأَبِي ذَرٍّ: «رَأَيْتُ نُورًا» أَنَّهُ رَأَى الْحِجَابَ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟!»: النُّورُ هُوَ الْحِجَابُ يَمْنَعُ مِنْ رُؤْيَيْهِ، فَأَنَّى أَرَاهُ: أَي: فَكَيْفَ أَرَاهُ، وَالنُّورُ حِجَابٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ يَمْنَعُنِي مِنْ رُؤْيَيْهِ؟!^(٢).

وَإِذَا كَانَ نُورُ الْحِجَابِ مَانِعًا مِنْ رُؤْيِيهِ ذَاتِهِ، فَنُورُ ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ مِنْ نُورِ الْحِجَابِ، بَلِ الْحِجَابُ إِنَّمَا اسْتَنَارَ بِنُورِهِ، وَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ النُّورُ حِجَابَ مَنْ لَيْسَ لَهُ نُورٌ؟! هَذَا مِنْ أَبْيَنِ الْمُحَالِ^(٣).

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَحِجَابُهُ نُورٌ فَلَوْ كُشِفَ الْحِجَابُ بُلٌّ لَأَحْرَقَ السُّبُحَاتُ لِالْأَكْوَانِ^(٤)

٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ ﷻ مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فَضُلًّا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ، قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ». قَالَ: «فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ ﷻ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ -: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيُّ رَبِّ! قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَحِيرُونَكَ. قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَحِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ». قَالَ: «فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرْتُهُمْ

(١) أخرجهما مسلم (١٧٨).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (١/٤٢٢).

(٣) «مختصر الصواعق» (٣/١٣٠١).

(٤) «الكافية الشافية» (ص ٢٤٩).

مِمَّا اسْتَجَارُوا». قَالَ: «فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فَلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ؟» قَالَ: «فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^(١).

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ جَلِيلٌ الْقَدْرُ وَكَثِيرُ الْفَائِدَةِ، وَهُوَ حَسَنُ الْأَلْفَافِ لَطِيفُ الْمَعَانِي، وَفِيهِ «إِبْثَابُ جِهَةِ الْعُلُوِّ وَالْفَوْقِ لِلَّهِ تَعَالَى»^(٢).

٨- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَكَثَ الْمَنِيُّ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، أَتَاهُ مَلَكُ النُّفُوسِ، فَعَرَجَ بِهِ إِلَى الرَّبِّ فِي رَاحَتِهِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! عَبْدُكَ هَذَا ذَكَرْتُ أَمْ أَنْثَى؟ فَيَقْضِي اللَّهُ إِلَيْهِ مَا هُوَ قَاضٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيَكْتُبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَا هُوَ لَاقٍ» قَالَ: وَتَلَا أَبُو ذَرٍّ مِنْ فَاتِحَةِ التَّغَابُنِ خَمْسَ آيَاتٍ^(٣).

الخَامِسُ: التَّضْرِيحُ بِرَفْعِهِ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَيْهِ ﷻ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

السَّادِسُ: التَّضْرِيحُ بِالْعُلُوِّ الْمُطْلَقِ الدَّالِّ عَلَى جَمِيعِ مَرَاتِبِ الْعُلُوِّ، ذَاتًا وَقَدْرًا وَقَهْرًا.

قَالَ ﷻ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبا: ٢٣]. ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]. ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: تَعَالَى: الَّذِي هُوَ دَالٌّ عَلَى كَمَالِ الْعُلُوِّ وَنَهَائِيَّتِهِ^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٩).

(٢) «السراج الوهاج» (١٠/٥٦٧).

(٣) رواه عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (٩٤)، وهو صحيح لغيره.

(٤) «بدائع الفوائد» (٢/٤١١) [مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى].

وَفَسَّرَ الطَّبْرِيُّ (الْعَلِيِّ): بِالْعُلُوِّ وَالْإِرْتِفَاعِ^(١).

وَقَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْأَعْلَى: مَفْهُومٌ فِي اللُّغَةِ أَنَّهُ أَعْلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ. وَاللَّهُ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ تَنْزِيلِهِ، وَأَعْلَمَنَا أَنَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ. أَفَلَيْسَ الْعَلِيُّ - يَا ذَوِي الْحِجَى - مَا يَكُونُ عَالِيًا؟!^(٢)

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَهُ الْعُلُوُّ مِنَ الْوُجُوهِ جَمِيعِهَا ذَاتًا وَقَهْرًا مَعَ عُلُوِّ الشَّانِ
لَكِنْ نَفَاةٌ عُلُوُّهُ سَلْبُوهُ إِك مَالِ الْعُلُوِّ فَصَارَ ذَا نُقْصَانٍ
حَاشَاهُ مِنْ إِنْكَ النَّفَاةِ وَسَلْبِهِمْ فَلَهُ الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ الرَّبَّانِي^(٣)

فَعُلُوُّ الذَّاتِ: هُوَ أَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، فَوْقَ جَمِيعِ خَلْقِهِ، مُبَايِنٌ لَهُمْ، وَهُوَ مَعَ هَذَا مُطَّلِعٌ عَلَى أَحْوَالِهِمْ، مُشَاهِدٌ لَهُمْ، مُدَبِّرٌ لِأُمُورِهِمُ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، مُتَكَلِّمٌ بِأَحْكَامِهِ الْقَدَرِيَّةِ، وَتَدْبِيرَاتِهِ الْكَوْنِيَّةِ، وَبِأَحْكَامِهِ الشَّرْعِيَّةِ.

قَالَ ﷺ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]، «أَي: ذَاتُهُ فَوْقَ الْعَرْشِ عَالِيَةً عَلَيْهِ»^(٤).

وَلِهَذِهِ الْآيَةِ شَأْنٌ فَوْقَ عُقُولِنَا، وَأَجَلٌ مِنْ أَفْهَامِنَا، وَأَعْظَمُ مِمَّا قَالَ فِيهَا الْمُتَكَلِّمُونَ الَّذِينَ ظَلَمُوهَا مَعْنَاهَا، وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ، تَالَلَهُ لَقَدْ غَلِظَ عَنْهَا حِجَابُهُمْ، وَكَثِفَتْ عَنْهَا أَفْهَامُهُمْ، وَمَنْعَتْهُمْ الْوُصُولَ إِلَى الْمُرَادِ بِهَا أَصُولُهُمُ الَّتِي أَصْلُوهَا، وَقَوَّاعِدُهُمُ الَّتِي أَسَّسُوهَا^(٥).

وَأَمَّا عُلُوُّ الْقَهْرِ: فَهُوَ قَهْرُهُ تَعَالَى لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَالْعَالَمُ الْعُلَوِيُّ

(١) «جامع البيان» (٣/ج ٢/ص ١٩) و(١٣/ج ٢٥/ص ٥٩).

(٢) «التوحيد» (ص ١١٢). (٣) «الكافية الشافية» (ص ١٠٤).

(٤) «الصواعق» (٤/١٣٨٥). (٥) «شفاء العليل» (١/٣٢٨ - ٣٢٩).

وَالسُّفْلِيُّ كُلُّهُمْ خَاضِعُونَ لِعَظَمَتِهِ، مُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ شُؤْنِهِمْ^(١).
فَجَمِيعُ الْخَلْقِ نَوَاصِيهِمْ بِيَدِهِ، فَلَا يَتَحَرَّكُ مِنْهُمْ مُتَحَرِّكٌ، وَلَا يَسْكُنُ
سَاكِنٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ
الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

وَأَمَّا عُلُوُّ الْقَدْرِ: فَهُوَ عُلُوُّ صِفَاتِهِ وَعَظَمَتُهَا، وَهِيَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، يَعْنِي: أَنَّ صِفَاتِهِ كُلَّهَا عُلْيَا، لَيْسَ
فِيهَا نَقْصٌ بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ. فَهُوَ الْأَعْلَى، وَوَجْهُهُ الْأَعْلَى، وَكَلَامُهُ الْأَعْلَى،
وَسَمْعُهُ الْأَعْلَى، وَبَصَرُهُ وَسَائِرُ صِفَاتِهِ عُلْيَا، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، وَهُوَ أَحَقُّ
بِهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ.

السَّابِعُ: التَّصْرِيحُ بِتَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنْهُ ﷺ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١].
﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]. ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:
٤٢] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢]. ﴿وَالَّذِينَ
ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]. ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ
مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢]. ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة:
٨٠]. ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَفَادَ كَوْنُهُ تَنْزِيلًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مَطْلُوبَيْنِ
عَظِيمَيْنِ مِنْ أَجْلِ مَطَالِبِ الدِّينِ:

(أَحَدُهُمَا): أَنَّهُ الْمُتَكَلِّمُ، وَأَنَّهُ مِنْهُ نَزَلَ، وَمِنْهُ بَدَأَ، وَهُوَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ.
(وَالثَّانِي): عُلُوُّ اللَّهِ ﷻ فَوْقَ خَلْقِهِ، فَإِنَّ النُّزُولَ وَالتَّنْزِيلَ الَّذِي

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ مَصِيرُ الْكَافِرِينَ﴾

تَعْقِلُهُ الْعُقُولُ، وَتَعْرِفُهُ الْفِطْرُ: هُوَ وُصُولُ الشَّيْءِ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ. وَالرَّبُّ تَعَالَى إِنَّمَا يُخَاطَبُ عِبَادَهُ بِمَا تَعْرِفُهُ فِطْرُهُمْ، وَتَشْهَدُ بِهِ عُقُولُهُمْ^(١).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاللَّهُ أَخْبَرَنَا بِأَنَّ كِتَابَهُ تَنْزِيلُهُ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
أَيَكُونُ تَنْزِيلًا وَلَيْسَ كَلَامٌ مَنْ فَوْقَ الْعِبَادِ أَذَاكَ ذُو إِمْكَانٍ
أَيَكُونُ تَنْزِيلًا مِنَ الرَّحْمَنِ وَالرَّحْمَنِ لَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ^(٢)

الثَّامِنُ:

التَّصْرِيحُ بِاخْتِصَاصِ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ بِأَنَّهَا عِنْدَهُ، وَأَنَّ بَعْضَهَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ بَعْضٍ.

قَالَ ﷺ: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾
[فصلت: ٣٨]. ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا
يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) [الأنبياء: ١٩]. ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١].
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدَّرٍ (٥٥) [القمر: ٥٤ -
٥٥]. ﴿وَنَبِّئِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢١]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ
رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (١٦٠) [الأعراف: ٢٠٦].

فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ عِنْدَهُ، هُمْ قَرِيبُونَ إِلَيْهِ، وَلَوْ «كَانَ
مُوجِبُ الْعِنْدِيَّةِ مَعْنَى عَامًّا، كَدُخُولِهِمْ تَحْتَ قُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ:
لَكَانَ كُلُّ مَخْلُوقٍ عِنْدَهُ؛ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مُسْتَكْبِرًا عَنْ عِبَادَتِهِ، بَلْ مُسَبِّحًا لَهُ
سَاجِدًا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وَهُوَ ﷻ وَصَفَ الْمَلَائِكَةَ بِذَلِكَ، رَدًّا عَلَى الْكُفَّارِ
الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْ عِبَادَتِهِ^(٣).

(١) «التيبان في أقسام القرآن» (ص ١٤٤) [طبعة دار الكتب العلمية - بيروت].

(٢) «الكافية الشافية» (ص ١٠٩ - ١١٠). (٣) «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٦٥ - ١٦٦).

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَوْ لَمْ يَكُنْ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْوَرَى كَانُوا جَمِيعًا عِنْدَ ذِي السُّلْطَانِ
وَيَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ إِبْلِيسُ وَجِب رِبْلُ هُمَا فِي الْعِنْدِ مُسْتَوِيَانِ^(١)
وَقَالَ ﷺ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ

يُزْقُونَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

قَالَ مَسْرُوقٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُزْقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. قَالَ: أَمَّا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ - يَعْنِي: النَّبِيُّ ﷺ -: «أَرْوَاهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطْلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أَطْلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟»^(٢).
وَقَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَكُلُّ مَنْ لَهُ فَهْمٌ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، يَعْلَمُ أَنَّ أَطْلَاعَهُ إِلَى الشَّيْءِ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ. وَلَوْ كَانَ كَمَا زَعَمَتِ الْجَهْمِيَّةُ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْإِنْسَانِ وَأَسْفَلُ مِنْهُ، وَفِي الْأَرْضِ السَّابِغَةِ السُّفْلَى كَمَا هُوَ فِي السَّمَاءِ السَّابِغَةِ، لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ: «فَيَطْلُعُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ أَطْلَاعَةً» مَعْنَى^(٣).

وَتَدَبَّرِ الْأَحَادِيثَ التَّالِيَةَ:

١- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا تَصْغُونَ كَمَا تَصْغُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ تَصْغُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»^(٤).

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ

(١) «الكافية الشافية» (ص ١١٢).

(٢) رواه مسلم (١٨٨٧).

(٣) «التوحيد» (ص ٣٨١).

(٤) قطعة من حديث: رواه مسلم (٤٣٠).

الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» (١).

٣- عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ؟» (٢).

٤- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ، كَأَنِّي أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي، فَسَمِعَتْهَا وَهِيَ تَقُولُ: «اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وَزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ» (٣).

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلَنِي وَرَبِّي، أَبْعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ! لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ - أَوْ: لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ! - فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَيَّ قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ، فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ» (٤).

(١) رواه مسلم (٢٧٠٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٦)، وصححه الألباني رحمته الله في «صحيح سنن الترمذي» (٥٧٢ / ٢).

(٣) رواه الترمذي (٥٧٩)، وحسنه الألباني رحمته الله في «صحيح سنن الترمذي» (٣٢٠ / ١).

(٤) رواه أبو داود (٤٩٠١)، وصححه الألباني رحمته الله في «صحيح سنن أبي داود» (٢٠٢ / ٣).

٦- عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ مِمَّا يَذْكُرُونَ: التَّسْبِيحَ، وَالتَّحْمِيدَ، وَالتَّهْلِيلَ، إِنَّهُمْ لَيَنْعَظِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِي النَّحْلِ، يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ، أَفَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ يُذَكِّرُهُ بِهِ؟!» (١).

فَانْظُرْ مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْكَلَامُ الْوَجِيزُ الْبَلِيغُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى الْعَظِيمِ الْجَلِيلِ، الَّذِي لَا يَجِدُ سَامِعُهُ مَغْمَزًا لَهُ، وَلَا مَطْعَنًا فِيهِ، وَلَا تَشْكِيكًا، وَلَا سُؤَالَ يُورِدُهُ عَلَيْهِ، بَلْ يَأْخُذُ بِقَلْبِهِ وَسَمْعِهِ (٢).

٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي» (٣).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمته الله: «فَتَأَمَّلِ اخْتِصَاصَ هَذَا الْكِتَابِ بِذِكْرِ الرَّحْمَةِ، وَوَضْعَهُ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَطَائِفِ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسُئِلَ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، يَنْفَتِحَ لَكَ بَابُ عَظِيمٍ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ ﷻ» (٤).

وَقَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ رحمته الله: فَالْخَبَرُ دَالٌّ عَلَى أَنَّ رَبَّنَا ﷻ فَوْقَ عَرْشِهِ الَّذِي كِتَابُهُ - أَنَّ رَحْمَتَهُ غَلَبَتْ غَضَبَهُ - عِنْدَهُ (٥).

وَقَالَ صَدِيقُ حَسَنِ خَانٍ رحمته الله: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى الْعِنْدِيَّةِ وَالْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ. وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِهِ، بَلَا كَيْفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا نُنْكِرُهُ، وَلَا نُؤَوِّلُهُ كَأَهْلِ

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٩)، والحاكم (٥٠٣/١) - واللفظ له - وصححه الألباني رحمته الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٠٨٦) [طبعة مكتبة المعارف - الرياض].

(٢) «الصواعق» (ص ٤٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٤) «مدارج السالكين» (٣٨/١). (٥) «التوحيد» (ص ١٠٥).

الكلام. وَهَذَا هُوَ سَبِيلُ السَّلَفِ فِي مَسَائِلِ الصِّفَاتِ.

وَالْحَدِيثُ: دَلِيلٌ عَلَى سَبْقِ الرَّحْمَةِ، وَغَلَبَتِهَا عَلَى الْغَضَبِ وَالسُّخْطِ. وَهَذَا هُوَ اللَّائِقُ بِشَأْنِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ. وَلَوْلَا ذَلِكَ، لَكُنَّا جَمِيعًا خَاسِرِينَ هَالِكِينَ. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ سَخَطِهِ. وَنَرْجُو رَحْمَتَهُ وَكَرَمَهُ، وَفَضْلَهُ وَلُطْفَهُ. وَمَا أَحَقُّهُ بِذَلِكَ! ^(١)

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَذْكُرُ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ تَضَمَّنَتْ
لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلِيقَةَ رَبَّنَا
وَكِتَابُهُ هُوَ عِنْدَهُ وَضَعُ عَلَى الدِّ
إِنِّي أَنَا الرَّحْمَنُ تَسْبِقُ رَحْمَتِي
كَلِمَاتُهُ تَكْذِيبَ ذِي الْبُهْتَانِ
كَتَبَتْ يَدَاهُ كِتَابَ ذِي الْإِحْسَانِ
عَرْشِ الْمَجِيدِ الثَّابِتِ الْأَرْكَانِ
غَضَبِي وَذَلِكَ لِرَأْفَتِي وَحَنَانِي ^(٢)

قَالَ الشَّيْخُ الْغُنَيْمَانُ حَفِظَهُ الرَّحْمَنُ: وَالْحَقُّ أَنَّ قَوْلَهُ: «عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ» عَلَى ظَاهِرِهِ، وَأَنَّ كُلَّ تَأْوِيلٍ لَهُ عَنْ ظَاهِرِهِ، تَبْدِيلٌ لِلْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِإِيمَانٍ يَقِينًا قَاطِعًا وَكُلُّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الرَّسُولَ أَحْرَصُ عَلَى عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَى تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُحَرِّفِينَ لِكَلَامِهِ. وَهُوَ كَذَلِكَ أَقْدَرُ عَلَى الْبَيَانِ وَالْإِيضَاحِ مِنْهُمْ، وَهُوَ كَذَلِكَ أَعْلَمُ بِاللَّهِ، وَمَا يَجِبُ لَهُ وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَبِّطِينَ.

فَهَذَا كِتَابٌ خَاصٌّ، وَصَعَهُ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، مُثَبَّتًا فِيهِ مَا ذَكَرَ، لِزِيَادَةِ الْإِهْتِمَامِ بِهِ، وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مَكْتُوبًا أَيْضًا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. وَهُوَ كِتَابٌ حَقِيقَةٌ؛ كَتَبَهُ - تَعَالَى - كَمَا ذَكَرَ لَنَا رَسُولُنَا حَقِيقَةً، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَقِيقَةٌ، فَوْقَ عَرْشِهِ حَقِيقَةٌ ^(٣).

(٢) «الكافية الشافية» (ص ١٤٢).

(١) «السراج الوهاج» (١١/٦٢ - ٦٣).

(٣) «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (١/٣٩١).

التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۖ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك: ١٦، ١٧].
وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]: اللَّهُ ﷻ^(١)،
لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَن يَخِفَّ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الإسراء: ٦٨]، وَلِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخِفَّ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۚ ﴿٤٥﴾﴾ [النحل: ٤٥].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الْمُلْكِ الَّتِي تُنْجِي لِقَارِئَهَا مِنَ النَّيرانِ نَصَّانٍ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ عِنْدَ الْمُحَرِّفِ مَا هُمَا نَصَّانٍ^(٢)
وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۖ ﴿١٦﴾﴾ [الملك: ١٦]، مَن تَوَهَّمُ أَنَّ مُقْتَضَى هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ يَكُونَ اللَّهُ فِي دَاخِلِ السَّمَاوَاتِ، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالْإِتِّفَاقِ، وَإِنْ كُنَّا إِذَا قُلْنَا: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ فِي السَّمَاءِ يَقْتَضِي ذَلِكَ، فَإِنَّ حَرْفَ «فِي» مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ، فَهُوَ بِحَسَبِ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ.

فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: الْعَرْشُ فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ؟ لَقِيلَ: فِي السَّمَاءِ.
وَلَوْ قِيلَ: الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ؟ لَقِيلَ: الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ يَكُونَ الْعَرْشُ دَاخِلَ السَّمَاوَاتِ، بَلْ وَلَا الْجَنَّةُ.
فَهَذِهِ الْجَنَّةُ سَقْفُهَا الَّذِي هُوَ الْعَرْشُ فَوْقَ الْأَفْلَاقِ، مَعَ أَنَّ الْجَنَّةَ فِي

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٧/٢٩)، طبعة دار الفكر، بيروت.

(٢) «الكافية الشافية» (ص ١٤٠).

السَّمَاءِ، وَالسَّمَاءُ يُرَادُ بِهِ الْعُلُوُّ.

وَلَمَّا كَانَ قَدْ اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِ الْمُخَاطَبِينَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى،
وَأَنَّهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، كَانَ الْمَفْهُومُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَنْ فِي السَّمَاءِ»، أَنَّهُ فِي الْعُلُوِّ،
وَأَنَّهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

وَإِذَا قِيلَ: (الْعُلُوُّ) فَإِنَّهُ يَتَنَاوَلُ مَا فَوْقَ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا، فَمَا فَوْقَهَا
كُلُّهَا هُوَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا يَقْتَضِي هَذَا أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ ظَرْفٌ وَجُودِيٌّ يُحِيطُ بِهِ،
إِذْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَالَمِ شَيْءٌ مَوْجُودٌ إِلَّا اللَّهُ، كَمَا لَوْ قِيلَ: إِنَّ الْعَرْشَ فِي السَّمَاءِ،
فَإِنَّهُ لَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ فِي شَيْءٍ آخَرَ مَوْجُودٍ مَخْلُوقٍ.

وَإِذَا قُدِّرَ أَنَّ السَّمَاءَ الْمُرَادُ بِهَا الْأَفْلَاكُ، كَانَ الْمُرَادُ أَنَّهُ عَلَيْهَا، كَمَا قَالَ:
﴿وَلَا صَلْبَيْتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وَقَالَ: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل
عمران: ١٣٧] ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]. وَيُقَالُ: فَلَانٌ فِي الْجَبَلِ وَفِي
السَّطْحِ، وَإِنْ كَانَ عَلَى أَعْلَى شَيْءٍ فِيهِ ^(١).

قَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَوْنُهُ ^(٢) فِي السَّمَاءِ، مُتَوَاتِرٌ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَوَاتُرًا لَفْظِيًّا، فَمِنْ ذَلِكَ ^(٣):

١ - عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى
غَنَمًا لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةِ. فَاطْلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذَّبُّ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ
مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَّكْتُهَا صَكَّةً.
فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟
قَالَ: «اتَّعْنِي بِهَا». فَأَتَيْتُهَا بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ:

(١) «الرسالة التدمرية» (ص ٨٥ - ٨٩)، تحقيق: محمد بن عودة السعوي.

(٢) «الأربعين في صفات رب العالمين» (ص ٥٣ - ٥٤) للذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ، طبعة مكتبة العلوم
والحكم، المدينة النبوية، الطبعة الأولى.

«مَنْ أَنَا؟»، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»^(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْهَرَّاسُ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا حَدِيثٌ يَتَأَلَّقُ نَصَاعَةً وَوُضُوحًا، وَهُوَ صَاعِقَةٌ عَلَى رُؤُوسِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ. فَهَذَا رَجُلٌ أَخْطَأَ فِي حَقِّ جَارِيَّتِهِ بِضَرْبِهَا، فَأَرَادَ أَنْ يُكْفَرَ عَنْ خَطِيئَتِهِ بِعَتَقِهَا، فَاسْتَمَهَلَهُ الرَّسُولُ ﷺ حَتَّى يَمْتَحِنَ إِيْمَانُهَا، فَكَانَ السُّؤَالُ الَّذِي اخْتَارَهُ لِهَذَا الْإِمْتِحَانِ هُوَ «أَيْنَ اللَّهُ؟» وَلَمَّا أَجَابَتْ بِأَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، رَضِيَ جَوَابُهَا وَشَهِدَ لَهَا بِالْإِيْمَانِ، وَلَوْ أَنَّكَ قُلْتَ لِمُعْطَلٍ: أَيْنَ اللَّهُ؟ لَحَكَّمَ عَلَيْكَ بِالْكَفْرَانِ^(٢).

وَيُسْتَفَادُ مِنْ حَدِيثِ الْجَارِيَةِ مَا يَلِي:

❖ أَوَّلًا: شَرْعِيَّةُ قَوْلِ الْمُسْلِمِ: أَيْنَ اللَّهُ؟^(٣). وَمَنْ أَجْهَلُ جَهْلًا، وَأَسْخَفُ عَقْلًا، وَأَضْلُ سَبِيلًا، مِمَّنْ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: أَيْنَ اللَّهُ!! بَعْدَ تَصْرِيحِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ بِقَوْلِهِ: «أَيْنَ اللَّهُ؟!»^(٤).

❖ ثَانِيًا: شَرْعِيَّةُ قَوْلِ الْمَسْئُولِ: فِي السَّمَاءِ. فَأَقَرَّ النَّبِيُّ ﷺ الْجَارِيَةَ عَلَى ذَلِكَ، فَلَوْ كَانَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، لَبَيَّنَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ الْإِقْرَارُ عَلَى الْخَطَا، لَا سِيَّمَا وَكَانَ ذَلِكَ بِحُضُورِ جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ^(٥). قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالنَّبِيُّ ﷺ مُنَزَّهٌ أَنْ يَسْأَلَ سُؤَالَ فَاسِدًا، وَسَمِعَ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ أَنْ يُقَرَّ عَلَى جَوَابٍ فَاسِدٍ^(٦).

(١) قطعة من حديث: أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٢) تعليقات الشيخ الهراس على كتاب «التوحيد» لابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ، (ص ١٢١ - ١٢٢).

(٣) «العلو» (٣٣٢ / ١) للحافظ الذهبي، تحقيق: الشيخ عبد الله بن صالح البراك.

(٤) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ٨٩)، للحافظ: ثقي الدين عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٥) «الانتصار في الرد على المعتزلة القدريَّة الأشرار» (٢ / ٦٢٤)، للعلامة: يحيى بن أبي

الخير العمراني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٦) «درء تعارض العقل والنقل» (٣ / ٣١٥).

❖ ثَالِثًا: وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاءِ، فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ. أَلَا تَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَكَمَ بِإِيمَانِ الْجَارِيَةِ، لَمَّا أَقَرَّتْ بِأَنَّ رَبَّهَا فِي السَّمَاءِ، وَعَرَفَتْ رَبَّهَا بِصِفَةِ الْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ^(١).

❖ رَابِعًا: وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ السَّمَاءِ^(٢).

قَالَ الْحَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيُّ (ت ٧٠٥ هـ) - تَعْلِيْقًا عَلَى حَدِيثِ الْجَارِيَةِ -: فِيهِ هَذَا الْحَدِيثُ دَلَالَةٌ أَنَّ مِنْ شَرْطِ الْإِيمَانِ أَنْ يَعْتَقِدَ الشَّخْصُ بِقَلْبِهِ، وَيَتَلَفَّظَ بِلِسَانِهِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاءِ^(٣).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي مَعْنَى حَدِيثِ الْجَارِيَةِ -: وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللَّهُ؟»، فَعَلَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ أَهْلُ السُّنَّةِ، وَهُمْ أَهْلُ الْحَدِيثِ، وَرُؤَاةُ الْمُتَفَقِّهُونَ فِيهِ، وَسَائِرُ نَقَلَتِهِ، كُلُّهُمْ يَقُولُ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [٥: طه: ٥]، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ءَاْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، وَبِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَوْلِهِ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]. وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ.. وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ مَعْنَى يُشْكِلُ غَيْرُ مَا وَصَفْنَا.

وَلَمْ يَزَلِ الْمُسْلِمُونَ إِذَا دَهَمَهُمْ أَمْرٌ يُقْلِقُهُمْ فَرَعَوْا إِلَى رَبِّهِمْ، فَرَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَأَوَّجَهُهُمْ نَحْوَ السَّمَاءِ يَدْعُوْنَهُ، وَمُخَالَفُونَا يَنْسَبُونَا فِي ذَلِكَ إِلَى التَّشْبِيهِ، وَاللَّهُ

(١) انظر: «الرد على الجهمية» (ص ٣٩)، للدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) انظر: «الإبانة» (ص ٧٦)، و«عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص ٣٠)، و«الحجة في بيان المحجة» (٢/ ١١٥).

(٣) «الحجة على تارك المحجة» (ص ٤٢٩).

المُستَعَانُ. وَمَنْ قَالَ بِمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ، فَلَا عَيْبَ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ^(١).
وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْجَارِيَةُ الَّتِي قَالَ لَهَا
النَّبِيُّ ﷺ: «أَيْنَ اللَّهُ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». وَإِنَّمَا أَخْبَرَتْ عَنِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا، وَأَقَرَّهَا النَّبِيُّ ﷺ
عَلَى ذَلِكَ، وَشَهِدَ لَهَا بِالْإِيمَانِ. فَلْيَتَأَمَّلِ الْعَاقِلُ ذَلِكَ يَجِدُهُ هَادِيًا لَهُ عَلَى
مَعْرِفَةِ رَبِّهِ، وَالْإِقْرَارِ بِهِ كَمَا يَنْبَغِي، لَا مَا أَخَذَتْهُ الْمُتَعَمِّقُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ،
مِمَّنْ سَوَّلَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ وَأَمْلَى لَهُمْ^(٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْجَارِيَةُ لَمَّا قَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: (فِي السَّمَاءِ)،
إِنَّمَا أَرَادَتْ الْعُلُوَّ، مَعَ عَدَمِ تَخْصِيصِهِ بِالْأَجْسَامِ الْمَخْلُوقَةِ وَحُلُولِهِ فِيهَا^(٣).
٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ!
مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا، فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ
سَاحِطًا عَلَيْهَا، حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا»^(٤).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَذْكُرُ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ وَفِيهِ نَحْوُ ذِكْرِ لَذَاتِ الْبَعْلِ مِنْ هَجْرَانٍ
مَنْ سَخَطَ رَبٌّ فِي السَّمَاءِ عَلَى الَّتِي هَجَرَتْ بِلاَ ذَنْبٍ وَلَا عُذْوَانٍ^(٥)
وَقَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ صَرِيحٌ لِمَا
ذَهَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسَلَفُ الْأُمَّةِ: مِنْ أَنَّ اللَّهَ ﷻ فِي السَّمَاءِ
هُوَ نَفْسُهُ جَلَّ جَلَالُهُ، فَوْقَ عَرْشِهِ، فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «فِي

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/٦٢).

(٤) رواه مسلم [١٢١- (١٤٣٦)].

(١) «الاستذكار» (٢٣/١٦٧ - ١٦٨).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/٥٣).

(٥) «الكافية الشافية» (ص ١٤٥).

السَّمَاءِ؟ أَي: مُلْكُهُ فِي السَّمَاءِ، بَلْ هَذَا تَحْرِيفٌ لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

وَتَحْرِيفُ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ مِنْ صِفَاتِ الْيَهُودِ وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ، الَّذِينَ حَرَّفُوا التَّوْرَةَ عَنْ مَوَاضِعِهَا وَعَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِهَا، فَإِنَّ مُلْكَ اللَّهِ ﷻ فِي السَّمَاءِ وَفِي الْأَرْضِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٨٩] (١).

٣- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ! يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً!؟» (٢).

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا، قَالُوا: اخْرُجِي أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ، وَرَبٌّ غَيْرُ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ، حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانٌ. فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ، وَرَبٌّ غَيْرُ غَضْبَانَ. فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ، حَتَّى يُتْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ ﷻ» (٣).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعْلِيْقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُهُ: «فِيهَا اللَّهُ»، بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ (١٧) [الملك: ١٦، ١٧]. وَبِمَنْزِلَةِ مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِجَارِيَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ: «أَيْنَ اللَّهُ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ.

وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ: أَنَّ السَّمَاءَ تَحْضُرُ الرَّبَّ وَتَحْوِيهِ، كَمَا تَحْوِي

(١) «شرح رياض الصالحين» (١٦٥/٥).

(٢) قطعة من حديث: رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٢)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٥٦).

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَغَيْرُهُمَا، فَإِنَّ هَذَا لَا يَقُولُهُ مُسْلِمٌ، وَلَا يَعْتَقِدُهُ عَاقِلٌ - فَقَدْ قَالَ ﷺ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَالسَّمَاوَاتُ فِي الْكُرْسِيِّ كَحَلَقَةِ مُلَقَاةٍ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ، وَالْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ كَحَلَقَةِ مُلَقَاةٍ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ، وَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، لَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ، وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ - بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَعَلَيْهَا، بَائِنٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]، وَقَالَ: ﴿يُعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]. وَقَالَ: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ^(١).

٥ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ، يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^(٢).
فَإِنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: «يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»، هُوَ اللَّهُ ﷻ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ، لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ ﷻ»^(٣).
فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ بِلَفْظٍ: «ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ، يَرْحَمَكُمُ أَهْلُ السَّمَاءِ»^(٤).

وَالْجَوَابُ أَنْ يُقَالَ: الرَّوَايَةُ الْأُولَى أَوْلَى بِالصَّوَابِ، كَمَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَقَالَ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ:

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٧١ - ٢٧٢).

(٢) رواه الترمذي (١٩٢٤)، وصححه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٧٦)، ومسلم (٢٣١٩) - واللفظ له - من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه أبو داود (٤٩٤١)، وأحمد (٢/ ١٦٠ رقم ٦٤٩٤) - واللفظ له - وصححه لغيره.

الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «السلسلة الصحيحة» (٩٢٥).

إِنَّ مَنْ يَرْحَمَ مَنْ فِي الْأَرْضِ قَدْ أَنْ يَرْحَمَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ
فَارْحَمِ الْخَلْقَ جَمِيعًا إِنَّمَا يَرْحَمُ الرَّحْمَنُ فِينَا الرَّحْمَا^(١)

العاشِر: شَهِادَتُهُ ﷺ الَّتِي هِيَ أَصْدَقُ شَهَادَةٍ عِنْدَ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ لِمَنْ قَالَ: (إِنَّ رَبَّهُ فِي السَّمَاءِ) بِالْإِيمَانِ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ أَفْرَاحُ
جَهَمٍ بِالْكَفْرِ.

وَصَرَّحَ الشَّافِعِيُّ بِأَنَّ هَذَا الَّذِي وَصَفْتُهُ مِنْ أَنَّ رَبَّهَا فِي السَّمَاءِ إِيْمَانٌ،
فَقَالَ فِي كِتَابِهِ^(٢) فِي «بَابِ عِتْقِ الرَّقَبَةِ الْمُؤْمِنَةِ»، وَذَكَرَ حَدِيثَ الْأَمَةِ السَّوْدَاءِ
الَّتِي سَوَّدَتْ وَجُوهَ الْجَهْمِيَّةِ، وَبَيَّضَتْ وَجُوهَ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فَلَمَّا وَصَفَتْ الْإِيمَانَ
قَالَ: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، وَهِيَ إِنَّمَا وَصَفَتْ كَوْنَ رَبَّهَا فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَرَنْتُ بَيْنَهُمَا فِي الذِّكْرِ، فَجَعَلْتُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ
مَجْمُوعَهُمَا هُوَ الْإِيمَانُ^(٣).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِنَّمَا احْتَجَّ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ
عَلَيْهِ - عَلَى الْمُخَالِفِينَ... بِهَذَا الْخَبَرِ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ اللَّهَ ﷻ فَوْقَ خَلْقِهِ وَفَوْقَ
سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، كَمَا هُوَ مُعْتَقَدُ الْمُسْلِمِينَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ
سَلَفِهِمْ وَخَلَفِهِمْ، إِذْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَرَوِي خَبْرًا صَحِيحًا لَا يَقُولُ بِهِ^(٤).

وَقَالَ الْحَافِظُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ التِّيمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَحَكَّمَ النَّبِيُّ ﷺ
بِإِيمَانِهَا حِينَ قَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، وَتَحَكَّمُ الْجَهْمِيَّةُ بِكَفْرِ مَنْ
يَقُولُ ذَلِكَ^(٥).

(١) «الإمتاع» (ص ٦٦).

(٢) «إعلام الموقعين» (٣١٦/٢) [مكتبة ابن تيمية، القاهرة].

(٣) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص ٤٣).

(٤) «الحجة في بيان المحجة» (١١٥/٢).

(٥) «الأم» (٢٩٨/٥).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَذْكُرُ شَهَادَتَهُ لِمَنْ قَدْ قَالَ رَبِّ
وَشَهَادَةَ الْعَدْلِ الْمُعْطَلِ لِلَّذِي
وَاحْكُمْ بَأْيَهُمَا تَشَاءُ وَإِنِّي
إِنْ كُنْتُ مِنْ أَتْبَاعِ جَهْمِ صَاحِبِ التَّ
ي فِي السَّمَاءِ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ
قَدْ قَالَ ذَا بِحَقِيقَةِ الْكُفْرَانِ
لَأَرَاكَ تَقْبَلُ شَاهِدَ الْبُطْلَانِ
مُعْطِيلِ وَالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ^(١)

الْحَادِي عَشَرَ: التَّصْرِيحُ بِالِاسْتِوَاءِ مَقْرُونًا بِأَدَاةِ «عَلَى» مُخْتَصًّا بِالْعَرْشِ
- الَّذِي هُوَ أَعْلَى الْمَخْلُوقَاتِ وَأَنْزَلُهَا وَأَطْهَرُهَا، وَأَنْوَرُهَا وَأَشْرَفُهَا ذَاتًا وَقَدْرًا
وَأَوْسَعُهَا - مُصَاحِبًا فِي الْأَكْثَرِ لِأَدَاةِ «ثُمَّ»، الدَّالَّةِ عَلَى التَّرْتِيبِ وَالْمُهْلَةِ.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي وَصْفِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى
﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٤، ٥].

وَقَدْ فَسَّرَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ الْإِسْتِوَاءَ: بِالْعُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ^(٢).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَسْتَوَى: عَلَا عَلَى الْعَرْشِ^(٣).

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: كُنْتُ عِنْدَ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَسَأَلَهُ
رَجُلٌ فَقَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]، كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَقَالَ:
«الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَمِنْ اللَّهِ الرَّسَالَةُ، وَعَلَى
الرَّسُولِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّصَدِيقُ»^(٤).

(١) «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ص ١٤٣).

(٢) انظر: «جامع البيان» (١/ ١٩١).

(٣) أخرجه البخاري [قبل الحديث (٧٤١٨)] معلقًا، ووصله الحافظ ابن حجر في «تغليق التعليق»
(٣٤٥/٥).

(٤) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٩١١)، وصححه.

وَقَالَ رَجُلٌ لِلإِمَامِ مَالِكٍ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: «الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، الِاسْتِواءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالِإِيْمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ ضَالًّا، وَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ»^(١).

قَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا: «هَذَا ثَابِتٌ عَنْ مَالِكٍ، وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ قَاطِبَةً: إِنَّ كَيْفِيَّةَ الِاسْتِواءِ لَا نَعْقِلُهَا، بَلْ نَجْهَلُهَا، وَإِنَّ اسْتِواءَهُ مَعْلُومٌ كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ، وَإِنَّهُ كَمَا يَلِيقُ بِهِ، لَا تَتَعَمَّقُ وَلَا تَتَحَذَلُ، وَلَا نَخُوضُ فِي لَوَازِمِ ذَلِكَ نَفْيًا وَلَا إِثْبَاتًا، بَلْ نَسْكُتُ وَنَقِفُ كَمَا وَقَفَ السَّلَفُ، وَنَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ تَأْوِيلٌ لَبَادَرَ إِلَى بَيَانِهِ الصَّحَابَةُ، وَالتَّابِعُونَ، وَلَمَّا وَسِعَهُمْ إِقْرَارُهُ وَإِمْرَارُهُ وَالسُّكُوتُ عَنْهُ، وَنَعْلَمُ يَقِينًا مَعَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا مِثْلَ لَهُ فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي اسْتِواءِهِ، وَلَا فِي نُزُولِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوءًا كَبِيرًا»^(٢).

وَقَالَ بِشْرُ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٠٧هـ): «سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ يَقُولُونَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، عَلَى الْعَرْشِ ارْتَفَعَ»^(٣).

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٠٦هـ) وَقِيلَ لَهُ: مَنِ الْجَهْمِيَّةُ؟ قَالَ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] عَلَى خِلَافِ مَا يَقْرَأُ فِي قُلُوبِ الْعَامَّةِ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ»^(٤).

قَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُعَقِّبًا: «يَقْرَأُ: مُخَفَّفٌ، وَ(الْعَامَّةُ): مُرَادُهُ بِهِمْ

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٩٥٤)، وقال: «هذا ثابت عن مالك».

(٢) «العلو» (ص ٩٥٤).

(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٠١١)، وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٦٠): «وهذا إسناد صحيح مسلسل بالثقات الحفاظ».

(٤) أخرجه أبو داود في «المسائل» (ص ٢٦٨)، بسند جيد.

جُمْهُورُ الْأُمَّةِ وَأَهْلُ الْعِلْمِ، وَالَّذِي وَقَرَّ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْآيَةِ هُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْخِطَابُ، مَعَ يَقِينِهِمْ بِأَنَّ الْمُسْتَوِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. هَذَا الَّذِي وَقَرَّ فِي فِطْرِهِمْ السَّلِيمَةِ، وَأَذْهَانِهِمُ الصَّحِيحَةِ، وَلَوْ كَانَ لَهُ مَعْنَى وَرَاءَ ذَلِكَ، لَتَفَوَّهُوا بِهِ وَلَمَّا أَهْمَلُوهُ، وَلَوْ تَأَوَّلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ الْإِسْتِوَاءَ، لَتَوَفَّرَتِ الْهِمَمُ عَلَى نَقْلِهِ، وَلَوْ نُقِلَ لَا شَتَهَرَ. فَإِنْ كَانَ فِي بَعْضِ جَهْلَةِ الْأَغْيَاءِ مَنْ يَفْهَمُ مِنَ الْإِسْتِوَاءِ مَا يُوجِبُ نَقْصًا، أَوْ قِيَاسًا لِلشَّاهِدِ عَلَى الْغَائِبِ؛ وَلِلْمَخْلُوقِ عَلَى الْخَالِقِ، فَهَذَا نَادِرٌ، فَمَنْ نَطَقَ بِذَلِكَ زُجَرَ وَعُلِمَ، وَمَا أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْعَامَّةِ يَقْرَأُ فِي نَفْسِهِ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

وَقَالَ إِمَامُ الْأَيْمَّةِ ابْنُ خُزَيْمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (٣١١هـ): «فَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِخَبَرِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ خَالِقَنَا مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، لَا نُبَدِّلُ كَلَامَ اللَّهِ وَلَا نَقُولُ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَنَا، كَمَا قَالَتِ الْمُعْطَلَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ: إِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ لَا اسْتَوَى، فَبَدَّلُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ، كَفَعَلَ الْيَهُودُ لَمَّا أُمِرُوا أَنْ يَقُولُوا: حِطَّةٌ، فَقَالُوا: حِنْطَةٌ، مُخَالِفِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، كَذَلِكَ الْجَهْمِيَّةُ»^(٢).

وَقَالَ الْعَلَامَةُ الشَّنِقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ أَشَارَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ أَنَّ وَصَفَ اللَّهِ بِالِاسْتِوَاءِ، صَادِرٌ عَنْ خَيْرٍ بِاللَّهِ وَبِصِفَاتِهِ، عَالِمٌ بِمَا يَلِيقُ بِهِ، وَبِمَا لَا يَلِيقُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسُئِلَ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ: ﴿فَسُئِلَ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، تَعَلَّمَ أَنَّ مَنْ وَصَفَ الرَّحْمَنَ بِالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ خَيْرٌ بِالرَّحْمَنِ وَبِصِفَاتِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ اللَّائِقُ مِنَ الصِّفَاتِ وَغَيْرِ اللَّائِقِ. فَالَّذِي نَبَّأَنَا بِأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ، هُوَ الْعَلِيمُ الْخَيْرُ الَّذِي هُوَ

(١) «العلو» (٢/ ١٠٣١).

(٢) كتاب «التوحيد» (ص ١٠١)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

الرَّحْمَنُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَنْفِيكَ مِنْ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

وَبِذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّ مَنْ يَدْعِي أَنَّ الْإِسْتِوَاءَ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، وَأَنَّهُ غَيْرُ لَانِقٍ، غَيْرُ خَبِيرٍ، نَعَمْ وَاللَّهِ! هُوَ غَيْرُ خَبِيرٍ^(١).

الثَّانِي عَشَرَ: الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ ﷺ حِسًّا إِلَى الْعُلُوِّ. وَهِيَ وَاقِعَةٌ عَلَى أَعْلَى جُزْءٍ مِنَ الْكَوْنِ، وَتَقَعُ عَلَى عَظَمَةِ الْإِلَهِ، عَلَى مَا يَلِيْقُ بِهِ:

فَلَقَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ - الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَبِمَا يَجِبُ لَهُ، وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْبَشَرِ - إِلَى اللَّهِ ﷻ لَمَّا كَانَ بِالْمَجْمَعِ الْأَعْظَمِ الَّذِي لَمْ يَجْتَمِعْ لِأَحَدٍ مِثْلُهُ، فِي الْيَوْمِ الْأَعْظَمِ، فِي الْمَكَانِ الْأَعْظَمِ، قَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ. فَرَفَعَ أَصْبَعَهُ الْكَرِيمَةَ إِلَى السَّمَاءِ، رَافِعًا لَهَا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهَا وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، قَائِلًا: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ». فَكَأَنَّا نُشَاهِدُ تِلْكَ الْأَصْبُعَ الْكَرِيمَةَ وَهِيَ مَرْفُوعَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَذَلِكَ اللِّسَانَ الْكَرِيمَ وَهُوَ يَقُولُ لِمَنْ رَفَعَ أَصْبَعَهُ إِلَيْهِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، تَحْقِيقًا لِإِثْبَاتِ صِفَةِ الْعُلُوِّ، وَأَنَّ الرَّبَّ الَّذِي اسْتَشْهَدَهُ فَوْقَ الْعَالَمِ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ بَلَغَ الْبَلَاحَ الْمُبِينِ، وَأَدَّى رِسَالَاتِ رَبِّهِ كَمَا أَمَرَ، وَنَصَحَ أُمَّتَهُ غَايَةَ النَّصِيحَةِ، فَلَا يُحْتَاجُ مَعَ بَيَانِهِ وَتَبْلِيغِهِ، وَكَشْفِهِ وَإِضَاحِهِ، إِلَى تَنْطَعِ الْمُتَنْطِعِينَ، وَحَذَلَقَةِ الْمُتَحَذَلِقِينَ! وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٢).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَشَارَ رَسُولُهُ فِي مَجْمَعِ الْحَقِّ الْعَظِيمِ بِمَوْقِفٍ مَنْ قَالَ مِنْكُمْ مَنْ أَشَارَ بِأَصْبُعٍ حَقًّا إِلَيْهِ بِأَصْبُعٍ وَبَنَانٍ دُونَ الْمُعَرَّفِ مَوْقِفِ الْغُفْرَانِ قُطِعَتْ فَعِنْدَ اللَّهِ يَجْتَمِعَانِ^(٣)

(٢) «شرح الطحاوية» (٢/ ٣٨٤ - ٣٨٥).

(١) «أضواء البيان» (٧/ ٤٦٨).

(٣) «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ص ٣٣٥).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَقَدْ أَشَارَ رَسُولُهُ فِي مَجْمَعِ الدَّ
نَحْوِ السَّمَاءِ بِأَصْبُعٍ قَدْ كُرِّمَتْ
يَا رَبُّ فَاشْهَدْ أَنِّي بَلَّغْتُهُمْ
فَعَدَا الْبَنَانُ مُرَفَّعًا وَمُصَوَّبًا
أَدَيْتَ ثُمَّ نَصَحْتَ إِذْ بَلَّغْتَنَا
حَجَّ الْعَظِيمِ بِمَوْقِفِ الْغُفْرَانِ
مُسْتَشْهِدًا لِلْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
وَيُشِيرُ نَحْوَهُمْ لِقَصْدِ بَيَانِ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ ذُو الْغُفْرَانِ
حَقَّ الْبَلَاغِ الْوَاجِبِ الشُّكْرَانِ^(١)

الثَّالِثُ عَشَرَ: التَّصْرِيحُ بِرَفْعِ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِلَيْهِ ﷺ:

١ - عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَيِّي كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»^(٢).

٢ - عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ... فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ»^(٣).

٣ - عَنِ الْمِقْدَادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ - قَالَ: فَرَفَعَ [النَّبِيُّ ﷺ] رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ... فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي»^(٤).

٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ٥١ ﴿الْمُؤْمِنُونَ: ٥١﴾، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾

(١) «الكافية الشافية» (ص ١١٣).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٥٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٤٦٣).

(٣) قطعة من حديث: رواه مسلم (١٧٦٣). (٤) رواه مسلم (٢٠٥٥).

[البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ! يَا رَبَّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟! ^(١).

٥ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ، قَامَ أَغْرَابِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الْمَالُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا! فَرَفَعَ يَدَيْهِ ^(٢).

٦ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ طَرْفَ صَاحِبِ الصُّورِ مُذْ وَكَلَّ بِهِ، مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ» ^(٣).

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رحمته الله (٤٦٣ هـ): «وَمِنَ الْحُجَّةِ: فِي أَنَّهُ ﷺ عَلَى الْعَرْشِ، فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، أَنَّ الْمُوَحِّدِينَ أَجْمَعِينَ، مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، إِذَا كَرَّبَهُمْ أَمْرٌ، أَوْ نَزَلَتْ بِهِمْ شِدَّةٌ، رَفَعُوا وُجُوهَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، يَسْتَغِيثُونَ رَبَّهُمْ ﷻ؛ وَهَذَا أَشْهُرُ وَأَعْرَفُ، عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، مِنْ أَنْ يُحْتَاجَ فِيهِ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ حِكَايَتِهِ؛ لِأَنَّهُ اضْطَرَّارٌ لَمْ يُؤْنَبْهُمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَلَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِمْ مُسْلِمٌ» ^(٤).

وَقَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ رحمته الله (٢٩٧ هـ): «وَأَجْمَعَ الْخَلْقُ جَمِيعًا أَنَّهُمْ إِذَا دَعَوْا اللَّهَ جَمِيعًا، رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَوْ كَانَ اللَّهُ ﷻ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، مَا كَانُوا يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَهُمْ فِي الْأَرْضِ» ^(٥).

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ رحمته الله (٣٢٤ هـ): «وَرَأَيْنَا الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا

(١) رواه مسلم (١٠١٥). (٢) قطعة من حديث: رواه البخاري (٩٣٣).

(٣) رواه الحاكم (٥٥٨ - ٥٥٩)، وحسنه الحافظ في «الفتح» (٣٧٦ / ١١).

(٤) «التمهيد» (١٣٤ / ٧).

(٥) كتاب «العرش» (ص ٥١) [مكتبة المَعْلَى، الكويت، الطبعة الأولى].

يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ إِذَا دَعَوْا نَحْوَ السَّمَاءِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ مُسْتَوِيَ عَلَى الْعَرْشِ الَّذِي هُوَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ. فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ عَلَى الْعَرْشِ، لَمْ يَرْفَعُوا أَيْدِيَهُمْ نَحْوَ الْعَرْشِ، كَمَا لَا يَحْطُوتُهَا إِذَا دَعَوْا إِلَى الْأَرْضِ»^(١).

وَقَالَ ابْنُ قَدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (٦٢٠هـ): «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْعُلُوِّ فِي السَّمَاءِ، وَوَصَفَهُ بِذَلِكَ مُحَمَّدٌ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَجْمَعَ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ الْأَتْقِيَاءِ وَالْأَئِمَّةِ مِنَ الْفُقَهَاءِ، وَتَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِذَلِكَ عَلَى وَجْهِ حَصَلٍ بِهِ الْيَقِينُ، وَجَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ، وَجَعَلَهُ مَعْرُوزًا فِي طَبَاعِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، فَتَرَاهُمْ عِنْدَ نُزُولِ الْكَرْبِ بِهِمْ يَلْحَظُونَ السَّمَاءَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَيَرْفَعُونَ نَحْوَهَا لِلدُّعَاءِ أَيْدِيَهُمْ، وَيَنْتَظِرُونَ مَجِيءَ الْفَرَجِ مِنْ رَبِّهِمْ، وَيَنْطِقُونَ بِذَلِكَ بِالسِّنَتِهِمْ، لَا يُنْكِرُ ذَلِكَ إِلَّا مُبْتَدِعٌ غَالٍ فِي بِدْعَتِهِ، أَوْ مَفْتُونٌ بِتَقْلِيدِهِ وَاتِّبَاعِهِ عَلَى ضَلَالَتِهِ»^(٢).

الرَّابِعُ عَشَرَ: النُّصُوصُ الدَّالَّةُ عَلَى رُؤْيَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَهُ تَعَالَى مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِخْبَارُ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ كَرُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ، وَلَا يَرَوْنَهُ إِلَّا مِنْ فَوْقِهِمْ^(٣):

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنْ أَشْرَفِ مَسَائِلِ أَصُولِ الدِّينِ، «وَأَجَلُّهَا قَدْرًا، وَأَعْلَاهَا خَطَرًا، وَأَقْرَبُهَا لِعُيُونِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَشَدُّهَا عَلَى أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالْفُرْقَةِ، وَهِيَ الْغَايَةُ الَّتِي شَمَّرَ إِلَيْهَا الْمُشَمَّرُونَ، وَتَنَافَسَ فِيهَا الْمُتَنَافِسُونَ، وَتَسَابَقَ إِلَيْهَا الْمُتَسَابِقُونَ، وَلِمِثْلِهَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ، اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، وَجَمِيعُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعُونَ، وَأَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ عَلَى تَتَابُعِ الْقُرُونِ، وَأَنْكَرَهَا أَهْلُ الْبِدْعِ الْمَارِقُونَ، وَالْجَهْمِيَّةُ الْمُتَهَوِّكُونَ،

(١) «الإبانة عن أصول الديانة» (ص ٩٧ - ٩٨)، طبعة مكتبة البيان، دمشق، الطبعة الرابعة.

(٢) «إثبات صفة العلو» (ص ٦٣)، لابن قدامة. (٣) «شرح الطحاوية» (٢/ ٣٨٦).

وَالْفِرْعَوْنِيَّةُ الْمُعْطَلُونَ، وَالْبَاطِنِيَّةُ الَّذِينَ هُمْ مِنْ جَمِيعِ الْأَذْيَانِ مُنْسَلِخُونَ، وَبِحَبَائِلِ الشَّيْطَانِ مُتَمَسِّكُونَ، وَمِنْ حَبْلِ اللَّهِ مُنْقَطِعُونَ، وَعَلَى مَسَبَّةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَاكِفُونَ، وَلِلْسُنَّةِ وَأَهْلِهَا مُحَارِبُونَ، وَلِكُلِّ عَدُوٍّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَدِينِهِ مُسَالِمُونَ، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ عَنْ رَبِّهِمْ مَحْجُوبُونَ، وَعَنْ بَابِهِ مَطْرُودُونَ»^(١).

قَالَ ﷺ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (١١) ﴿[القيامة: ٢٢، ٢٣].

قَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَحَادِيثُ رُؤْيَا اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ مُتَوَاتِرَةٌ، وَالْقُرْآنُ مُصَدِّقٌ لَهَا»^(٢).

وَفِيمَا يَلِي أُوْرِدُ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى رُؤْيَا اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ.

١- عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ»^(٣).

قَالَ الْحَافِظُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَسْأَلُ سُؤَالَ يَسْتَحِيلٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَبْعَثُ نَبِيًّا، إِلَّا وَهُوَ عَالِمٌ بِمَا يَجْرِي عَلَيْهِ^(٤).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَوْ مَا سَمِعْتَ سُؤَالَ أَعْرَفٍ خَلَقِهِ
شَوْقًا إِلَيْهِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ الَّذِي
الشَّوْقُ لَذَّةُ رُوحِهِ فِي هَذِهِ الدُّ
تَلْتَذُّ بِالنَّظَرِ الَّذِي فَازَتْ بِهِ
بِجَلَالِهِ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ
بِجَلَالِ وَجْهِ الرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
نَيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
دُونَ الْجَوَارِحِ هَذِهِ الْعَيْنَانِ

(١) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (ص ٣٦١)، طبعة مؤسسة الرسالة.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/٤٥٥).

(٣) قطعة من حديث: أخرجه النسائي (١٣٠٥)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صحيح سنن

النسائي» (١/٤١٩).

(٤) «الحجة في بيان المحجة» (٢/٢٥٠).

وَاللَّهُ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَلَدُّ
وَكَذَلِكَ رُؤْيَاهُ وَجْهَهُ سُبْحَانَهُ
لَكِنَّمَا الْجَهَنَّمِيُّ يُنْكِرُ ذَا وَذَا
تَبَّالَهُ الْمَخْدُوعُ أَنْكَرَ وَجْهَهُ
وَكَلَامَهُ وَصِفَاتِهِ وَعُغْلُوهُ
فَتَرَاهُ فِي وَادٍ وَرُسُلُ اللَّهِ فِي
وَادٍ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْكُفْرَانِ^(١)

٢- عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وَجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ». ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] (٢).

قَالَ صَدِيقُ حَسَنِ خَانَ رحمته الله: «وَتَفْسِيرُ الزِّيَادَةِ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ ﷻ، وَقَدْ ثَبَتَ التَّفْسِيرُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَبْقَ حِينَئِذٍ لِقَائِلٌ مَقَالٌ، وَلَا تِلْفَاتٌ إِلَى الْمُجَادَلَاتِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ الْمُتَمَذِّهِبَةِ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ مِنَ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ مَا يَتَفَعَّلُونَ بِهِ، فَإِنَّهُمْ لَوْ عَرَفُوا ذَلِكَ، لَكَفُّوا عَنْ كَثِيرٍ مِنْ هَذَايَنِهِمْ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ» (٣).

٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا؛ وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ، إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَذْنٍ» (٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٨١).

(١) «الكافية الشافية» (ص ٣٨٧).

(٣) «فتح البيان» (٥٠/٦).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠) - واللفظ له -.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَهَذَا يَدُلُّ أَنَّ رِذَاءَ الْكِبَرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ ﷺ، هُوَ الْمَانِعُ مِنْ رُؤْيِيهِ الدَّاتِ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ أَصْلِ الرُّؤْيَةِ؛ فَإِنَّ الْكِبَرِيَاءَ وَالْعَظَمَةَ أَمْرٌ لَا زِمَ لِدَاتِهِ تَعَالَى، فَإِذَا تَجَلَّى ﷺ لِعِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَشَفَ الْحِجَابَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَهُوَ الْحِجَابُ الْمَخْلُوقُ. وَأَمَّا أَنْوَارُ الدَّاتِ الَّذِي يُحْجَبُ عَنْ إِدْرَاكِهَا، فَذَلِكَ صِفَةُ لِلدَّاتِ، لَا تُفَارِقُ ذَاتَ الرَّبِّ ﷻ. وَلَوْ كَشَفَ ذَلِكَ الْحِجَابَ، لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ. وَتَكْفِي هَذِهِ الْإِشَارَةُ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِلْمُصَدِّقِ الْمُوقِنِ، وَأَمَّا الْمُعْطَلُ الْجَهْمِيُّ فَكُلُّ هَذَا عِنْدَهُ بَاطِلٌ وَمُحَالٌّ» (١).

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ» (٢).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَيْسَ فِي الْمُمْكِنِ عِبَارَةٌ أَوْضَحُ، وَلَا أَنْصَرُ مِنْ هَذِهِ، وَلَوْ اقْتَرَحَ عَلَى أَبْلَغِ النَّاسِ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِعِبَارَةٍ لَا تَحْتَمِلُ غَيْرَهُ، لَمْ يُقَرَّرْ عَلَى عِبَارَةٍ أَوْضَحَ وَلَا أَنْصَرُ مِنْ هَذِهِ، وَعَامَّةُ كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَإِنَّهُ مُسْتَوَلٍ عَلَى الْأَمَدِ الْأَقْصَى مِنَ الْبَيَانِ (٣).

وَالْمُخَاطَبُونَ بِهَذَا قَوْمٌ عَرَبٌ يَعْلَمُونَ الْمُرَادَ مِنْهُ، وَلَا يَقَعُ فِي قُلُوبِهِمْ تَشْبِيهُهُ ﷺ [بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ]؛ بَلْ هُمْ أَشْرَفُ عُقُولًا، وَأَصَحُّ أَذْهَانًا، وَأَسْلَمُ قُلُوبًا مِنْ ذَلِكَ، وَحَقَّقَ ﷺ وَقُوعَ الرُّؤْيَةِ عَيْنَانَا بِرُؤْيِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

(١) «التبيان في أقسام القرآن» (ص ١٨٩).

(٢) قطعة من حديث: أخرجه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

(٣) «إعلام الموقعين» (٣/ ١٤٤).

تَحْقِيقًا لَهَا، وَنَفْيًا لِتَوَهُّمِ الْمَجَازِ الَّذِي يَظُنُّهُ الْمُعْطَلُونَ^(١).
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَا بَعْدَ تَبْيَانِ الرَّسُولِ لِنَاطِرٍ
فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ لِسَائِلٍ
حَقًّا تَرَوْنَ إِلَهُكُمْ يَوْمَ اللَّقَا
كَالْبَدْرِ لَيْلَ تَمَامِهِ وَالشَّمْسِ فِي
بَلِّ قُصْدِهِ تَحْقِيقُ رُؤْيَيْنَا لَهُ
وَنَفَى السَّحَابِ وَذَاكَ أَمْرٌ مَانِعٌ
فَإِذَا أَتَى بِالْمُقْتَضَى وَنَفَى الْمَوَا
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَذَا الَّذِي
مَاذَا يَقُولُ الْقَاصِدُ التَّبْيَانِ يَا
إِلَّا الْعَمَى وَالْعَيْبُ فِي الْعُمَيَّانِ
مِنْ صَحْبِهِ عَنْ رُؤْيَةِ الرَّحْمَنِ
رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
نَحْرَ الظَّهِيرَةِ مَا هُمَا مِثْلَانِ
فَأَتَى بِأَظْهَرِ مَا يُرَى بِعِيَانِ
مِنْ رُؤْيَةِ الْقَمَرَيْنِ فِي ذَا الْآنِ
نَعِ خَشْيَةَ التَّقْصِيرِ فِي التَّبْيَانِ
يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبْيَانِ
أَهْلَ الْعَمَى مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبْيَانِ^(٢)

٥- عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ
إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا، لَا
تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] ^(٣).

قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَوْلُهُ: «كَمَا تَرُونَ» لَيْسَ كَافُ التَّشْبِيهِ
لِلْمَرِئِيِّ بِالْمَرِئِيِّ، بَلْ كَافُ التَّشْبِيهِ لِلرُّؤْيَةِ الَّتِي هِيَ فِعْلُ الرَّائِي بِالرُّؤْيَةِ،
وَمَعْنَاهُ: تَرُونَ رَبَّكُمْ رُؤْيَةً لَا شَكَّ فِيهَا، كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا
مِرْيَةَ فِيهَا» ^(٤).

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٦٨١ - ٦٨٢).

(٢) «الكافية الشافية» (ص ١٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٥١)، ومسلم (٦٣٣).

(٤) «شرح السنة» (٢/ ٢٢٦)، للبغوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَعْلُومٌ أَنَّا نَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ عِيَانًا مُوَاجِهَةً، فَيَجِبُ أَنْ نَرَاهُ كَذَلِكَ، وَأَمَّا رُؤْيَاهُ مَا لَا نُعَايِنُ وَلَا نُوَاجِهُهُ، فَهَذِهِ غَيْرُ مُتَصَوِّرَةٍ فِي الْعَقْلِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ تَكُونَ كَرُؤْيَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ^(١).

وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: «لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»؛ أَي: لَا يَنْضَمُ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي وَقْتِ النَّظَرِ؛ لِإِشْكَالِهِ وَخَفَائِهِ، كَمَا يَفْعَلُونَ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى الْهَلَالِ. «وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ الْمَثَلَ بِالْقَمَرِ فِي الشُّهُرَةِ وَالظُّهُورِ، فَيَقُولُونَ: هَذَا أَبَيْنُ مِنَ الشَّمْسِ، وَمِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَأَشْهَرُ مِنَ الْقَمَرِ»^(٢).
قَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

حَتَّى بَهَرْتَ فَمَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَحَدٍ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَ^(٣)
وَهَذَا كُلُّهُ بَيَانٌ لِرُؤْيَيْهِ فِي غَايَةِ التَّجَلِّيِ وَالظُّهُورِ، بِحَيْثُ لَا يَلْحَقُ الرَّائِي ضَرَرٌ وَلَا ضَيْمٌ، كَمَا يَلْحَقُهُ عِنْدَ رُؤْيَا الشَّيْءِ الْخَفِيِّ وَالْبَعِيدِ وَالْمَحْجُوبِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ^(٤).

لِيَتَأَمَّلَ الْقَارِئُ اللَّيِّبُ مَوْقِفًا جَمَعَ بَيْنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ الْخُزَاعِيِّ (الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٣١ هـ)، وَبَيْنَ الْوَائِقِ الْخَلِيفَةِ الْجَهْمِيِّ وَقَاضِيهِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ. ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ نَصْرِ حُمِلَ مُقَيَّدًا إِلَى الْوَائِقِ، وَفِي مَجْلِسِهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ وَاتَّبَاعُهُ.

فَقَالَ لَهُ الْوَائِقُ: فَمَا تَقُولُ فِي رَبِّكَ، أَتَرَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ جَاءَ الْقُرْآنُ وَالْأَخْبَارُ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ۖ (١١) لَّنْ رَّبَّهَا نَاطِرَةٌ ۖ (١٢)﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(٢) «تاويل مختلف الحديث» (ص ٢٤٢).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٦/٨٦).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/٨٥).

(٣) «ديوان ذي الرِّمَّة» (ص ٢٦٩).

«إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»
فَنَحْنُ عَلَى الْخَبَرِ.

فَقَالَ الْوَائِقُ: وَيَحَكَ! أَيَّرَى كَمَا يُرَى الْمَحْدُودُ الْمُتَجَسِّمُ؟ وَيَخُويهِ
مَكَانٌ وَيَحْصُرُهُ النَّاطِرُ؟ أَنَا أَكْفُرُ بِرَبِّ هَذِهِ صِفَتُهُ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ مُعَقِّبًا عَلَى قِيَاسِ الْوَائِقِ: وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْخَلِيفَةُ الْوَائِقُ
لَا يَرِدُ، وَلَا يَلْزَمُ، وَلَا يُرَدُّ بِهِ مِثْلُ هَذَا الْخَبَرِ الصَّحِيحِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

٦- عَنْ أَبِي رَزِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَكُلْنَا يَرَى اللَّهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ؟ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ: «يَا أَبَا رَزِينِ! أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَرَى الْقَمَرَ
مُخْلِيًا بِهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى! قَالَ: «فَاللَّهُ أَعْظَمُ، وَذَلِكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ»^(٢).

وَإِثْبَاتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَوَّازَ الرُّؤْيَةِ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَكُلُّ مِنْهُمْ
يَكُونُ مُخْلِيًا بِهِ بِالْقِيَاسِ عَلَى رُؤْيَةِ الْقَمَرِ مَعَ قَوْلِهِ: «اللَّهُ أَعْظَمُ»، دَلِيلٌ وَاضِحٌ
عَلَى أَنَّ النَّاسَ يَرَوْنَهُ مُوَاجَهَةً عِيَانًا يَكُونُ بِجَهَةِ مِنْهُمْ. وَأَنَّهُ إِذَا أَمَكْنَ فِي
بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ أَنَّهُ يَرَاهُ النَّاسُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ كُلُّهُمْ يَكُونُ مُخْلِيًا بِهِ، فَاللَّهُ
أَوْلَى أَنْ يُمَكِّنَ ذَلِكَ فِيهِ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ وَأَجَلُ^(٣) وَأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَهَذَا يُزِيلُ
كُلَّ إِشْكَالٍ، وَيُطْلُ كُلَّ خَيَالٍ^(٤).

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ الْحَنْفِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَيْسَ تَشْبِيهُ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِرُؤْيَةِ
الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ تَشْبِيهَا لِلَّهِ، بَلْ هُوَ تَشْبِيهُ الرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ، لَا تَشْبِيهُ الْمَرْتِي
[وَهُوَ اللَّهُ] بِالْمَرْتِي [وَهُوَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ]، وَلَكِنْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ

(١) «البداية والنهاية» (١١ / ١١٩ - ١٢٠).

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٠)، وحسنه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٥٠).

(٣) «بيان تلبيس الجهمية» (٤ / ٤٤٤) [طبعة مجمع الملك فهد].

(٤) «شرح الطحاوية» (ص ٣٧٥).

عَلَى خَلْقِهِ، وَإِلَّا فَهَلْ تُعْقَلُ رُؤْيَةٌ بِلَا مُقَابَلَةٍ؟! وَمَنْ قَالَ: يُرَى لَا فِي جِهَةٍ، فَلْيَرْاجِعْ عَقْلَهُ!! فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُكَابِرًا لِعَقْلِهِ، أَوْ فِي عَقْلِهِ شَيْءٌ، وَإِلَّا فَإِذَا قَالَ: يُرَى لَا أَمَامَ الرَّائِي، وَلَا خَلْفَهُ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَا عَنْ يَسَارِهِ، وَلَا فَوْقَهُ، وَلَا تَحْتَهُ، رَدَّ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ بِفِطْرَتِهِ السَّلِيمَةِ.

وَلِهَذَا أَلْزَمَ الْمُعْتَزِلَةُ مَنْ نَفَى الْعُلُوَّ بِالذَّاتِ بِنَفْيِ الرُّؤْيَةِ، وَقَالُوا: كَيْفَ تُعْقَلُ رُؤْيَةٌ بِغَيْرِ جِهَةٍ؟! (١).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَسَلِ الْمُعْطَلُ هَلْ يُرَى مِنْ تَحْتِنَا
أَمْ خَلْفَنَا وَأَمَامَنَا سُبْحَانَهُ
يَا قَوْمُ مَا فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرَ ذَا
إِذْ رُؤْيَةٌ لَا فِي مُقَابَلَةٍ مِنَ الرَّ
وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا سِوَى ذَا كَانَ دَعَا
أَمْ عَنْ شَمَائِلِنَا وَعَنْ أَيْمَانِ
أَمْ هَلْ يُرَى مِنْ فَوْقِنَا بِبَيَانِ
أَوْ أَنَّ رُؤْيَتَهُ بِلَا إِمْكَانِ
إِنِّي مُحَالٌ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
سِوَاهُ مُكَابَرَةٍ عَلَى الْأَذْهَانِ (٢)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالَّذِي تَفْهَمُهُ الْأُمَمُ عَلَى اخْتِلَافِ لُغَاتِهَا وَأَوْهَامِهَا مِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَةِ: رُؤْيَةُ الْمُقَابَلَةِ وَالْمُوَاجَهَةِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الرَّائِي وَالْمَرِي فِيهَا مَسَافَةٌ مَحْدُودَةٌ غَيْرُ مُفْرِطَةٍ فِي الْبُعْدِ، فَتَمْتَنِعُ الرُّؤْيَةُ، وَلَا فِي الْقُرْبِ، فَلَا تُمْكِنُ الرُّؤْيَةُ، لَا تَعْقِلُ الْأُمَمُ غَيْرَ هَذَا، فَإِمَّا أَنْ يَرَوْهُ سُبْحَانَهُ مِنْ تَحْتِهِمْ - تَعَالَى اللَّهُ - أَوْ مِنْ خَلْفِهِمْ، أَوْ مِنْ أَمَامِهِمْ، أَوْ عَنْ أَيْمَانِهِمْ، أَوْ عَنْ شَمَائِلِهِمْ، أَوْ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَلَا بُدَّ مِنْ قِسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ إِنْ كَانَتِ الرُّؤْيَةُ حَقًّا، وَكُلُّهَا بَاطِلٌ سِوَى رُؤْيَتِهِمْ لَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ.

وَلَا يَتِمُّ انْكَارُ الْفَوْقِيَّةِ إِلَّا بِانْكَارِ الرُّؤْيَةِ، وَلِهَذَا طَرَدَ الْجَهْمِيَّةُ أَصْلَهُمْ، وَصَرَّحُوا بِذَلِكَ، وَرَكَّبُوا النَّفْيَيْنِ مَعًا، وَصَدَّقَ أَهْلُ السُّنَّةِ بِالْأَمْرَيْنِ مَعًا،

(١) «شرح الطحاوية» (١/ ٢١٩ - ٢٢٠). (٢) «الكافية الشافية» (ص ١١٤).

وَأَقْرُوا بِهِمَا، وَصَارَ مَنْ أَثْبَتَ الرُّوْيَةَ، وَنَفَى عُلُوَّ الرَّبِّ عَلَى خَلْقِهِ وَاسْتِوَاءَهُ عَلَى عَرْشِهِ، مُذْبَذَبًا بَيْنَ ذَلِكَ، لَا إِلَى هَؤُلَاءِ، وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ»^(١).

الخامس عشر: التَّصْرِيحُ بِنُزُولِهِ [ﷺ] كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَالنُّزُولُ الْمَعْقُولُ عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَمِ: إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ عُلُوِّ إِلَى أَسْفَلٍ^(٢):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(٣).

اعْلَمْ بِحَدِيثِ اللَّهِ بِأَنَّ حَدِيثَ النُّزُولِ «حَدِيثٌ كَبِيرٌ جَلِيلٌ، تُنَادِي جَلَالَتُهُ وَفَخَامَتُهُ وَعَظَمَتُهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ»^(٤)، وَهُوَ «قُرَّةُ بَعْيُونِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَشَجَى فِي حُلُوقِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ وَالْبُهْتَانِ»^(٥)، يَجِبُ الْأَخْذُ بِظَاهِرِهِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يُسْتَوْحَشَ مِنْ إِطْلَاقِ مِثْلِ ذَلِكَ.

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رحمته الله (٢٠٤هـ): «الْقَوْلُ فِي السُّنَّةِ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا وَرَأَيْتُ أَصْحَابَنَا عَلَيْهَا، أَهْلُ الْحَدِيثِ الَّذِينَ رَأَيْتُهُمْ فَأَخَذْتُ عَنْهُمْ، مِثْلُ سُفْيَانَ [ابن عيينة] وَمَالِكٍ وَغَيْرِهِمَا:

الْإِقْرَارُ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.. وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ فِي سَمَائِهِ، يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ شَاءَ. وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَيْفَ شَاءَ»^(٦).

(١) «إعلام الموقعين» (٢/ ٣١٧-٣١٨).

(٢) «إعلام الموقعين» (٢/ ٣١٥).

(٣) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨). وهو حديث متواتر.

(٤) «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٣٧).

(٥) «زاد المعاد» (٣/ ٦٧٧).

(٦) «الوصية» (ص ٥٤)، تحقيق: الشيخ الدكتور سعد الدين الكبي رحمته الله، طبعة المكتب الإسلامي.

وَقَالَ الدَّارِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٨٠هـ): «وَالْأَثَارُ الَّتِي جَاءَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نُزُولِ الرَّبِّ ﷻ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ هُوَ السَّمَاوَاتِ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ» (١).

وَقَالَ الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٣١٠هـ): «وَأَنَّهُ ﷺ يَهْبِطُ كُلَّ لَيْلَةٍ وَيَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، لِيُخْبِرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» (٢).

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي، يَهْبِطُ اللَّهُ ﻋِزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَنْسُطُ بِهِ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلُهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ» (٣).

وَعَقَدَ الْإِمَامُ ابْنُ خُزَيْمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (٣١١هـ) بَابًا فِي كِتَابِ «التَّوْحِيدِ» افْتَتَحَهُ بِقَوْلِهِ: بَابُ ذِكْرِ أَخْبَارِ ثَابِتَةِ السَّنَدِ، صَحِيحَةِ الْقَوَامِ، رَوَاهَا عُلَمَاءُ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي نُزُولِ الرَّبِّ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلِّ لَيْلَةٍ.

نَشْهَدُ شَهَادَةً مُّقَرَّرَةً بِلِسَانِهِ، مُصَدِّقٍ بِقَلْبِهِ، مُسْتَقِينٍ بِمَا فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ مِنْ ذِكْرِ نُزُولِ الرَّبِّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِفَ الْكَيْفِيَّةَ، لِأَنَّ نَبِيَّنَا الْمُصْطَفَى ﷺ لَمْ يَصِفْ لَنَا كَيْفِيَّةَ نُزُولِ خَالِقِنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ يَنْزِلُ، وَاللَّهُ نَجِيدٌ وَجَلَدٌ لَمْ يَتْرُكْ وَلَا نَبِيَّهُ ﷺ بَيَانَ مَا بِالْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، فَنَحْنُ قَائِلُونَ مُصَدِّقُونَ بِمَا فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ مِنْ ذِكْرِ النُّزُولِ، غَيْرُ مُتَكَلِّفِينَ الْقَوْلَ بِصِفَتِهِ أَوْ بِصِفَةِ الْكَيْفِيَّةِ، إِذِ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَصِفْ لَنَا كَيْفِيَّةَ النُّزُولِ.

وَفِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ مَا بَانَ وَتَبَت وَصَحَّ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ سَمَاءِ الدُّنْيَا،
الَّذِي أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ أَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَيْهَا؛ إِذْ مُحَالٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ أَنْ يَقُولَ: يَنْزِلُ

(١) «الرد على الجهمية» (ص ٧٣) [طبعة دار ابن الأثير - الكويت، الطبعة الثانية].

(٢) «التبصير في معالم الدين» (ص ١٣٦).

(٣) رواه أحمد (١/٣٨٨ رقم ٣٦٧٣)، وصححه إسناده الألباني رحمته الله في «إرواء الغليل» (٢/١٩٩).

مِنْ أَسْفَلَ إِلَى أَعْلَى، وَمَفْهُومُ الْخِطَابِ: أَنَّ النَّزُولَ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ^(١).

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّرَّاجُ رَحِمَهُ اللَّهُ (٣١٣هـ): «مَنْ لَمْ يُقِرَّ وَيُؤْمِنْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعَجَبُ، وَيَضْحَكُ، وَيَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: «مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ؟» فَهُوَ زَنَدِيقٌ كَافِرٌ، يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ، وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَلَا يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ»^(٢).

قَالَ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا عَلَى هَذَا الْأَثَرِ: «قُلْتُ: إِنَّمَا يَكْفُرُ بَعْدَ عِلْمِهِ بِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّهُ جَحَدَ ذَلِكَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ»^(٣).

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ مُحَدِّثٌ بَغْدَادَ (٣١٦هـ):

وَلَا تَكُ بِدَعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ	تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى
أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ	وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ النَّبِيِّ
بَلَا كَيْفَ، جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ	وَقُلْ: يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ	إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ
وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمنَحُ	يَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَى غَافِرًا
أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا ^(٤)	رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ (٣٢٤هـ): «وَنُصَدِّقُ بِجَمِيعِ الرِّوَايَاتِ الَّتِي يُثْبِتُهَا أَهْلُ النَّقْلِ مِنَ النَّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ الرَّبَّ ﷻ يَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ وَسَائِرِ مَا نَقْلُوهُ وَأَثْبَتُوهُ، خِلَافًا لِمَا قَالَه أَهْلُ الزَّيْغِ وَالتَّضْلِيلِ.

(٢) «العلو» (ص ٥٣٤).

(١) «التوحيد» (ص ١٢٥ - ١٢٦).

(٣) «العلو» (ص ٢١٤). وانظر: «سير أعلام النبلاء» (١٤/٣٩٦).

(٤) «السير» (١٣/٢٣٣ - ٢٣٤).

وَنُعَوِّلُ فِيْمَا اخْتَلَفْنَا فِيْهِ عَلَى كِتَابِ رَبِّنَا، وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا، وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ.

وَلَا نَبْتَدِئُ فِي دِينِ اللَّهِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ لَنَا، وَلَا نَقُولُ عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُ^(١).
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِمَّا يُؤْكَدُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ دُونَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا: مَا نَقَلَهُ أَهْلُ الرَّوَايَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَذَكَرَ حَدِيثَ النَّزُولِ بِالسَّنَدِ عَنْ ثَلَاثَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَهُمْ: جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَرِفَاعَةُ الْجُهَنِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ^(٢)».

وَقَالَ الْإِمَامُ الْمَشْهُورُ ابْنُ أَبِي زَمَيْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٩٩هـ) تَعْلِيْقًا عَلَى حَدِيثِ النَّزُولِ: «هَذَا الْحَدِيثُ بَيِّنٌ أَنَّ اللَّهَ ﷻ عَلَى عَرْشِهِ فِي السَّمَاءِ دُونَ الْأَرْضِ، وَهُوَ أَيْضًا بَيِّنٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَفِي غَيْرِ مَا حَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ ذَكَرَ آيَاتٍ دَالَّةً عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ تَعَالَى^(٣)».

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٤٤هـ): «وَمِنْ قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: يَنْزِلُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْبَاقِي مِنَ اللَّيْلِ، فَيَقُولُ: «هَلْ مِنْ دَاعٍ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَهَلْ مِنْ سَائِلٍ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَهَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ، عَلَى مَا صَحَّحَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ، وَتَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَثَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. نَزُولُهُ ﷻ كَيْفَ شَاءَ، بِلَا حَدٍّ، وَلَا تَكْيِيفٍ».

وَهَذَا دِينُ الْأُمَّةِ، وَقَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ: أَنْ تُمَرَّ كَمَا جَاءَتْ بِغَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَحْدِيدٍ، فَمَنْ تَجَاوَزَ الْمَرْوِيَّ فِيهَا، وَكَيْفَ شَيْئًا مِنْهَا، وَمَثَلَهَا بِشَيْءٍ مِنْ جَوَارِحِنَا وَآلَتِنَا؛ فَقَدْ ضَلَّ وَاعْتَدَى، وَابْتَدَعَ فِي الدِّينِ مَا لَيْسَ مِنْهُ،

(٢) «الإبَانَةُ» (ص ١١٠ - ١١٢).

(١) «الإبَانَةُ» (ص ٢٩ - ٣٠).

(٣) «أَصُولُ السُّنَّةِ» (ص ١١٣ - ١١٤)، طبعة مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية - الطبعة الأولى.

وَحَرَقَ إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ، وَفَارَقَ أَيْمَةَ الدِّينِ^(١).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَمِنْ صَحِيحٍ مَا أَتَى بِهِ الْأَثَرُ وَشَاعَ فِي النَّاسِ قَدِيمًا وَانْتَشَرَ
نُزُولُ رَبِّنَا بِلَا امْتِرَاءٍ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ
مِنْ غَيْرِ مَا حَدٌّ وَلَا تَكْثِيفٍ سُبْحَانَهُ مِنْ قَادِرٍ لَطِيفٍ^(٢)

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٦٣هـ) تَعْلِيْقًا عَلَى حَدِيثِ النُّزُولِ: «هَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ مِنْ جِهَةِ النَّفْلِ، صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، لَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ الْحَدِيثِ فِي صِحَّتِهِ، وَفِيهِ^(٣) دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، كَمَا قَالَتِ الْجَمَاعَةُ أَهْلُ السُّنَّةِ أَهْلُ الْفِقْهِ وَالْأَثَرِ^(٤)، ثُمَّ ذَكَرَ آيَاتٍ دَالَّةً عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ تَعَالَى^(٥).

قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا»، فَالَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَقِّ: الْإِيمَانُ بِمِثْلِ هَذَا وَشِبْهِهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ دُونَ كَيْفِيَّةٍ، فَيَقُولُونَ: يَنْزِلُ وَلَا يَقُولُونَ: كَيْفَ النُّزُولُ؟! وَلَا يَقُولُونَ: كَيْفَ الْإِسْتِوَاءُ؟! وَلَا كَيْفَ الْمَجِيءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]؟! وَلَا كَيْفَ التَّجَلِّي فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟!^(٦).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو إِسْمَاعِيلَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٤٩هـ) «وَيُثَبِّتُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ نُزُولَ الرَّبِّ ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، مِنْ غَيْرِ

(١) «الأرجوزة المنبّهة» (ص ١٩٤)، للحافظ: أبي عمرو الداني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «السَّيَر» (١٣/٢٣٣ - ٢٣٤). (٣) «التمهيد» (٧/١٢٨).

(٤) «الاستذكار» (٨/١٤٨). (٥) «التمهيد» (٧/١٢٩).

(٦) «الاستذكار» (٨/١٥١ - ١٥٢).

الْأَهْلَ الْأَوَّلِينَ فِي سُبُلَاتِ عِبَادَةِ اللَّهِ

تَشْبِيهِ لَهُ بِنُزُولِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا تَمْثِيلَ وَلَا تَكْيِيفَ، بَلْ يُثَبِّتُونَ مَا أَثَبَّتَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَيَتَّبِعُونَ فِيهِ إِلَيْهِ، وَيُؤْمِرُونَ الْخَبَرَ الصَّحِيحَ الْوَارِدَ بِذِكْرِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ»^(١) - إِلَى أَنْ قَالَ:

«فَلَمَّا صَحَّ خَبَرُ النُّزُولِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَقَرَّ بِهِ أَهْلُ السُّنَّةِ، وَقَبِلُوا الْخَبَرَ، وَأَثَبُوا النُّزُولَ عَلَى مَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَعْتَقِدُوا تَشْبِيهًا لَهُ بِنُزُولِ خَلْقِهِ، وَلَمْ يَبْحَثُوا عَنْ كَيْفِيَّتِهِ، إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَيْهَا بِحَالٍ، وَعَلِمُوا وَتَحَقَّقُوا وَاعْتَقَدُوا أَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ لَا تُشَبَّهُ صِفَاتِ الْخَلْقِ، كَمَا أَنَّ ذَاتَهُ لَا تُشَبَّهُ ذَوَاتِ الْخَلْقِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشَبِّهُةُ وَالْمُعْطَلَّةُ عُلُوءًا كَبِيرًا، وَلَعَنَهُمْ لَعْنًا كَثِيرًا»^(٢).

وَقَالَ الْإِمَامُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٦٩هـ): «وَأَنَّهُ ﷺ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، عَلَى مَا صَحَّ بِهِ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِلَا اعْتِقَادِ كَيْفِيَّةٍ»^(٣).

وَقَالَ أَبُو الْخَطَّابِ الْكَلَوَاذَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٥١٠هـ) فِي عَقِيدَتِهِ:

قَالُوا: النُّزُولُ؟ فَقُلْتُ: نَاقِلُهُ لَنَا قَوْمٌ تَمَسُّكُهُمْ بِشَرْعِ مُحَمَّدٍ قَالُوا: فَكَيْفَ نُزُولُ؟ فَأَجَبْتُهُمْ لَمْ يُنْقَلِ التَّكْيِيفُ لِي فِي مُسْنَدٍ^(٤)

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْدَلُسِيُّ الْقَحْطَانِيُّ الْمَالِكِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاللَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ آخِرَ لَيْلَةٍ لِسَمَائِهِ الدُّنْيَا بِلَا كِتْمَانٍ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُجِيبُهُ فَأَنَا الْقَرِيبُ أَجِيبُ مَنْ نَادَانِي فَالْكَيْفُ وَالتَّمْثِيلُ مُنْتَفِيَانِ حَاشَا الْإِلَهَ بِأَنْ تُكْيِفَ ذَاتُهُ

(١) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص ٣٢).

(٢) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص ٤٦).

(٣) «اعتقاد أئمة أهل الحديث» (ص ٦٢).

(٤) «إتمام المنّة بشرح اعتقاد أهل السُّنَّة» (ص ٧١)، دار السُّنَّة، الخبر، الطبعة الأولى.

وَالْأَصْلُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ تَعَالَى الرَّبُّ ذُو الْإِحْسَانِ^(١)
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ: حَضَرْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرِ التِّرْمِذِيِّ (٢٩٥هـ)، فَسَأَلُهُ
سَائِلٌ عَنْ حَدِيثِ نُزُولِ الرَّبِّ، فَالنُّزُولُ كَيْفَ هُوَ يَبْقَى فَوْقَهُ عُلُوٌّ؟ فَقَالَ:
«النُّزُولُ مَعْصُومٌ، وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعَةٌ»^(٢).

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا: «صَدَقَ فِقْهُهُ بَغْدَادَ وَعَالِمُهَا فِي زَمَانِهِ، إِذِ
السُّؤَالُ عَنِ النُّزُولِ مَا هُوَ؟ عَيٌّ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ السُّؤَالُ عَنْ كَلِمَةٍ غَرِيبَةٍ فِي
اللُّغَةِ، وَإِلَّا فَالنُّزُولُ وَالْكَلَامُ، وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ، وَالْعِلْمُ وَالِاسْتِوَاءُ، عِبَارَاتٌ
جَلِيَّةٌ وَاضِحَةٌ لِلسَّامِعِ، فَإِذَا اتَّصَفَ بِهَا مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَالْصِّفَةُ تَابِعَةٌ
لِلْمَوْصُوفِ، وَكَيْفِيَّةٌ ذَلِكَ مَجْهُولَةٌ عِنْدَ الْبَشَرِ»^(٣).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكَذَا نُزُولُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ	فِي النِّصْفِ مِنْ لَيْلٍ وَذَاكَ الثَّانِي
فَيَقُولُ لَسْتُ بِسَائِلٍ غَيْرِي بِأَخٍ	وَالِ الْعِبَادِ أَنَا الْعَظِيمُ الشَّانِ
مَنْ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَيُعْطَى سُؤْلُهُ	مَنْ ذَا يَتُوبُ إِلَيَّ مِنْ عِصْيَانِ
مَنْ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَأَغْفِرَ ذَنْبَهُ	فَأَنَا الْوَدُودُ الْوَاسِعُ الْغُفْرَانِ
مَنْ ذَا يُرِيدُ شِفَاءَهُ مِنْ سَقَمِهِ	فَأَنَا الْقَرِيبُ مُحِيبٌ مَنْ نَادَانِ
ذَا شَأْنُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ	حَتَّى يَكُونَ الْفَجْرُ فَجْرًا ثَانِ
يَا قَوْمُ لَيْسَ نُزُولُهُ وَعُلُوُّهُ	حَقًّا لَدَيْكُمْ بَلْ هُمَا عَدَمَانِ
وَكَذَا يَقُولُ لَيْسَ شَيْئًا عِنْدَكُمْ	لَا ذَا وَلَا قَوْلًا سِوَاهُ ثَانِ

(١) «نونية القحطاني» (ص ٩٦ - ٩٧)، دار الهجرة، القاهرة، الطبعة الأولى.

(٢) رواه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٢٩)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مختصر العلو» (ص ٢٣١).

(٣) «العلو» (ص ١٢٢٩).

كُلُّ مَجَازٍ لَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ أَوَّلُ وَزِدْ وَانْقُصْ بِلَا بُرْهَانٍ^(١)

السَّادِسُ عَشَرَ: إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ تَرَدَّدَ بَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَيْنَ رَبِّهِ لَيْلَةً الْمِعْرَاجِ بِسَبَبِ الصَّلَاةِ، فَيَصْعَدُ إِلَى رَبِّهِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ^(٢):

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «... فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ. فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ: فَارْجِعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ! خَفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا. فَارْجِعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي ﷺ وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ. فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً... قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»^(٣).

قَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَفِي الْأَخْبَارِ - أَيِ: أَخْبَارِ الْمِعْرَاجِ - دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عُرِجَ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ عَلَى مَا جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ. فَتِلْكَ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ الْخَالِقَ الْبَارِي فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»^(٤).

(١) «الكافية الشافية» (ص ١١٠).

(٢) «شرح الطحاوية» (ص ٢٨٧) [طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة التاسعة].

(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٧)، ومسلم [٢٥٩ - (١٦٢)] - واللفظ له -.

(٤) «التوحيد» (ص ١١٩).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمُحَمَّدٌ ﷺ لَمَّا عُرِجَ بِهِ إِلَى رَبِّهِ وَفَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، ذَكَرَ أَنَّهُ رَجَعَ إِلَى مُوسَى، وَأَنَّ مُوسَى قَالَ لَهُ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ إِلَى أُمَّتِكَ، كَمَا تَوَاتَرَ فِي أَحَادِيثِ الْمِعْرَاجِ^(١). فَمُحَمَّدٌ ﷺ صَدَّقَ مُوسَى فِي أَنَّ رَبَّهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ^(٢)، وَفِرْعَوْنُ كَذَبَ مُوسَى فِي أَنَّ رَبَّهُ فَوْقَ. فَالْمُقَرُّونَ بِذَلِكَ مُتَّبِعُونَ لِمُوسَى وَمُحَمَّدٍ، وَالْمُكَذِّبُونَ بِذَلِكَ مُوَافِقُونَ لِفِرْعَوْنَ»^(٣).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ رَقَا فَوْقَ الطَّبَا قِي رَسُولُهُ فَدَنَا مِنَ الدِّيَانِ
وَالِيهِ قَدْ عَرَجَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً لَا تُنْكِرُوا الْمِعْرَاجَ بِالْبُهْتَانِ
وَدَنَا مِنَ الْجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ وَدَنَا إِلَيْهِ الرَّبُّ ذُو الْإِحْسَانِ^(٤)

السَّابِعُ عَشَرَ: النُّصُوصُ الْوَارِدَةُ فِي ذِكْرِ الْعَرْشِ وَصِفَتِهِ، وَإِضَافَتِهِ غَالِبًا إِلَى خَالِقِهِ ﷻ، وَأَنَّهُ تَعَالَى فَوْقَهُ:

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]. ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]. ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]. ﴿إِذَا لَا تَنفَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢]. ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ﴾ [التكوير: ٢٠]؛ أَي: لَهُ مَكَانَةٌ وَوَجَاهَةٌ عِنْدَهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ الْمَلَائِكَةِ إِلَيْهِ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ [التكوير: ٢٠]: إِشَارَةٌ إِلَى عُلُوِّ مَنْزِلَةِ جِبْرِيلَ، إِذْ كَانَ قَرِيبًا مِنْ ذِي الْعَرْشِ ﷻ^(٥).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾. قَالَ ابْنُ

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٢/٣٥١).

(٤) «الكافية الشافية» (ص ٣٣٥).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/١٧٣).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٣/١٧٤).

(٥) «التبيان في أقسام القرآن» (ص ٨٩).

===== ﴿الْمَلَكُ الْمَلِكُ فِي بَسْمَاتٍ يُتْلَى الْحَمْدُ﴾ =====

الْقِيمَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَصَافَ الْعَرْشَ إِلَى نَفْسِهِ، كَمَا تُصَافُ إِلَيْهِ الْأَشْيَاءُ الْعَظِيمَةُ الشَّرِيفَةُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ الْعَرْشِ، وَقُرْبِهِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَاجْتِصَاصِهِ بِهِ؛ بَلْ يَدُلُّ عَلَى غَايَةِ الْقُرْبِ وَالِاجْتِصَاصِ، كَمَا يُضِيفُ إِلَى نَفْسِهِ بِ«ذُو» صِفَاتِهِ الْقَائِمَةِ بِهِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]. ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٢٧]. وَيُقَالُ: ذُو الْعِزَّةِ، وَذُو الْمُلْكِ، وَذُو الرَّحْمَةِ، وَنَظَائِرُ ذَلِكَ.

فَلَوْ كَانَ حَظُّ الْعَرْشِ مِنْهُ حَظُّ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، لَكَانَ لَا فَرْقَ أَنْ يُقَالَ: ذُو الْعَرْشِ، وَذُو الْأَرْضِ»^(١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾ [الحاقة: ١٧]، وَإِضَافَةُ الْعَرْشِ إِلَى اللَّهِ تَقْتَضِي «إِضَافَةَ تَخُصُّهُ كَمَا فِي سَائِرِ الْمُضَافَاتِ إِلَى اللَّهِ؛ كَقَوْلِهِ: بَيْتَ اللَّهِ، وَنَاقَةَ اللَّهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَإِذَا كَانَ الْعَرْشُ مُضَافًا إِلَى اللَّهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِضَافَةً اجْتِصَاصِي، وَذَلِكَ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنَ النَّسَبَةِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ، فَمَا يَذْكُرُهُ الْجَهْمِيَّةُ مِنَ الْإِسْتِيلَاءِ وَالْقُدْرَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، أَمْرٌ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ الْعَرْشِ وَسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ تَنْفِي أَنْ يَكُونَ الثَّابِتُ مِنَ الْإِضَافَةِ هُوَ الْقَدَرُ الْمُشْتَرِكُ، وَتُوجِبُ اجْتِصَاصًا لِلْعَرْشِ بِاللَّهِ لَيْسَ لِغَيْرِهِ»^(٢).

وَتَدَبَّرَ رَحِمَهُ اللَّهُ الْأَحَادِيثَ التَّالِيَةَ الْوَارِدَةَ فِي ذِكْرِ الْعَرْشِ:

١- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ أَتَى أَخَاهُ لَهُ يَزُورُهُ فِي اللَّهِ، إِلَّا نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ، وَإِلَّا قَالَ اللَّهُ فِي مَلَكُوتِ عَرْشِهِ: [عَبْدِي] زَارَ فِيَّ، وَعَلَيَّ قِرَاهُ، فَلَمْ أَرْضَ لَهُ بِقَرَى دُونَ الْجَنَّةِ»^(٣).

(١) «التبيان في أقسام القرآن» (ص ٦٨).

(٢) «بيان تلبس الجهمية» (٣/ ٢٧٩)، طبعة مجمع الملك فهد.

(٣) رواه البزار «البحر الزخار» (٦٤٦٦)، وأبو يعلى (٤١٤٠) - واللفظ له - وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ

في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٧٩): «حسن صحيح».

٢- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ، مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ: إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ، مَسِيرَةُ سَبْعِمِئَةٍ عَامٍ»^(١).

٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه - قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بِلَالٍ، وَعِنْدَهُ صَبْرٌ مِنْ تَمْرِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا بِلَالُ؟» قَالَ: أُعِدُّ ذَلِكَ لِأَصْيَافِكَ، قَالَ: «أَمَا تَخْشَى أَنْ يَكُونَ لَهُ دُخَانٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؟! أَنْفِقْ يَا بِلَالُ! وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا»^(٢).

وَنَظَّمَهُ الْأَدِيبُ الْبَارِعُ النَّحْوِيُّ، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ حَبِيشٍ، فَقَالَ:

إِنِّي لَأَعْسُرُ أَحْيَانًا فَيُدْرِكُنِي بُشْرَى مِنْ اللَّهِ أَنَّ الْعُسْرَ قَدْ زَالَ
يَقُولُ خَيْرُ الْوَرَى فِي سُنَّةٍ قَدْ ثَبَتَتْ أَنْفِقْ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا^(٣)

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «... فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَسَلُّوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرَ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(٤).

قَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ رحمته الله: «فَالْخَبَرُ يُصَرِّحُ أَنَّ عَرْشَ رَبَّنَا ﷻ فَوْقَ جَنَّتِهِ، وَقَدْ أَعْلَمْنَا ﷻ أَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، فَخَالِقُنَا عَالٍ فَوْقَ عَرْشِهِ الَّذِي هُوَ فَوْقَ جَنَّتِهِ»^(٥).

(١) رواه أبو داود (٤٧٢٧)، وصححه الألباني رحمته الله في «صحيح سنن أبي داود» (١٥٦/٣).

(٢) رواه البزار «البحر الزخار» (١٩٧٨)، وصححه لغيره الألباني رحمته الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٢١).

(٣) «الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار» (ص ٨٥)، للحافظ السيوطي رحمته الله.

(٤) قطعة من حديث: رواه البخاري (٧٤٢٣). (٥) كتاب «التوحيد» (ص ١٠٤).

٥- عَنْ جُوَيْرِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا. ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ. فَقَالَ: «مَا زِلْتُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. لَوْ وَزَنْتَ بِمَا قُلْتُ مُنْذُ الْيَوْمِ، لَوَزَنْتَهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» ^(١).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمَقْصُودُ بِالْحَدِيثِ نِهَايَةُ مَا يُمَكِّنُ مِنَ الْمَعْدُودِ، وَغَايَةُ مَا يُمَكِّنُ مِنَ الْقَوْلِ. وَالْمَحْبُوبُ هُوَ كَلَامُ الرَّبِّ وَرِضَاؤُهُ، وَذِكْرُ عَدَدِ خَلْقِهِ، وَزِينَةُ عَرْشِهِ» ^(٢). فَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ زِينَةَ الْعَرْشِ أَثْقَلُ الْأَوْزَانِ» ^(٣).

الثَّامِنُ عَشَرَ: إِبْخَارُهُ تَعَالَى عَنْ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ رَامَ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ لِيَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى، فَيَكْذِبُهُ فِيمَا أَخْبَرَهُ مِنْ أَنَّهُ سَيُخْلِقُهُ فَوْقَ السَّمَاءَاتِ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتَّبِعُ الْأَسْبَبَ ۖ﴾ ^(٤) [غافر: ٣٦، ٣٧].

فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانٌ بَيِّنٌ، وَدَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ، عَلَى أَنَّ مُوسَى قَدْ كَانَ أَعْلَمَ فِرْعَوْنَ أَنَّ رَبَّهُ - ﷻ - أَعْلَى وَفَوْقَ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَمَرَ بِبِنَاءِ الصَّرْحِ، وَرَامَ الْإِطْلَاعَ إِلَيْهِ، وَاتَّهَمَ مُوسَى بِالْكَذِبِ فِي ذَلِكَ. وَالْجَهْمِيَّةُ لَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَهَا بِوُجُودِ ذَاتِهِ، فَهُمْ أَعْجَزُ فَهَمًّا مِنْ فِرْعَوْنَ ^(٤).

(١) رواه مسلم (٢٧٢٦).

(٢) «بيان تلبس الجهمية» (١/ ٥٧٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٥٣).

(٤) انظر: تفسير الآية في «جامع البيان» (م ١٢/ ج ٢٤/ ص ٨٢ - ٨٣)، و«الرد على الجهمية» (ص ٢١) للدارمي، و«التمهيد» (٧/ ١٣٣)، و«الإبانة» (ص ١٠٦)، و«الحجة في بيان المحجة» (٢/ ١١٥)، و«التوحيد» (ص ١١٤ - ١١٥) لابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ مُوسَى فِي إِخْبَارِهِ إِيَّاهُ بِأَنَّ رَبَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ. وَعِنْدَ الْجَهْمِيَّةِ: لَا فَرْقَ بَيْنَ الْإِخْبَارِ بِذَلِكَ، وَبَيْنَ الْإِخْبَارِ بِأَنَّهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَعَلَى زَعْمِهِمْ يَكُونُ فِرْعَوْنُ قَدْ نَزَّهَ الرَّبَّ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَكَذَّبَ مُوسَى فِي إِخْبَارِهِ بِذَلِكَ، إِذْ مَنْ قَالَ عِنْدَهُمْ: إِنَّ رَبَّهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ فَهُوَ كَاذِبٌ. فَهُمْ فِي هَذَا التَّكْذِيبِ مُوَافِقُونَ لِفِرْعَوْنَ، مُخَالَفُونَ لِمُوسَى وَلِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلِذَلِكَ سَمَّاهُمْ أَيْمَّةُ السُّنَّةِ فِرْعَوْنِيَّةً، قَالُوا: وَهُمْ شَرٌّ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ؛ فَإِنَّ الْجَهْمِيَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِذَاتِهِ، وَهَؤُلَاءِ عَطَلُوهُ بِالْكُلِّيَّةِ، وَأَوْقَعُوا عَلَيْهِ الْوَصْفَ الْمُطَابِقَ لِلْعَدَمِ الْمَحْضِ. فَأَيُّ طَائِفَةٍ مِنْ طَوَائِفِ بَنِي آدَمَ أَثَبَّتِ الصَّانِعَ عَلَى أَيِّ وَجْهِ، كَانَ قَوْلُهُمْ خَيْرًا مِنْ قَوْلِهِمْ»^(١).

وَقَالَ ابْنُ قَدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْمُخَالِفُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ قَدْ أَنْكَرَ هَذَا، يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى كَاذِبٌ فِي هَذَا بِطَرِيقِ الْقَطْعِ وَالْيَقِينِ، مَعَ مُخَالَفَتِهِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتَخْطِئَتِهِ لِنَبِيِّهِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ، وَتَرْكِهِ مَنَهِجَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَالْأَيْمَّةِ السَّلَافِينَ، وَسَائِرِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ. وَنَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَعِصِمَنَا مِنَ الْبِدْعِ بِرَحْمَتِهِ، وَيُوفِّقَنَا لِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ»^(٢).

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿...أَبْنِي لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٢٦) أَسَبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأُظَنُّهُ كَذِبًا ﴿[غافر: ٣٦، ٣٧]: «فَهَذَا صَرِيحٌ فِي تَكْذِيبِهِ لِمُوسَى فِي قَوْلِهِ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْخَلْقِ كُلِّهِمْ، وَتَبَعَ فِرْعَوْنُ عَلَى قَوْلِهِ هَذَا جَمِيعُ «الْجَهْمِيَّةِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ»، وَرَمَوْا بِبَلَائِهِمْ «أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ»، وَقَالُوا: إِنَّ مَذْهَبَهُمْ مَذْهَبُ فِرْعَوْنَ الَّذِي اعْتَقَدَ عُلُوَّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَهَذَا مِنَ الْعَجَائِبِ وَقَلْبِ الْحَقَائِقِ»^(٣).

(٢) «إثبات صفة العلو» (ص ٦٥).

(١) «إعلام الموقعين» (٢/ ٣١٧-٣١٦).

(٣) «توضيح الكافية الشافية» (ص ١٠٧).

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ «الْجَهْمِيَّةَ» أُولَى بِفِرْعَوْنَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ؛ لِأَنَّهُ قَالَهَا
 إِنكَارًا، وَهُوَ نَفْسُ مَذَهَبِ «الْجَهْمِيَّةِ»، فَإِنَّهُمْ أَنْكَرُوا كَلَامَ اللَّهِ وَعُلُوَّهُ عَلَى
 خَلْقِهِ، كَمَا أَنْكَرَ فِرْعَوْنُ ذَلِكَ بِتَكْذِيبِهِ لِرِسَالَةِ مُوسَى وَلِعُلُوِّ اللَّهِ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ
 فَرْقٌ، إِلَّا أَنَّ فِرْعَوْنَ صَرَّحَ بِالْإِنْكَارِ، وَهُمْ مَوَّهُوا الْعِبَارَاتِ، وَزَخَرَفُوا الْأَلْفَاظَ،
 وَقَبَّحُوا الْحَسَنَ، وَحَسَّنُوا الْقَبِيحَ، وَسَمَّوْا أَنْفُسَهُمْ أَهْلَ الْحَقِّ، وَسَمَّوْا غَيْرَهُمْ
 أَهْلَ الْبَاطِلِ، فَانْخَدَعُوا لِهَذِهِ الزَّخَارِفِ، وَخَدَعُوا غَيْرَهُمْ»^(١).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمِنَ الْمَصَائِبِ قَوْلُهُمْ إِنَّ اعْتِقَا
 فَإِذَا اعْتَقَدْتُمْ هَذَا فَأَشْيَاغُ لَهُ
 فَاسْمَعْ إِذَا مَنْ ذَا الَّذِي أُولَى بِفِرْ
 وَانْظُرْ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْقَصَصِ الَّتِي
 وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الضَّلَالَةَ قُدُوةً
 فَإِمَامٌ كُلُّ مُعْطَلٍ فِي نَفْسِهِ
 طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ مُكَذِّبًا
 بَلْ قَالَ مُوسَى كَاذِبٌ فِي زَعْمِهِ
 فَايْنُوا إِلَيَّ الصَّرْحَ الرَّفِيعَ لَعَلَّنِي
 وَأُظُنُّ مُوسَى كَاذِبًا فِي قَوْلِهِ
 وَكَذَلِكَ كَذَّبَهُ بِأَنَّ إِلَهَهُ
 هُوَ أَنْكَرَ التَّكْلِيمِ وَالْفَوْقِيَّةِ الـ
 فَمَنْ الَّذِي أُولَى بِفِرْعَوْنَ إِذَا

دَ الْفَوْقِ مِنْ فِرْعَوْنَ ذِي الْكُفْرَانِ
 أَنْتُمْ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ
 عَوْنُ الْمُعْطَلِ جَا حِدِ الرَّحْمَنِ
 تَحْكِي مَقَالَ إِمَامِهِمْ بِبَيَانِ
 بِأَيْمَّةٍ تَدْعُو إِلَى النَّيْرَانِ
 فِرْعَوْنُ مَعَ نَمْرُودَ مَعَ هَامَانَ
 مُوسَى وَرَامَ الصَّرْحَ بِالْبُنْيَانِ
 فَوْقَ السَّمَاءِ الرَّبُّ ذُو السُّلْطَانِ
 أَرْقَى إِلَيْهِ بِحِيلَةِ الْإِنْسَانِ
 اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو السُّلْطَانِ
 نَادَاهُ بِالتَّكْلِيمِ دُونَ عِيَانِ
 عُلْيَا كَقَوْلِ الْجَهْمِ ذِي صَفْوَانِ
 مِنَّا وَمِنْكُمْ بَعْدَ ذَا التَّبْيَانِ^(٢)

(١) «توضيح الكافية الشافية» (ص ١١٨)، تحقيق: أشرف عبد المقصود.

(٢) «الكافية الشافية» (ص ١٣١).

التَّاسِعُ عَشَرَ: تَنْزِيهُهُ اللَّهُ ﷻ عَنْ مُوجِبِ النُّقْصَانِ، وَعَمَّا يُوجِبُ التَّمَثِيلَ وَالتَّشْبِيهَ:

فَنَزَّهَ اللَّهُ نَفْسَهُ عَنِ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ وَالزَّوْجَةِ وَالْكُفُوِّ، قَالَ ﷻ: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۚ (١) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۚ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ (٢) [الجن: ٣].

وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ اللَّغُوبِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]؛ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَلْحَقُهُ اللَّغُوبُ فِي الْأَعْمَالِ الْعَظِيمَةِ مِثْلَ خَلْقِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، كَمَا يَلْحَقُ الْمَخْلُوقُ اللَّغُوبُ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا عَظِيمًا. وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَمَّا لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ وَلَمْ يَنْسِبْهُ إِلَيْهِ، تَحْذِيرًا مِنْ وَقُوعِهَا حَتَّى لَا تَقَعَ بِخَاطِرِ أَحَدٍ.

فَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الطُّعْمِ، مَعَ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَصِفْهُ بِهِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخِيذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]. وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْمَوْتِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، لِكَمَالِ حَيَاتِهِ.

وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ السَّنَةِ وَالنَّوْمِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ لِكَمَالِ حَيَاتِهِ وَقِيُومِيَّتِهِ، إِذِ النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ. وَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ مَعَ كَمَالِ الرَّاحَةِ، كَمَا لَا يَمُوتُونَ.

وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ النِّسْيَانِ، مَعَ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَنْسِبْهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَحِفْظِهِ.

وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الظُّلْمِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، لِكَمَالِ عَدْلِهِ وَغِنَاهُ وَرَحْمَتِهِ.

وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْعَبَثِ وَالْبَاطِلِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٌ ﴿٢٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴿الدخان: ٣٨، ٣٩﴾، لِكَمَالِ حِكْمَتِهِ.

وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ مَقَالَةٍ قَالَهَا بَعْضُ طَوَائِفِ الْيَهُودِ: إِنَّ الْعَزِيزَ ابْنُ اللَّهِ. فَإِذَا كَانَ اللَّهُ ﷻ قَدْ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَمَّا تَقَدَّمَ مِنَ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ، فَلَا يَشِيءُ إِذَا لَمْ يُنَزَّهْ نَفْسَهُ عَنْ تِلْكَ الْمَقَالَةِ - وَهِيَ كَوْنُهُ تَعَالَى فَوْقَ عَرْشِهِ - إِذَا كَانَتْ مُتَضَمِّنَةً لِمَعْنَى فَاسِدٍ لَا يَجُوزُ اعْتِقَادُهُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، مَعَ شُهْرَةِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، وَتَفَاقُمِ أَمْرِهَا، فَكَانَتْ هِيَ أَحَقُّ مِنْ هَذَا كُلِّهِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَسَادِهَا وَالتَّحْذِيرِ مِنْهَا. فَكَيْفَ وَالْأَمْرُ بِالْعَكْسِ فَهُوَ دَائِمًا يُبْدِي وَيُعِيدُ فِي ذِكْرِ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ، وَيُقَرِّرُ ذَلِكَ بِكُلِّ دَلِيلٍ وَبُرْهَانٍ؟! بِأَوْجَزِ الْعِبَارَاتِ وَأَدْلَلَهَا وَأَبْسَطَهَا، وَأَقْطَعَهَا لِلْعُذْرِ، وَالزَّمَمَهَا لِلْحُجَّةِ.

فَلَوْ فُرِضَ أَنَّ النُّصُوصَ خَالِيَةً مِنْ تَقْرِيرِ الْعُلُوِّ وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، لَكَانَ تَرْكُهُ تَنْزِيهَهُ عَنِ الْعُلُوِّ أَكْبَرَ دَلِيلٍ عَلَى تَقْرِيرِ ذَلِكَ، وَرِضَاؤُهُ بِهِ وَالْعِلْمُ بِأَنَّهُ غَيْرُ مُنَافٍ لِكَمَالِهِ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ وَالْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ كُلُّهَا عَلَى خِلَافِ قَوْلِ «الْجَهْمِيَّةِ»؟! (١).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّهُ عِنْدَ الْمُعْطَلَةِ النَّفَاةِ: كَوْنُ اللَّهِ ﷻ فَوْقَ الْعَالَمِ، مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، بِمَنْزِلَةِ كَوْنِهِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَنَامُ، بَلْ هُوَ بِمَنْزِلَةِ إِثْبَاتِ الزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ لَهُ فِي كَوْنِ هَذَا مُنَافِيًا لِلْإِلَهِيَّةِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَقَدَمِهِ، وَكَوْنِ عُلُوِّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَاسْتِوَاءِهِ عَلَى عَرْشِهِ مُنَافِيًا لِذَلِكَ. وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْقَدَحِ فِي الْعُقُولِ وَالْفِطْرِ وَالشَّرَائِعِ وَالنُّبُوتِ وَالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ، فَإِنَّهَا فَرَّقَتْ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ تَفْرِقَةً مَعْلُومَةً بِالِاضْطِرَّارِ، لِكُلِّ مَنْ لَهُ أَدْنَى مَسَكَةٍ مِنْ عَقْلِ. فَمَنْ سَوَّى بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَجَعَلَ تَنْزِيهَ الرَّبِّ عَنْهَا مِنْ لَوَازِمِ الْإِقْرَارِ بِهِ، فَلْيَبْكِ عَلَى عَقْلِهِ وَإِيمَانِهِ» (٢).

(١) «توضيح الكافية الشافية» (ص ١٠٧ - ١٠٨). (٢) «الصواعق» (ص ١٣١٣).

العشرون: مِنَ الْبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ: الدَّلِيلُ الْعَظِيمُ وَالْبُرْهَانُ الْقَاطِعُ، وَهُوَ مَا يَحْصُلُ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَدِلَّةِ السَّابِقَةِ وَغَيْرِهَا.

فَإِنَّهُ يَحْصُلُ مِنْ سَرْدِ أَنْوَاعِهَا وَأَفْرَادِهَا وَتُصَوِّصِهَا وَقَوَاطِعِهَا، مَا يُوصِلُ إِلَى الْيَقِينِ الْإِضْطِرَّارِيِّ وَالْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ دَفْعُهُ، وَيَحْصُلُ الْجَزْمُ التَّامُّ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ، يُعْلُو اللَّهُ وَارْتِفَاعِهِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ.

وَذَلِكَ أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الْأَدِلَّةِ يُفِيدُ الْعِلْمَ بِالْمَقْصُودِ، ثُمَّ الْآخَرُ كَذَلِكَ، ثُمَّ يُسْتَفَادُ مِنْ انْضِمَامِ أَحَدِهِمَا لِلْآخَرِ دَلَالَةٌ أُخْرَى، ثُمَّ مِنْ مَجْمُوعِ الْجَمِيعِ دَلَالَةٌ هِيَ أَقْوَى أَنْوَاعِ الدَّلَالَاتِ، فَتَزِيدُ شَوَاهِدُ الْإِيمَانِ، وَتَتَعَاوَنُ أَدِلَّتُهُ حَتَّى يَكُونَ الْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ أَرْسَخَ مِنَ الْجِبَالِ^(١). فَأَيُّ بَيِّنٍ لِلْمَقْصُودِ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا؟^(٢).

أَيُّرُدُّ ذُو عَقْلٍ سَلِيمٍ قَطُّ ذَا بَعْدِ التَّصَوُّرِ يَا أُولِي الْأَذْهَانِ وَاللَّهُ مَا رَدَّ امْرُؤٌ هَذَا بِغَيْرِ رِ الْجَهْلِ أَوْ بِحِمِيَّةِ الشَّيْطَانِ^(٣) وَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ مِنَ الْأَدِلَّةِ، لَوْ بُسِطَتْ أَفْرَادُهَا، لَبَلَّغَتْ نَحْوَ أَلْفِ دَلِيلٍ^(٤).

وَنَحْنُ نَطَالِبُ الْمُشْتَغِلِينَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ «بِجَوَابٍ صَحِيحٍ عَنْ دَلِيلٍ وَاحِدٍ، وَنَعْلَمُ قَبْلَ الْمُطَالَبَةِ أَنَّهُ لَوْ اجْتَمَعَ كُلُّ جَهْمِيٍّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، لَمَّا أَجَابُوا عَنْهُ بِغَيْرِ الْمُكَابَرَةِ وَالتَّشْنِيعِ عَلَى أَهْلِ الْإِثْبَاتِ بِالتَّجْسِيمِ وَالتَّنْفِيرِ وَالسَّبِّ»^(٥) وَالطَّعْنِ وَالِافْتِرَاءِ وَالتَّكْفِيرِ.

وَاللَّهُ مَا لَكُمْ جَوَابٌ غَيْرُ تَكْ فِيرِ بِلَا عِلْمٍ وَلَا إِيقَانٍ^(٦) وَهَذِهِ وَظِيفَةُ كُلِّ مُبْطِلٍ، قَامَتْ عَلَيْهِ حُجَّةُ اللَّهِ.

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٥٥).

(٤) «شرح الطحاوية» (٢/ ٣٨٦).

(٦) «الكافية الشافية» (ص ٣٢٠).

(١) «توضيح الكافية الشافية» (ص ٣٣٨).

(٣) «الكافية الشافية» (ص ١١٢).

(٥) «الصواعق» (ص ٢٩٤ - ٢٩٥).

أَقْوَالُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ فِي الْعُلُوِّ وَالْفُوقِيَّةِ

لَمَّا كَانَ الْكَلَامُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ وَخَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، نَفْيًا وَإِبْثَاتًا، مَدَارُهُ عَلَى الْوَحْيِ، كَانَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالصَّوَابِ فِيهِ مَنْ تَلَقَّى ذَلِكَ مِنْ مِشْكَاةِ الْوَحْيِ الْمُبِينِ، وَرَغِبَ بِعَقْلِهِ وَفِطْرَتِهِ وَإِيمَانِهِ عَنِ آرَاءِ الْمُتَهَوِّكِينَ، وَتَشْكِيكَاتِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَتَكَلُّفَاتِ الْمُتَنَطِّعِينَ، وَاسْتَمَطَرَ دِيمَ الْهِدَايَةِ مِنْ كَلِمَاتِ أَعْلَمِ الْخَلْقِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِنَّ كَلِمَاتِهِ الْجَوَامِعَ النَّوَافِعَ فِي هَذَا الْبَابِ وَفِي غَيْرِهِ، كَفَتْ وَشَفَتْ، وَجَمَعَتْ وَفَرَّقَتْ، وَأَوْصَحَتْ وَبَيَّنَتْ، وَحَلَّتْ مَحَلَّ التَّفْسِيرِ وَالْبَيَانِ، لِمَا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ.

ثُمَّ تَلَاهُ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى نَهْجِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَطَرِيقِهِ الْقَوِيمِ، فَجَاءَتْ كَلِمَاتُهُمْ كَافِيَةً شَافِيَةً، مُخْتَصِرَةً نَافِعَةً، لِقُرْبِ الْعَهْدِ وَمُبَاشَرَةِ التَّلَقِّي مِنْ تِلْكَ الْمِشْكَاةِ، الَّتِي هِيَ مَظْهَرُ كُلِّ نُورٍ، وَمَنْبَعُ كُلِّ خَيْرٍ، وَأَسَاسُ كُلِّ هُدًى، ثُمَّ سَلَكَ عَلَى آثَارِهِمُ التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، فَافْتَقَوْا طَرِيقَهُمْ، وَرَكَبُوا مِنْهَا جَهْمُ، وَاهْتَدَوْا بِهُدَاهُمْ، وَدَعَوْا إِلَى مَا دَعَوْا إِلَيْهِ، وَمَضَوْا عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ^(١).

وَفِيمَا يَلِي أُوْرِدُ «الْأَقَاوِيلَ الَّتِي وَصَفَتْ مَذَاهِبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْأَثَرِ، وَأَصْحَابِ الرَّوَايَةِ، وَحَمَلَةَ الْعِلْمِ النَّبَوِيِّ، فَمَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ أَوْ طَعَنَ فِيهِمْ، أَوْ عَابَ قَائِلَهَا، فَهُوَ مُخَالِفٌ مُبْتَدِعٌ، خَارِجٌ عَنِ الْجَمَاعَةِ، زَائِلٌ عَنِ مَنَهِجِ السُّنَّةِ، وَسَبِيلِ الْحَقِّ»^(٢).

(١) «شفاء العليل» (١/٤٥ - ٤٦).

(٢) «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر» (ص ١٥٥).

١ - حميد بن ثور

أَبُو الْمُثَنَّى الْهَلَالِيُّ، شَاعِرٌ مَشْهُورٌ إِسْلَامِيٌّ، أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ بِالسَّنِّ...
رَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ حُمَيْدَ بْنَ ثَوْرٍ وَقَدَ عَلَى بَعْضِ بَنِي أُمَيَّةَ،
فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟! فَقَالَ:

أَتَاكَ بِبِي اللَّهِ الَّذِي فَوْقَ عَرْشِهِ وَخَيْرٌ وَمَعْرُوفٌ عَلَيْكَ دَلِيلٌ^(١)

٢ - ابن عباس

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ تَمُوتُ، فَقَالَ لَهَا:
«كُنْتُ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ إِلَّا طَيِّبًا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ بِرَاءَتِكَ
مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»^(٢).

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَا تَنبَهُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ
أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]؛ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقُولَ: مِنْ فَوْقِهِمْ، عَلِمَ
أَنَّ اللَّهَ مِنْ فَوْقِهِمْ^(٣).

٣ - زينب بنت جحش

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، تَقُولُ:
«زَوَّجَكُنْ أَهَابِيكُنْ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ». وَفِي لَفْظٍ: وَكَانَتْ
تَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ أَنْكَحَنِي فِي السَّمَاءِ»^(٤).

(١) «تاريخ الإسلام» حوادث ووفيات (٦١ - ٨٠هـ) (ص ١١١).

(٢) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٨٤)، بسند حسن.

(٣) رواه اللالكائي في «شرح أصول السنة» (٦٦١)، بسند حسن.

(٤) أخرجهما البخاري (٧٤٢٠ و ٧٤٢١).

٤ - ابن مسعود

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ» ^(١).

٥ - عائشة

قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَأَيُّمُ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَخْشَى لَوْ كُنْتُ أَحَبُّ قَتْلَهُ لَقَتَلْتُ - تَعْنِي عُثْمَانَ -، لَكِنْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ أَنِّي لَمْ أَحِبِّ قَتْلَهُ» ^(٢).

٦ - أبو ذر

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَيَّ هَذَا الْوَادِي، فَأَعْلَمَ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ، الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ» ^(٣).

قَوْلُهُ: (يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ) الْمُرَادُ بِهِ الْوَحْيُ. وَهَلْ يُوحِي إِلَّا اللَّهُ ﷻ؟! فَهُوَ كَغَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى الْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ.

٧ - ابن عمر

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِرَاعٍ فَقَالَ: هَلْ مِنْ جَزْرَةٍ؟ فَقَالَ: لَيْسَ هَاهُنَا رَبُّهَا، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَقُولُ لَهُ: أَكَلَهَا الذُّبُّ. قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ؟ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: أَنَا وَاللَّهِ أَحَقُّ أَنْ أَقُولَ: أَيْنَ اللَّهُ؟ وَاشْتَرَى الرَّاعِي وَالْغَنَمَ، فَأَعْتَقَهُ، وَأَعْطَاهُ الْغَنَمَ ^(٤).

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٠١)، بسند حسن.

(٢) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٨٣)، بسند صحيح.

(٣) قطعة من حديث: أخرجه البخاري (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤).

(٤) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٨٦٠)، وجوّد إسناده المحدث الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «مختصر العلو» (ص ١٢٧).

٨ - مسروق

كَانَ مَسْرُوقٌ إِذَا حَدَّثَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي الصَّدِيقَةُ بِنْتُ الصَّدِّيقِ، حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللَّهِ، الْمُبْرَأَةُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ^(١).

٩ - أيوب السخيتاني

قَالَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ - وَذَكَرَ الْمُعْتَرِلَةَ: «إِنَّمَا مَدَارُ الْقَوْمِ عَلَى أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ»^(٢).

١٠ - سليمان التيمي

قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَوْ سُنِّتُ، أَيْنَ اللَّهُ؟ لَقُلْتُ: فِي السَّمَاءِ»^(٣).

١١ - مقاتل بن حيان (قبل ١٥٠هـ)

قَالَ عَالِمُ خُرَاسَانَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]: «هُوَ عَلَى عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ مَعَهُمْ»^(٤).

١٢ - الأوزاعي (١٥٧هـ)

قَالَ عَالِمُ الشَّامِ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: كُنَّا - وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ - نَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَجْلِسُ عَلَى عَرْشِهِ، وَتُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنْ صِفَاتِهِ»^(٥).

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٨٦٨)، وقال: «إسناده صحيح».

(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٩١٤) وقال: «هذا إسناد كالشمس وضوحًا، وكالأسطوانة ثبوتًا، عن سيد أهل البصرة وعالمهم».

(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٩١٩)، بسند صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود في «مسائله» (ص ٢٦٣)، بسند حسن.

(٥) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٠٨)، وصححه الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَذَكُّرَةِ الْحِفَاطِ» (١/ ١٨٢).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ مُعَلِّقًا: «فَقَدْ حَكَى الْأَوْزَاعِيُّ - وَهُوَ أَحَدُ الْأُئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ فِي عَصْرِ تَابِعِي التَّابِعِينَ الَّذِينَ هُمْ: مَالِكُ إِمَامُ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَالْأَوْزَاعِيُّ إِمَامُ أَهْلِ الشَّامِ، وَاللَّيْثُ إِمَامُ أَهْلِ مِصْرَ، وَالثَّوْرِيُّ إِمَامُ أَهْلِ الْعِرَاقِ - حَكَى شُهْرَةَ الْقَوْلِ فِي زَمَنِ التَّابِعِينَ بِالْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَبِصِفَاتِهِ السَّمْعِيَّةِ^(١).

وَأِنَّمَا قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ هَذَا بَعْدَ ظُهُورِ مَذْهَبِ جَهْمِ، الْمُنْكَرِ لِكُونِ اللَّهِ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَالتَّنَافِي لِصِفَاتِهِ، لِيَعْرِفَ النَّاسُ أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ كَانَ خِلَافَ ذَلِكَ»^(٢).

فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ قَالَ بِقَوْلِ أَهْلِ الْحَدِيثِ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ وَالطَّائِفَةَ الْمَنْصُورَةَ، وَتَرَكَ دِينَ جَهْمٍ وَشِيعَتِهِ.

جَعَلَنَا اللَّهُ ﷻ مِمَّنْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَوَفَّقَنَا لِاتِّبَاعِ رِضَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْإِقْتِدَاءِ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَالسَّلَفِ الصَّالِحِينَ.

١٣ - سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَالِمُ زَمَانِهِ (١٦١هـ)

قَالَ مَعْدَانُ: سَأَلْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ عَنْ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]؟ قَالَ: عِلْمُهُ^(٣).

١٤ - مَالِكُ إِمَامُ دَارِ الْهَجْرَةِ (١٧٩هـ)

قَالَ الْإِمَامُ مَالِكُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللَّهُ فِي السَّمَاءِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ»^(٤).

(١) والمراد بالصفات السمعية: الصفات التي ثبتت عن طريق السمع فقط، كالاستواء والنزول.

(٢) «الفتاوى الحموية الكبرى» (ص ٣٠٠ - ٣٠٢)، تحقيق: حمد بن عبد المحسن التويجري.

(٣) أخرجه الذهبي في «السُّيَر» (٧/ ٢٧٤)، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود في «مسائله» (ص ٢٦٣)، بسند صحيح.

١٥ - حَمَادُ بْنُ زَيْدِ الْبَصْرِيِّ (١٧٩هـ)

قَالَ حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا يَدُورُونَ عَلَى أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ؛ يَعْنِي: الْجَهْمِيَّةُ»^(١).

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُعَقِّبًا: «مَقَالَةُ السَّلَفِ وَأَيُّمَةُ السُّنَّةِ؛ بَلْ وَالصَّحَابَةُ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ، وَإِنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَإِنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَحُجَّتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ النُّصُوصُ وَالْآثَارُ.

وَمَقَالَةُ الْجَهْمِيَّةِ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَمِيعِ الْأَمَكِينَةِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ، بَلْ هُوَ مَعَنَا أَيْنَمَا كُنَّا بِعِلْمِهِ.

وَمَقَالَةُ مُتَأَخِّرِي الْمُتَكَلِّمِينَ [مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْمَاتُرِيدِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ]: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا عَلَى الْعَرْشِ، وَلَا عَلَى السَّمَاوَاتِ، وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَلَا دَاخِلَ الْعَالَمِ، وَلَا خَارِجَ الْعَالَمِ، وَلَا هُوَ بَائِنٌ عَنْ خَلْقِهِ، وَلَا مُتَّصِلٌ بِهِمْ! وَقَالُوا: جَمِيعُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ صِفَاتٌ لِلْأَجْسَامِ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْجِسْمِ!

قَالَ لَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْأَثَرِ: نَحْنُ لَا نَخُوضُ فِي ذَلِكَ، وَنَقُولُ مَا ذَكَرْنَاهُ اتِّبَاعًا لِلنُّصُوصِ، وَإِنْ زَعَمْتُمْ... وَلَا نَقُولُ بِقَوْلِكُمْ، فَإِنَّ هَذِهِ السُّلُوبَ نُعَوِّثُ الْمَعْدُومَ، تَعَالَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْعَدَمِ، بَلْ هُوَ مَوْجُودٌ مُتَمَيِّزٌ عَنْ خَلْقِهِ، مَوْصُوفٌ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ بِلا كَيْفٍ»^(٢).

أَقُولُ: أَرْجُو أَنْ يُتَدَبَّرَ كَلَامُ هَذَا الْإِمَامِ.

(١) أَخْرَجَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْعُلُوقِ» (ص ٩٧٠)، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي «الْحَمُومَةِ» (ص ٣٣٧).

(٢) «الْعُلُوقِ» (ص ٩٧٠).

فَقَدْ ذَكَرَ فِي مَسْأَلَةِ عَلُوِّ اللَّهِ تَعَالَى ثَلَاثَةَ مَذَاهِبَ:

الْأَوَّلُ: مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَالَمِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، عَالٍ عَلَى الْعَرْشِ، وَأَنَّ هَذَا هُوَ قَوْلُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَالثَّانِي: قَوْلُ أَصْحَابِ جَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَهُوَ قَوْلُ الْحُلُولِيَّةِ.

وَالثَّالِثُ: قَوْلُ الْمُعْظَلَةِ كَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْمَآثُرِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا فَوْقَ الْعَالَمِ وَلَا تَحْتَهُ، وَلَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا مُتَّصِلٌ بِالْعَالَمِ وَلَا مُنْفَصِلٌ عَنْهُ^(١).

١٦ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ (١١٨١هـ)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ: كَيْفَ نَعْرِفُ رَبَّنَا ﷻ؟ قَالَ: «بِأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى الْعَرْشِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ»^(٢).

فَرَحِمَ اللَّهُ ابْنَ الْمُبَارَكِ، لَقَدْ أَتَى بِأَصْلِ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي لَا يَصْلُحُ لِأَحَدٍ مَعْرِفَةَ، وَلَا إِقْرَارًا بِاللَّهِ ﷻ إِلَّا بِهَا، وَهُوَ الْمُبَايَنَةُ لِخَلْقِهِ نَجْدًا وَبَعْدًا، وَالْعُلُوُّ عَلَى الْعَرْشِ^(٣). فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ بِذَلِكَ، لَمْ يَعْرِفْ إِلَهَهُ الَّذِي يَعْبُدُهُ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا عَلَى كَلَامِ ابْنِ الْمُبَارَكِ: قُلْتُ: الْجَهْمِيَّةُ يَقُولُونَ: إِنَّ الْبَارِي تَعَالَى فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَالسَّلَفُ يَقُولُونَ: إِنَّ عِلْمَ الْبَارِي فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيَحْتَجُّونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]؛ يَعْنِي: بِالْعِلْمِ،

(١) «التبهيّات السنية على الهفوات العقدية» (ص ٣٧٨).

(٢) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٦٧)، بسند صحيح.

(٣) «فتح المجيد في شرح التوحيد» (٤/ ٢١٠٧).

وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى، كَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ... وَمَعْلُومٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الطَّوَائِفِ: أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ إِمْرَارُ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا كَمَا جَاءَتْ، مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلَا تَحْرِيفٍ، وَلَا تَشْبِيهِ وَلَا تَكْيِيفٍ، فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي الصِّفَاتِ، فَرَعٌ عَلَى الْكَلَامِ فِي الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ.

وَقَدْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ ذَاتَ الْبَارِي مَوْجُودَةٌ حَقِيقَةٌ، لَا مِثْلَ لَهَا، وَكَذَلِكَ صِفَاتُهُ تَعَالَى مَوْجُودَةٌ، لَا مِثْلَ لَهَا^(١).

١٧ - جَرِيرُ الضُّبِّي، مُحَدِّثُ الرِّي (١٨٨هـ)

قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَلَامُ الْجَهْمِيَّةِ أَوَّلُهُ عَسَلٌ وَآخِرُهُ سُمٌّ، وَإِنَّمَا يُحَاوِلُونَ أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ»^(٢).

١٨ - عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِي (١٩٨هـ)

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: نَقَلَ غَيْرُ وَاحِدٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - الَّذِي يَقُولُ فِيهِ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: حَافِظُ الْأُمَّةِ، لَوْ حَلَفْتُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ لَحَلَفْتُ أَنِّي مَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ مِنْ ابْنِ مَهْدِيٍّ - قَالَ: «إِنَّ الْجَهْمِيَّةَ أَرَادُوا أَنْ يَنْفُوا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ كَلَّمَ مُوسَى؛ وَأَنْ يَكُونَ عَلَى الْعَرْشِ، أَرَى أَنْ يُسْتَتَابُوا، فَإِنْ تَابُوا، وَإِلَّا ضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ»^(٣).

١٩ - أَبُو مُعَاذٍ الْبَلْخِيُّ الْفَقِيه (١٩٩هـ)

قَالَ أَبُو قُدَامَةَ السَّرْحَسِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ خَالِدَ بْنَ سُلَيْمَانَ بِفَرْغَاةٍ

(١) «السَّيْر» (٨/٤٠٢).

(٢) أَخْرَجَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْعُلُوِّ» (ص ٩٨٥)، وَجَوَّدَ إِسْنَادَهُ الْمُحَدِّثُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَخْتَصَرِ الْعُلُوِّ» (ص ١٥١).

(٣) «الْعُلُوِّ» (ص ١٠٣٨).

يَقُولُ: «كَانَ جَهَنَّمُ عَلَى مَعْبَرٍ تَرِمِدٌ، وَكَانَ فَصِيحَ اللِّسَانِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ وَلَا مُجَالَسَةٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ، فَكَلَّمَ السَّمْنِيَّةَ، فَقَالُوا لَهُ: صِفْ لَنَا رَبَّكَ ﷻ الَّذِي تَعْبُدُهُ، فَدَخَلَ الْبَيْتَ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ أَيَّامٍ، فَقَالَ: هُوَ هَذَا الْهَوَاءُ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ، فَقَالَ أَبُو مُعَاذٍ الْبَلْخِيُّ الْفَقِيهَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، بَلِ اللَّهُ ﷻ عَلَى الْعَرْشِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ»^(١).

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ: سَمِعْتُ أَبَا نُعَيْمٍ الْبَلْخِيَّ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَرَوْ صَدِيقًا لَجَهَنَّمِ، ثُمَّ قَطَعَهُ وَجَفَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ جَفَوْتُهُ؟ فَقَالَ: جَاءَ مِنْهُ مَا لَا يُحْتَمَلُ، قَرَأْتُ يَوْمًا آيَةَ كَذَا وَكَذَا - نَسِيهَا يَحْيَى - فَقَالَ: مَا كَانَ أَظْرَفَ مُحَمَّدًا! فَاحْتَمَلْتُهَا، ثُمَّ قَرَأَ سُورَةَ طهَ، فَلَمَّا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُ سَبِيلًا إِلَى حَكْمِهَا، لَحَكَّكْتُهَا مِنْ الْمُصْحَفِ، فَاحْتَمَلْتُهَا. ثُمَّ قَرَأَ سُورَةَ الْقَصَصِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِكْرِ مُوسَى قَالَ: مَا هَذَا؟ ذَكَرَ قِصَّةً فِي مَوْضِعٍ فَلَمْ يُتِمِّهَا، ثُمَّ ذَكَرَ هَهُنَا فَلَمْ يُتِمِّهَا، ثُمَّ رَمَى بِالْمُصْحَفِ مِنْ حَجَرِهِ بِرِجْلَيْهِ!! فَوُتِبْتُ عَلَيْهِ»^(٢).

فَهَذَا شَيْخُ النَّافِئِينَ لَعَلُّوا الرَّبَّ عَلَى عَرْشِهِ، وَمُبَايَنَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْهُ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: قَدِمَتِ امْرَأَةٌ جَهَنَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ عِنْدَهَا: اللَّهُ عَلَى عَرْشِهِ. فَقَالَتْ: مَحْدُودٌ عَلَى مَحْدُودٍ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هِيَ كَافِرَةٌ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ.

فَهَذِهِ الْمَقَالَةُ إِمَامَاهَا هَذَا الرَّجُلُ وَامْرَأَتُهُ، وَمَا أَوْلَاهُ بِأَنْ ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿[المسد: ٤، ٥]﴾^(٣).

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٧١٠)، بسند صحيح.

(٢) رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (رقم ٧٠)، بسند صحيح.

(٣) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٢٢٤ - ٢٢٥).

٢٠ - منصور بن عمار (٢٠٠هـ)

كَتَبَ بِشْرُ الْمَرِيْسِي إِلَى مَنْصُورِ بْنِ عَمَّارٍ، يَسْأَلُهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، كَيْفَ اسْتَوَى؟
فَكَتَبَ إِلَيْهِ: «اسْتَوَاوُهُ غَيْرُ مَحْدُودٍ، وَالْجَوَابُ فِيهِ تَكْلُفٌ، مُسَاءَلَتُكَ عَنْهُ
بِذَعَةٍ، وَالْإِيمَانُ بِجُمْلَةٍ ذَلِكَ وَاجِبٌ»^(١).

٢١ - الإمام الشافعي (٢٠٤هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْقَوْلُ فِي السُّنَّةِ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا، وَرَأَيْتُ أَصْحَابَنَا عَلَيْهَا،
أَهْلَ الْحَدِيثِ الَّذِينَ رَأَيْتُهُمْ فَأَخَذْتُ عَنْهُمْ، مِثْلَ سُفْيَانَ وَمَالِكٍ وَغَيْرِهِمَا:
الْإِقْرَارُ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ
فِي سَمَائِهِ، يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ شَاءَ»^(٢).

«وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُرَى فِي الْآخِرَةِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ عِيَانًا جَهَارًا،
وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهُ. وَأَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»^(٣).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الرِّسَالَةِ»: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، وَفَوْقَ مَا
يُصِفُهُ خَلْقُهُ»^(٤).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأُثْبِتَ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ أَنَّ صِفَاتِهِ إِنَّمَا تُتَلَقَّى
بِالسَّمْعِ، لَا بِأَرَاءِ الْخَلْقِ، وَأَنَّ أَوْصَافَهُ فَوْقَ مَا يُصِفُهُ بِهِ الْخَلْقُ، فَتَضَمَّنَتْ
هَذِهِ الْكَلِمَةُ، إِثْبَاتَ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّذِي أُثْبِتَهُ لِنَفْسِهِ، وَتَنْزِيهَهُ عَنِ الْعُيُوبِ

(١) «تاريخ الإسلام»، حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠هـ (ص ٤١٣).

(٢) «وصية الإمام الشافعي» (ص ٥٣ - ٥٤).

(٣) «وصية الإمام الشافعي» (ص ٣٨ - ٣٩).

(٤) «الرسالة» (ص ٨)، تحقيق: أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَالنَّقَائِصِ وَالتَّمثِيلِ، وَأَنَّ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فَهُوَ الَّذِي يُوصَفُ بِهِ، لَا مَا وَصَفَهُ بِهِ الْخَلْقُ»^(١).

٢٢ - يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ الْوَاسِطِيُّ (٢٠٦هـ)

قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، عَلَى خِلَافِ مَا يَقْرَأُ فِي قُلُوبِ الْعَامَّةِ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ»^(٢).

قَالَ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا: «وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ هُوَ الْحَقُّ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعْنَاهُ عَلَى خِلَافِ مَا يَقْرَأُ فِي الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَالْفِطْرَةِ الصَّحِيحَةِ مِنَ الْأَدْوَاءِ، لَوَجَبَ عَلَى الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ أَنْ يُبَيِّنُوا أَنَّ اسْتِوَاءَ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ عَلَى خِلَافِ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَلْقَهُ، وَجَبَلَهُمْ عَلَى اعْتِقَادِهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي بَعْضِ الْأَغْيَاءِ مَنْ يَفْهَمُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، أَوْ عَلَى الْعَرْشِ [أَنَّهُ مُحِيزٌ وَأَنَّهُمَا حِيزٌ لَهُ]، وَأَنَّ الْعَرْشَ مُحِيطٌ بِهِ، فَكَيْفَ ذَلِكَ فِي ذَهْنِهِ وَبِفَهْمِهِ، كَمَا بَدَرَ فِي الشَّاهِدِ مِنْ أَيِّ جِسْمٍ كَانَ، عَلَى أَيِّ جِسْمٍ، فَهَذَا حَالُ جَاهِلٍ؛ وَ[مَا] أَظُنُّ أَنْ أَحَدًا اعْتَقَدَ ذَلِكَ مِنَ الْعَامَّةِ وَلَا قَالَهُ، وَحَاشَا يَزِيدَ بْنَ هَارُونَ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ هَذَا، وَإِنَّمَا مُرَادُهُ مَا تَقَدَّمَ»^(٣).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالَّذِي تَقَرَّرَ فِي قُلُوبِ الْعَامَّةِ: هُوَ مَا فَطَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ الْخَلِيقَةَ مِنْ تَوَجُّهٍهَا إِلَى رَبِّهَا تَعَالَى، عِنْدَ النَّوَازِلِ وَالشَّدَائِدِ وَالِدُّعَاءِ وَالرَّغَبَاتِ إِلَيْهِ تَعَالَى نَحْوَ الْعُلُوِّ، لَا يَلْتَفِتُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً مِنْ غَيْرِ مَوْقِفٍ وَقَفَهُمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، وَمَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا هُوَ يُوَلَّدُ عَلَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ، يُجَهَّمُهُ وَيَنْقُلُهُ إِلَى التَّعْطِيلِ مَنْ يُقَيِّضُ لَهُ.

(١) «الصواعق» (ص ١٥٣ - ١٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود في «المسائل» (ص ٢٦٨)، بسند جيد.

(٣) كتاب «العرش» (٢/ ٢٠٦ - ٢٠٧)، للحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٣ - سَعِيدُ بْنُ عَامِرِ الضُّبَعِيِّ، عَالِمُ الْبَصْرَةِ (٢٠٨هـ)

ذَكَرَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرِ الضُّبَعِيُّ الْجَهْمِيَّةَ فَقَالَ: هُمْ شَرُّ قَوْلَا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، قَدْ اجْتَمَعَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَأَهْلُ الْأَدْيَانِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعَرْشِ. وَقَالُوا هُمْ: لَيْسَ عَلَى شَيْءٍ^(١).

٢٤ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرِ الرَّازِيِّ

قَالَ صَالِحُ بْنُ الضَّرِيرِ: «جَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرِ الرَّازِيُّ يَضْرِبُ رَأْسَ قَرَابَةِ لَهُ يَرَى بِرَأْيِ جَهْمٍ، فَرَأَيْتُهُ يَضْرِبُ بِالنَّعْلِ عَلَى رَأْسِهِ وَيَقُولُ: لَا، حَتَّى يَقُولَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]، بَاطِنٌ مِنْ خَلْقِهِ»^(٢).

٢٥ - الْقَعْنَبِيُّ (٢٢١هـ)

قَالَ بَنَانُ بْنُ أَحْمَدَ: كُنَّا عِنْدَ الْقَعْنَبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَسَمِعَ رَجُلًا مِنَ الْجَهْمِيَّةِ يَقُولُ: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. فَقَالَ الْقَعْنَبِيُّ: «مَنْ لَا يُوقِنُ أَنَّ الرَّحْمَنَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، كَمَا يَقْرَأُ فِي قُلُوبِ الْعَامَّةِ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ»^(٣).

٢٦ - عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ، شَيْخُ الْبُخَارِيِّ (٢٢١هـ)

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَاضْطَرْتُ جَهْمًا فَتَبَيَّنَ مِنْ كَلَامِهِ، أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَنَّ فِي السَّمَاءِ رَبًّا»^(٤).

٢٧ - هِشَامُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الرَّازِيِّ (٢٢١هـ)

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ السُّلَمِيِّ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: «سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ الرَّازِيَّ - وَحَبَسَ رَجُلًا فِي التَّجْهِمِ

(٢) «العلو» (ص ١٠٤٨).

(٤) «العلو» (ص ١٠٦٩).

(١) «العلو» (ص ١٠٣٣).

(٣) «العلو» (ص ١٠٦٥).

فَتَابَ، فَجِيءَ بِهِ إِلَيْهِ لِيَمْتَحِنَهُ - فَقَالَ لَهُ: أَتَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ، بَاطِنٌ مِنْ خَلْقِهِ؟ فَقَالَ: لَا أَدْرِي مَا بَاطِنٌ مِنْ خَلْقِهِ؟ فَقَالَ: رُدُّوهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَّبِعْ بَعْدُ»^(١).

٢٨ - بَشْرُ الْخَافِي، زَاهِدُ الْعَصْرِ (٢٢٧هـ)

قَالَ حَمَزَةُ بْنُ دِهْقَانَ: «قُلْتُ لِبَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ: أَحِبُّ أَنْ أَخْلُوَ مَعَكَ. قَالَ: إِذَا شِئْتَ فَيَكُونُ يَوْمًا. فَرَأَيْتُهُ قَدْ دَخَلَ قُبَّةً، فَصَلَّى فِيهَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، لَا أَحْسَنُ أَصَلِّي مِثْلَهَا، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ فَوْقَ عَرْشِكَ أَنَّ الذُّلَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الشَّرَفِ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ فَوْقَ عَرْشِكَ أَنَّ الْفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَى، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ فَوْقَ عَرْشِكَ أَنِّي لَا أُوَدِّرُ عَلَى حُبِّكَ شَيْئًا.

فَلَمَّا سَمِعْتُهُ، أَخَذَنِي الشَّهيقُ وَالْبُكَاءُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّ هَذَا هَاهُنَا، لَمْ أَتَكَلَّمْ»^(٢).

٢٩ - مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ الْعَابِدِ، شَيْخُ بَغْدَادَ (٢٢٨هـ)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ الْعَابِدِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّكَ لَا تَتَكَلَّمُ، وَلَا تَرَى فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ كَافِرٌ بِوَجْهِكَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ فَوْقَ الْعَرْشِ، فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، لَيْسَ كَمَا تَقُولُ أَعْدَاءُ اللَّهِ الزَّانِقَةُ»^(٣).

٣٠ - نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادِ الْخَرَّاعِي الْخَافِظُ (٢٢٨هـ)

قَالَ الرَّمَادِيُّ: سَأَلْتُ نُعَيْمَ بْنَ حَمَّادٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]؟ قَالَ: «مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ بِعِلْمِهِ، أَلَا تَرَى قَوْلَهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]؟!»^(٤).

(٢) «السَّيَر» (١٠/٤٧٣).

(١) «العلو» (ص ١٠٧٦).

(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٠٨٠)، بسند صحيح.

(٤) رواه الذهبي في «العلو» (ص ١٠٩٢)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «مختصر العلو» (ص ١٨٤).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ، فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ أَنْكَرَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا رَسُولُهُ تَشْبِيهَا»^(١).

وَعَقَّبَ الذَّهَبِيُّ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ بِقَوْلِهِ: «قُلْتُ: هَذَا الْكَلَامُ حَقٌّ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ التَّشْبِيهِ، وَمِنْ إِنْكَارِ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، فَمَا يُنْكَرُ الثَّابِتُ مِنْهَا مَنْ فُقِّهَ، وَإِنَّمَا بَعْدَ الْإِيمَانِ بِهَا هُنَا مَقَامَانِ مَذْمُومَانِ:

تَأْوِيلُهَا وَصَرْفُهَا عَنْ مَوْضُوعِ الْخِطَابِ، فَمَا أَوْلَاهَا السَّلَفُ وَلَا حَرَفُوا أَلْفَظَهَا عَنْ مَوَاضِعِهَا؛ بَلْ آمَنُوا بِهَا، وَأَمَرُوا بِهَا كَمَا جَاءَتْ.

الْمَقَامُ الثَّانِي: الْمُبَالَغَةُ فِي إِثْبَاتِهَا، وَتَصَوُّرُهَا مِنْ جِنْسِ صِفَاتِ الْبَشَرِ، وَتَشَكُّلُهَا فِي الذَّهْنِ، فَهَذَا جَهْلٌ وَضَلَالٌ، وَإِنَّمَا الصِّفَةُ تَابِعَةٌ لِلْمَوْصُوفِ؛ فَإِذَا كَانَ الْمَوْصُوفُ ﷺ لَمْ نَرَهُ، وَلَا أَخْبَرْنَا أَحَدٌ أَنَّهُ عَاينَهُ مَعَ قَوْلِهِ لَنَا فِي تَنْزِيلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. فَكَيْفَ بَقِيَ لِأَذْهَانِنَا مَجَالٌ فِي إِثْبَاتِ كَيْفِيَةِ الْبَارِي، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، فَكَذَلِكَ صِفَاتُهُ الْمُقَدَّسَةُ، نُقَرُّ بِهَا وَنَعْتَقِدُ أَنَّهَا حَقٌّ، وَلَا نُمَثِّلُهَا أَصْلًا وَلَا نَتَشَكَّلُهَا»^(٢).

٢١ - أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَعْرَابِيِّ، لُغَوِي زَمَانِهِ (٢٣١هـ)

قَالَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]؟ قَالَ: هُوَ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا أَخْبَرَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَيْسَ كَذَلِكَ! إِنَّمَا مَعْنَاهُ اسْتَوَى، فَقَالَ: اسْكُتْ، مَا يُدْرِيكَ مَا هَذَا؟ الْعَرَبُ لَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ: اسْتَوَى عَلَى الشَّيْءِ، حَتَّى يَكُونَ

(١) رواه الذهبي في «العلو» (ص ١٠٩٢)، وصححه الألباني رحمه الله في «مختصر العلو» (ص ١٨٤).

(٢) «السَّيَر» (١٠/ ٦١٠ - ٦١١).

لَهُ فِيهِ مُضَادٌّ، فَأَيُّهُمَا غَلَبَ؟ قِيلَ: اسْتَوَى، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا مُضَادَّ لَهُ، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا أَخْبَرَ. ثُمَّ قَالَ: الْإِسْتِيلَاءُ بَعْدَ الْمُغَالِبَةِ، قَالَ النَّابِغَةُ:
أَلَا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ سَبَقَ الْجَوَادُ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمْدِ^(١)

٣٢ - أَبُو مَعْمَرٍ الْقُطَيْبِيُّ (٢٢٦هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «آخِرُ كَلَامِ الْجَهْمِيَّةِ: إِنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ»^(٢).
قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا عَلَى هَذَا الْأَثَرِ: «قُلْتُ: بَلْ قَوْلُهُمْ: إِنَّهُ يَزِيدُكَ فِي السَّمَاءِ وَفِي الْأَرْضِ، لَا امْتِيَازَ لِلْسَّمَاءِ. وَقَوْلُ عُمُومِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، يُطْلِقُونَ ذَلِكَ وَفَقَّ مَا جَاءَتْ النُّصُوصُ بِإِطْلَاقِهِ، وَلَا يَخُوضُونَ فِي تَأْوِيلَاتِ الْمُتَكَلِّمِينَ، مَعَ جَزْمِ الْكُلِّ بِأَنَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]»^(٣).

٣٣ - إِسْحَاقُ بْنُ زَاهَوِيٍّ، عَالِمُ خُرَاسَانَ (٢٣٨هـ)

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ زَاهَوِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]؛ إِجْمَاعُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَيَعْلَمُ كُلُّ شَيْءٍ فِي أَسْفَلِ الْأَرْضِ السَّابِغَةِ.
قَالَ الذَّهَبِيُّ مُعَلِّقًا: اسْمَعُ وَيَحْكُ إِلَى هَذَا الْإِمَامِ: كَيْفَ نَقَلَ الْإِجْمَاعُ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الشَّرِيفَةِ؟»^(٤).

٣٤ - قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، شَيْخُ خُرَاسَانَ (٢٤٠هـ)

قَالَ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا قَوْلُ الْأَئِمَّةِ فِي الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ

(١) أَخْرَجَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْعُلُوِّ» (ص ١١٣٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَخْتَصَرِ الْعُلُوِّ» (ص ١٩٦).

(٢) أَخْرَجَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْعُلُوِّ» (ص ١١٠٥)، وَهُوَ فِي «مَخْتَصَرِ الْعُلُوِّ» (ص ١٨٨).

(٣) «السَّيْر» (١١/ ٧٠-٧١). (٤) «الْعُلُوِّ» (ص ١١٢٨).

وَالْجَمَاعَةَ: نَعْرِفُ رَبَّنَا فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى عَرْشِهِ، كَمَا قَالَ ﷺ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

فَهَذَا قُتَيْبَةُ فِي إِمَامَتِهِ وَصِدْقِهِ، قَدْ نَقَلَ الْإِجْمَاعَ عَلَى الْمَسْأَلَةِ، وَقَدْ لَقِيَ مَالِكًا وَاللَّيْثَ وَحَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ وَالْكِبَارَ، وَعَمَرَ دَهْرًا، وَازْدَحَمَ الْحِفَاطُ عَلَى بَابِهِ^(١).

٣٥ - أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ (٢٤١هـ)

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَمِمَّا أَنْكَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ الضَّلَالُ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ عَلَى الْعَرْشِ. قُلْنَا: لِمَ أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ؟ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وَقَالَ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وَقَدْ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ فَقَالَ: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٧]، وَقَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَالَ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وَقَالَ: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وَقَالَ: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ [الأنبياء: ١٩]، وَقَالَ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وَقَالَ: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣]، وَقَالَ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، وَقَالَ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فَهَذَا خَبَرُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ.

وَإِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، يَقُولُ: هُوَ إِلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَهُ مَنْ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ، وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِمَا دُونَ الْعَرْشِ، وَلَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِ اللَّهِ مَكَانٌ، وَلَا يَكُونُ

عِلْمُ اللَّهِ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]»^(١).

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ، شَيْخُ أَبِي بَكْرِ الْخَلَّالِ: «قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: اللَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى عَرْشِهِ، بَإِثْنٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَقُدْرَتُهُ وَعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ؟ قَالَ: نَعَمْ هُوَ عَلَى عَرْشِهِ، وَلَا يَخْلُو شَيْءٌ مِنْ عِلْمِهِ»^(٢).

وَقَالَ حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]؟ وَ﴿مَا يَكْشُوتُ مِنْ تَجَوُّى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]؟ قَالَ: عِلْمُهُ عِلْمُهُ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ الْمَرْوَزِيُّ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقَيْسِيُّ قَالَ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: يُحْكِي عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: كَيْفَ نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى عَرْشِهِ. قَالَ أَحْمَدُ: هَكَذَا هُوَ عِنْدَنَا^(٣).

٣٦ - الإمامُ الرَّبَّانِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ الطُّوسِيُّ (٢٤٢هـ)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ: بَلَّغْنِي أَنَّكَ تَرَفَعُ رَأْسَكَ إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: وَلِمَ؟ وَهَلْ أَزْجُو الْخَيْرَ إِلَّا مِمَّنْ هُوَ فِي السَّمَاءِ؟^(٤)

٣٧ - الْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْمُحَاسِبِيُّ (٢٤٣هـ)

قَالَ الزَّاهِدُ الْمَشْهُورُ، الْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْمُحَاسِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١) «الرَّدُّ عَلَى الزَّانِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ» (ص ٤٨ - ٤٩).

(٢) أَخْرَجَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْعُلُوِّ» (ص ١١٣)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَخْتَصَرِ الْعُلُوِّ» (ص ١٩٠).

(٣) «تَارِيخُ الْإِسْلَامِ»، حَوَادِثُ وَوَقَايَا ٢٤١ - ٢٥٠هـ (ص ٨٧ - ٨٨).

(٤) أَخْرَجَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْعُلُوِّ» (ص ١١٦)، وَجَوَّدَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَخْتَصَرِ الْعُلُوِّ» (ص ٢١٠).

«وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، و﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، و﴿إِذَا لَا بَنَغْوًا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢]. فَهَذِهِ وَغَيْرُهَا مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَوْلِهِ: ﴿يُذِيرُ الْأُمْرِمَنَ السَّمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السَّجْدَة: ٥]. فَهَذَا مَقْطَعٌ يُوجِبُ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، فَوْقَ الْأَشْيَاءِ، مُنَزَّهٌ عَنِ الدُّخُولِ فِي خَلْقِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ؛ لِأَنَّهُ أَبَانَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ ذَاتَهُ بِنَفْسِهِ فَوْقَ عِبَادِهِ، لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]؛ يَعْنِي: فَوْقَ الْعَرْشِ، وَالْعَرْشُ عَلَى السَّمَاءِ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ فَوْقَ شَيْءٍ عَلَى السَّمَاءِ فَهُوَ فِي السَّمَاءِ، وَقَدْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ: ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]؛ يَعْنِي: عَلَى الْأَرْضِ لَا يُرِيدُ الدُّخُولَ فِي جَوْفِهَا، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا أَصْلَبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ﴾ [طه: ٧١]؛ يَعْنِي: فَوْقَهُ. وَقَالَ: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، ثُمَّ فَصَّلَ فَقَالَ: ﴿أَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، وَلَمْ يَصْلِهِ بِمَعْنَى فَيَشْتَبِهُ ذَلِكَ، فَلَمْ يَكُنْ لِدَلِيلِكَ مَعْنَى إِذْ فَصَّلَ بِقَوْلِهِ: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] - ثُمَّ اسْتَأْنَفَ التَّخْوِيفَ بِالْخُسْفِ - إِلَّا أَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ فَوْقَ السَّمَاءِ. وَقَالَ: ﴿يُذِيرُ الْأُمْرِمَنَ السَّمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السَّجْدَة: ٥]، وَقَالَ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، فَبَيَّنَ عُرُوجَ الْأَمْرِ، وَعُرُوجَ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ وَصَفَ صُعُودَهَا بِالْإِرْتِفَاعِ صَاعِدَةً إِلَيْهِ...

فَإِذَا صَعِدُوا إِلَى الْعَرْشِ، فَقَدْ صَعِدُوا إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَرَوْهُ، وَلَمْ يُسَاوُوهُ فِي الْإِرْتِفَاعِ فِي عُلُوِّهِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ صَعِدُوا مِنَ الْأَرْضِ، وَعَرَجُوا بِالْأَمْرِ إِلَى الْعُلُوِّ، الَّذِي اللَّهُ ﷻ فَوْقَهُ...

وَقَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]. وَكَلَامُ الْمَلَائِكَةِ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسَانِ، فَلَمْ يَقُلْ: يَنْزِلُ إِلَيْهِ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ.

وَقَالَ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وَلَمْ يَقُلْ: عِنْدَهُ.
 وَقَالَ عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿...لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٢١) ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعَ
 إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧]، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾
 [غافر: ٣٧]، فِيمَا قَالَ لِي: إِنَّهُ فِي السَّمَاءِ، فَطَلَبَهُ حَيْثُ قَالَ لَهُ مُوسَى، مَعَ الظَّنِّ
 مِنْهُ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَاذِبٌ، وَلَوْ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
 بِذَاتِهِ، لَطَلَبَهُ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي بَيْتِهِ وَبَدَنِهِ، وَلَمْ يَتَعَنَّ بِبَيَانِ الصَّرْحِ^(١).
 وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، فَلَمْ
 يَقُلْ: فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ قَطَعَ كَمَا قَالَ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾
 [الملك: ١٦]، فَقَالَ: ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ إِلَهُ أَهْلِ
 السَّمَاءِ، وَإِلَهُ أَهْلِ الْأَرْضِ.

وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي اللَّغَةِ، إِذْ يَقُولُ الْقَائِلُ: مَنْ بِخُرَاسَانَ؟ فَيُقَالُ: ابْنُ
 طَاهِرٍ. وَإِنَّمَا هُوَ فِي مَوْضِعٍ. فَجَائِزٌ أَنْ يُقَالَ: ابْنُ طَاهِرٍ أَمِيرٌ فِي خُرَاسَانَ،
 فَيَكُونُ أَمِيرًا فِي بَلْخٍ وَسَمَرْقَنْدَ وَكُلِّ مُدُنِهَا. هَذَا وَإِنَّمَا هُوَ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ،
 يَخْفَى عَلَيْهِ مَا وَرَاءَ بَيْتِهِ، وَلَوْ كَانَ عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَفِي مَعْنَى الْكُونِ، مَا
 جَازَ أَنْ يُقَالَ: أَمِيرٌ فِي الْبَلَدِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، لِأَنَّهُ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ مِنْ بَيْتِهِ، أَوْ
 حَيْثُ كَانَ، إِنَّمَا هُوَ فِي مَوْضِعٍ جُلُوسِهِ، وَلَيْسَ هُوَ فِي دَارِهِ أَمِيرٌ، وَلَا فِي بَيْتِهِ
 كُلِّهِ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي مَوْضِعٍ مِنْهُ، لَوْ كَانَ هَذَا مَعْنَى الْكُونِ، فَكَيْفَ الْعَالِي فَوْقَ
 كُلِّ شَيْءٍ؟ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ يُدَبِّرُهُ، فَهُوَ إِلَهُ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَإِلَهُ
 أَهْلِ الْأَرْضِ، لَا إِلَهَ فِيهِمَا سِوَاهُ، فَهُوَ فِيهِمَا إِلَهُ، إِذْ كَانَ مُدَبِّرًا لَهُمَا وَمَا فِيهِمَا،
 وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ بَاقٍ^(٢).

(١) «العقل وفهم القرآن» (ص ٣٤٩ - ٣٥٢)، تحقيق: د. حسين القوتلي.

(٢) «العقل وفهم القرآن» (ص ٣٥٥ - ٣٥٦).

٣٨ - عَبْدُ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقُ (٢٥٠هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ هَاهُنَا فَهُوَ جَهْمِيٌّ خَبِيثٌ، إِنَّ اللَّهَ يَجْلِسُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١).

٣٩ - خُشَيْشُ بْنُ أَضْرَمَ (٢٥٣هـ)

قَالَ أَبُو عَاصِمٍ خُشَيْشُ بْنُ أَضْرَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ أَنْكَرَ جَهْمٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السَّجْدَةُ: ٤]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الْأَعْرَافِ: ٥٤]، وَقَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وَقَالَ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الْفِرْقَانِ: ٥٩].

قَالَ أَبُو عَاصِمٍ: مَنْ كَفَرَ بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَقَدْ كَفَرَ بِهِ أَجْمَعٌ؛ فَمَنْ أَنْكَرَ الْعَرْشَ، فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ. وَجَاءَتْ الْآثَارُ بِأَنَّ لِلَّهِ عَرْشًا، وَأَنَّهُ عَلَى عَرْشِهِ»^(٢).

قَالَ أَبُو عَاصِمٍ: وَأَنْكَرَ جَهْمٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ دُونَ الْأَرْضِ... وَقَدْ دَلَّ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ دُونَ الْأَرْضِ... ثُمَّ ذَكَرَ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ إِلَى أَنْ قَالَ:

لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ كَمَا هُوَ فِي السَّمَاءِ، لَمْ يَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ يَصْعَدُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، كَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَقَدْ جَاءَتْ الْآثَارُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ فِي السَّمَاءِ دُونَ الْأَرْضِ»^(٣).

(١) «العلو» (ص ١١٧٧).

(٢) «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» (ص ١١٣ - ١١٤).

(٣) «التنبيه والرد» (ص ١١٨ - ١٢١).

٤٠ - الذَّهْلِيُّ (٢٥٨هـ)

قَالَ الْحَاكِمُ: قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي عَمْرٍو الْمُسْتَمْلِيِّ: سُئِلَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «لِيَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»^(١)، فَقَالَ: يُرِيدُ أَنَّ اللَّهَ عِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَاللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ^(٢).

٤١ - إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى الْمُرْنِيُّ (٢٦٤هـ)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيُّ: سَمِعْتُ الْمُرْنِيَّ يَقُولُ: «لَا يَصِحُّ لِأَحَدٍ تَوْحِيدٌ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ بِصِفَاتِهِ. قُلْتُ لَهُ: مِثْلُ أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: سَمِعْتُ بَصِيرٌ عَلِيمٌ»^(٣).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «(عَالٍ) عَلَى عَرْشِهِ (فِي مَجْدِهِ بِذَاتِهِ) ... عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ»^(٤).

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَعْلَمَ أَنَّ لَفْظَةَ (بَائِنٌ)، كَثُرَ وَرُودُهَا فِي عَقِيدَةِ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِمْ: «هُوَ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ». وَحَاكَاهَا أَبُو زُرْعَةَ وَأَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيَانِ عَنِ الْعُلَمَاءِ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ، وَإِنَّمَا نَطَقَ الْعُلَمَاءُ بِهَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ: «بِذَاتِهِ» وَ«بَائِنٌ» - بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنَا مَعْرُوفَتَيْنِ فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - لَمَّا ابْتَدَعَ الْجَهْمُ وَأَتْبَاعُهُ الْقَوْلَ بِأَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَاقْتَضَتْ ضَرُورَةُ الْبَيَانِ أَنْ يَتَلَفَّظَ هَؤُلَاءِ الْأَيُّمَةُ الْأَعْلَامُ بِلَفْظِ «بَائِنٌ»، دُونَ أَنْ يُنْكِرَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ»^(٥).

(١) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٣٣٤/١) (٥٥٥) بلفظ: «أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ» (١٠٤٦).

(٢) «العلو» (ص ١١٤٧)، وهو في «مختصر العلو» (ص ٢٠١).

(٣) «السَّيَر» (١٢/٤٩٤). (٤) «شرح السُّنَّة» (ص ٧٩ - ٨٠).

(٥) «مختصر العلو» (ص ١٧).

٤٢ - أبو زرعة الرازي (٢٦٤هـ)

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَأَلْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أَصُولِ الدِّينِ، وَمَا أَدْرَكَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ؟ وَمَا يَعْتَقِدَانِ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَا:

«أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ - حِجَازًا وَعِرَاقًا وَشَامًا وَيَمَنًا - فَكَانَ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ:

وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ عَلَى عَرْشِهِ، بَاقٍ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، بِلَا كَيْفٍ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»^(١).

وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمُعْطَلَةُ النَّافِيَةُ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ، الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَيُكَذِّبُونَ بِالْأَخْبَارِ الصَّحَاحِ الَّتِي جَاءَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الصِّفَاتِ، وَيَتَأَوَّلُونَهَا بِأَرَائِهِمُ الْمَنكُوسَةِ عَلَى مُوَافَقَةِ مَا اعْتَقَدُوا مِنَ الضَّلَالَةِ، وَيَنْسِبُونَ رُؤَاةَهَا إِلَى التَّشْبِيهِ، فَمَنْ نَسَبَ الْوَاصِفِينَ رَبَّهُمْ ﷻ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، مِنْ غَيْرِ تَمَثُّلٍ وَلَا تَشْبِيهِ إِلَى التَّشْبِيهِ، فَهُوَ مُعْطَلٌ نَافٍ، وَيَسْتَدِلُّ عَلَيْهِمْ بِنِسْبَتِهِمْ إِيَّاهُمْ إِلَى التَّشْبِيهِ أَنَّهُمْ مُعْطَلَةٌ نَافِيَةٌ، كَذَلِكَ كَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَقُولُونَ، مِنْهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَوَكَيْعُ بْنُ الْجَرَّاحِ»^(٢).

٤٣ - أبو حاتم الرازي (٢٧٧هـ)

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرِيُّ: وَجَدْتُ فِي كِتَابِ أَبِي حَاتِمٍ مُحَمَّدِ بْنِ

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/١٩٨).

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (١/١٨٧).

إِدْرِيسَ بْنِ الْمُنْذِرِ الْحَنْظَلِيِّ، مِمَّا سَمِعَ مِنْهُ يَقُولُ: «مَذْهَبَنَا وَاخْتِيَارُنَا اتِّبَاعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَالتَّمَسُّكُ بِمَذَاهِبِ أَهْلِ الْأَثَرِ، مِثْلَ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَأَبِي عُبَيْدٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلُزُومُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»^(١).

٤٤ - خِزْبُ الْكَرْمَانِيِّ (٢٨٠هـ)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ حَرْبُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْكَرْمَانِيُّ فِي «مَسَائِلِهِ الْمَعْرُوفَةِ» الَّتِي نَقَلَهَا عَنْ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهُوَيْهَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيِّ، وَسَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ، وَغَيْرِهِمْ: «وَاللَّهُ ﷻ عَلَى الْعَرْشِ... وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ...»

فَإِنْ احْتَجَّ مُبْتَدِعٌ، أَوْ مُخَالِفٌ، أَوْ زِنْدِيقٌ يَقُولُ بِاللَّهِ ﷻ اسْمُهُ: ﴿وَحَنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. وَيَقُولُهُ: ﴿وَمَا يَعْزُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وَيَقُولُهُ: ﴿مَا يَكُوثُ مِنْ تَجَوَّى ثَلَاثَةَ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، وَنَحْوِ هَذَا مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ.

فَقُلْ: إِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ الْعِلْمُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ عَلَى الْعَرْشِ، فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الْعُلْيَا، يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَهُوَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ... وَاللَّهُ عَلَى عَرْشِهِ، عَزَّ ذِكْرُهُ، وَتَعَالَى جَدُّهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ... وَيَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»^(٢).

(١) «العلو» (ص ١١٦٢).

(٢) كتاب «السُّنَّة» من مسائل الإمام حرب بن إسماعيل الكرماني (ص ٣٨ - ٤٠).

٤٥ - ابن قتيبة (٢٧٦هـ)

قَالَ الْإِمَامُ الْعَالِمُ ابْنُ قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَحْنُ نَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]: إِنَّهُ مَعَهُمْ بِالْعِلْمِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ، كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ وَجْهَتُهُ إِلَى بَلَدٍ شَاسِعٍ، وَوَكَّلْتُهُ بِأَمْرِ مِنْ أُمُورِكَ: احْذَرِ التَّقْصِيرَ وَالْإِغْفَالَ لِشَيْءٍ مِمَّا تَقَدَّمْتُ فِيهِ إِلَيْكَ، فَإِنِّي مَعَكَ. تُرِيدُ أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ تَقْصِيرُكَ أَوْ جَدُّكَ، لِلْإِشْرَافِ عَلَيْكَ وَالْبَحْثِ عَنْ أُمُورِكَ...

وَكَيْفَ يَسُوعُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ بِكُلِّ مَكَانٍ عَلَى الْحُلُولِ؟! مَعَ قَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وَكَيْفَ يَصْعَدُ إِلَيْهِ شَيْءٌ هُوَ مَعَهُ؟ أَوْ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلٌ وَهُوَ عِنْدَهُ؟ وَكَيْفَ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! ^(١).

٤٦ - أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ (٢٧٩هـ)

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ» ^(٢).

٤٧ - عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ الْخَافِظُ (٢٨٠هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ اتَّفَقَتِ الْكَلِمَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ» ^(٣).

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص ٣٢٧-٣٢٨).

(٢) «جامع الترمذي» (٤٠٣/٥) (٣٢٩٨) [طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت].

(٣) «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد» (ص ١٥٤)، تحقيق: منصور بن عبد العزيز السَّماري.

== ﴿الْعَمَلُ فِي بَيْتِ عِبَادِ اللَّهِ﴾ ==

قَالَ الذَّهَبِيُّ مُعَقَّبًا: «قُلْتُ: أَوْضَحُ شَيْءٍ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]. فَلْيُمَرَّ كَمَا جَاءَ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ مَذْهَبِ السَّلَفِ، وَيُنْهَى الشَّخْصُ عَنِ الْمُرَاقَبَةِ وَالْجِدَالِ، وَتَأْوِيلَاتِ الْمُعْتَزِلَةِ، ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٥٣]»^(١).

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ عُثْمَانُ الدَّارِمِيُّ جِدْعًا فِي أَعْيُنِ الْمُبْتَدِعَةِ»^(٢).

٤٨ - ثَغْلَبَ إِمَامُ الْعَرَبِيَّةِ (٢٩١هـ)

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ اللَّالِكَايُ فِي كِتَابِ «السُّنَّةِ»: وَجَدْتُ بِخَطِّ الدَّارِقُطَنِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ الْكَاذِبِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ ثَعْلَبَ يَقُولُ: «اسْتَوَى: أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُعَوَّجًا. ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩]: أَقْبَلَ. وَ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: عَلَا. وَاسْتَوَى وَجْهُهُ: اتَّصَلَ. وَاسْتَوَى الْقَمَرُ: امْتَلَأَ. وَاسْتَوَى زَيْدٌ وَعَمَرُو: تَشَابَهَا فِي فِعْلِهِمَا، وَإِنْ لَمْ تَتَشَابَهْ شُخُوصُهُمَا. هَذَا الَّذِي نَعْرِفُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ»^(٣).

٤٩ - أَبُو مُسْلِمٍ الْكَجِّيُّ الْحَافِظُ (٢٩٢هـ)

قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ الْكَجِّيُّ: خَرَجْتُ فَإِذَا الْحَمَّامُ قَدْ فُتِحَ سَحَرًا، فَقُلْتُ لِلْحَمَّامِيِّ: أَدْخَلَ أَحَدًا؟ قَالَ: لَا، فَدَخَلْتُ، فَسَاعَةً فَتَحْتُ الْبَابَ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَبُو مُسْلِمٍ! أَسْلِمَ تَسْلَمَ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

لَكَ الْحَمْدُ إِمَّا عَلَى نِعْمَةٍ وَإِمَّا عَلَى نِقْمَةٍ تُدْفَعُ
تَشَاءُ فَتَفْعَلْ مَا شِئْتَهُ وَتَسْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَا نَسْمَعُ
قَالَ: فَبَادَرْتُ وَخَرَجْتُ وَأَنَا جَزَعٌ، فَقُلْتُ لِلْحَمَّامِيِّ: أَلَيْسَ رَعِمْتَ أَنَّ

(١) «السَّيْر» (١٣/٣٢٥).

(٢) «السَّيْر» (١٣/٣٢٢).

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/٤٤٣).

لَيْسَ فِي الْحَمَامِ أَحَدٌ؟

قَالَ: ذَاكَ جَنِّي يَتَرَايَا لَنَا فِي كُلِّ حِينٍ يُنْشِدُنَا، فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شِعْرِهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ وَأَنْشِدْنِي:

أَيُّهَا الْمُذْنِبُ الْمُفْرَطُ مَهْلًا كَمْ تَمَادَى وَتَكَسَّبُ الذَّنْبَ جَهْلًا
كَمْ وَكَمْ تُسْخِطُ الْجَلِيلَ بِفِعْلِ سَمَجٍ وَهُوَ يُحْسِنُ الصَّنْعَ فِعْلًا
كَيْفَ تَهْدَا جُفُونُ مَنْ لَيْسَ يَدْرِي أَرْضِي عَنْهُ مَنْ عَلَى الْعَرْشِ أَمْ لَا^(١)

٥٠ - عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْمَكِّي (٢٩٧هـ)

صَنَّفَ كِتَابًا سَمَّاهُ «التَّعَرُّفُ بِأَحْوَالِ الْعِبَادِ وَالْمُتَعَبِّدِينَ» قَالَ: «بَابُ مَا يَجِيءُ بِهِ الشَّيْطَانُ لِلتَّائِبِينَ» وَذَكَرَ أَنَّهُ يَدْفَعُهُمْ فِي الْقُنُوطِ، ثُمَّ فِي الْغُرُورِ وَطُولِ الْأَمَدِ، ثُمَّ فِي التَّوْحِيدِ. فَقَالَ: «مِنْ أَعْظَمَ مَا يُوسْوِسُ فِي «التَّوْحِيدِ» بِالتَّشْكُلِ أَوْ فِي صِفَاتِ الرَّبِّ بِالتَّمَثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ، أَوْ بِالْجُحُودِ لَهَا وَالتَّعْطِيلِ. فَلَا تَذْهَبُ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ، لَا مُعْطَلًا وَلَا مُشَبَّهًا، وَارْضَ لِلَّهِ بِمَا رَضِيَ بِهِ لِنَفْسِهِ، وَقِفْ عِنْدَ خَبَرِهِ لِنَفْسِهِ مُسْلِمًا، مُسْتَسْلِمًا، مُصَدِّقًا، بِلَا مُبَاحَثَةٍ التَّنْفِيرِ، وَلَا مُنَاسَبَةِ التَّنْقِيرِ.

فَهُوَ ﷻ الْمُسْتَوِي عَلَى عَرْشِهِ بِعَظَمَةِ جَلَالِهِ، فَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ - ﷻ -، النَّازِلُ كُلُّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، لِيَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ خَلْقُهُ بِالْعِبَادَةِ، وَلِيَرْغَبُوا إِلَيْهِ بِالْوَسِيلَةِ.

إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. الْقَائِلُ: ﴿أَمِئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَعُورُ﴾ (١١) أَمْ أَمِئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) [الملك: ١٦، ١٧].

(١) «العلو» (ص ١٢٠)، وصحح إسناده الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مختصر العلو» (ص ٢٢٢).

== ﴿الْعَالَمِينَ﴾ فِي سَبْعِينَ مِائَةً أَلْفًا مِائَةً مِائَةً ==

تَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ، كَمَا هُوَ فِي السَّمَاءِ، جَلَّ عَنْ ذَلِكَ
عُلُوًّا كَبِيرًا^(١).

٥١ - ابن أبي شَيْبَةَ (٢٩٧هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ذَكِّرُوا أَنَّ الْجَهْمِيَّةَ يَقُولُونَ: أَنْ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ ﷻ وَبَيْنَ خَلْقِهِ
حِجَابٌ، وَأَنْكَرُوا الْعَرْشَ، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ فَوْقَهُ وَفَوْقَ السَّمَاوَاتِ،
وَقَالُوا: إِنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ...

وَقَدْ عَلِمَ الْعَالِمُونَ، أَنَّ اللَّهَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ، قَدْ كَانَ مُتَخَلِّصًا مِنْ
خَلْقِهِ، بَائِنًا مِنْهُمْ، فَكَيْفَ دَخَلَ فِيهِمْ؟! ﷻ أَنْ يُوصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، بَلْ هُوَ
فَوْقَ الْعَرْشِ كَمَا قَالَ، مُحِيطٌ بِالْعَرْشِ، مُتَخَلِّصٌ مِنْ خَلْقِهِ بَيْنَ مِنْهُمْ، عِلْمُهُ
فِي خَلْقِهِ، لَا يَخْرُجُونَ مِنْ عِلْمِهِ...

قَالَ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ
نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ
مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، وَقَالَ: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ
مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فَفَسَّرَ الْعُلَمَاءُ قَوْلَهُ:
﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]؛ يَعْنِي: عِلْمُهُ، وَقَالَ ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾
﴿٥﴾ [طه: ٥]، فَاللَّهُ تَعَالَى اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، يَرَى كُلَّ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِينَ، وَيَعْلَمُ وَيَسْمَعُ كُلَّ ذَلِكَ بَعِينِهِ، وَهُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ، يَرَى وَيَسْمَعُ مَا
فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، وَلَكِنَّهُ خَلَقَ الْعَرْشَ كَمَا خَلَقَ الْخَلْقَ لَمَّا شَاءَ، وَكَيْفَ
شَاءَ، وَمَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَظَمَتُهُ، فَقَالَ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ

إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ [السَّجْدَةُ: ٥]، وَقَالَ ﷺ:
 ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَالَ ﷺ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ
 إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥]، وَقَالَ: ﴿... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا
 ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨]. وَأَجْمَعَ الْخَلْقُ جَمِيعًا أَنَّهُمْ إِذَا
 دَعَوْا اللَّهَ جَمِيعًا، رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَوْ كَانَ اللَّهُ ﷻ فِي الْأَرْضِ
 السُّفْلَى، مَا كَانُوا يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَهُمْ فِي الْأَرْضِ.
 ثُمَّ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْعَرْشَ، فَاسْتَوَى عَلَيْهِ بِذَاتِهِ...
 فَهُوَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ وَفَوْقَ الْعَرْشِ بِذَاتِهِ، مُتَخَلِّصًا مِنْ خَلْقِهِ، بَائِنًا مِنْهُمْ،
 عِلْمُهُ فِي خَلْقِهِ، لَا يَخْرُجُونَ مِنْ عِلْمِهِ^(١).

٥٢- زَكْرِيَّا السَّاجِي (٣٠٧هـ)

قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ مُحَدِّثُ الْبَصْرَةِ السَّاجِي: «الْقَوْلُ فِي السُّنَّةِ الَّتِي
 رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَهْلَ الْحَدِيثِ الَّذِينَ لَقِيتُهُمْ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ فِي سَمَائِهِ،
 يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ شَاءَ - وَذَكَرَ سَائِرَ الْإِعْتِقَادِ -»^(٢).

٥٣- مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ (٣١٠هـ)

قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَحَسْبُ امْرِئٍ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ رَبَّهُ هُوَ الَّذِي عَلَى الْعَرْشِ
 اسْتَوَى، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمَا تَحْتَ الثَّرَى؛ فَمَنْ تَجَاوَزَ
 ذَلِكَ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، وَضَلَّ وَهَلَكَ»^(٣).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُوثُ مِنْ تَجَوَّى ثَلَاثَةَ إِلَّا هُوَ
 رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]: «وَعَنَى بِقَوْلِهِ: ﴿هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، بِمَعْنَى أَنَّهُ

(٢) «تذكرة الحفاظ» (ص ٧١٠).

(١) كتاب «العرش» (ص ٤٩ - ٥١).

(٣) «صريح السُّنَّة» (ص ٢٦ - ٢٧).

مُشَاهِدُهُمْ بِعِلْمِهِ، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ»^(١).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، يَقُولُ: «وَهُوَ شَاهِدٌ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَيْنَمَا كُنْتُمْ يَعْلَمُكُمْ، وَيَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ، وَمُتَقَلِّبُكُمْ وَمُتَوَاكُم، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ السَّبْعِ»^(٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأُولَى الْمَعَانِي يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩]؛ عَلَا عَلَيْهِنَّ وَارْتَفَعَ، فَدَبَّرَهُنَّ بِقُدْرَتِهِ، وَخَلَقَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ»^(٣).

٥٤ - ابْنُ الْأَخْزَمِ (٣١١هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِالْذُّنُوبِ وَالْآخِرَةِ»^(٤).

٥٥ - إِمَامُ الْأَنْبِيَةِ ابْنُ خُرَيْمَةَ (٣١١هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ لَمْ يَقْرَبِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ، قَدْ اسْتَوَى فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، فَهُوَ كَافِرٌ بِرَبِّهِ، يُسْتَتَابُ؛ فَإِنْ تَابَ، وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَأُلْقِيَ عَلَى بَعْضِ الْمَزَابِلِ، حَيْثُ لَا يَتَأَذَى الْمُسْلِمُونَ وَالْمُعَاهِدُونَ بِنَتْنِ رِيحِ جَنَفَتِهِ، وَكَانَ مَالُهُ فَيْنَا لَا يَرِثُهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ إِذِ (الْمُسْلِمُ لَا يَرِثُ الْكَافِرَ)، كَمَا قَالَ ﷺ»^(٥).

٥٦ - نَفْطَوْنِيهِ شَيْخُ الْعَرَبِيَّةِ (٣٢٣هـ)

صَنَّفَ الْإِمَامُ النَّحْوِيُّ نَفْطَوْنِيهِ كِتَابًا فِي «الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ»، وَذَكَرَ فِيهِ أَشْيَاءَ مِنْهَا: قَوْلُ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي مَضَى، ثُمَّ قَالَ: وَسَمِعْتُ دَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ: كَانَ

(١) «جامع البيان» (١٢/٢٨) [طبعة دار الفكر، بيروت].

(٢) «جامع البيان» (٢٧/٢١٦). (٣) «جامع البيان» (١/١٩٢).

(٤) «تذكرة الحفاظ» (ص ٧٤٧).

(٥) «معرفة علوم الحديث» (ص ٨٤) للحاكم النيسابوري، وصححه شيخ الإسلام في «الحموية». والحديث المذكور: رواه البخاري (٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤) عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

المريسي - لا رحمه الله - يقول: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَسْفَلَ. قَالَ: وَهَذَا جَهْلٌ مِنْ قَائِلِهِ، وَرَدُّ لِنَصِّ كِتَابِ اللَّهِ إِذْ يَقُولُ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] ^(١).

٥٧ - أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ (٣٢٤هـ)

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ «الْإِبَانَةِ فِي أَصُولِ الدِّيَانَةِ» فِي بَابِ الْإِسْتِوَاءِ: إِنَّ قَالَ قَائِلٌ: «مَا تَقُولُونَ فِي الْإِسْتِوَاءِ؟ قِيلَ لَهُ: نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَالَ: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُدَبِّرُ الْأُمُورَ السَّمَاءُ إِلَى الْأَرْضِ مُرْتَعِدًا إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وَقَالَ حِكَايَةً عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿... يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابِ﴾ [٢١] أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧]؛ كَذَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، فَالسَّمَاوَاتُ فَوْقَهَا الْعَرْشُ. فَلَمَّا كَانَ الْعَرْشُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ قَالَ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]؛ لِأَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَكُلُّ مَا عَلَا فَهُوَ سَمَاءٌ. فَالْعَرْشُ أَعْلَى السَّمَاوَاتِ، وَلَيْسَ إِذَا قَالَ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]؛ يَعْنِي: جَمِيعَ السَّمَاوَاتِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْعَرْشَ الَّذِي هُوَ أَعْلَى السَّمَاوَاتِ. أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرَ السَّمَاوَاتِ، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِي تَوَارٍ﴾ [نوح: ١٦]، وَلَمْ يَرِدْ أَنَّ الْقَمَرَ يَمْلَأُ مِنْ جَمِيعًا، وَأَنَّهُ فِيهِنَّ جَمِيعًا.

وَقَدْ قَالَ قَائِلُونَ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْحَرُورِيَّةِ: إِنَّ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]، إِنَّهُ اسْتَوَى وَمَلَكَ وَقَهَرَ، وَإِنَّهُ ﷻ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَجَحَدُوا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ ﷻ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْحَقِّ، وَذَهَبُوا فِي «الِاسْتِوَاءِ» إِلَى الْقُدْرَةِ، وَلَوْ كَانَ هَذَا كَمَا ذَكَرُوهُ، كَانَ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْعَرْشِ وَالْأَرْضِ، فَاللَّهُ ﷻ قَادِرٌ عَلَيْهَا، وَعَلَى الْحُشُوشِ، وَعَلَى كُلِّ مَا فِي الْعَالَمِ. فَلَوْ كَانَ اللَّهُ مُسْتَوِيًا عَلَى الْعَرْشِ بِمَعْنَى الْإِسْتِيْلَاءِ - وَهُوَ ﷻ مُسْتَوٍ عَلَى الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا -، لَكَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى الْعَرْشِ، وَعَلَى الْأَرْضِ، وَعَلَى السَّمَاءِ وَعَلَى الْحُشُوشِ وَالْأَقْدَارِ؛ لِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الْأَشْيَاءِ مُسْتَوٍ عَلَيْهَا، وَإِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَى الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا - وَلَمْ يَجْزْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ مُسْتَوٍ عَلَى الْحُشُوشِ وَالْأَخْلِيَّةِ -، لَمْ يَجْزْ أَنْ يَكُونَ الْإِسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ الْإِسْتِيْلَاءُ الَّذِي هُوَ عَامٌّ فِي الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ اسْتِوَاءٌ يَخْتَصُّ الْعَرْشَ دُونَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا^(١).

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَوْ انْتَهَى أَصْحَابُنَا الْمُتَكَلِّمُونَ إِلَى مَقَالَةِ أَبِي الْحَسَنِ هَذِهِ وَلَزِمُوهَا لِأَحْسَنُوا، وَلَكِنَّهُمْ خَاضُوا كَخَوْضِ حُكَمَاءِ الْأَوَائِلِ فِي الْأَشْيَاءِ، وَمَشَوْا خَلْفَ الْمَنْطِقِ، فَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(٢).

٥٨ - الْبَزْهَارِيُّ (٣٢٩هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ: أَنَّ الْكَلَامَ فِي الرَّبِّ تَعَالَى مُحَدَّثٌ، وَهُوَ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ، وَلَا يُتَكَلَّمُ فِي الرَّبِّ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ، وَمَا بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ، فَهُوَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَاحِدٌ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

رَبُّنَا أَوَّلُ بِلَا مَتَى، وَآخِرُ بِلَا مُنْتَهَى، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ

اسْتَوَى، وَعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَلَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ»^(١).

٥٩ - الْوَزِيرُ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى (٣٣٤هـ)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حُبَيْشٍ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الشَّيْلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ دَارَ الْمَرَضَى لِيُعَالَجَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْوَزِيرُ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى عَائِداً، فَقَالَ الشَّيْلِيُّ: مَا فَعَلَ رَبُّكَ؟ قَالَ: «الرَّبُّ يَزِيدُنِي فِي السَّمَاءِ، يَقْضِي وَيُمْضِي»^(٢).

٦٠ - الْعَلَّامَةُ أَبُو بَكْرٍ الصَّنِغِيُّ (نِسْبَةُ إِلَى الصَّنِغِ) (٣٤٢هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ تَضَعُ الْعَرَبُ «فِي» مَوْضِعَ «عَلَى»، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]، وَقَالَ: ﴿وَلَأَصْلِبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]؛ وَمَعْنَاهُ: عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى النَّخْلِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]؛ أَيُّ: مَنْ عَلَى الْعَرْشِ، كَمَا صَحَّتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٣).

٦١ - ابْنُ شُعْبَانَ (٣٥٥هـ)

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رَأَيْتُ لَهُ»^(٤) تَأْلِيْفًا فِي تَسْمِيَةِ الرُّوَاةِ عَنْ مَالِكٍ، أَوَّلُهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَمِيدِ، ذِي الرُّشْدِ وَالتَّسْدِيدِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَحَقُّ مَا بُدِيَ، وَأَوَّلَى مَنْ شُكِرَ، الْوَاحِدِ الصَّمَدِ، جَلَّ عَنِ الْمِثْلِ، فَلَا شَبَهَ لَهُ وَلَا عَدَلَ، عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ، فَهُوَ دَانٍ بِعِلْمِهِ، وَذَكَرَ بَاقِيَ الْخُطْبَةِ»^(٥).

(١) «شرح السنة» (ص ٢٤)، للربھاري رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «العلو» (ص ١٢٥٨)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «مختصر العلو» (ص ٢٤٤).

(٣) «العلو» (ص ١٢٦٤).

(٤) أي: العلامة ابن شعبان، أبو إسحاق شيخ المالكية، محمد بن القاسم بن شعبان بن محمد بن ربيعة العماري المصري، من ولد عمّار بن ياسر.

(٥) «السّير» (٧٩/١٦).

٦٢ - الإمام أبو بكر الأجزري (٣٦٠هـ)

صَنَّفَ الْحَافِظُ الرَّاهِدُ الْأَجْرِيُّ الْمُجَاوِرُ بِحَرَمِ اللَّهِ كِتَابَ «الشَّرِيعَةِ»،
فَمِنْ أَبْوَابِهِ: «بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ مَذَاهِبِ الْحُلُولِيَّةِ»^(١)، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي
أُحَذِّرُ إِخْوَانِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَذَهَبَ الْحُلُولِيَّةِ: الَّذِينَ لَعِبَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ،
فَخَرَجُوا بِسُوءِ مَذَهَبِهِمْ عَنْ طَرِيقِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

مَذَاهِبُهُمْ قَبِيحَةٌ، لَا تَكُونُ إِلَّا فِي كُلِّ مَفْتُونٍ هَالِكٍ، زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ ﷻ
حَالٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى أَخْرَجَهُمْ سُوءُ مَذَهَبِهِمْ إِلَى أَنْ تَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ ﷻ،
بِمَا يُنْكِرُهُ الْعُلَمَاءُ الْعُقَلَاءُ.

لَا يُوَافِقُ قَوْلَهُمْ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ، وَلَا قَوْلُ الصَّحَابَةِ، وَلَا قَوْلُ
أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنِّي لَأَسْتَوْحِشُ أَنْ أَذْكَرَ قَبِيحَ أَفْعَالِهِمْ، تَنْزِيهَا مِنِّي
لِجَلَالِ اللَّهِ ﷻ وَعَظَمَتِهِ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: إِنَّا لَنَسْتَطِيعُ
أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ.
ثُمَّ إِنَّهُمْ إِذَا أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ سُوءَ مَذَهَبِهِمْ، قَالُوا: لَنَا حُجَّةٌ مِنْ
كِتَابِ اللَّهِ ﷻ.

فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَا الْحُجَّةُ؟!

قَالُوا: قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَا يَكُوثُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا
خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة:
٧]، وَبِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ: - ﴿وَهُوَ
مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٣، ٤].

فَلَبَسُوا عَلَى السَّامِعِ مِنْهُمْ بِمَا تَأَوَّلُوهُ، وَفَسَّرُوا الْقُرْآنَ عَلَى مَا تَهَوَّى

(١) «الشريعة» (٣/ ١٠٧٢) [طبعة دار الوطن للنشر - الرياض]، تحقيق: الدكتور عبد الله الدميحي.

نُفُوسُهُمْ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا. فَمَنْ سَمِعَهُمْ مِمَّنْ جَهَلَ الْعِلْمَ، ظَنَّ أَنَّ الْقَوْلَ كَمَا قَالُوهُ، وَلَيْسَ هُوَ كَمَا تَأَوَّلُوهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَالَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَآوَاتِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، قَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَبِجَمِيعِ مَا فِي سَبْعِ أَرَاضِينَ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمَا تَحْتَ الثَّرَى، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، وَيَعْلَمُ الْخَطَرَةَ وَالْهَمَّةَ، وَيَعْلَمُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ النُّفُوسُ. يَسْمَعُ وَيَرَى، لَا يَعْزُبُ عَنِ اللَّهِ ﷻ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَمَا بَيْنَهُنَّ، إِلَّا وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِهِ، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ ﷻ الْأَعْلَى، تُرْفَعُ إِلَيْهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، الَّذِينَ يَرْفَعُونَهَا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَيْشٍ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] الْآيَةِ، الَّتِي بِهَا يَحْتَجُّونَ؟

قِيلَ لَهُ: عِلْمُهُ ﷻ، وَاللَّهُ ﷻ عَلَى عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِهِمْ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، كَذَا فَسَّرَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَالْآيَةُ يُدُلُّ أَوَّلُهَا وَآخِرُهَا عَلَى أَنَّهُ الْعِلْمُ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ؟!

قِيلَ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

فَابْتَدَأَ اللَّهُ ﷻ الْآيَةَ بِالْعِلْمِ، وَخَتَمَهَا بِالْعِلْمِ، فَعِلْمُهُ ﷻ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ، وَهَذَا قَوْلُ الْمُسْلِمِينَ^(١).

«وَفِي كِتَابِ اللَّهِ يُرِيدُ آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ عَلَى عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ»^(١).

ثُمَّ ذَكَرَ آيَاتٍ دَالَّةً عَلَى الْعُلُوِّ، وَذَكَرَ جُمْلَةً مِنَ الْأَحَادِيثِ، إِلَى أَنْ قَالَ: «فَهَذِهِ السُّنَنُ قَدْ اتَّفَقَتْ مَعَانِيهَا، وَيُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَكُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، عَلِيمٌ خَبِيرٌ.

وَقَدْ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

وَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ أَنْ يَقُولُوا فِي السُّجُودِ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى» ثَلَاثًا. وَهَذَا كُلُّهُ يُقَوِّي مَا قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، عَلَى عَرْشِهِ، فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، خِلَافَ مَا قَالَتْهُ الْحُلُولِيَّةُ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ مَذْهَبِهِمْ»^(٢).

«وَمِمَّا يُلَبِّسُونَ بِهِ عَلَى مَنْ لَا عِلْمَ مَعَهُ، اخْتَجَبُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ [الزخرف: ٨٤].

وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَطْلُبُونَ بِهِ الْفِتْنَةَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

وَعِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣]، فَهُوَ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِمَّا جَاءَتْ بِهِ السُّنَنُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، يَعْلَمُ

(١) «الشرعية» (٣/ ١٠٧٩).

(٢) «الشرعية» (٣/ ١٠٩٥ - ١٠٩٦) (ملخصًا).

مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ.
 وَقَوْلُهُ : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤]؛
 فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ إِلَهٌُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَهٌُ مَنْ فِي الْأَرْضِ، إِلَهٌُ يُعْبَدُ
 فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَهٌُ يُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ، هَكَذَا فَسَّرَهُ الْعُلَمَاءُ^(١).

٦٣ - الحافظ أبو الشيخ (٣٦٩هـ)

قَالَ مُحَدِّثٌ أَصْبَهَانِي أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَيَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ:
 «ذِكْرُ عَرْشِ الرَّبِّ  وَكُرْسِيِّهِ، وَعِظَمُ خَلْقِهِمَا، وَعُلُوُّ الرَّبِّ فَوْقَ عَرْشِهِ»^(٢).
 ثُمَّ سَأَلَ جُمْلَةً مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي ذَلِكَ.

٦٤ - العلامة أبو بكر الإسماعيلي (٣٧١هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:
 «وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى... اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، بِلَا كَيْفٍ. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
 انْتَهَى مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَلَمْ يَذْكُرْ كَيْفَ كَانَ اسْتِوَاؤُهُ»^(٣).

٦٥ - أبو الحسن بن مهدي المتكلم (٣٨٠هـ)

قَالَ فِي كِتَابِ «مُشْكِلِ الْآيَاتِ» لَهُ فِي بَابِ قَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
 اسْتَوَى  [طه: ٥]:

«اعْلَمْ - عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الزَّيْغِ بِرَحْمَتِهِ - أَنَّ اللَّهَ  فِي السَّمَاءِ
 فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ عَالٍ عَلَيْهِ، وَمَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ:
 الْإِعْتِلَاءُ، كَمَا تَقُولُ: اسْتَوَيْتُ عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ، وَاسْتَوَيْتُ عَلَى السَّطْحِ؛

(٢) كتاب «العظمة» (٢/ ٥٤٣).

(١) «الشریعة» (٣/ ١١٠٣ - ١١٠٤).

(٣) «اعتقاد أئمة الحديث» (ص ٥٠).

يَعْنِي: عُلُوُّهُ، وَاسْتَوَتْ الشَّمْسُ عَلَى رَأْسِي، وَاسْتَوَى الطَّيْرُ عَلَى قِمَّةِ رَأْسِي، بِمَعْنَى: عَلَا فِي الْجَوِّ، فَوُجِدَ فَوْقَ رَأْسِي.

وَالْقَدِيمُ، عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ، يَدُلُّكَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ، قَوْلُهُ: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَىٰ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]. وَزَعَمَ الْبَلَخِيُّ: أَنَّ اسْتِوَاءَ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ، هُوَ الْإِسْتِيْلَاءُ عَلَيْهِ، مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: اسْتَوَى بِشَرٍّ عَلَى الْعِرَاقِ؛ أَي: اسْتَوْلَى عَلَيْهَا.

قَالَ: مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِسْتِوَاءَ - هَاهُنَا - لَيْسَ بِالْإِسْتِيْلَاءِ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي أَنْ يَخُصَّ الْعَرْشُ بِالْإِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهِ، دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ، إِذْ هُوَ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ، وَعَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ، لَيْسَ لِلْعَرْشِ مَزِيَّةٌ عَلَى مَا وَصَفْتُهُ، فَبَانَ بِذَلِكَ فَسَادُ قَوْلِهِ.

ثُمَّ يُقَالُ لَهُ أَيْضًا: إِنَّ الْإِسْتِوَاءَ، لَيْسَ هُوَ الْإِسْتِيْلَاءُ، الَّذِي هُوَ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: اسْتَوَى فُلَانٌ عَلَى كَذَا؛ أَي: اسْتَوْلَى، إِذْ تَمَكَّنَ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَمَكِّنًا، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِي ﷻ لَا يُوصَفُ بِالتَّمَكُّنِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَمَكِّنًا، لَمْ يُصَرَفْ مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ إِلَى الْإِسْتِيْلَاءِ.

ثُمَّ قَالَ: فَإِنْ قِيلَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]؟ قِيلَ لَهُ: مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، كَمَا قَالَ: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]، بِمَعْنَى: عَلَى الْأَرْضِ، وَقَالَ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]؛ يَعْنِي: عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، بِمَعْنَى: فَوْقَ السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ.

فَإِنْ اسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِمْ عَلَى أَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي

فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ ﴿ [الزخرف: ٨٤]، قِيلَ لَهُ: لَيْسَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا سَبَقَ إِلَى قُلُوبِكُمْ، إِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّهُ إِلَهُ عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَإِلَهُ عِنْدَ أَهْلِ السَّمَاءِ؛ كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ نَبِيلٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَعِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَلَيْسَ يُوجِبُ هَذَا أَنَّ ذَاتَهُ بِالْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]؟

قِيلَ لَهُ: إِنْ بَعْضُ الْقُرَاءِ يَجْعَلُ الْوَقْفَ فِي ﴿السَّمَوَاتِ﴾ [الأنعام: ٣]، ثُمَّ يَتَدَيَّ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ﴾ [الأنعام: ٣]، وَكَيْفَمَا كَانَ، فَلَوْ أَنَّ قَائِلًا قَالَ: فَلَانَ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ مَلِكٌ، لَدَلَّ عَلَى أَنَّ مُلْكَهُ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ، لَا أَنَّ ذَاتَهُ فِيهِمَا. فَإِنْ قِيلَ: فَمَا يَقُولُ فِي قَوْلِهِ ﴿سَبَّحْتَ﴾: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةَ إِلهٍ وَرَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلهٍ وَسَادِسُهُمْ وَلَا أَتَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلهٍ وَمَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]؟

قِيلَ لَهُ: كَوْنُ الشَّيْءِ مَعَ الشَّيْءِ عَلَى وُجُوهِ: مِنْهَا: بِالنُّصْرَةِ، وَمِنْهَا: بِالصُّحْبَةِ، وَمِنْهَا: بِالْمُمَاسَّةِ، وَمِنْهَا: بِالْعِلْمِ. فَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ عِنْدَنَا: أَنَّهُ مَعَ كُلِّ الْخَلْقِ بِالْعِلْمِ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ﴿سَبَّحْتَ﴾... وَإِنَّمَا أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِرَفْعِ أَيْدِينَا، قَاصِدِينَ إِلَيْهِ بِرَفْعِهِمَا نَحْوَ الْعَرْشِ الَّذِي هُوَ مُسْتَوٍ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ^(١).

٦٦ - ابْنُ بَطَّة (٥٣٨٧هـ)

قَالَ الْإِمَامُ الزَّاهِدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَطَّةَ الْعُكْبَرِيُّ شَيْخُ الْحَنَابِلَةِ:
«بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ ^{سُبْحَانَهُ} عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ

(١) «تأويل الآيات المشككة»، ورقة ١٣٢/أ - ١٣٥/أ (مخطوط في مكتبة طلعت، ضمن دار الكتب في القاهرة).

بِجَمِيعِ خَلْقِهِ. أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَجَمِيعِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ عَلَى عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، لَا يَأْبَى ذَلِكَ، وَلَا يُنْكِرُهُ إِلَّا مَنْ انْتَحَلَ مَذَاهِبَ الْحُلُولِيَّةِ: وَهُمْ قَوْمٌ زَاغَتْ قُلُوبُهُمْ، وَاسْتَهْوَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَمَرَقُوا مِنَ الدِّينِ.

وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ ذَاتُهُ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ.

فَقَالُوا: إِنَّهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا هُوَ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ بِذَاتِهِ حَالٌ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ. وَقَدْ أَكْذَبَهُمُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ وَأَقَاوِيلُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ. فَقِيلَ لِلْحُلُولِيَّةِ: لِمَ أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ؟

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]. وَقَالَ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

فَهَذَا خَبَرُ اللَّهِ أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ.

وَقَالَ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الأنعام: ٣]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ يُعَلِّمُ﴾ [الأنعام: ٣]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّهُ يَعْلِمُهُ فِي الْأَرْضِ.

وَقَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، فَهَلْ يَكُونُ الصُّعُودُ إِلَّا إِلَى مَا عَلَا؟!

وَقَالَ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١﴾ [الأعلى: ١]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَعْلَى مِنْ خَلْقِهِ.

وَقَالَ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فَوْقَ الْمَلَائِكَةِ.

وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ.

أَوْ مَا سَمِعَ الْحُلُولِيُّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ﴿١١﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعَامُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ [الملك: ١٦، ١٧]. وَقَوْلُهُ لِعِيسَى ﷺ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ

إِلَى ﴿[آل عمران: ٥٥]. وَقَالَ: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. وَقَالَ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨ و ٦١]. وَقَالَ: ﴿مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ﴿٢﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣، ٤]. وَقَالَ: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]. وَقَالَ: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ [غافر: ١٥]؟! وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فَهُوَ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: عِلْمُهُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، كَمَا قَالَ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ﴾ [الأنعام: ٣]، وَمَعْنَاهُ أَيْضًا: أَنَّهُ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ، وَهُوَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ.

وَتَصَدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤].

وَاحْتِجَّ الْجَهْمِيُّ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧].

فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا وَفِينَا.

وَقَدْ فَسَّرَ الْعُلَمَاءُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ [المجادلة: ٧] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ: عِلْمُهُ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، فَرَجَعَتِ الْهَاءُ وَالْوَاوُ مَنْ هُوَ عَلَى عِلْمِهِ، لَا عَلَى ذَاتِهِ. ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ الْآيَةِ: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، فَعَادَ الْوَصْفُ إِلَى الْعِلْمِ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ

إِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ الْعِلْمَ، وَأَنَّهُ عَلِيمٌ بِأُمُورِهِمْ كُلِّهَا^(١).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بَابُ ذِكْرِ الْعَرْشِ وَالْإِيمَانِ بِأَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عَرْشًا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ.

اعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ -: أَنَّ الْجَهَنَّمَ تَجَحَّدُ أَنَّ لِلَّهِ عَرْشًا، وَقَالُوا: لَا نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ مِنَ الْعَرْشِ، وَمَتَى اعْتَرَفْنَا أَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ؛ فَقَدْ حَدَدْنَاهُ، وَقَدْ خَلَتْ مِنْهُ أَمَاكِنُ كَثِيرَةٌ غَيْرُ الْعَرْشِ؛ فَرَدُّوا نَصَّ التَّنْزِيلِ، وَكَذَّبُوا أَخْبَارَ الرَّسُولِ ﷺ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وَقَالَ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]. وَقَالَ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧].

وَجَاءَتِ الْأَخْبَارُ، وَصَحِيحُ الْأَثَارِ مِنْ جِهَةِ النُّقْلِ عَنْ أَهْلِ الْعَدَالَةِ، وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْمُصْطَفَى ﷺ، مِنْ ذِكْرِ الْعَرْشِ مَا لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا الْمُلْحِدَةُ الضَّالَّةُ^(٢).

٦٧ - ابن أبي زيد (٢٨٦هـ)

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْمَغْرِبِيُّ، شَيْخُ الْمَالِكِيَّةِ فِي كِتَابِهِ «الْجَامِعُ»:

«مِمَّا اجْتَمَعَتِ الْأَئِمَّةُ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدِّيَانَةِ، وَمِنْ السُّنَنِ الَّتِي خِلَافُهَا بَدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ - فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ دُونَ أَرْضِهِ، وَأَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ»^(٣).

(١) راجع: «المختار من الإبانة» (٣/ ١٣٦ - ١٤٤).

(٢) المصدر السابق (ص ١٦٨).

(٣) كتاب «الجامع» (ص ١٣٩ - ١٤١).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَوَّلِ رِسَالَتِهِ الْمَشْهُورَةِ فِي مَذَهَبِ مَالِكِ الْإِمَامِ:

«وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ»^(١).

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا: ... وَاللَّهُ تَعَالَى خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ بِذَاتِهِ، وَمُدَبِّرُ الْخَلَائِقِ بِذَاتِهِ، بِلَا مُعِينٍ، وَلَا مُؤَاوِزٍ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ وَغَيْرُهُ التَّفْرِقَةَ بَيْنَ كَوْنِهِ تَعَالَى مَعْنًا، وَبَيْنَ كَوْنِهِ تَعَالَى فَوْقَ الْعَرْشِ، فَهُوَ كَمَا قَالَ: وَمَعْنًا بِالْعِلْمِ، وَأَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ كَمَا أَعْلَمْنَا حَيْثُ يَقُولُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) ﴿طه: ٥﴾، وَقَدْ تَلَفَّظَ بِالْكَلِمَةِ الْمَذْكُورَةِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ^(٢).

وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ فِي الْأُصُولِ، لَا يَدْرِي الْكَلَامَ، وَلَا يَتَأَوَّلُ، فَسَأَلَ اللَّهَ التَّوْفِيقَ^(٣).

٦٨ - ابْنُ مِنْدَه (٣٩٥هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «كِتَابِ التَّوْحِيدِ»: «ذَكَرُ الْآيِ الْمَثْلُوءَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمَأْثُورَةِ فِي أَنَّ اللَّهَ ﷻ عَلَى الْعَرْشِ فَوْقَ خَلْقِهِ، بَائِنًا عَنْهُمْ، وَبَدِءَ خَلْقَ الْعَرْشِ وَالْمَاءِ، ثُمَّ ذَكَرَ ثَلَاثَ آيَاتٍ فِي اسْتِوَاءِ الرَّحْمَنِ عَلَى الْعَرْشِ»^(٤).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ذَكَرُ الْآيَاتِ الْمَثْلُوءَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمَأْثُورَةِ بِنَقْلِ الرُّوَاةِ الْمَقْبُولَةِ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ وَعَرْشِهِ وَخَلْقِهِ، قَاهِرًا لَهُمْ، عَالِمًا بِهِمْ. ثُمَّ ذَكَرَ آيَاتٍ دَالَّةً عَلَى الْعُلُوِّ. وَسَاقَ جُمْلَةً مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي ذَلِكَ^(٥).

٦٩ - ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ (٣٩٩هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ الْعَرْشَ وَاخْتَصَّهُ

(١) مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه «الرسالة» (ص ٥٦).

(٢) «مختصر العلو» (ص ٢٥٥).

(٣) «السَّير» (١٢/ ١٧).

(٤) «مختصر العلو» (ص ٢٥٥).

(٥) كتاب «التوحيد» (٣/ ١٨٥ - ١٩٠).

===== (الامام المصطفى ﷺ في بسايت عتبات الحجاز) =====

بِالْعُلُوِّ وَالْإِرْتِفَاعِ فَوْقَ جَمِيعِ مَا خَلَقَ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهِ كَيْفَ شَاءَ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ... فَسُبْحَانَ مَنْ بَعْدَ فَلَا يُرَى، وَقَرَّبَ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ فَسَمِعَ النَّجْوَى»^(١).

٧٠ - الْقَضَابُ (٤٠٠هـ)

قَالَ الْحَافِظُ الْإِمَامُ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُجَاهِدُ فِي «كِتَابِ السُّنَّةِ»: «كُلُّ صِفَةٍ وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهَا نَبِيُّهُ، فَهِيَ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ لَا مَجَازًا»^(٢).

٧١ - ابْنُ الْبَاقِلَانِيِّ (٤٠٣هـ)

قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ الْبَصْرِيُّ الْبَاقِلَانِيُّ فِي كِتَابِ «التَّمْهِيدِ» مِنْ تَأْلِيْفِهِ:

«فَإِنْ قَالُوا: فَهَلْ تَقُولُونَ: إِنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؟

قِيلَ: مَعَاذَ اللَّهِ! بَلْ هُوَ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ، كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وَقَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَالَ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ [الملك: ١٦]. وَلَوْ كَانَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَكَانَ فِي جَوْفِ الْإِنْسَانِ وَفَمِهِ وَفِي الْحُشُوشِ وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي يُرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهَا - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ! - وَلَوْ جَبَّ أَنْ يَزِيدَ بِزِيَادَةِ الْأَمَاكِينِ إِذَا خَلَقَ مِنْهَا مَا لَمْ يَكُنْ خَلْقُهُ، وَيَنْقُصُ بِنُقْصَانِهَا إِذَا بَطَلَ مِنْهَا مَا كَانَ؛ وَلَصَحَّ أَنْ يَرْغَبَ إِلَيْهِ إِلَى نَحْوِ الْأَرْضِ، وَإِلَى وَرَاءِ ظُهُورِنَا، وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَشَمَائِلِنَا. وَهَذَا مَا قَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى خِلَافِهِ وَتَخَطُّطِهِ قَائِلِهِ.

فَإِنْ قَالُوا: أَفَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ

(٢) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٣٣٨ - ٣٣٩).

(١) «أصول السنة» (ص ٨٨).

إِلَهُ ۖ [الزخرف: ٨٤] - فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ وَفِي الْأَرْضِ - ۖ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وَقَالَ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، وَقَالَ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، فِي نَظَائِرِ لِهَذِهِ الْآيَاتِ. فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؟!

يُقَالُ لَهُمْ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، الْمُرَادُ بِهِ: أَنَّهُ إِلَهٌ عِنْدَ أَهْلِ السَّمَاءِ وَإِلَهٌ عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: «فُلَانٌ نَبِيلٌ مُطَاعٌ بِالْعِرَاقِ وَنَبِيلٌ مُطَاعٌ بِالْحِجَازِ». يَعْنُونَ بِذَلِكَ: أَنَّهُ مُطَاعٌ فِي الْمِصْرَيْنِ وَعِنْدَ أَهْلِهِمَا، وَلَيْسَ يَعْنُونَ أَنَّ ذَاتَ الْمَذْكُورِ بِالْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ مَوْجُودَةٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]؛ يَعْنِي: بِالْحِفْظِ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ، وَلَمْ يُرْذَ أَنْ ذَاتَهُ مَعَهُمْ - تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ!

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، مَحْمُولٌ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]؛ يَعْنِي: أَنَّهُ عَالِمٌ بِهِمْ وَبِمَا خَفِيَ مِنْ سَرَائِرِهِمْ وَنَجْوَاهُمْ. وَهَذَا إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ كَمَا وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ. فَلِذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ - قِيَاسًا عَلَى هَذَا -: إِنَّ اللَّهَ سَبْعَانِيَّةٌ بِالْبَرَدَانِ وَبِمَدِينَةِ السَّلَامِ، وَإِنَّهُ تَعَالَى مَعَ الثَّوْرِ وَمَعَ الْحِمَارِ؛ وَلَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ مَعَ الْفُسَّاقِ وَالْمُجَانِّ وَمَعَ الْمُصْعِدِينَ إِلَى حُلْوَانَ، قِيَاسًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ التَّأْوِيلُ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى اسْتَوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ، هُوَ اسْتِيلَاؤُهُ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

قَدْ اسْتَوَى بِشُرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقٍ
لَأَنَّ الْإِسْتِيلَاءَ هُوَ الْقُدْرَةُ وَالْقَهْرُ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ قَادِرًا قَاهِرًا عَزِيزًا مُقْتَدِرًا. وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، يَقْتَضِي اسْتِفْتَاخَ هَذَا الْوَصْفِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَبَطَلَ مَا قَالُوهُ^(١).

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَهَذَا النَّفْسُ نَفْسُ هَذَا الْإِمَامِ، وَأَيْنَ مِثْلُهُ فِي تَبَحُّرِهِ وَذِكَايِهِ وَبَصَرِهِ بِالْمَلِكِ؟! فَلَقَدْ امْتَلَأَ الْوُجُودُ بِقَوْمٍ لَا يَدْرُونَ مَا السَّلَفُ؟! وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا السَّلْبَ، وَنَفَى الصِّفَاتِ وَرَدَّهَا، صُمُّ بُكْمٌ عُمٌّ عُجْمٌ، يَدْعُونَ إِلَى الْعَقْلِ، وَلَا يَكُونُونَ عَلَى النُّقْلِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»^(٢).

٧٢ - ابْنُ مَوْهَبٍ (٤٠٦هـ)

قَالَ الْعَلَّامَةُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَوْهَبٍ الْمَالِكِيُّ فِي شَرْحِهِ لِرِسَالَةِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ:

«أَمَّا قَوْلُهُ: (إِنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ) فَمَعْنَى (فَوْقَ) وَ(عَلَى) عِنْدَ جَمِيعِ الْعَرَبِ وَاحِدٌ. وَفِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَصْدِيقُ ذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَقَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وَقَالَ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وَسَاقَ حَدِيثَ الْجَارِيَةِ وَالْمِعْرَاجِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ، إِلَى أَنْ قَالَ: «وَقَدْ تَأْتِي لَفْظَةُ (فِي) فِي لُغَةِ الْعَرَبِ بِمَعْنَى فَوْقَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]، وَ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وَ﴿ءَاْمِنْتُمْ

(٢) «مختصر العلو» (ص ٢٥٩).

(١) «التمهيد» (ص ٢٦٠ - ٢٦٢).

مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴿[الملك: ١٦]﴾. قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: يُرِيدُ فَوْقَهَا، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ مِمَّا فَهَمَهُ عَمَّنْ أَدْرَكَ مِنَ التَّابِعِينَ، مِمَّا فَهَمُوهُ عَنِ الصَّحَابَةِ، مِمَّا فَهَمُوهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ؛ يَعْنِي: فَوْقَهَا وَعَلَيْهَا، فَلِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ: (إِنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ)؛ ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ عُلوَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، إِنَّمَا هُوَ بِذَاتِهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى بَائِنٌ عَنِ جَمِيعِ خَلْقِهِ بِلَا كَيْفٍ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ، لَا بِذَاتِهِ. إِذْ لَا تَحْوِيهِ الْأَمَاكِينُ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْهَا، قَدْ كَانَ وَلَا مَكَانَ.

ثُمَّ سَرَدَ كَلَامًا طَوِيلًا إِلَى أَنْ قَالَ: «فَلَمَّا أَيْقَنَ الْمُنْصِفُونَ إِفْرَادَ ذِكْرِهِ بِالِاسْتِوَاءِ عَلَى عَرْشِهِ بَعْدَ خَلْقِ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، وَتَخْصِيصِهِ بِصِفَةِ الْإِسْتِوَاءِ، عَلِمُوا أَنَّ الْإِسْتِوَاءَ هُنَا غَيْرُ الْإِسْتِيْلَاءِ وَنَحْوِهِ، فَأَقْرَأُوا بِوَصْفِهِ بِالِاسْتِوَاءِ عَلَى عَرْشِهِ، وَأَنَّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا عَلَى الْمَجَازِ؛ لِأَنَّهُ الصَّادِقُ فِي قَوْلِهِ، وَوَقَفُوا عَنْ تَكْيِيفِ ذَلِكَ وَتَمْثِيلِهِ، إِذْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^(١).

٧٣ - مَعْمَرُ بْنُ زِيَادٍ (هـ ٤١٨هـ)

قَالَ الْإِمَامُ الْعَارِفُ أَبُو مَنْصُورٍ مَعْمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ زِيَادٍ الْأَصْبَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَحْبَبْتُ أَنْ أُوصِيَ أَصْحَابِي بِوَصِيَّةٍ مِنَ السُّنَّةِ، وَأَجْمَعُ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّصَوُّفِ»، فَذَكَرَ أَشْيَاءَ إِلَى أَنْ قَالَ فِيهَا: «وَأَنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِلَا كَيْفٍ، وَلَا تَشْبِيهِ وَلَا تَأْوِيلٍ، وَالِاسْتِوَاءُ مَعْقُولٌ وَالْكَيْفُ فِيهِ مَجْهُولٌ، وَأَنَّهُ ﷻ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَالْخَلْقُ مِنْهُ بَائِنُونَ بِلَا حُلُولٍ وَلَا مُمَازَجَةٍ، وَلَا اخْتِلَاطٍ وَلَا مُلَاصَقَةٍ، وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كَيْفَ يَشَاءُ فَيَقُولُ: «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَاسْتَجِيبَ لَهُ؟ حَتَّى يَظْلُعَ الْفَجْرُ»، وَنُزُولُ الرَّبِّ إِلَى السَّمَاءِ بِلَا كَيْفٍ وَلَا تَشْبِيهِ، وَلَا تَأْوِيلٍ، فَمَنْ أَنْكَرَ

(١) «مختصر العلو» (ص ٢٨٢ - ٢٨٣).

النُّزُولَ أَوْ تَأَوَّلَ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ»^(١).

٧٤ - أَبُو الْقَاسِمِ اللَّالِكَايُ (٤١٨هـ)

قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ هِبَةُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الطَّبْرِيُّ الشَّافِعِيُّ مُصَنِّفُ كِتَابِ «شرح اعتقاد أهل السنة» وَهُوَ مُجَلَّدٌ ضَخْمٌ:

«سَيَاقُ مَا رُوي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]، وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ فِي السَّمَاءِ:

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وَقَالَ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ [الملك: ١٦].

وَقَالَ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَنَّهُ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ.

وَرُوي ذَلِكَ مِنَ الصَّحَابَةِ: عَنْ عُمَرَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

وَمِنَ التَّابِعِينَ: رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ، وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ. وَبِهِ قَالَ مِنَ الْفُقَهَاءِ: مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ^(٢).

٧٥ - السُّلْطَانُ (٤٢١هـ)

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ الْبَنَاءِ: «حَكَى عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْعُكْبَرِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا مَسْعُودٍ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْبَجَلِيَّ قَالَ: دَخَلَ ابْنُ فُورَكَ عَلَى السُّلْطَانِ

(١) «الفتوى الحموية» (ص ٣٧٧ - ٣٧٨).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٢٩ - ٤٣٠).

مَحْمُود^(١)، فَقَالَ: لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِالْفَوْقِيَّةِ، لِأَنَّهُ لَا زِمَ ذَلِكَ وَصْفُهُ
بِالتَّحْتِيَّةِ، فَمَنْ جَازَ أَنْ يَكُونَ لَهُ فَوْقٌ، جَازَ أَنْ يَكُونَ لَهُ تَحْتُ. فَقَالَ السُّلْطَانُ: مَا أَنَا
وَصَفْتُهُ حَتَّى يُلْزِمَنِي، بَلْ هُوَ وَصَفَ نَفْسَهُ. فَبُهِتَ ابْنُ فُورَكٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ
مَاتَ. فَيُقَالُ: انشَقَّتْ مَرَاتُهُ^(٢).

٧٦ - يَحْيَى بْنُ عَمَّارٍ (٤٢٢هـ)

قَالَ الْمُفَسِّرُ الْحَنْبَلِيُّ يَحْيَى بْنُ عَمَّارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُلُّ مُسْلِمٍ مِنْ أَوَّلِ الْعَصْرِ
إِلَى عَصْرِنَا هَذَا، إِذَا دَعَا اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ. وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ
عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، يَقُولُونَ فِي الصَّلَاةِ مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي
قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

وَلَا حَاجَةَ لِلَّهِ ﷻ إِلَى الْعَرْشِ، لَكِنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا مُحْتَاجِينَ إِلَى
مَعْرِفَةِ رَبِّهِمْ ﷻ. وَكُلُّ مَنْ عَبْدَ شَيْئًا أَشَارَ إِلَى مَوْضِعٍ، أَوْ ذَكَرَ مِنْ مَعْبُودِهِ
عَلَامَةً. فَجَبَّارُنَا وَخَالِقُنَا، إِنَّمَا خَلَقَ عَرْشَهُ لِيَقُولَ عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ، إِذَا سُئِلَ عَنْ
رَبِّهِ ﷻ: أَيْنَ هُوَ الرَّحْمَنُ؟ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى؛ مَعْنَاهُ: فَوْقَ كُلِّ مُحَدَّثٍ
عَلَى عَرْشِهِ الْعَظِيمِ، وَلَا كَيْفِيَّةَ وَلَا شَبَهَ.

وَلَا نَحْتَاجُ فِي هَذَا الْبَابِ إِلَى قَوْلٍ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ، وَنَنْفِي
الْكَيْفِيَّةَ عَنْهُ، وَنَتَّقِيَ الشَّكَّ فِيهِ، وَنُوقِنَ بِأَنَّ مَا قَالَهُ اللَّهُ ﷻ وَرَسُولُهُ ﷺ؛ وَلَا
نَتَفَكَّرُ فِي ذَلِكَ، وَلَا نُسَلِّطُ عَلَيْهِ الْوَهْمَ وَالْخَاطِرَ وَالْوَسْوَاسَ.
وَتَعَلَّمْ حَقًّا يَقِينًا أَنَّ كُلَّ مَا تُصَوِّرُ فِي هَمِّكَ وَوَهْمِكَ: مِنْ كَيْفِيَّةٍ أَوْ
تَشْبِيهِ، فَاللَّهُ بِخِلَافِهِ وَغَيْرِهِ.

(١) هو: الملك يمين الدولة، فاتح الهند، أبو القاسم، محمود ابن سيد الأمراء ناصر الدولة

سُبُكْتِكِينَ، التركي، صاحب خراسان والهند وغير ذلك.

(٢) «السَّيْر» (١٧/٤٨٧).

نَقُولُ: هُوَ بِذَاتِهِ عَلَى الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ^(١).
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّهُ تَعَالَى مُدَاخِلٌ لِلْأَمْكِنَةِ
وَمُمَارِجٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، أَوْ لَا نَعْلَمُ أَيْنَ هُوَ؟ بَلْ نَقُولُ: هُوَ بِذَاتِهِ عَلَى الْعَرْشِ،
وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَعِلْمُهُ وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَقُدْرَتُهُ مُدْرِكَةٌ لِكُلِّ شَيْءٍ.
وَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فَهَذَا الَّذِي قُلْنَا، هُوَ
كَمَا قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ^(٢).

٧٧ - الْقَادِرُ بِاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٢٢هـ)

لَهُ مُعْتَقَدٌ مَشْهُورٌ، قُرِئَ بِبَغْدَادَ بِمَشْهَدٍ مِنْ عُلَمَائِهَا وَأَثَمَتِهَا، وَأَنَّهُ قَوْلُ
أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَفِيهِ أَشْيَاءٌ حَسَنَةٌ. مِنْ ذَلِكَ:
«وَأَنَّهُ خَلَقَ الْعَرْشَ لَا لِحَاجَةٍ، وَاسْتَوَى عَلَيْهِ كَيْفَ شَاءَ لَا اسْتِوَاءَ رَاحَةٍ،
وَكُلُّ صِفَةٍ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ فَهِيَ صِفَةٌ حَقِيقَةٌ لَا صِفَةٌ
مَجَازٍ، وَكَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ»^(٣).

٧٨ - أَبُو غَمَرِ الطَّلَمَنْكِيِّ (٤٢٩هـ)

قَالَ فِي كِتَابِ «الْوُصُولِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأُصُولِ» وَهُوَ مُجَلَّدَانِ: «أَجْمَعَ
الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، عَلَى أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾
[الحديد: ٤]، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ: أَنَّهُ عِلْمُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ السَّمَاوَاتِ
بِذَاتِهِ، مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ كَيْفَ شَاءَ.

وَقَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]: إِنَّ
الْإِسْتِوَاءَ مِنَ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ، عَلَى الْحَقِيقَةِ، لَا عَلَى الْمَجَازِ^(٤).

(١) «الحجة في بيان المحجة» (١٠٦/٢ - ١٠٧).

(٢) «العلو» (ص ١٣١٢). (٣) «مختصر العلو» (ص ٢٦٣).

(٤) «مختصر العلو» (ص ٢٦٤).

٧٩ - أبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ)

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ صَاحِبُ «الْحِلْيَةِ» فِي عَقِيدَةِ لَهُ
قَالَ فِي أَوَّلِهَا:

«طَرِيقَتُنَا طَرِيقَةُ الْمُتَّبِعِينَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ. فَمِمَّا
اعْتَقَدُوهُ: أَنَّ الْأَحَادِيثَ الَّتِي ثَبَّتَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعَرْشِ وَاسْتَوَاءِ اللَّهِ
يَقُولُونَ بِهَا، وَيُثَبِّتُونَهَا مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا تَشْبِيهِ.
وَأَنَّ اللَّهَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ وَالْخَلْقُ بَائِنُونَ مِنْهُ. لَا يَحِلُّ فِيهِمْ وَلَا يَمْتَزِجُ
بِهِمْ، وَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ فِي سَمَائِهِ، دُونَ أَرْضِهِ وَخَلْقِهِ»^(١).

وَقَالَ فِي كِتَابِهِ «مَحَجَّةُ الْوَائِقِينَ وَمَدْرَجَةُ الْوَامِقِينَ»: «وَأَجْمَعُوا أَنَّ اللَّهَ
فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ، مُسْتَوٍ عَلَيْهِ، لَا مُسْتَوٍ عَلَيْهِ كَمَا تَقُولُ
الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، خِلَافًا لِمَا نَزَلَ فِي كِتَابِهِ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾
[الملك: ١٦]. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾
﴿طه: ٥﴾»^(٢).

٨١ - أبو عمرو الداني (٤٤٠هـ)

قَالَ عَالِمُ الْأَنْدَلُسِ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَمِنْ قَوْلِهِمْ: إِنَّهُ ﷻ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَمُسْتَوٍ
عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَبَائِنٌ مِنْهُمْ بِذَاتِهِ، غَيْرُ بَائِنٍ بِعِلْمِهِ، بَلْ عِلْمُهُ مُحِيطٌ بِهِمْ،
يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَجَهْرَهُمْ، وَيَعْلَمُ مَا يَكْسِبُونَ عَلَى مَا وَرَدَ بِهِ خَبَرُهُ الصَّادِقُ،
وَكِتَابُهُ النَّاطِقُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿طه: ٥﴾،
وَاسْتَوَاؤُهُ ﷻ عُلُوُّهُ بِغَيْرِ كَيْفِيَّةٍ، وَلَا تَحْدِيدٍ، وَلَا مُجَاوِرَةٍ وَلَا مُمَاسَّةٍ...

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٦٠).

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٦٠).

قَالَ بِجَلَالِهِ: ﴿ثُمَّ أَسَوَّى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [الحديد: ٤]؛ يَعْنِي: أَنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِهِمْ حَيْثُمَا كَانُوا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿لِنَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]. وَقَالَ ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. وَقَالَ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٧]، وَقَالَ: ﴿تَنْجِ الْمَلَكِيَّةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وَقَالَ: ﴿يُدْبِرُ الْأُمُورَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]. وَقَالَ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، وَقَالَ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وَقَالَ: ﴿يُعِيسِي إِيَّيْ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وَقَالَ: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وَقَالَ مُخْبِرًا عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْلِكُنْ أَبْنَى لِي صَرَحًا﴾ [غافر: ٣٦] الْآيَةُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] الْآيَةُ. الْمَعْنَى: وَهُوَ الْمَعْبُودُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ...
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ [الزخرف: ٨٤]؛ يَعْنِي: أَنَّهُ إِلَهُ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَإِلَهُ أَهْلِ الْأَرْضِ.

وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٢٨) [النحل: ١٢٨]، ﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وَ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمَّ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]؛ يَعْنِي: أَنَّهُ يَحْفَظُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ وَيُوَيِّدُهُمْ، لَا أَنَّ ذَاتَهُ مَعَهُمْ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿مَا يَكُوثُ مِنْ تَجْوَى ثَلَاثَةِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] الْآيَةُ؛ يَعْنِي: أَنَّهُ ﷻ عَالِمٌ بِهِمْ وَبِمَا خَفِيَ مِنْ سِرِّهِمْ وَنَجْوَاهُمْ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ نَرَأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٧) [المجادلة: ٧]؛ فَابْتَدَأَ

الآيَةِ بِالْعِلْمِ، وَخَتَمَهَا بِالْعِلْمِ»^(١).

وَقَالَ فِي «أَرْجُوزَتِهِ» الَّتِي فِي عُقُودِ الدِّيَانَةِ:

كَلَّمَ مُوسَى عَبْدَهُ تَكْلِيمًا وَلَمْ يَزَلْ مُدَبِّرًا حَكِيمًا
كَلَامُهُ وَقَوْلُهُ قَدِيمٌ وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ الْعَظِيمِ
وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُفْضَلُ بَأَنَّهُ كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ
عَلَى رَسُولِهِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِخَالِقٍ^(٢)

٨٢ - عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ الْخَرَبِيُّ (٤٤٢هـ)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ الْخَرَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «كِتَابِ السُّنَّةِ»: ... «وَمِمَّا نَعْتَقُدُ: أَنَّ لِلَّهِ ﷻ عَرْشًا، وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ تَعَالَى مُحِيطٌ بِكُلِّ مَكَانٍ، مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا، وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ، وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.

وَالْعَرْشُ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وَقَالَ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وَقَالَ: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]. وَلِلْعَرْشِ حَمَلَةٌ يَحْمِلُونَهُ عَلَى مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَالْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ»^(٣).

٨٣ - أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ (٤٤٩هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيَعْتَقِدُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَيَشْهَدُونَ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ فَوْقَ سَبْعِ

(١) «الرسالة الوافية» (ص ١٢٩ - ١٣٢)، طبعة دار الإمام أحمد، الكويت، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي.

(٢) «الأرجوزة المنبّهة» (ص ١٨٠)، لأبي عمرو الداني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٢٤٨ - ٢٥٠).

سَمَاوَاتٍ عَلَى عَرْشِهِ، كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى الْعُلُوِّ، إِلَى أَنْ قَالَ:

وَعُلَمَاءُ الْأُمَّةِ وَأَعْيَانُ الْأَيْمَّةِ مِنَ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، يُثَبِّتُونَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَثَبَّتَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيُصَدِّقُونَ الرَّبَّ جَلَّ جَلَالُهُ فِي خَبَرِهِ، وَيُطْلِقُونَ مَا أَطْلَقَهُ ﷺ مِنْ اسْتَوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ، وَيُمرُّونَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ»^(١).

٨٤ - أَبُو نُضَيْرٍ السَّجَزِيُّ (٤٤٤هـ)

قَالَ فِي كِتَابِ «الْإِبَانَةِ» الَّذِي أَلَفَهُ فِي السُّنَّةِ: «أَتَمَّتْنَا كُسْفِيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَمَالِكٍ، وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَالْفَضِيلَ، وَابْنَ الْمُبَارَكِ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ، مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَأَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ يَغْضَبُ، وَيَرْضَى، وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ»^(٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ ﷻ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ... قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]، وَقَالَ: ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وَقَالَ: ﴿مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ (١) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴿[المعارج: ٣، ٤]، وَقَالَ: ﴿أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١١) الْآيَةُ [الملك: ١٦]، وَالْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا»^(٣).

(١) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص ٣٦ - ٣٧).

(٢) «مختصر العلو» (ص ٢٦٦ - ٢٦٧).

(٣) «الرد على من أنكر الحرف والصوت» (ص ١٢٣).

وَعِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ، أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مُبَايِنٌ لِحَقِّهِ، بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ بِلاَ كَيْفِيَّةٍ، بِحَيْثُ لَا مَكَانَ. ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ الْجَارِيَةِ، إِلَى أَنْ قَالَ:

وَلَقَدْ قَالَ الْأَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ عِنْدَ مَوْتِهِ قَصِيدَةً، يُوصِي فِيهَا إِلَى ابْنِهِ مَالِكٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ فِيهَا:

فَإِنْ تَكُنِ الْيَوْمَ أَبْلَيْنَ أَعْظَمِي وَشَيْبَنَ رَأْسِي وَالْمَشِيبُ مَعَ الْعُمُرِ
فَإِنْ لَنَا رَبًّا عَلَيَّ فَوْقَ عَرْشِهِ عَلِيمًا بِمَا نَأْتِي مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
وَلَيْسَ فِي قَوْلِنَا: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ تَحْدِيدٌ؛ وَإِنَّمَا التَّحْدِيدُ يَقَعُ لِلْمُحَدَّثَاتِ. فَمِنْ الْعَرْشِ إِلَى مَا تَحْتَ الثَّرَى مَحْدُودٌ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا مَكَانَ وَلَا حَدٌّ...

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْقُرْآنِ مَا يَشْفِي الْعَلِيلَ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿١﴾ [طه: ٥، ٦]؛ فَخَصَّ الْعَرْشَ بِالِاسْتِوَاءِ، وَذَكَرَ مُلْكَهُ لِسَائِرِ الْأَشْيَاءِ، فَعُلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ غَيْرُ الْإِسْتِيلَاءِ^(١).

٨٥ - الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى (٤٥٨هـ)

قَالَ فِي كِتَابِ «الْمُعْتَمَدِ فِي أَصُولِ الدِّينِ» عَنِ الْإِسْتِوَاءِ: «وَقَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ بِالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، فَقَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) [طه: ٥]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَالْوَاجِبُ إِطْلَاقُ هَذِهِ الصِّفَةِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ، وَأَنَّهُ اسْتِوَاءُ الذَّاتِ عَلَى الْعَرْشِ لَا عَلَى مَعْنَى الْقُعُودِ وَالْمُمَاسَّةِ، وَلَا عَلَى مَعْنَى الْعُلُوِّ وَالرَّفْعَةِ، وَلَا عَلَى مَعْنَى الْإِسْتِيلَاءِ وَالْغَلْبَةِ، خِلَافًا لِلْمُعْتَزَلَةِ فِي قَوْلِهِمْ: مَعْنَاهُ الْإِسْتِيلَاءُ

(١) «الرد على من أنكر الحرف والصوت» (ص ١٢٩ - ١٣١).

وَالْغَلْبَةُ، وَخِلَافًا لِلْأَشْعَرِيَّةِ فِي قَوْلِهِمْ: مَعْنَاهُ الْعُلُوُّ مِنْ طَرِيقِ الرُّتْبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ وَالْعِظَمَةِ وَالْقُدْرَةِ، وَخِلَافًا لِلْكَرَامِيَّةِ وَالْمُجَسِّمَةِ أَنَّ مَعْنَاهُ الْمُمَاسَّةُ لِلْعَرْشِ بِالْجُلُوسِ عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ بَعْدَ الرَّدِّ عَلَى الْمُخَالِفِينَ: فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ نَحْمِلَ هَذِهِ الصِّفَةَ عَلَى إِطْلَاقِهَا^(١).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ «إِبْطَالِ التَّأْوِيلَاتِ» لَهُ: «لَا يَجُوزُ رَدُّ هَذِهِ الْأَخْبَارِ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَلَا التَّشَاغُلُ بِتَأْوِيلِهَا عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْأَشْعَرِيَّةُ. وَالْوَاجِبُ حَمْلُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَأَنَّهَا صِفَاتٌ لِلَّهِ تَعَالَى، لَا تُشَبِّهُ سَائِرَ الْمَوْصُوفِينَ بِهَا مِنَ الْخَلْقِ، وَلَا نَعْتَقِدُ التَّشْبِيهَ فِيهَا»^(٢).

قَالَ: «دَلِيلٌ آخَرٌ عَلَى إِبْطَالِ التَّأْوِيلِ: أَنَّ الصَّحَابَةَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ حَمَلُوهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِتَأْوِيلِهَا، وَلَا صَرَفُهَا عَنْ ظَاهِرِهَا، فَلَوْ كَانَ التَّأْوِيلُ سَائِغًا، لَكَانُوا أَسْبَقَ لِمَا فِيهِ مِنْ إِزَالَةِ التَّشْبِيهِ وَرَفْعِ الشُّبْهِةِ»^(٣).

قَالَ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا: «قُلْتُ: الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ قَالُوا مَقَالَةَ مُوَلَّدَةٍ، مَا عَلِمْتُ أَحَدًا سَبَقَهُمْ بِهَا.

قَالُوا: هَذِهِ الصِّفَاتُ تُمَرُّ كَمَا جَاءَتْ وَلَا تُؤَوَّلُ، مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ، فَتَفَرَّعَ مِنْ هَذَا أَنَّ الظَّاهِرَ يُعْنَى بِهِ أَمْرَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَا تَأْوِيلَ لَهَا غَيْرُ دَلَالَةِ الْخِطَابِ، كَمَا قَالَ السَّلَفُ: الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَكَمَا قَالَ سُفْيَانٌ وَغَيْرُهُ: قِرَاءَتُهَا تَفْسِيرُهَا؛ يَعْنِي: أَنَّهَا بَيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ فِي اللَّغَةِ، لَا يُبْتَغَى لَهَا مَضَائِقُ التَّأْوِيلِ وَالتَّحْرِيفِ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ، مَعَ اتِّفَاقِهِمْ أَيْضًا أَنَّهَا لَا تُشَبِّهُ صِفَاتِ الْبَشَرِ بِوَجْهِ،

(١) «المعتمد في أصول الدين» (ص ٥٤ - ٥٥). (٢) «إبطال التأويلات» (ص ٤٣).

(٣) «إبطال التأويلات» (ص ٧١).

إِذِ الْبَارِي لَا مِثْلَ لَهُ، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ.

الثَّانِي: أَنَّ ظَاهِرَهَا هُوَ الَّذِي يَتَشَكَّلُ فِي الْخِيَالِ مِنَ الصِّفَةِ، كَمَا يَتَشَكَّلُ فِي الذَّهْنِ مِنْ وَصْفِ الْبَشَرِ، فَهَذَا غَيْرُ مُرَادٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرْدٌ صَمَدٌ لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ، وَإِنْ تَعَدَّدَتْ صِفَاتُهُ فَإِنَّهَا حَقٌّ، وَلَكِنْ مَا لَهَا مِثْلٌ وَلَا نَظِيرٌ، فَمَنْ ذَا الَّذِي عَايَنَهُ وَنَعَتَهُ لَنَا؟! وَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَ لَنَا كَيْفَ سَمِعَ كَلَامُهُ؟! وَاللَّهُ إِنَّا لَعَاجِزُونَ كَالْوَنَ حَائِرُونَ بَاهِتُونَ فِي حَدِّ الرُّوحِ الَّتِي فِيْنَا؛ وَكَيْفَ تَعْرُجُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا تَوَفَّاهَا بَارِئُهَا، وَكَيْفَ يُرْسِلُهَا، وَكَيْفَ تَسْتَقِلُّ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَكَيْفَ حَيَاةُ الشَّهِيدِ الْمَرْزُوقِ عِنْدَ رَبِّهِ بَعْدَ قَتْلِهِ، وَكَيْفَ حَيَاةُ النَّبِيِّ الْآنَ؟ وَكَيْفَ شَاهَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَخَاهُ مُوسَى يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ قَائِمًا؟ ثُمَّ رَأَاهُ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ وَحَاوَرَهُ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِمُرَاجَعَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَطَلَبَ التَّخْفِيفَ مِنْهُ عَلَى أُمَّتِهِ؟ وَكَذَلِكَ نَعَجْزُ عَنْ وَصْفِ هَيْئَتِنَا فِي الْجَنَّةِ وَوَصْفِ الْحُورِ الْعِينِ، فَكَيْفَ بِنَا إِذَا انْتَقَلْنَا إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَذَوَاتِهِمْ وَكَيْفِيَّتِهَا... فَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْظَمُ، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَالْكَمَالُ الْمُطْلَقُ، وَلَا مِثْلَ لَهُ أَصْلًا، ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢] (١).

٨٦ - الْبِيهَقِيُّ (٤٥٨هـ)

قَالَ الْحَافِظُ الْبِيهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ الْقَوْلِ فِي الْإِسْتِوَاءِ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَقَالَ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، وَقَالَ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

(١) «العلو» (٢/ ١٣٢٩ - ١٣٣١)، تحقيق: الشيخ عبد الله البراك.

[٥٤]، وَقَالَ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨ و ٦١]، وَقَالَ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]، وَقَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَالَ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، وَأَرَادَ مَنْ فَوْقَ السَّمَاءِ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَأَصْلَبِنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]؛ يَعْنِي: عَلَى جُدُوعِ النَّخْلِ. وَقَالَ: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]؛ يَعْنِي: عَلَى الْأَرْضِ، وَكُلُّ مَا عَلَا فَهُوَ سَمَاءٌ، وَالْعَرْشُ أَعْلَى السَّمَاوَاتِ، فَمَعْنَى الْآيَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - : أَأَمِنْتُمْ مَنْ عَلَى الْعَرْشِ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي سَائِرِ الْآيَاتِ.

وَفِيمَا كَتَبْنَاهُ مِنَ الْآيَاتِ دَلَالَةٌ عَلَى إِبْطَالِ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ : بِأَنَّ اللَّهَ ﷻ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ: يَعْلَمُهُ لَا بِذَاتِهِ^(١).

٨٧- ابن عبد البر (٤٦٢هـ)

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعْلِيْقًا عَلَى حَدِيثِ النَّزُولِ: «هَذَا الْحَدِيثُ ثَابِتٌ مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ، صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، لَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ الْحَدِيثِ فِي صِحَّتِهِ. وَهُوَ حَدِيثٌ مَقْبُولٌ مِنْ طَرِيقٍ مُتَوَاتِرَةٍ، وَوُجُوهُ كَثِيرَةٌ مِنْ أَخْبَارِ الْعُدُولِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ فِي السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، كَمَا قَالَتِ الْجَمَاعَةُ، وَهُوَ مِنْ حُجَّتِهِمْ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ. ثُمَّ ذَكَرَ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى عُلُوِّ الرَّحْمَنِ إِلَى أَنْ قَالَ:

وَأَمَّا ادِّعَاؤُهُمُ الْمَجَازَ فِي الْإِسْتِوَاءِ، وَقَوْلُهُمْ فِي تَأْوِيلِ اسْتَوَى: اسْتَوَلَى، فَلَا مَعْنَى لَهُ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ فِي اللَّغَةِ، وَمَعْنَى الْإِسْتِيلَاءِ، فِي اللَّغَةِ: الْمُغَالَبَةُ،

(١) «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد» (ص ١١٦ - ١١٨)، تحقيق: أحمد بن إبراهيم أبو العينين.

وَاللَّهُ لَا يُغَالِبُهُ وَلَا يَعْلُوهُ أَحَدٌ. وَهُوَ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ. وَمِنْ حَقِّ الْكَلَامِ أَنَّ يُحْمَلَ عَلَى حَقِيقَتِهِ، حَتَّى تَتَّفِقَ الْأُمَّةُ أَنَّهُ أُرِيدَ بِهِ الْمَجَازُ. إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَى اتِّبَاعِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبَّنَا، إِلَّا عَلَى ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يُوجَّهُ كَلَامُ اللَّهِ ﷻ إِلَى الْأَشْهَرِ وَالْأَظْهَرِ مِنْ وُجُوهِهِ، مَا لَمْ يَمْنَعْ مِنْ ذَلِكَ مَا يَجِبُ لَهُ التَّسْلِيمُ، وَلَوْ سَاعَ ادِّعَاءِ الْمَجَازِ لِكُلِّ مُدَّعٍ، مَا ثَبَتَ شَيْءٌ مِنَ الْعِبَارَاتِ، وَجَلَّ اللَّهُ ﷻ عَنْ أَنْ يُخَاطَبَ الْأُمَّةُ إِلَّا بِمَا تَفْهَمُهُ الْعَرَبُ فِي مَعْهُودِ مُخَاطَبَاتِهَا، مِمَّا يَصِحُّ مَعْنَاهُ عِنْدَ السَّامِعِينَ.

وَالِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ فِي اللَّغَةِ وَمَفْهُومٌ، وَهُوَ الْعُلُوُّ وَالِازْتِفَاعُ عَلَى الشَّيْءِ... وَبِهَذَا خَاطَبَنَا اللَّهُ ﷻ وَقَالَ: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣]. وَقَالَ: ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]. وَقَالَ: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨]. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

فَأُورِدْتُهُمْ مَاءً بِفَيْفَاءٍ قَفَرَةٍ وَقَدْ حَلَقَ النِّجْمُ الْيَمَانِي فَاسْتَوَى
وَهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَأَوَّلَ فِيهِ أَحَدٌ: اسْتَوَى؛ لِأَنَّ النِّجْمَ لَا يَسْتَوِي. وَقَدْ ذَكَرَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، وَكَانَ ثَقَّةً مَأْمُونًا جَلِيلًا فِي عِلْمِ الدِّيَانَةِ وَاللُّغَةِ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْخَلِيلُ، وَحَسْبُكَ بِالْخَلِيلِ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا رَبِيعَةَ الْأَعْرَابِيَّ، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ مَنْ رَأَيْتُ، فَإِذَا هُوَ عَلَى سَطْحٍ، فَسَلَّمْنَا فَرَدَّ عَلَيْنَا السَّلَامَ، وَقَالَ لَنَا: اسْتَوُوا، فَبَقِينَا مُتَحَيْرِينَ، وَلَمْ نَذِرْ مَا قَالَ؟ قَالَ: فَقَالَ لَنَا أَعْرَابِيٌّ إِلَى جَنْبِهِ: إِنَّهُ أَمَرَكُمْ أَنْ تَرْتَفِعُوا، قَالَ الْخَلِيلُ: هُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]. فَصَعِدْنَا إِلَيْهِ.

فَإِنْ احْتَجَّوْا بِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ [الزخرف: ٨٤]. وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

وَزَعَمُوا: أَنَّ اللَّهَ ﷻ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِنَفْسِهِ وَذَاتِهِ ﷻ.

قِيلَ لَهُمْ: لَا خِلَافَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ سَائِرِ الْأُمَّةِ: أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ دُونَ السَّمَاءِ بِذَاتِهِ، فَوَجَبَ حَمْلُ هَذِهِ الْآيَاتِ، عَلَى الْمَعْنَى الصَّحِيحِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ: أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ مَعْبُودٌ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ مَعْبُودٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالتَّفْسِيرِ، فَظَاهِرُ التَّنْزِيلِ، يَشْهَدُ أَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ؛ وَالْإِخْتِلَافُ فِي ذَلِكَ بَيْنَنَا فَقَطْ، وَأَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ، مَنْ سَاعَدَهُ الظَّاهِرُ؛ وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، فَلِلْإِجْمَاعِ وَالِاتِّفَاقِ، قَدْ بَيَّنَّ الْمُرَادَ بِأَنَّهُ مَعْبُودٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَتَدَبَّرْ هَذَا، فَإِنَّهُ قَاطِعٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمِنْ الْحُجَّةِ أَيْضًا: فِي أَنَّهُ ﷻ عَلَى الْعَرْشِ، فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ: أَنَّ الْمُوَحِّدِينَ أَجْمَعِينَ، مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، إِذَا كَرَّبَهُمْ أَمْرٌ، أَوْ نَزَلَتْ بِهِمْ شِدَّةٌ، رَفَعُوا وُجُوهَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، يَسْتَغِيثُونَ رَبَّهُمْ ﷻ؛ وَهَذَا أَشْهَرُ وَأَعْرَفُ، عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، مِنْ أَنْ يُحْتَاجَ فِيهِ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ حِكَايَتِهِ؛ لِأَنَّهُ اضْطَرَّارٌ لَمْ يُؤَنَّبَهُمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَلَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِمْ مُسْلِمٌ.

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَكُونُ مُسْتَوِيًّا عَلَى مَكَانٍ إِلَّا مَقْرُونًا بِالتَّكْيِيفِ، قِيلَ: قَدْ يَكُونُ الْإِسْتِوَاءُ وَاجِبًا، وَالتَّكْيِيفُ مُرْتَفِعٌ، وَلَيْسَ رَفْعُ التَّكْيِيفِ يُوجِبُ رَفْعَ الْإِسْتِوَاءِ. وَقَدْ عَقَلْنَا وَأَدْرَكْنَا بِحَوَاسِّنَا أَنَّ لَنَا أَرْوَاحًا فِي أَبْدَانِنَا، وَلَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ جَهْلُنَا بِكَيْفِيَّةِ الْأَرْوَاحِ، يُوجِبُ أَنْ لَيْسَ لَنَا أَرْوَاحٌ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ جَهْلُنَا بِكَيْفِيَّةِ عَلَى الْعَرْشِ، يُوجِبُ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى عَرْشِهِ.

وَأَمَّا احْتِجَاجُهُمْ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنِي مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]. فَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِي ظَاهِرِ هَذِهِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّ عُلَمَاءَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ

الَّذِينَ حُمِلَتْ عَنْهُمْ التَّأْوِيلُ فِي الْقُرْآنِ، قَالُوا فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ: هُوَ عَلَى الْعَرْشِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَمَا خَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ يُحْتَجُّ بِقَوْلِهِ...
وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(١)، فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ التَّنَازُعَ فِيهِ، وَالَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: يَنْزِلُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَيُصَدِّقُونَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَلَا يُكَيِّفُونَ، وَالْقَوْلُ فِي كَيْفِيَّةِ النُّزُولِ؛ كَالْقَوْلِ فِي كَيْفِيَّةِ الْإِسْتِوَاءِ وَالْمَجِيءِ، وَالْحُجَّةُ فِي ذَلِكَ وَاحِدَةٌ.

وَأَمَّا احْتِجَاجُهُمْ [أَي: الْجَهْمِيَّة]: لَوْ كَانَ فِي مَكَانٍ لِأَشْبَةِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ لِأَنَّ مَا أَحَاطَتْ بِهِ الْأَمْكِنَةُ وَاحْتَوَتْهُ مَخْلُوقٌ، فَشَيْءٌ لَا يَلْزَمُ، وَلَا مَعْنَى لَهُ؛ لِأَنَّهُ ﷻ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يُقَاسُ بِشَيْءٍ مِنْ بَرِيَّتِهِ، لَا يُدْرِكُ بِقِيَاسٍ وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»^(٢).

قَالَ أَبُو عَمَرَ: «أَهْلُ السُّنَّةِ مُجْمِعُونَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِيمَانِ بِهَا، وَحَمَلِهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا عَلَى الْمَجَازِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يُكَيِّفُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَحْدُثُونَ فِيهِ صِفَةً مَحْصُورَةً. وَأَمَّا أَهْلُ الْبِدْعِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْخَوَارِجِ، فَكُلُّهُمْ يُنْكِرُهَا، وَلَا يَحْمِلُ شَيْئًا مِنْهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِهَا مُشَبَّهٌ، وَهُمْ عِنْدَ مَنْ أَثْبَتَهَا نَافُونَ لِلْمَعْبُودِ، وَالْحَقُّ فِيمَا قَالَهُ الْقَائِلُونَ بِمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ، وَهُمْ أَئِمَّةُ الْجَمَاعَةِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ»^(٣).

قَالَ أَبُو عَمَرَ: «الَّذِي أَقُولُ: إِنَّهُ مَنْ نَظَرَ إِلَى إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَسَعْدٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَائِرِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَجَمِيعِ

(١) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث متواتر.

(٢) «التمهيد» (١٣٥/٧). (٣) «التمهيد» (١٤٥/٧).

الرُّفُودِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، لَمْ يَعْرِفْهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بِتَصْدِيقِ النَّبِيِّينَ بِأَعْلَامِ النُّبُوَّةِ، وَدَلَالِ الرِّسَالَةِ، لَا مِنْ قَبْلِ حَرَكَةٍ وَلَا مِنْ بَابِ الْكُلِّ وَالْبَعْضِ، وَلَا مِنْ بَابِ كَانٍ وَيَكُونُ، وَلَوْ كَانَ النَّظَرُ فِي الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ عَلَيْهِمْ وَاجِبًا فِي الْجِسْمِ وَتَفْيِهِ، وَالتَّشْبِيهِ وَتَفْيِهِ لَازِمًا، مَا أَضَاعُوهُ وَلَوْ أَضَاعُوا الْوَاجِبَ مَا نَطَقَ الْقُرْآنُ بِتَرْكِيبِهِمْ، وَتَقْدِيمِهِمْ وَلَا أَطْنَبَ فِي مَدْحِهِمْ وَتَعْظِيمِهِمْ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِهِمْ مَشْهُورًا، أَوْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ مَعْرُوفًا، لَا سَتَفَاضَ عَنْهُمْ وَلَشْهَرُوا بِهِ كَمَا شْهَرُوا بِالْقُرْآنِ وَالرَّوَايَاتِ»^(١).

قَالَ أَبُو عُمَرَ: «وَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» عِنْدَهُمْ مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا بَجَلَى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وَمِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [١١] [الفجر: ٢٢]، كُلُّهُمْ يَقُولُ: يَنْزِلُ وَيَتَجَلَّى وَيَجِيءُ بِلاَ كَيْفٍ، لَا يَقُولُونَ: كَيْفَ يَجِيءُ؟ وَكَيْفَ يَتَجَلَّى؟ وَكَيْفَ يَنْزِلُ؟ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءَ؟ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَتَجَلَّى؟ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَنْزِلُ؟ لِأَنَّهُ لَيْسَ كَشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَتَعَالَى عَنِ الْأَشْيَاءِ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ.

وَفِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا بَجَلَى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ مُتَجَلِّيًا لِلْجَبَلِ، وَفِي ذَلِكَ مَا يُفَسِّرُ مَعْنَى حَدِيثِ التَّنْزِيلِ»^(٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعْلِيقًا عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»^(٣).

(٢) «التمهيد» (١٥٣/٧).

(١) «التمهيد» (١٥٢/٧).

(٣) رواه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

«فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ:

أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاءِ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ جِبْرِيلَ أَقْرَبُ الْمَلَائِكَةِ إِلَيْهِ وَأَخْظَاهُمْ عِنْدَهُ...

وَفِيهِ أَنَّ الْوُدَّ وَالْمَحَبَّةَ بَيْنَ النَّاسِ اللَّهُ يَتَدَبَّرُهَا وَيَسْطُرُهَا، وَالْقُرْآنُ يَشْهَدُ بِذَلِكَ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ [مريم: ٩٦]. قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُمْ إِلَى النَّاسِ^(١).
فَتَدَبَّرَ كَلَامَ هَذَا الْإِمَامِ! وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْبَيَانِ.

٨٨ - الْخُطِيبُ (٤٦٣هـ)

نَقَلَ الذَّهَبِيُّ^(٢) قَوْلَ الْخُطِيبِ فِي مَدْحِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:
أَبَى اللَّهُ إِلَّا رَفَعَهُ وَعُلُوَّهُ وَلَيْسَ لِمَا يُعْلِيهِ ذُو الْعَرْشِ وَاضِعُ

٨٩ - سَعْدُ الزَّنْجَانِي (٤٧١هـ)

قَالَ إِمَامُ الشَّافِعِيَّةِ فِي وَقْتِهِ سَعْدُ بْنُ عَلِيٍّ الزَّنْجَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ بِوُجُودِ ذَاتِهِ»^(٣).

قَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ كَانَ الْحَافِظُ سَعْدُ بْنُ عَلِيٍّ هَذَا مِنْ رُؤُوسِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَيُّمَةِ الْأَثَرِ، وَمِمَّنْ يُعَادِي الْكَلَامَ وَأَهْلَهُ، وَيَذُمُّ الْأَرَاءَ وَالْأَهْوَاءَ. فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَخْتِمَ لَنَا بِخَيْرٍ، وَأَنْ يَتَوَفَّانَا عَلَى الْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ. فَلَقَدْ قَلَّ مَنْ يَتَمَسَّكُ بِمَحْضِ السُّنَّةِ؛ بَلْ تَرَاهُ يُثْنِي عَلَى السُّنَّةِ وَأَهْلِهَا، وَقَدْ تَلَطَّخَ بِبِدْعِ الْكَلَامِ، وَيَجْسُرُ عَلَى الْخَوْضِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَبَادَرَ إِلَى نَفْيِهَا، وَبَالَغَ بِرَعْمِهِ فِي التَّنْزِيهِ؛ وَإِنَّمَا كَمَالُ التَّنْزِيهِ: تَعْظِيمُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ،

(١) «التمهيد» (٢٣٨/٢١ - ٢٣٩). (٢) في «السَّيَر» (٩٥/١٠).

(٣) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ١٩٧).

وَنَعْتُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ تَعَالَى»^(١).

٩٠ - إِمَامُ الْخَرَمِينِ (٤٧٨هـ)

قَالَ الْحَافِظُ الْحُجَّةُ عَبْدُ الْقَادِرِ الرَّهَائِيُّ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحِيمِ بْنَ أَبِي الْوَفَا الْحَاجِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ طَاهِرِ الْمَقْدِسِيِّ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْأَدِيبَ أَبَا الْحَسَنِ الْقَيْرَوَانِيَّ بَنِيْسَابُورَ يَقُولُ: - وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى دُرُوسِ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيِّ يَقْرَأُ عَلَيْهِ الْكَلَامَ - يَقُولُ: «يَا أَصْحَابَنَا لَا تَشْتَغِلُوا بِالْكَلَامِ، فَلَوْ عَرَفْتُمْ أَنَّ الْكَلَامَ يَبْلُغُ بِي مَا بَلَغَ مَا اشْتَغَلْتُ بِهِ».

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْفَقِيهِيُّ: دَخَلْنَا عَلَى الْإِمَامِ أَبِي الْمَعَالِي ابْنِ الْجُوَيْنِيِّ نَعُوذُهُ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ فَأَقْعَدَ، فَقَالَ لَنَا: «اشْهَدُوا عَلَيَّ أَنِّي قَدْ رَجَعْتُ عَنْ كُلِّ مَقَالَةٍ قُلْتُهَا أَخَالَفُ فِيهَا مَا قَالَ السَّلَفُ الصَّالِحُ، وَأَنِّي أَمُوتُ عَلَى مَا تَمُوتُ عَلَيْهِ عَجَائِزُ نَيْسَابُورٍ»^(٢).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: فَإِنَّ تِلْكَ الْعَقِيدَةَ الْفِطْرِيَّةَ الَّتِي لِلْعَجَائِزِ، خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ الْأَبَاطِيلِ الَّتِي هِيَ مِنْ شُعْبِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَهُمْ يَجْعَلُونَهَا مِنْ بَابِ التَّحْقِيقِ وَالتَّدْقِيقِ^(٣).

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِ الْأَئِمَّةِ: عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ؛ يَعْنِي: أَنَّهُنَّ مُؤْمِنَاتٌ بِاللَّهِ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، لَمْ يَدْرِينَ مَا عِلْمُ الْكَلَامِ»^(٤).

٩١ - شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْهَرَوِيُّ (٤٨١هـ)

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «غَالِبُ مَا رَوَاهُ فِي كِتَابِ «الْفَارُوقِ» صِحَاحٌ وَحَسَنٌ، وَفِيهِ بَابُ إِثْبَاتِ اسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، بَاطِلٌ

(٢) «مختصر العلو» (٢٧٥).

(١) «تذكرة الحفاظ» (١١٧٨/٣).

(٤) «العلو» (ص ١٣٤٥).

(٣) «بيان تلبيس الجهمية» (١٢٢/١).

مِنْ خَلْقِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَسَاقَ دَلَائِلَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ،
إِلَى أَنْ قَالَ: وَفِي أَخْبَارٍ شَتَّى: أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ
وَقُدْرَتُهُ وَاسْتِمَاعُهُ وَنَظَرُهُ وَرَحْمَتُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ»^(١).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

إِلَهُنَا مَرِيٌّ عَلَى الْعَرْشِ مُسْتَوٍ كَلَامُهُ أَزَلِي رُسُولُهُ عَرَبِيٌّ
كُلُّ مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا أَشْعَرِيٌّ مَذْهَبُنَا مَذْهَبُ حَنْبَلِيٍّ^(٢)

٩٢ - الْقَيْرَوَانِي (٤٨٩هـ)

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَضْرَمِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ الْمُتَكَلِّمُ،
صَاحِبُ رِسَالَةِ «الْإِيْمَاءِ إِلَى مَسْأَلَةِ الْإِسْتِوَاءِ»، فَسَاقَ فِيهَا قَوْلَ أَبِي جَعْفَرٍ
مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي زَيْدٍ، وَالْقَاضِي عَبْدِ الْوَهَّابِ، وَجَمَاعَةٍ
مِنْ شُيُوخِ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ بِذَاتِهِ:

قَالَ: «وَأَطْلَقُوا فِي بَعْضِ الْأَمَاكِينِ أَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ. ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا هُوَ
الصَّحِيحُ الَّذِي أَقُولُ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ، وَلَا تَمَكُّنٍ فِي مَكَانٍ، وَلَا كَوْنٍ فِيهِ
وَلَا مُمَاسَّةٍ».

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَلَبُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَإِبْثَانُهَا مَدَارُهُ عَلَى النَّقْلِ، فَلَوْ
وَرَدَ شَيْءٌ بِذَلِكَ نَطَقْنَا بِهِ، وَإِلَّا فَالْسُّكُوتُ وَالْكَفُّ أَشْبَهُ بِشِمَائِلِ السَّلَفِ، إِذِ
التَّعَرُّضُ لِذَلِكَ نَوْعٌ مِنَ الْكَيْفِ وَهُوَ مَجْهُولٌ، وَكَذَلِكَ نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نُثْبِتَ
اسْتِوَاءَهُ بِمُمَاسَّةٍ أَوْ تَمَكُّنٍ بِلَا تَوْقِيفٍ وَلَا أَثَرٍ، بَلْ نَعْلَمُ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةِ، أَنَّهُ
فَوْقَ عَرْشِهِ، كَمَا وَرَدَ النَّصُّ»^(٣).

(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٣/ ٥٢).

(١) «السَّيَر» (١٨/ ٥١٤).

(٣) «مختصر العلو» (ص ٢٧٩).

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَقَدْ أَخْطَأَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ بِدُونِ مُمَاسَّةٍ، وَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُمُ الْحَقُّ أَنْ يَقُولُوا: بِمُمَاسَّةٍ أَوْ بِدُونِ مُمَاسَّةٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَرِدْ.

بَلْ نَدَعُ هَذَا! وَلَيْسَعْنَا مَا وَسِعَ الصَّحَابَةُ، الَّذِينَ هُمْ أَخْرَصُ مِنَّا عَلَى الْعِلْمِ، وَأَشَدُّ مِنَّا تَعْظِيمًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَعَلَى هَذَا: فَكَلِمَةُ مُمَاسَّةٍ أَوْ غَيْرِ مُمَاسَّةٍ، يَجِبُ أَنْ تُلغَى وَتُحذفَ»^(١).

٩٣ - الْفَقِيه نَضْرَ الْمَقْدِسِي (٤٩٠هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ «الْحُجَّةِ» لَهُ - وَهُوَ مُجَلَّدٌ فِي السَّنَةِ: «وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُسْتَوْ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ»^(٢).

٩٤ - الْخَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ الْمَقْدِسِي (٥٠٧هـ)

قَالَ الْخَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ الْمَقْدِسِي^(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ بِلَا كَيْفٍ بَلْ قَوْلًا كَمَا جَاءَ فِي السُّورِ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وَقَالَ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وَقَالَ: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]، وَقَالَ: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، وَقَالَ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، وَقَالَ: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٨٥]، وَقَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

(١) «شرح العقيدة السفارينية» (ص ٢٣١). (٢) «مختصر العلو» (ص ٢٧٤).

(٣) «الحجة على تارك المَحَجَّة» (٢/ ٤١٩ - ٤٢٠).

٩٥ - ابنُ الخَدَّادِ (٥١٧هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَنَّهُ سُبْحَانَكَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ وَفَوْقَ جَمِيعِ خَلْقِهِ، كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّم؛ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ وَلَا تَغْطِيلٍ، وَلَا تَخْرِيفٍ وَلَا تَأْوِيلٍ»^(١).

٩٦ - أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الرَّاغُونِي (٥٢٧هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ: مِنْهَا:
عَالٍ عَلَى الْعَرْشِ الرَّفِيعِ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ عَنْ قَوْلِ غَاوٍ مُلْحِدٍ^(٢)

٩٧ - الْحَسَنُ الْكَرْجِيُّ (٥٣٢هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي عَقِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ، أَوَّلُهَا:
عَقِيدَةُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ فَقَدْ سَمَتْ بِأَرْبَابِ دِينِ اللَّهِ أَسْنَى الْمَرَاتِبِ
عَقَائِدُهُمْ أَنَّ الْإِلَهَ بِذَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ مَعَ عِلْمِهِ بِالْغَوَائِبِ
أَنَّ اسْتِوَاءَ الرَّبِّ يُعْقَلُ كَوْنُهُ وَيُجْهَلُ فِيهِ الْكَيفُ جَهْلُ الشَّهَارِبِ^(٣)

٩٨ - إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ التِّيمِيُّ الْأَصْبَهَانِيُّ (٥٣٥هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «كِتَابِ الْحُجَّةِ فِي بَيَانِ الْمَحَجَّةِ»: «بَابٌ فِي بَيَانِ اسْتِوَاءِ اللَّهِ ﷻ عَلَى الْعَرْشِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ: ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]...

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ١٧٦). (٢) «سير أعلام النبلاء» (١٩/٦٠٦).
(٣) «مختصر العلو» (ص ٢٨١). ومعنى الشهرب: العجوز الكبير.

قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ: اللَّهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ لَا يَغْلُوهُ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ الْخَلْقَ يُشِيرُونَ إِلَى السَّمَاءِ بِأَصَابِعِهِمْ، وَيَدْعُونَهُ وَيَرْفَعُونَ إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١١) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) [الملك: ١٦، ١٧]. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ: الْآيَاتُ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ انْزَالِ الْوَحْيِ.

ثُمَّ عَقَدَ فَصْلًا فِي بَيَانِ أَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ الْعَرْشِ، ثُمَّ ذَكَرَ آيَاتٍ وَأَحَادِيثَ دَالَّةً عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ:

قَالَ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَقَالَتِ الْمُعْتَزَلَةُ: هُوَ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَقَالَتِ الْأَشْعَرِيَّةُ: الْإِسْتِوَاءُ عَائِدٌ عَلَى الْعَرْشِ.

وَلَوْ كَانَ كَمَا قَالُوا، لَكَانَتِ الْقِرَاءَةُ بِرَفْعِ الْعَرْشِ؛ فَلَمَّا كَانَتْ بِخَفْضِ الْعَرْشِ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ عَائِدٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوَى، قَالَ الشَّاعِرُ:

اسْتَوَى بِشَرْعٍ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقٍ^(١)

وَالِإِسْتِوَاءُ لَا يُوصَفُ بِهِ إِلَّا مَنْ قَدِرَ عَلَى الشَّيْءِ بَعْدَ الْعَجْزِ عَنْهُ. وَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ قَادِرًا عَلَى الْأَشْيَاءِ وَمُسْتَوِيًّا عَلَيْهَا. أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِشَرْعٍ بِالِإِسْتِوَاءِ عَلَى الْعِرَاقِ، إِلَّا وَهُوَ عَاجِزٌ عَنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ؟!^(٢)

(١) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ١٠٩ - ١١٠).

(٢) وأين استواء بشر على العراق، من استواء الحق ﷻ على العرش؟!.

وَزَعَمَ هَؤُلَاءِ: أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]؛
أَي: مَلَكُهُ، وَأَنَّهُ لَا اخْتِصَاصَ لَهُ بِالْعَرْشِ، أَكْثَرَ مِمَّا لَهُ بِالْأَمَاكِينِ، وَهَذَا الْإِغَاءُ
لِتَخْصِصِ الْعَرْشِ وَتَشْرِيفِهِ.

قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ: خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ
مَخْلُوقًا قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، بَعْدَ خَلْقِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَلَى مَا وَرَدَ بِهِ النَّصُّ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ: الْمُمَاسَّةُ، بَلْ هُوَ
مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ بِلَا كَيْفٍ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ.

وَزَعَمَ هَؤُلَاءِ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْإِشَارَةُ إِلَى اللَّهِ ﷻ بِالرُّؤُوسِ وَالْأَصَابِعِ
إِلَى فَوْقِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ التَّحْدِيدَ.

وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، وَنُطِقَ بِذَلِكَ الْقُرْآنُ
فِي قَوْلِهِ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١٦١﴾ [الأعلى: ١].

وَزَعَمُوا أَنَّ ذَلِكَ بِمَعْنَى: عُلُوِّ الْغَلْبَةِ، لَا عُلُوِّ الذَّاتِ. وَعِنْدَ الْمُسْلِمِينَ:
أَنَّ لِلَّهِ ﷻ عُلُوًّا الْغَلْبَةِ، وَالْعُلُوُّ مِنْ سَائِرِ وُجُوهِ الْعُلُوِّ؛ لِأَنَّ الْعُلُوَّ صِفَةُ مَدَحٍ،
فَثَبَّتَ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عُلُوًّا الذَّاتِ، وَعُلُوًّا الصِّفَاتِ، وَعُلُوًّا الْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ.

وَفِي مَنَعِهِمُ الْإِشَارَةَ إِلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ جِهَةِ فَوْقٍ، خِلَافٌ مِنْهُمْ لِسَائِرِ
الْمَلَلِ؛ لِأَنَّ جَمَاهِيرَ الْمُسْلِمِينَ وَسَائِرَ الْمَلَلِ، قَدْ وَقَعَ مِنْهُمْ الْإِجْمَاعُ عَلَى
الْإِشَارَةِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، مِنْ جِهَةِ الْفَوْقِ فِي الدُّعَاءِ وَالسُّؤَالِ. فَاتَّفَقُوهُمْ
بِاجْمَاعِهِمْ عَلَى ذَلِكَ حُجَّةً، وَلَمْ يَسْتَحِزْ أَحَدٌ الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْأَسْفَلِ،
وَلَا مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ، سِوَى جِهَةِ الْفَوْقِ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وَقَالَ: ﴿إِلَيْهِ
يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَالَ: ﴿تَرْجُ

أَلَمَلَيْكَهُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴿ [المعارج: ٤] ﴾ (١).

٩٩ - عَدِيُّ بْنُ مُسَافِرِ الْأُمَوِيِّ الْهَكَارِيُّ (٥٥٥هـ)

قَالَ عَدِيُّ بْنُ مُسَافِرِ الْأُمَوِيِّ الْهَكَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ؛ بِلَا كَيْفٍ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (٢).

١٠٠ - الْعَلَّامَةُ يَحْيَى بْنُ أَبِي الْخَيْرِ الْعِمْرَانِيُّ (٥٥٨هـ)

قَالَ الْعَلَّامَةُ يَحْيَى بْنُ أَبِي الْخَيْرِ الْعِمْرَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:
«قَدْ ذَكَّرْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ: أَنَّ عِنْدَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ:
أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِذَاتِهِ، بَائِنٌ عَنْ خَلْقِهِ، عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى فَوْقَ السَّمَاوَاتِ،
غَيْرَ مُمَاسِّ لَهُ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِالْأَشْيَاءِ كُلِّهَا.
وَقَالَتِ الْكَرَّامِيَّةُ: إِنَّهُ مُمَاسٌّ لِلْعَرْشِ.
وَقَالَتِ الْمُعْتَزَلَةُ: إِنَّ ذَاتَ اللَّهِ بِكُلِّ مَكَانٍ، حَتَّى بِالْحُشُوشِ
وَأَجَوَافِ الْحَيَوَانِ.

قِيلَ لِبِشْرِ الْمَرْيَسِيِّ: فَهَوَ فِي جَوْفِ حِمَارِكَ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَهَذَا قَوْلُ
الْحُلُولِيَّةِ، وَهُوَ كُفْرٌ صَرِيحٌ لَا إِشْكَالَ فِيهِ.
وَقَالَتِ الْأَشْعَرِيَّةُ: لَا يَجُوزُ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.
ثُمَّ ذَكَرَ آيَاتٍ وَأَحَادِيثَ دَالَّةً عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ، إِلَى أَنْ قَالَ:
وَلِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ مُجْمِعُونَ عِنْدَ الدُّعَاءِ عَلَى رَفْعِ أَبْصَارِهِمْ وَأَكْفِهِمْ إِلَى
نَحْوِ السَّمَاءِ؛ فَدَلَّ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَاهُ.

(١) «الحجة في بيان المحجة» (١١٣/٢ - ١١٥).

(٢) «اعتقاد أهل السنة والجماعة» (ص ٣٠)، للهكَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ بِمَعْنَى يَخْتَصُّ بِالْعَرْشِ، كَمَا قَالَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ، وَكَانَ بِكُلِّ مَكَانٍ، فَقُولُوا: إِنَّهُ تَحْتَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ فَوْقَهَا، فَهُوَ تَحْتَ التَّحْتِ، وَإِنَّهُ فَوْقَ الْفَوْقِ، وَالْأَشْيَاءُ تَحْتَهُ، وَهَذَا مُتَنَاقِضٌ.

فَإِنْ احْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْآيَةِ ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ [المجادلة: ٧]، أَيْ: مِنْ حَدِيثٍ بَيْنَ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ بِالْإِحَاطَةِ وَالْعِلْمِ، لَا فِي الْعَدَدِ، لِأَنَّهُ وَاحِدٌ لَا مِنْ عَدَدٍ، وَلَا وَاحِدٌ فِي مَعْنَاهُ^(١)، وَكَذَلِكَ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، يُرِيدُ بِالْإِحَاطَةِ وَالْعِلْمِ، لَا بِالذَّاتِ وَالْحُلُولِ.

يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ [المجادلة: ٧] الْآيَةَ.. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنْ أَلَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]؛ فَبَدَأَ الْآيَةَ بِالْعِلْمِ وَخَتَمَهَا بِالْعِلْمِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ كُلِّهِ الْإِخْبَارُ عَنْ عِلْمِهِ، وَإِحَاطَتِهِ بِهِمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْحَالَاتِ. فَإِنْ احْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، فَأَجِبْ أَنَّ إِلَهَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْآيَةِ أَنَّهُ عِنْدَ أَهْلِ السَّمَاءِ إِلَهٌُ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَهٌُ، كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ نَبِيلٌ مُطَاعٌ فِي الْعِرَاقِ، وَنَبِيلٌ مُطَاعٌ فِي الْحِجَازِ، يَعْنُونَ: أَنَّهُ نَبِيلٌ مُطَاعٌ فِيهِمَا، وَلَيْسَ يَعْنُونَ أَنَّ ذَاتَهُ فِي الْعِرَاقِ وَفِي الْحِجَازِ.

(١) أي: لا يُشْرِكُهُ نَجْوَى وَلَا فِي صِفَةِ الْوَحْدَانِيَةِ أَحَدٌ.

فَإِنْ اِحتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل: ١٢٨]،
وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦].

فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْمُرَادَ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِالْحِفْظِ وَالرَّعَايَةِ، وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ
مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَمَعَ الْمُحْسِنِينَ، وَمَعَ مُوسَى وَهَارُونَ عليهما السلام، فَلَا يُقَاسُ
عَلَى هَذَا أَنَّهُ مَعَ الْفُسَّاقِ وَالْكَفَّارِ، وَلَا مَعَ الْكِلَابِ وَالْخَنَازِيرِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ
ذَلِكَ عُلُوءًا كَبِيرًا.

وَتَأَوَّلَتِ الْمُعْتَزِلَةُ وَمَنْ تَابَعَهُمْ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، عَلَى أَنَّ الْإِسْتِوَاءَ هُوَ الْإِسْتِيْلَاءُ وَالْقَهْرُ، وَاحْتَجُّوا
بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

قَدْ اسْتَوَى بِشَرْ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَلَا دَمٍ مِهْرَاقٍ
وَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَا يُقَالُ هَذَا إِلَّا لِمَنْ كَانَ عَاجِزًا عَنْ قَهْرِ شَيْءٍ ثُمَّ قَهَرَهُ
وَاسْتَوَى عَلَيْهِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَاهِرٌ وَمُسْتَوٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

ثُمَّ نَقَلَ كَلَامَ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ فِي إِبْطَالِ تَفْسِيرِ الْإِسْتِوَاءِ بِالْإِسْتِيْلَاءِ، ثُمَّ قَالَ:
وَلَوْ كَانَ مَا ذَكَرُوهُ صَحِيحًا، لَجَازَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى الْحُشُوشِ
وَالْأَمَكِنَةِ الَّتِي يُرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهَا لِأَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَيْهَا، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ
لِذِكْرِهِ لِلْعَرْشِ مَعْنَى.

وَأَمَّا الْأَشْعَرِيَّةُ فَقَالُوا: إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، أَفْضَى إِلَى أَنَّهُ يَكُونُ
مَحْدُودًا، أَوْ أَنَّهُ يَفْتَقِرُ إِلَى مَكَانٍ وَجِهَةٍ تُحِيطُ بِهِ، وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

وَالْجَوَابُ: أَنَّا وَإِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، كَمَا أَخْبَرَ بِكِتَابِهِ وَأَخْبَرَ بِهِ
نَبِيُّهُ ﷺ، فَلَا نَقُولُ: إِنَّهُ مَحْدُودٌ، وَلَا إِنَّهُ يَفْتَقِرُ إِلَى مَكَانٍ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ جِهَةٌ
وَلَا مَكَانٌ، بَلْ كَانَ وَلَا مَكَانَ وَلَا زَمَانَ، ثُمَّ خَلَقَ الْمَكَانَ وَالزَّمَانَ، وَاسْتَوَى

عَلَى الْعَرْشِ بِلَا كَيْفِيَّةٍ، وَلَمْ يَخْلُقِ الْعَرْشَ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، بَلْ كَمَا حُكِيَ عَنْ ذِي النُّونِ الْمَصْرِيِّ لَمَّا قِيلَ لَهُ: مَا أَرَادَ اللَّهُ بِخَلْقِ الْعَرْشِ؟ فَقَالَ: أَرَادَ اللَّهُ أَنْ لَا تَيِّبَ قُلُوبُ الْعَارِفِينَ، وَلَمْ يَخْلُقْهُ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، فَإِذَا قِيلَ لِلْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ: أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَ: عَلَى الْعَرْشِ^(١).

١٠١ - الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ (٥٦٢هـ)

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ سَيِّدُ الْوُعَاطِ، عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، شَيْخُ الْعِرَاقِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَهُوَ بِجَهَةِ الْعُلُوِّ، مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ، مُحْتَوٍ عَلَى الْمُلْكِ، مُحِيطٌ عِلْمُهُ بِالْأَشْيَاءِ» ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿يُذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ﴿٥﴾ [السَّجْدَة: ٥].

وَاللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ، وَلَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ، وَلَا يَجُوزُ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، بَلْ يُقَالُ: إِنَّهُ فِي السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وَيَنْبَغِي إِطْلَاقُ صِفَةِ الْإِسْتِوَاءِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ، وَأَنَّهُ اسْتِوَاءُ الذَّاتِ عَلَى الْعَرْشِ، لَا عَلَى مَعْنَى الْقُعُودِ وَالْمُمَاسَّةِ كَمَا قَالَتِ الْمُجَسِّمَةُ وَالْكَرَامِيَّةُ، وَلَا عَلَى مَعْنَى الْعُلُوِّ وَالرَّفْعَةِ كَمَا قَالَتِ الْأَشْعَرِيَّةُ، وَلَا عَلَى مَعْنَى الْإِسْتِيلَاءِ وَالْغَلَبَةِ كَمَا قَالَتِ الْمُعْتَزَلَةُ؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَرِدْ بِذَلِكَ وَلَا نُقِلَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ

(١) «الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار» (٢/٦٠٧ - ٦٢٢).

الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ ذَلِكَ، بَلِ الْمَنْقُولُ عَنْهُمْ حَمْلُهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وَكُونُهُ ﷺ عَلَى الْعَرْشِ مَذْكُورٌ فِي كُلِّ كِتَابٍ أُنْزِلَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ أُرْسِلَ بِلَا كَيْفٍ، وَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ مَوْصُوفٌ بِالْعُلُوِّ وَالْقُدْرَةِ، وَالِاسْتِيْلَاءِ وَالْغَلْبَةِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ مِنَ الْعَرْشِ وَغَيْرِهِ، فَلَا يُحْمَلُ الْإِسْتِوَاءُ عَلَى ذَلِكَ، فَلِاسْتِوَاءٍ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ بَعْدَ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ، وَنَصَّ عَلَيْهِ، وَأَكَّدَهُ فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِهِ، وَالسُّنَّةُ الْمَأْثُورَةُ بِهِ وَهُوَ صِفَةٌ لَزِمَةٌ لَهُ وَلَا ثِقَّةَ بِهِ، كَالْيَدِ، وَالْوَجْهِ، وَالْعَيْنِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْحَيَاةِ، وَالْقُدْرَةِ، وَكَوْنُهُ خَالِقًا، وَرَازِقًا، وَمُحْيِيًا، وَمُمِيتًا مَوْصُوفٌ بِهَا، وَلَا نَخْرُجُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. نَقْرَأُ الْآيَةَ وَالْخَبَرَ وَنُؤْمِنُ بِمَا فِيهِمَا، وَنَكِلُ الْكَيْفِيَّةَ فِي الصِّفَاتِ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ ﷻ. وَلَمْ نَتَكَلَّفْ غَيْرَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ غَيْبٌ لَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِي إِدْرَاكِهِ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ نَقُولَ فِيهِ وَفِي صِفَاتِهِ، مَا لَمْ يُخْبِرْنَا بِهِ هُوَ أَوْ رَسُولُهُ ﷺ»^(١).

وَقَالَ فِي ذِكْرِ مَقَالَةِ السَّالِمِيَّةِ: «وَمِنْ قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْعَرْشِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَمْكِنَةِ. قَالَ: وَفِي الْقُرْآنِ تَكْذِيبُهُمْ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]، وَلَا يُقَالُ: عَلَى الْأَرْضِ اسْتَوَى، وَلَا عَلَى بُطُونِ الْجِبَالِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْكِنَةِ»^(٢).

١٠٢ - ابنُ رُشْدِ الْمَالِكِي (٥٩٥هـ)

قَالَ ابْنُ رُشْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْقَوْلُ بِالْجِهَةِ: وَأَمَّا هَذِهِ الصِّفَةُ فَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ الشَّرِيعَةِ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ يُشْتَوْنَهَا لِلَّهِ ﷻ، حَتَّى نَفَتْهَا الْمُعْتَرِلَةُ ثُمَّ تَبِعَهُمْ عَلَى

(٢) «الغنية» (١/ ٩٤ - ٩٥).

(١) «الغنية» (١/ ٥٤ - ٥٧).

تفِيهَا مُتَاخِرُونَ الْأَشْعَرِيَّةَ،... وَظَوَاهِرُ الشَّرْعِ كُلُّهَا تَقْتَضِي إِثْبَاتَ الْجَهَةِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٥) [السجدة: ٥]، وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١١) [الملك: ١٦]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، الَّتِي إِنْ سُلِّطَ عَلَيْهَا التَّأْوِيلُ عَادَ الشَّرْعُ كُلُّهُ مُؤَوَّلًا، وَإِنْ قِيلَ فِيهَا: إِنَّهَا مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ عَادَ الشَّرْعُ كُلُّهُ مُتَشَابِهًا؛ لِأَنَّ الشَّرَائِعَ كُلُّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّ مِنْهُ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ بِالْوَحْيِ إِلَى النَّبِيِّينَ، وَأَنَّ مِنَ السَّمَاءِ نَزَلَتِ الْكُتُبُ، وَإِلَيْهَا كَانَ الْإِسْرَاءُ بِالنَّبِيِّ ﷺ، حَتَّى قَرُبَ مِنْ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى. وَجَمِيعُ الْحُكَمَاءِ قَدْ اتَّفَقُوا أَنَّ اللَّهَ وَالْمَلَائِكَةَ فِي السَّمَاءِ، كَمَا اتَّفَقَتْ جَمِيعُ الشَّرَائِعِ عَلَى ذَلِكَ^(١).

١٠٣ - الْمُقَدِّسِيُّ (٦٠٠هـ)

قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُقَدِّسِيُّ فِي كِتَابِ «الِإِقْتِصَادِ فِي الْإِعْتِقَادِ»:

«مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ، وَنَطَقَ بِهَا كِتَابُهُ، وَأَخْبَرَ بِهَا نَبِيِّه: أَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ آيَاتِ الْإِسْتِوَاءِ السَّبْعَ، إِلَى أَنْ قَالَ:

فَهَذِهِ سَبْعَةُ مَوَاضِعَ أَخْبَرَ اللَّهُ فِيهَا ﷺ أَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ.

ثُمَّ سَأَلَ جُمْلَةً مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي ذَلِكَ، إِلَى أَنْ قَالَ:

وَفِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أُدْلِلُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَطُولُ بِذِكْرِهَا الْكِتَابُ.

وَمُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فِي جِهَةِ الْعُلُوِّ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ، مُخَالَفٌ

(١) «مناهج الأدلة في عقائد الملة» (ص ١٧٦)، لابن رشد رَحِمَهُ اللَّهُ.

بِكِتَابِ اللَّهِ، مُنْكَرِ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(١).

١٠٤ - القرطبي (٦٧٧هـ)

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: «هَذِهِ مَسْأَلَةُ الْإِسْتِوَاءِ، وَلِلْعُلَمَاءِ فِيهَا كَلَامٌ وَإِجْرَاءٌ.. وَالْأَكْثَرُ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّهُ إِذَا وَجِبَ تَنْزِيهِ الْبَارِي ﷻ عَنِ الْجِهَةِ وَ[التَّحْيِيزِ]، فَمِنْ ضَرُورَةِ ذَلِكَ وَلَوْ أَحِقَّهِ الْإِلَازِمَةُ عَلَيْهِ عِنْدَ عَامَّةِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَقَادَتِهِمْ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ: تَنْزِيهُهُ ﷻ عَنِ الْجِهَةِ، فَلَيْسَ بِجِهَةٍ فَوْقَ عِنْدِهِمْ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مَتَى اخْتَصَّ بِجِهَةٍ أَنْ يَكُونَ فِي مَكَانٍ أَوْ حَيْزٍ، وَيَلْزَمُ عَلَى الْمَكَانِ وَالْحَيْزِ الْحَرَكَةُ وَالسُّكُونُ لِلْمُتَحَيِّزِ، وَالتَّغْيِيرُ وَالْحُدُوثُ. هَذَا قَوْلُ الْمُتَكَلِّمِينَ. وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الْأَوَّلُ ﷺ لَا يَقُولُونَ بِنَفْيِ الْجِهَةِ وَلَا يَنْطِقُونَ بِذَلِكَ، بَلْ نَطَقُوا هُمْ وَالْكَافَّةُ بِإِثْبَاتِهَا لِلَّهِ تَعَالَى كَمَا نَطَقَ كِتَابُهُ وَأَخْبَرَتْ رُسُلُهُ. وَلَمْ يُنْكَرْ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةً، وَخَصَّ الْعَرْشَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ مَخْلُوقَاتِهِ، وَإِنَّمَا جَهِلُوا كَيْفِيَّةَ الْإِسْتِوَاءِ، فَإِنَّهُ لَا تُعْلَمُ حَقِيقَتُهُ»^(٢).

وَقَالَ - بَعْدَ أَنْ حَكَى أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَوْلًا فِي مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ:

«وَأَظْهَرَ هَذِهِ الْأَقْوَالَ - وَإِنْ كُنْتُ لَا أَقُولُ بِهِ وَلَا أَخْتَارُهُ»^(٣) - مَا تَظَاهَرَتْ عَلَيْهِ الْآيُ وَالْأَخْبَارُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ عَلَى عَرْشِهِ، كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ، بِأَنَّ كَيْفَ، بَائِنٌ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ. هَذَا جُمْلَةُ مَذْهَبِ السَّلَفِ

(١) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ٨٠ - ٩٤).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢١٩).

(٣) وأهل الحديث الفرقة الناجية يقولون به.

الصَّالِح، فِيمَا نَقَلَ عَنْهُمْ الثَّقَاتُ»^(١).

وَفِي قَوْلِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِنْ كُنْتُ لَا أَقُولُ بِهِ»، غَايَةُ الْعَجَبِ؛ لِأَنَّهُ اعْتَرَفَ بِتَضَافُرِ
الآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ عَلَيْهِ، وَدَلَالَةِ الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ إِلَيْهِ، وَتَعْوِيلِ السَّلَفِ الصَّالِحِ
الْأَخْيَارِ عَلَيْهِ، فَكَيْفَ يَلِيقُ مِنْ مِثْلِهِ أَنْ يَقُولَ: «وَإِنْ كُنْتُ لَا أَقُولُ بِهِ وَلَا أَخْتَارُهُ،
مَعَ الدَّلَالَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَكَوْنِهِ مُعْتَقِدَ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ؟!

١٠٥ - الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الصَّالِحُ تَقِيُّ الدِّينِ الْمَقْدِسِيُّ (٦٧٩هـ)

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رَأَيْتُ لَهُ مُصَنَّفًا فِي الصِّفَاتِ، وَلَمْ يَصِحَّ عَنْهُ مَا
كَانَ يُلَطِّخُ بِهِ مِنَ التَّجْسِيمِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ كَانَ أَتَقَى لِلَّهِ وَأَخَوْفَ مِنْ أَنْ يَقُولَ
عَلَى اللَّهِ ذَلِكَ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَمَعَ فِيهِ قَوْلُ الْخُصُومِ.

وَكَانَ الْوَاقِعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ شَمْسِ الدِّينِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ
وَأَصْحَابِهِ، وَهُوَ كَانَ حَنْبَلِيًّا خَشِنًا مُتَحَرِّقًا عَلَى الْأَشْعَرِيَّةِ. وَبَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ
الْمُتَكَلِّمِينَ قَالَ لَهُ: أَنْتَ تَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا قُلْتُهُ،
لَكِنَّ اللَّهَ قَالَهُ، وَالرُّسُولُ ﷺ بَلَغَ، وَأَنَا صَدَقْتُ، وَأَنْتَ كَذَبْتَ. فَأَفْحَمَ الرَّجُلُ»^(٢).

١٠٦ - ابْنُ شَيْخِ الْحَزَامِيِّ (٧١١هـ)

قَالَ الشَّيْخُ الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ شَيْخِ الْحَزَامِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أَمَّا بَعْدُ: فَهَذِهِ نَصِيحَةٌ كَتَبْتُهَا إِلَى إِخْوَانِي فِي اللَّهِ، أَهْلِ الصَّدَقِ
وَالصِّفَاءِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْوَفَاءِ، لَمَّا تَعَيَّنَ عَلَيَّ مَحَبَّتُهُمْ فِي اللَّهِ، وَنَصِيحَتُهُمْ
فِي صِفَاتِ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَكْمُلُ إِيمَانُهُ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.
عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ

(١) «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (٢/ ١٣٢).

(٢) «تاريخ الإسلام»، حوادث ووفيات ٦٧١ - ٦٨٠ هـ (ص ٣٢٤).

الصَّلَاةَ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ^(١).
وَعَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ،
إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ» قَالُوا: لِمَنْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ،
وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»، أَوْ «أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(٢).
وَأَعْرَفُهُمْ - أَيْدَهُمُ اللَّهُ بِتَأْيِيدِهِ، وَوَفَّقَهُمْ لِبَطَاعَتِهِ وَمَزِيدِهِ - أَنَّنِي كُنْتُ
بُرْهَةً مِنَ الدَّهْرِ مُتَحِيرًا فِي ثَلَاثِ مَسَائِلَ:
(مَسْأَلَةُ الصِّفَاتِ).

(وَمَسْأَلَةُ الْفُوقِيَّةِ).

(وَمَسْأَلَةُ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ).

وَكُنْتُ مُتَحِيرًا فِي الْأَقْوَالِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْعَصْرِ
فِي جَمِيعِ ذَلِكَ، مِنْ تَأْوِيلِ الصِّفَاتِ وَتَحْرِيفِهَا، أَوْ إِمْرَارِهَا، أَوْ الْوُقُوفِ فِيهَا،
أَوْ إِثْبَاتِهَا بِلَا تَأْوِيلَ، وَلَا تَعْطِيلَ، وَلَا تَشْبِيهِ، وَلَا تَمْثِيلَ.

فَأَجِدُ النُّصُوصَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، نَاطِقَةً مُبَيَّنَّةً لِحَقَائِقِ هَذِهِ
الصِّفَاتِ، وَكَذَلِكَ فِي إِثْبَاتِ الْعُلُوِّ وَالْفُوقِيَّةِ، وَكَذَلِكَ فِي الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ.
ثُمَّ أَجِدُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي كُتُبِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَ الْإِسْتِوَاءَ:
بِالْقَهْرِ وَالْإِسْتِيْلَاءِ، وَتَأَوَّلَ النَّزُولَ: بِنُزُولِ الْأَمْرِ، وَتَأَوَّلَ الْيَدَيْنِ: بِالنَّعْمَتَيْنِ
وَالْقُدْرَتَيْنِ، وَتَأَوَّلَ الْقَدَمَ: بِقَدَمِ صَدِيقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

ثُمَّ أَجِدُهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَجْعَلُونَ كَلَامَ اللَّهِ مَعْنَى قَائِمًا بِالذَّاتِ، بِلَا حَرْفٍ
وَلَا صَوْتٍ، وَيَجْعَلُونَ هَذِهِ الْحُرُوفَ عِبَارَةً عَنِ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْقَائِمِ.

(١) رواه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

(٢) رواه مسلم (٥٥)، وأبو داود (٤٩٤٤) - واللفظ له -.

وَمِمَّنْ^(١) ذَهَبَ إِلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ أَوْ بَعْضُهَا: قَوْمٌ لَهُمْ فِي صَدْرِي مَنَزَلَةٌ، مِثْلُ بَعْضِ فُقَهَاءِ الْأَشْعَرِيَّةِ الشَّافِعِيِّينَ، لِأَنِّي عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، عَرَفْتُ مِنْهُمْ فَرَائِضَ دِينِي وَأَحْكَامَهُ، فَأَجِدُ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الشُّيُوخِ الْأَجَلَّةِ يَذْهَبُونَ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ، وَهُمْ شُيُوخِي، وَلِي فِيهِمْ الْإِعْتِقَادُ التَّامُّ لِفَضْلِهِمْ وَعِلْمِهِمْ.

ثُمَّ إِنِّي مَعَ ذَلِكَ أَجِدُ فِي قَلْبِي مِنْ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ حَزَازَاتٍ، لَا يَطْمَئِنُّ قَلْبِي إِلَيْهَا، وَأَجِدُ الْكَدَرَ وَالظُّلْمَةَ مِنْهَا، وَأَجِدُ ضِيقَ الصَّدْرِ وَعَدَمَ انْشِرَاحِهِ مَقْرُونًا بِهَا.

فَكُنْتُ كَالْمُتَحَيِّرِ الْمُضْطَرَبِّ فِي تَحْيِيرِهِ، الْمُتَمَلِّمِ مِنْ قَلْبِهِ فِي تَقْلِبِهِ وَتَغْيِيرِهِ. وَكُنْتُ أَخَافُ مِنْ إِطْلَاقِ الْقَوْلِ بِإِثْبَاتِ الْعُلُوِّ، وَالِاسْتِوَاءِ، وَالتَّزْوِيلِ، مَخَافَةَ الْحَصْرِ وَالتَّشْبِيهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِذَا طَالَعْتُ النُّصُوصَ الْوَارِدَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، أَجِدُهَا نُصُوصًا تُشِيرُ إِلَى حَقَائِقِ هَذِهِ الْمَعَانِي، وَأَجِدُ الرُّسُولَ ﷺ قَدْ صَرَّحَ بِهَا، مُخْبِرًا عَنْ رَبِّهِ، وَاصِفًا لَهُ بِهَا، وَأَعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِّ أَنَّهُ كَانَ يَحْضُرُ فِي مَجْلِسِهِ الشَّرِيفِ: الْعَالِمُ، وَالْجَاهِلُ، وَالذَّكِيُّ، وَالْبَلِيدُ، وَالْأَعْرَابِيُّ الْجَافِي؛ ثُمَّ لَا أَجِدُ شَيْئًا يُعَقِّبُ تِلْكَ النُّصُوصَ، الَّتِي كَانَ ﷺ يَصِفُ بِهَا رَبَّهُ، لَا نَصًّا وَلَا ظَاهِرًا، مِمَّا يَصْرِفُهَا عَنْ حَقَائِقِهَا، وَيُوَوِّلُهَا كَمَا تَأَوَّلَهَا هَؤُلَاءِ - مَشَايِخِي الْفُقَهَاءُ الْمُتَكَلِّمُونَ - مِثْلَ تَأْوِيلِهِمُ الْإِسْتِوَاءَ: بِالِاسْتِيْلَاءِ، وَالتَّزْوِيلِ: بِتَزْوِيلِ الْأَمْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَلَمْ أَجِدْ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُحَذِّرُ النَّاسَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَا يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِهِ فِي صِفَةِ لِرَبِّهِ مِنَ الْفُوقِيَّةِ وَالْيَدَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، مِثْلَ أَنْ يُنْقَلَ عَنْهُ مَقَالَةٌ تَدُلُّ عَلَى

(١) فِي الْأَصْلِ: «وَمِمَّا»، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ.

===== ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَوْلَى فِي سُبُحَاتِهِ﴾ =====

أَنَّ لِهَذِهِ الصِّفَاتِ مَعَانِي أُخْرَ بَاطِنَةً، غَيْرَ مَا يَظْهَرُ مِنْ مَدْلُولِهَا، مِثْلَ فَوْقِيَّةِ الْمَرْتَبَةِ، وَبِدِ النُّعْمَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَأَجِدُ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]، وَقَالَ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، فِي سَبْعِ مَوَاضِعَ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ﴿١١﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦، ١٧]. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]. وَقَالَ اللَّهُ عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿يَنْهَمْنُ ابْنِي لِی صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ ﴿٢٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُوسَى أَخْبَرَهُ بِأَنَّ رَبَّهُ تَعَالَى فَوْقَ السَّمَاءِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٧].

وَقَالَ: ﴿مَنْ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ﴿٢﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ﴿١﴾ [المعارج: ١].

ثُمَّ سَأَلَ جُمْلَةً مِنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى عُلُوِّ الرَّحْمَنِ، إِلَى أَنْ قَالَ:

«إِذَا عَلِمْنَا ذَلِكَ وَاعْتَقَدْنَاهُ، تَخَلَّصْنَا مِنْ شُبْهِ التَّأْوِيلِ، وَعَمَاوَةِ التَّعْطِيلِ، وَحَمَاقَةِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، وَأَثْبَتْنَا عُلُوَّ رَبَّنَا وَفَوْقِيَّتَهُ، وَاسْتَوَاءَهُ عَلَى عَرْشِهِ،

(١) «النصيحة في صفات الرب ﷻ» (ص ١٥ - ٢١)، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة،

كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَالْحَقُّ وَاضِحٌ فِي ذَلِكَ، وَالصَّدْرُ يَنْشَرُحُ لَهُ.

فَإِنَّ التَّحْرِيفَ تَأْبَاهُ الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ، مِثْلُ تَحْرِيفِ الْإِسْتِوَاءِ:
بِالِاسْتِيْلَاءِ وَغَيْرِهِ، وَالْوُقُوفُ فِي ذَلِكَ جَهْلٌ وَعَيٌّْ، مَعَ أَنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ
وَصَفَ لَنَا نَفْسَهُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ لِنَعْرِفَهُ بِهَا، فَوُقُوفُنَا عَنْ إِثْبَاتِهَا وَنَفْيِهَا، عُدُولٌ
عَنِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ فِي تَعْرِيفِنَا إِيَّاهَا^(١)؛ فَمَا وَصَفَ لَنَا نَفْسَهُ بِهَا، إِلَّا لِثَبِتِ مَا
وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا نَقِفُ فِي ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ التَّشْبِيهُ وَالتَّمثِيلُ حِمَاقَةٌ وَجَهَالَةٌ، فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِلْإِثْبَاتِ بِلَا
تَحْرِيفٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا وَقُوفٍ، فَقَدْ وَقَعَ عَلَى الْأَمْرِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ، إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَالَّذِي شَرَحَ اللَّهُ بِهِ صَدْرِي، فِي حَالِ هَؤُلَاءِ الشُّيُوخِ، الَّذِينَ أَوَّلُوا
الِاسْتِوَاءَ: بِالِاسْتِيْلَاءِ، وَالنُّزُولَ: بِنُزُولِ الْأَمْرِ، وَالْيَدَيْنِ: بِالنَّعْمَتَيْنِ وَالْقُدْرَتَيْنِ،
هُوَ عَلِمِي بِأَنَّهُمْ مَا فَهِمُوا فِي صِفَاتِ الرَّبِّ إِلَّا مَا يَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِينَ، فَمَا فَهِمُوا
عَنِ اللَّهِ اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِهِ، وَلَا نُزُولًا يَلِيقُ بِهِ، وَلَا يَدَيْنِ تَلِيقُ بِعَظَمَتِهِ، بِلَا تَكْيِيفٍ،
وَلَا تَشْبِيهِ؛ فَلِذَلِكَ حَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَعَطَّلُوا مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ.
وَنَذْكُرُ بَيَانَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَتَقُولُ:

لَا رَيْبَ أَنَّا نَحْنُ وَإِيَّاهُمْ، مُتَّفِقُونَ عَلَى إِثْبَاتِ صِفَاتِ الْحَيَاةِ،
وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالْإِرَادَةِ، وَالْكَلَامِ لِلَّهِ تَعَالَى.
وَنَحْنُ قَطْعًا لَا نَعْقِلُ مِنَ الْحَيَاةِ إِلَّا هَذَا الْعَرَضَ الَّذِي يَقُومُ بِأَجْسَامِنَا،
وَكَذَلِكَ لَا نَعْقِلُ مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ إِلَّا أَعْرَاضًا تَقُومُ بِجَوَارِحِنَا. فَكَمَا
أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: حَيَاتُهُ لَيْسَتْ بِعَرَضٍ، وَعِلْمُهُ كَذَلِكَ، وَبَصَرُهُ كَذَلِكَ، هِيَ

(١) فِي الْأَصْلِ: «إِيَّاهُ»، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ.

== (الْأَلَمَانِ الْوَسَائِلُ فِي تَسْلِيَةِ مُتَلَبِّهِ الْكَرَامَاتِ) ==

صِفَاتٌ كَمَا يَلِيْقُ بِهِ، لَا كَمَا يَلِيْقُ بِنَا. فَكَذَلِكَ نَقُولُ نَحْنُ: حَيَاتُهُ مَعْلُومَةٌ، وَلَيْسَتْ مُكَيَّفَةٌ، وَعِلْمُهُ مَعْلُومٌ، وَلَيْسَ مُكَيَّفًا؛ وَكَذَلِكَ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ مَعْلُومَانِ، وَلَيْسَ جَمِيعُ ذَلِكَ أَعْرَاضًا، بَلْ هُوَ كَمَا يَلِيْقُ بِهِ.

وَمِثْلُ ذَلِكَ بَعِيْنُهُ: فَوْقِيَّتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَنُزُولُهُ، فَفَوْقِيَّتُهُ مَعْلُومَةٌ، أَعْنِي: ثَابِتَةٌ كَثْبُوتِ حَقِيقَةِ السَّمْعِ، وَحَقِيقَةِ الْبَصَرِ، فَإِنَّهُمَا مَعْلُومَانِ، وَلَا يُكَيَّفَانِ؛ كَذَلِكَ فَوْقِيَّتُهُ مَعْلُومَةٌ ثَابِتَةٌ، غَيْرُ مُكَيَّفَةٍ، كَمَا يَلِيْقُ بِهِ، وَاسْتِوَاؤُهُ عَلَى عَرْشِهِ، مَعْلُومٌ ثَابِتٌ، كَثْبُوتِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، غَيْرُ مُكَيَّفٍ؛ وَكَذَلِكَ نُزُولُهُ ثَابِتٌ مَعْلُومٌ، غَيْرُ مُكَيَّفٍ بِحَرَكَةٍ وَانْتِقَالٍ يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِ، بَلْ كَمَا يَلِيْقُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ.

وَصِفَاتُهُ مَعْلُومَةٌ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةِ وَالشُّبُوتِ، غَيْرُ مَعْقُولَةٍ لَهُ مِنْ حَيْثُ التَّكْيِيفِ وَالتَّحْدِيدِ، فَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بِهَا مُبْصِرًا مِنْ وَجْهِهِ، أَعْمَى مِنْ وَجْهِهِ، مُبْصِرًا مِنْ حَيْثُ الْإِثْبَاتِ وَالْوُجُودِ، أَعْمَى مِنْ حَيْثُ التَّكْيِيفِ وَالتَّحْدِيدِ. وَبِهَذَا يَحْصُلُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْإِثْبَاتِ لِمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ، وَبَيْنَ نَفْيِ التَّحْرِيفِ وَالتَّشْبِيهِ وَالْوُقُوفِ، وَذَلِكَ هُوَ مُرَادُ اللَّهِ تَعَالَى مِنَّا فِي إِبْرَازِ صِفَاتِهِ لَنَا لِنَعْرِفَهُ بِهَا، وَنُؤْمِنَ بِحَقَائِقِهَا، وَنَنْفِي عَنْهَا التَّشْبِيهَ، وَلَا نُعْطِلَهَا بِالتَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلِ، لَا فَرْقَ بَيْنَ الْإِسْتِوَاءِ وَالسَّمْعِ، وَلَا بَيْنَ النُّزُولِ وَالْبَصَرِ، لِأَنَّ الْكُلَّ وَرَدَ فِي النَّصِّ.

فَإِنْ قَالُوا لَنَا: فِي الْإِسْتِوَاءِ شَبَهَتْهُمْ.

نَقُولُ لَهُمْ: فِي السَّمْعِ شَبَهَتْهُمْ، وَوَصَفْتُمْ رَبَّكُمْ بِالْعَرَضِ !!

وَإِنْ قَالُوا: لَا عَرَضَ، بَلْ كَمَا يَلِيْقُ بِهِ.

قُلْنَا: فِي الْإِسْتِوَاءِ وَالْفَوْقِيَّةِ لَا حَضَرَ، بَلْ كَمَا يَلِيْقُ بِهِ، فَجَمِيعُ مَا يُلْزِمُونَنَا فِي الْإِسْتِوَاءِ، وَالنُّزُولِ، وَالْيَدِ، وَالْوَجْهِ، وَالْقَدَمِ، وَالضَّحِكِ، وَالتَّعْجُبِ، مِنَ التَّشْبِيهِ؛ نُلْزِمُهُمْ بِهِ فِي الْحَيَاةِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْعِلْمِ. فَكَمَا لَا يَجْعَلُونَهَا

أَعْرَاضًا، كَذَلِكَ نَحْنُ لَا نَجْعَلُهَا جَوَارِحَ، وَلَا مِمَّا يُوصَفُ بِهِ الْمَخْلُوقُ!!
وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْصَافِ أَنْ يَفْهَمُوا فِي الْإِسْتِوَاءِ، وَالنُّزُولِ، وَالْوَجْهِ، وَالْيَدِ،
صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، فَيَحْتَاجُونَ إِلَى التَّأْوِيلِ وَالتَّحْرِيفِ.

فَإِنْ فَهَمُوا فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ ذَلِكَ، فَيَلْزِمُهُمْ أَنْ يَفْهَمُوا فِي الصِّفَاتِ
السَّبْعِ، صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْأَعْرَاضِ!!

فَمَا يُلْزِمُونَنَا فِي تِلْكَ الصِّفَاتِ، مِنَ التَّشْبِيهِ، وَالْجِسْمِيَّةِ، نُلْزِمُهُمْ فِي
هَذِهِ الصِّفَاتِ مِنَ الْعَرَضِيَّةِ؛ وَمَا يُنْزَهُونَ رَبَّهُمْ بِهِ فِي الصِّفَاتِ السَّبْعِ، وَيَنْفَوْنَهُ
عَنْهُ مِنْ عَوَارِضِ الْجِسْمِ فِيهَا، فَكَذَلِكَ نَحْنُ نَعْمَلُ فِي تِلْكَ الصِّفَاتِ، الَّتِي
يَنْسَبُونَ فِيهَا إِلَى التَّشْبِيهِ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ.

وَمَنْ أَنْصَفَ، عَرَفَ مَا قُلْنَاهُ وَاعْتَقَدَهُ، وَقَبِلَ نَصِيحَتَنَا، وَدَانَ اللَّهُ
بِإِبْثَابِ جَمِيعِ صِفَاتِهِ هَذِهِ وَتِلْكَ؛ وَنَفَى عَنْ جَمِيعِهَا التَّعْطِيلَ، وَالتَّشْبِيهِ،
وَالْتَّأْوِيلَ، وَالْوُقُوفَ.

وَهَذَا مُرَادُ اللَّهِ تَعَالَى مِنَّا فِي ذَلِكَ: لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَتِلْكَ، جَاءَتْ
فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؛ فَإِذَا أَثْبَتْنَا تِلْكَ بِلَا تَأْوِيلٍ،
وَحَرَفْنَا هَذِهِ وَأَوَّلْنَاهَا، كُنَّا^(١) كَمَنْ آمَنَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ، وَكَفَرَ بِبَعْضٍ،
وَفِي هَذَا بَلَاغٌ وَكِفَايَةٌ^(٢).

ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ مُبَيِّنًا أَثَرِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ بِهَا:
«الْعَبْدُ إِذَا أَيْقَنَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ السَّمَاءِ، عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ بِلَا حَصْرِ
وَلَا كَيْفِيَّةٍ، وَأَنَّهُ الْآنَ فِي صِفَاتِهِ كَمَا كَانَ فِي قَدَمِهِ، صَارَ لِقَلْبِهِ قِبْلَةً فِي صَلَاتِهِ
وَتَوَجُّهِهِ وَدُعَائِهِ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ رَبَّهُ بِأَنَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، فَإِنَّهُ يَبْقَى

(١) فِي الْأَصْلِ: «كَانَ»، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ.

(٢) «النَّصِيحَةُ فِي صِفَاتِ الرَّبِّ ﷻ» (ص ٣٧ - ٤١).

ضَائِعًا لَا يَعْرِفُ وَجْهَهُ مَعْبُودِهِ... بِخِلَافِ مَنْ عَرَفَ أَنَّ إِلَهَهُ الَّذِي يَعْبُدُهُ فَوْقَ الْأَشْيَاءِ، فَإِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ وَكَبَّرَ، تَوَجَّهَ قَلْبُهُ إِلَى جِهَةِ الْعَرْشِ، مُنْزَهَا رَبَّهُ تَعَالَى عَنِ الْحَصْرِ مُفْرِدًا لَهُ، كَمَا أَفْرَدَهُ فِي قَدَمِهِ وَأَرْزَلِيَّتِهِ، عَالِمًا أَنَّ هَذِهِ الْجِهَاتِ مِنْ حُدُودِنَا وَلَوَازِمِنَا، وَلَا يُمَكِّنُنَا الْإِشَارَةُ إِلَى رَبَّنَا فِي قَدَمِهِ وَأَرْزَلِيَّتِهِ إِلَّا بِهَا؛ لِأَنَّا مُحَدِّثُونَ، وَالْمُحَدَّثُ لَا بُدَّ لَهُ فِي إِشَارَتِهِ إِلَى جِهَةٍ، فَتَقَعُ تِلْكَ الْإِشَارَةُ إِلَى رَبِّهِ، كَمَا يَلِيقُ بِعَظَمَتِهِ، لَا كَمَا يَتَوَهَّمُهُ هُوَ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ فِي عُلُوِّهِ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ، هُوَ مَعَهُمْ بِعِلْمِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ؛ وَإِحَاطَتُهُ وَقُدْرَتُهُ وَمَشِيتُهُ، وَذَاتُهُ فَوْقَ الْأَشْيَاءِ، فَوْقَ الْعَرْشِ، وَمَتَى شَعَرَ قَلْبُهُ بِذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ أَوْ التَّوَجُّهِ أَشْرَقَ قَلْبُهُ، وَاسْتَنَارَ، وَأَضَاءَ... وَقَوِيَ إِيمَانُهُ، وَنَزَّهَ رَبُّهُ عَنْ صِفَاتِ خَلْقِهِ مِنَ الْحَصْرِ وَالْحُلُولِ، وَذَاقَ حَيْثُ شَاءَ مِنْ أَذْوَاقِ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ، بِخِلَافِ مَنْ لَا يَعْرِفُ وَجْهَهُ مَعْبُودِهِ، وَتَكُونُ الْجَارِيَةُ رَاعِيَةُ الْغَنَمِ أَعْلَمَ بِاللَّهِ مِنْهُ، فَإِنَّهَا قَالَتْ: «فِي السَّمَاءِ»، عَرَفَتْهُ بِأَنَّهُ عَلَى السَّمَاءِ.

فَإِنَّ «فِي» تَأْتِي بِمَعْنَى «عَلَى»، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦]، أَي: عَلَى الْأَرْضِ، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، أَي: عَلَى جُدُوعِ النَّخْلِ. فَمَنْ تَكُونُ الرَّاعِيَةُ أَعْلَمَ بِاللَّهِ مِنْهُ، لِكُونِهِ لَا يَعْرِفُ وَجْهَهُ مَعْبُودِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ مُظْلِمَ الْقَلْبِ، لَا يَسْتَنِيرُ بِأَنْوَارِ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ.

وَمَنْ أَنْكَرَ هَذَا الْقَوْلَ، فَلْيُؤْمِنْ بِهِ، وَلْيَجَرِّبْ، وَلْيَنْظُرْ إِلَى مَوْلَاهُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ بِقَلْبِهِ، مُبْصِرًا مِنْ وَجْهِهِ، أَعْمَى مِنْ وَجْهِهِ كَمَا سَبَقَ، مُبْصِرًا مِنْ جِهَةِ الْإِثْبَاتِ وَالْوُجُودِ وَالتَّحْقِيقِ، أَعْمَى مِنْ جِهَةِ التَّحْدِيدِ، وَالْحَصْرِ، وَالتَّكْيِيفِ، فَإِنَّهُ إِذَا عَمِلَ ذَلِكَ وَجَدَ ثَمَرَتَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَوَجَدَ نُورَهُ وَبَرَكَتَهُ عَاجِلًا وَآجِلًا، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُؤَفِّقُ وَالْمُعِينُ^(١).

(١) «النصيحة في صفات الرب ﷻ» (ص ٤٨ - ٥١).

ثُمَّ عَقَدَ فَصْلًا فِي تَقْرِيبِ مَسْأَلَةِ الْفَوْقِيَّةِ إِلَى الْأَفْهَامِ، بِمَعْنَى مِنْ عِلْمِ الْهَيْئَةِ وَالْفَلَكَ لِمَنْ عَرَفَهُ قَالَ:

لَا رَيْبَ أَنَّ أَهْلَ هَذَا الْعِلْمِ حَكَمُوا بِمَا اقْتَضَتْهُ الْهَنْدَسَةُ، وَحُكْمُهَا صَحِيحٌ لِأَنَّهُ بُرْهَانٌ، لَا يُكَابِرُ الْحِسُّ فِيهِ بِأَنَّ الْأَرْضَ فِي جَوْفِ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ، وَأَنَّ كُرَّةَ الْأَرْضِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ كَبْطِيخَةٍ فِي جَوْفِ بَطِيخَةٍ، وَالسَّمَاءُ مُحِيطَةٌ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا، وَأَنَّ سُفْلَ الْعَالَمِ هُوَ جَوْفُ كُرَّةِ الْأَرْضِ، وَهُوَ الْمَرْكَزُ، ... وَهُوَ مُتَنَهَى السُّفْلِ وَالتَّحْتِ، وَمَا دُونَهُ لَا يُسَمَّى تَحْتًا، بَلْ لَا يَكُونُ تَحْتًا وَيَكُونُ فَوْقًا، بِحَيْثُ لَوْ فَرَضْنَا خَرَقَ الْمَرْكَزِ وَهُوَ سُفْلُ الْعَالَمِ إِلَى تِلْكَ الْجِهَةِ، لَكَانَ الْخَرَقُ إِلَى جِهَةِ فَوْقٍ، وَلَوْ نَفَذَ الْخَرَقُ جِهَةَ السَّمَاءِ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ الْأُخْرَى، لَصَعِدَ إِلَى جِهَةِ فَوْقٍ.

وَبُرْهَانُ ذَلِكَ أَنَّا لَوْ فَرَضْنَا مُسَافِرًا سَافَرَ عَلَى كُرَّةِ الْأَرْضِ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ إِلَى جِهَةِ الْمَغْرِبِ، وَامْتَدَّ مُسَافِرُ الْمَشْيِ عَلَى كُرَّةِ الْأَرْضِ إِلَى حَيْثُ ابْتَدَأَ بِالسَّيْرِ وَقَطَعَ الْكُرَّةَ مِمَّا يَرَاهُ النَّاطِرُ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَهُوَ فِي سَفَرِهِ هَذَا لَمْ تَبْرَحِ الْأَرْضُ تَحْتَهُ، وَالسَّمَاءُ فَوْقَهُ، فَالسَّمَاءُ الَّتِي يَشْهَدُهَا الْحِسُّ تَحْتَ الْأَرْضِ هِيَ فَوْقَ الْأَرْضِ، لَا تَحْتَهَا؛ لِأَنَّ السَّمَاءَ فَوْقَ الْأَرْضِ بِالذَّاتِ، فَكَيْفَ كَانَتْ السَّمَاءُ كَانَتْ فَوْقَ الْأَرْضِ، مِنْ أَيِّ جِهَةٍ فَرَضْتَهَا...

وَإِذَا كَانَ هَذَا جِسْمٌ - وَهُوَ السَّمَاءُ - عُلُوُّهَا عَلَى الْأَرْضِ بِالذَّاتِ، فَكَيْفَ مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَعُلُوُّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِالذَّاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ذِكْرُ الْفَوْقِيَّةِ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْفِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

لِأَنَّ فَوْقِيَّتَهُ سَبْحًا وَعُلُوُّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ذَاتِيٌّ لَهُ، فَهُوَ الْعَلِيُّ بِالذَّاتِ،

وَالْعُلُوُّ صِفَتُهُ اللَّائِقَةُ بِهِ، كَمَا أَنَّ السُّفُولَ وَالرُّسُوبَ وَالْإِنْحِطَاطَ ذَاتِيٌّ لِلْأَكْوَانِ عَنْ رُتَبَةِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَعُلُوِّهِ. وَالْعُلُوُّ وَالسُّفُولُ حَدٌّ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْهُ. هُوَ سُبْحَانَهُ عَلَيَّ بِالذَّاتِ، وَهُوَ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْأَكْوَانِ، وَمَا سِوَاهُ مُسْتَقِلٌّ عَنْهُ بِالذَّاتِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْعَلِيِّ عَلَى عَرْشِهِ، يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الْأَمْرُ إِلَيْهِ، فَيُحْيِي هَذَا، وَيُمِيتُ هَذَا، وَيُمْرِضُ هَذَا، وَيَشْفِي هَذَا، وَيُعِزُّ هَذَا، وَيُذِلُّ هَذَا، وَهُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ ^(١).

وَقَالَ رَحْمَتُهُ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْإِيمَانَ بِمَسْأَلَةِ الْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ - مِنْ غَيْرِ إِحَاطَةٍ، وَلَا كَيْفِيَّةٍ، وَلَا حَصْرِ، وَلَا تَمَثِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا تَشْبِيهِ، كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَفِي السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ: هُوَ أَصْلُ هَذَا الشَّانِ وَأَسَاسُهُ.

فَمَنْ رَسَخَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: صَارَ لِقَلْبِهِ قِبْلَةٌ إِلَى مَوْلَاهُ وَفَاطِرِهِ فِي تَوَجُّهِهِ وَصَلَاتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَسَائِرِ مَسَاعِيهِ - الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَصَارَ ذَلِكَ لِقَلْبِهِ (مَعْلَقًا) ^(٢)، يَجُولُ قَلْبُهُ فِي الْأَشْيَاءِ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مَعْلَقِهِ؛ كَالْفَرَسِ يَجُولُ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى (أَخِيَّتِهِ) ^(٣)» ^(٤).

وَقَالَ رَحْمَتُهُ: «أَيُّهَا الْأَخُ إِنِ ارْدَتَّ أَنْ تَنَالَ دَرَجَةَ أَهْلِ التَّقْوَى وَالْخَشْيَةِ، فَعَلَيْكَ بِالْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاكَ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ وَفَوْقَ

(١) رسالة في «إثبات الاستواء والفوقية» (ص ٣٢ - ٨٤).

(٢) العَلَقُ: كل ما عُلِقَ. كذا في «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي (٢٦ - ١٨١) (مادة علق).

(٣) الْأَخِيَّةُ وَالْآخِيَّةُ - بالمد والتشديد: واحدة الأواخي، عود يُعَرَّضُ فِي الْحَائِطِ؛ وَيُدْفَنُ طَرَفَاهُ فِيهِ؛ وَيَصِيرُ وَسْطُهُ كَالْعُرْوَةِ؛ تُشَدُّ إِلَيْهِ الدَّابَّةُ. كذا في «لسان العرب» لابن منظور (٢٣ / ١٤) (مادة أخوا).

(٤) «مدخل أهل الفقه واللسان إلى ميدان المحبة والعرفان» (ص ٥٣ - ٥٤).

سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ، وَأَنَّهُ يَرَى مَا تَتَحَرَّكُ بِهِ جَوَارِحُكَ»^(١).

وَقَالَ تَعَالَى: «اعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَعَرَّفَ إِلَيْنَا وَأَعْلَمَنَا بِأَنَّهُ فَوْقَ كُلِّ عَرْشِهِ، وَفَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨ و ٦١]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿ءَاْمِنُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْصِي أَمْرِي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧]، وَقَوْلِهِ حِكَايَةً عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِي لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٢١) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَاطْلِعَ إِلَيَّ إِلَهُ مُوسَى وَإِنِّي لَأُظَنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (٢٧) [غافر: ٣٦، ٣٧]. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخْبَرَهُ بِأَنَّ إِلَهَهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ قَالَ: ﴿وَإِنِّي لَأُظَنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٧].

فَمَجْمُوعُ ذَلِكَ؛ وَمِعْرَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى أَنْ أَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى: دَلَالٌ قَطْعِيَّةٌ، وَعُلُومٌ ضَرُورِيَّةٌ بِأَنَّ رَبَّنَا ﷻ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَفَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ؛ وَفَوْقَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، مُنْتَزَعٌ عَنِ الدُّخُولِ فِي خَلْقِهِ، وَوُجُودُهُ ﷻ بَائِنٌ عَنِ وُجُودِ خَلْقِهِ، مُنْفَرِدٌ بِنَفْسِهِ وَبِجَمِيعِ صِفَاتِهِ عَنِ خَلْقِهِ، وَفَوْقِيَّتُهُ ﷻ فَوْقِيَّةٌ مُخْتَصَّةٌ بِهِ؛ لَا كَفَوْقِيَّةِ الْجِسْمِ الْمَخْلُوقِ عَلَى الْجِسْمِ الْمَخْلُوقِ الْمَحْضُورِ الْمَحْدُودِ - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ -، فَإِنَّ الْعَرْشَ الْمَجِيدَ لَا يُقْلَهُ وَلَا يُحِيطُ بِهِ، وَهُوَ الْحَامِلُ لِلْعَرْشِ الْمُحِيطِ بِهِ، فَعُلُوُّهُ وَفَوْقِيَّتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ مُخْتَصَّةٌ بِهِ؛ صِفَاتٌ تَلِيْقُ بِهِ، مُنْتَزَعَةٌ عَنِ صِفَاتِ الْحَدِّثِ، كَمَا أَنَّ سَمْعَهُ الْعَظِيمَ مُنْتَزَعٌ عَنِ سَمْعِ الْمَخْلُوقِ،

وَبَصَرُهُ الْعَظِيمُ مُنَزَّهٌ أَنْ يَكُونَ كَبَصَرِ الْمَخْلُوقِ، وَعِلْمُهُ الْكَرِيمُ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَعِلْمِ الْمَخْلُوقِ. فَكَذَلِكَ عُلوُّهُ وَاسْتِوَاؤُهُ، مُنَزَّهٌ أَنْ يَكُونَ كَعُلُوِّ الْمَخْلُوقِ وَاسْتِوَائِهِ، فَافْهَمْ ذَلِكَ وَاثْبِتِ الصِّفَةَ، وَنَزِّهِ الْمَوْصُوفَ عَنْ صِفَاتِ الْحَدَثِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ [الملك: ١٦]؛
 أَي: مَنْ عَلَى السَّمَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]؛ أَي:
 عَلَى الْأَرْضِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَأُصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]؛ أَي: عَلَى
 جُذُوعِ النَّخْلِ.

فَهَذِهِ مَسْأَلَةُ الْعَرْشِ، فَافْهَمْهَا وَحَقِّقْهَا: تَفَرُّ بِالْكَثْرِ الْأَكْبَرِ، وَالسِّرِّ الْعَظِيمِ.
 اعْلَمْ وَفَقَّكَ اللَّهُ: أَنَّ مَسْأَلَةَ الْعَرْشِ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ السَّالِكِينَ، هِيَ
 مَبْدَأُ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْأَذْوَاقِ الْوَجْدِيَّةِ، هِيَ نُقْطَةُ أَمْرِهِمْ وَمَرْكَزُ دَائِرَتِهِمْ،
 عَلَيْهَا تَنْشَأُ قَوَاعِدُهُمْ، وَأَكْثَرُ مَنْ انْحَرَفَ عَنِ التَّحْقِيقِ: فَلَجَّهْلِهِ بِهَا، فَمُعْظَمُ
 مَنْ لَقِيْتُهُ مِنَ السَّالِكِينَ وَالطَّالِبِينَ: وَجَدْتُهُمْ لَيْسَ لِقُلُوبِهِمْ قِبْلَةٌ تَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا،
 لِكُونِهِمْ لَا يُحَقِّقُونَ أَنَّ رَبَّهُمْ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ؛ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، فَهُمْ حَائِرُونَ
 فِيهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَ الْعَالَمِ؛ وَلَا فَوْقَهُ وَلَا
 تَحْتَهُ، وَفِيهِمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَهَؤُلَاءِ قَطْعًا لَا تَصِلُ قُلُوبُهُمْ إِلَى
 حَقِيقَةِ الْأَمْرِ؛ لِأَنَّ مَبْدَأَ الْحَقَائِقِ وَوُجُودَهَا - عِلْمًا وَاعْتِقَادًا - فِي نَفْسِ الْمُرِيدِ
 وَالسَّالِكِ، ثُمَّ تَعُودُ تِلْكَ الْعَقَائِدُ فَتَصِيرُ مَشَاهِدَ، فَإِذَا كَانَتْ الْعَقَائِدُ فَاسِدَةً:
 كَانَتْ الْمَشَاهِدُ وَهْمِيَّةً فَاسِدَةً.

فَأَوَّلُ أُمُورِ الصَّادِقِينَ: مَعْرِفَتُهُمْ بِأَنَّ رَبَّهُمْ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَمَنْ عَرَفَ
 مِنْهُمْ ذَلِكَ: صَارَ لِقَلْبِهِ قِبْلَةٌ فِي تَوَجُّهِهِ وَدُعَائِهِ، كَمَا أَنَّ الْمُصَلِّيَ قِبْلَتُهُ فِي
 صَلَاتِهِ الْكَعْبَةُ، إِلَيْهَا يَتَوَجَّهُ؛ وَنَحْوَهَا يَنْحُو، فَالطَّالِبُ الْمُرِيدُ إِذَا أَيْقَنَ بِذَلِكَ:
 يَصِيرُ مَا فَوْقَ الْعَرْشِ قِبْلَةً لِقَلْبِهِ فِي تَوَجُّهِهِ وَإِرَادَتِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ الْمَحَلِّ الْعُلُويِّ: تَنْزِلُ عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ؛ وَتُفْتَحُ عَلَيْهِ حَقَائِقُ
الْفُتُوحَاتِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ، وَهُوَ ﷻ قَرِيبٌ فِي عُلوِّهِ؛ عَلِيٌّ فِي قُرْبِهِ، لَا
يُغَيِّرُ قُرْبَهُ وَمَعِيَّتَهُ: عُلوُّهُ وَفَوْقِيَّتُهُ، فَهُوَ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ فَوْقَ عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ،
وَهُوَ فِي عُلوِّهِ مَعَ خَلْقِهِ بِمَعِيَّةِ هِيَ صِفَتُهُ، وَحِيطَةٌ هِيَ نَعْتُهُ، لَا يُكَيِّفُ وَلَا يُمَثِّلُ،
وَهُوَ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ الْمَجِيدِ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ؛ فِيمَا وَصَفَ بِهِ
لَنَا نَفْسَهُ، وَتَعَرَّفَ إِلَيْنَا بِأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَتَعَرَّفَ إِلَيْنَا بِأَسْمَائِهِ الْعَلِيَّةِ؛ وَصِفَاتِهِ
الْمُقَدَّسَةِ الْجَلَالِيَّةِ، مِنْ حَيَاتِهِ، وَعِلْمِهِ، وَكَلَامِهِ، وَسَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَإِرَادَتِهِ،
وَقُدْرَتِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، وَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(١).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ بَعْدَ عِنَايَةٍ، يَسْلُكُ بِهِ فِيهَا إِلَى طَرِيقِ الْمُقَرَّبِينَ،
وَمَقَاعِدِ الْمَحْبُوبِينَ: أَلْهَمَهُ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ، فَيَعْرِفُ رَبَّهُ ﷻ مِنْ فَوْقِ
عَرْشِهِ وَفَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ؛ بَائِنًا مِنْ خَلْقِهِ مُسْتَوِيًّا عَلَى الْعَرْشِ - الْإِسْتَوَاءِ
اللَّائِقِ بِهِ -، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣].

وَالْتَدَبِيرُ: هُوَ الْقِيَامُ بِأَمْرِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ تَوْفِيَّتِهِمْ مَدَدَ حَيَاتِهِمْ، وَإِدْرَارِ
أَرْزَاقِهِمْ، وَالْحِكْمَةُ التَّامَّةُ فِي ابْتِلَائِهِمْ: لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا؛ يُحْيِي هَذَا
وَيُمِيتُ هَذَا، وَيُمْرِضُ هَذَا وَيَشْفِي هَذَا، وَيُعِزُّ هَذَا وَيُذِلُّ هَذَا، وَيُغْنِي هَذَا وَيُفْقِرُ
هَذَا، وَيُوَلِّي هَذَا وَيَعِزِّلُ هَذَا، فَ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ١، ٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ

== (الطَّائِفَاتُ لِلْمَلَائِكَةِ فِي بَسَائِطٍ يُحِبُّونَ الرَّسُولَ ﷺ) ==

يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴿ [فاطر: ١٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ
الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام: ١٨ و ٦١]. وَقَالَ: ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٨].
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَيْنَ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ (٢٦) ﴿ أَسْبَبَ
السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأُظْهِرُكَ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ
عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ (٢٧) ﴿ [غافر: ٣٦، ٣٧].
وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَخْبَرَ فِرْعَوْنَ بِأَنَّ رَبَّهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ،
فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَيْنَ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ (٢٦) ﴿ أَسْبَبَ
السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأُظْهِرُكَ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ
عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ (٢٧) ﴿ [غافر: ٣٦-٣٧].

فَإِذَا عَرَفَ الطَّالِبُ رَبَّهُ ﷻ بِأَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَفَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَفَوْقَ
الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا - فَوْقِيَّةٌ تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ -: صَارَتْ عَظَمَتُهُ لِقَلْبِهِ قِبْلَةً، فَتَكُونُ الْعَظَمَةُ
الْإِلَهِيَّةُ قِبْلَةً قَلْبِهِ؛ كَمَا تَكُونُ الْكَعْبَةُ الشَّرِيفَةُ قِبْلَةً بَدَنِهِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ حَائِراً فِي
صَلَاتِهِ وَتَوَجُّهِهِ، لَا يَعْرِفُ جِهَةً مَعْبُودِهِ بِأَنَّهُ فَوْقَ الْأَشْيَاءِ؛ وَهُوَ مَعَ الْعِبَادِ بِعِلْمِهِ،
وَسَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَمَشِيتِهِ، وَإِرَادَتِهِ، فَهُوَ عَالٍ فِي دُنُوهِ، دَانٍ فِي عُلوِّهِ^(١).

وَقَالَ ﷻ:

«وَلَا يَتِمُّ تَكْمِيلُ شَطْرِي الدِّينِ إِلَّا بِصِحَّةِ الْإِعْتِقَادِ وَمَحَبَّةِ الرَّسُولِ ﷺ،
وَصِحَّةِ الْإِعْتِقَادَاتِ بِإِثْبَاتِ صِفَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى كَمَا يَلِيْقُ بِهِ، أَوَّلُهَا: صِفَةُ
الْعُلُوِّ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّ رَبَّهُ ﷻ عَلِيٌّ فَوْقَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا وَالْكَائِنَاتِ، يَنْظُرُ إِلَى عِبَادِهِ
مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ وَيَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُوهُ، وَيَسْمَعُ مَا هُمْ قَائِلُوهُ، وَيُدَبِّرُ مَا هُمْ
فَاعِلُوهُ، وَيُرِيدُ مَا هُمْ مُكْتَسِبُوهُ، فَإِذَا أَيْقَنَ الْقَلْبُ بِذَلِكَ بِلا تَكْيِيفٍ وَلَا تَشْبِيهِ:

(١) «مفتاح الطريق إلى سلوك التحقيق» (ص ٨٨ - ٨٩).

يُرَجَى أَنْ يُتِمَّ ذَلِكَ سِيرَ الْعَبْدِ فِي سُلُوكِهِ بِمَعُونَةِ اللَّهِ تَعَالَى»^(١).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صِفَةُ الْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ، فَلْيُؤْمِنْ بِهَا، وَلْيُثْبِتْهَا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الْحَقِيقَةِ اللَّائِقَةِ لِلَّهِ، وَلَا يَكُنْ وَاقِفًا فِيهَا، وَلَا عَادِلًا إِلَى التَّأْوِيلِ مِنْ عُلُوِّ الْمَرْتَبَةِ وَنَحْوِهَا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْإِنْجِرَافِ؛ بَلْ يُؤْمِنْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْفِهِمْ﴾، وَقَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾.

فَمَنْ صَحَّ بِهِذِهِ الصِّفَةِ إِيْمَانُهُ، وَتَوَجَّهَ إِلَى رَبِّهِ بِقَلْبِهِ فِي صَلَاتِهِ وَعِبَادَتِهِ: صَارَ لِقَلْبِهِ قِبْلَةً، بَعْدَ أَنْ كَانَ ضَائِعًا لَا يَعْرِفُ وَجْهَتَهُ.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾: بِعِلْمِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، بِلَا مُمَاسَّةٍ وَلَا امْتِزَاجٍ، وَهُوَ سَبْحَائُهُ فَوْقَ الْأَشْيَاءِ بِفَوْقِيَّةٍ تَلِيْقُ بِهِ وَبِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، لَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ، لَكِنَّا نَعْرِفُ الْفَوْقِيَّةَ الْمَحْسُوسَةَ عِنْدَنَا، وَنُثْبِتُهَا لِرَبَّنَا تَعَالَى كَمَا تَلِيْقُ بِهِ إِثْبَاتًا مَحْضًا، بِلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَمَثِيلٍ.

هَذَا أَصْلُ الْمَعْرِفَةِ الْخَاصَّةِ لِمَنْ فَتَحَ اللَّهُ لَهَا، وَحَمَاهُ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنْهَا، فَمَنْ طَلَبَ هَذَا الْفَنَّ: لَمْ يَسَعُهُ الْإِعْرَاضُ وَلَا التَّأْوِيلُ»^(٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلْيُعْلَمَ أَنَّ أَهَمَّ مَسْأَلَةٍ فِي الْإِعْتِقَادِ: الْإِيْمَانُ بِمَسْأَلَةِ الْعَرْشِ وَتَحْقِيقُهَا - عِلْمًا وَتَصَدِيقًا -؛ لِأَنَّهَا أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ السَّالِكِينَ، السَّائِرِينَ إِلَى طَرِيقِ قُرْبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا يَسْتَقِيمُ أَمْرُهُمْ إِلَّا بِهَا، وَلَا يَنْفِذُونَ إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهَا وَتَحْقِيقِهَا، وَهِيَ مَبْدَأُ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْأَذْوَاقِ الْوَجْدِيَّةِ، هِيَ نُقْطَةُ أَمْرِهِمْ، وَمَرْكَزُ دَائِرَتِهِمْ، عَلَيْهَا تَنْشَأُ قَوَاعِدُهُمْ.

(١) «مفتاح طريق المحبين» (ص ١١٦).

(٢) «السر المصون والعلم المخزون» (ص ٥٥ - ٥٦).

وَأَكْثَرُ مَنْ انْحَرَفَ عَنِ التَّحْقِيقِ فَلَجَّهْلِهِ بِهَا، فَمُعْظَمُ النَّاسِ لَيْسَتْ لِقُلُوبِهِمْ قِبْلَةٌ يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهَا؛ لِكُونِهِمْ لَا يَتَحَقَّقُونَ أَنَّ رَبَّهُمْ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ بِفَوْقِيَّةٍ تَخْتَصُّ بِهِ، وَعُلُوٌّ يَلِيقُ بِهِ؛ لَا كَالصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِالْمَخْلُوقِينَ، فَهُمْ لَا يَفْهَمُونَ مِنَ الْفَوْقِيَّةِ وَالْعُلُوِّ إِلَّا الْفَوْقِيَّةَ اللَّائِقَةَ بِهِمْ، وَلَمْ تَسْتَرِ أَدْهَانُهُمْ إِلَى أَنَّ صِفَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ وَاسْتِوَائِهِ، لَيْسَتْ كَصِفَاتِ الْحَدَثِ، كَمَا أَنَّ سَمْعَهُ لَيْسَ كَأَسْمَاعِهِمْ، وَبَصَرُهُ لَيْسَ كَأَبْصَارِهِمْ، وَعِلْمُهُ لَيْسَ كَعِلْمِهِمْ، فَإِنَّهَا أَعْرَاضٌ قَامَتْ بِحَدَثٍ.

وَصِفَاتُ الرَّبِّ تَعَالَى: هِيَ صِفَاتٌ قَائِمَةٌ بِهِ، قَدِيمَةٌ تَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَتَخْتَصُّ بِهِ، لَا تُشَبَّهُ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، كَمَا أَنَّ ذَاتَهُ الْمُقَدَّسَةَ لَا تُشَبَّهُ بِذَوَاتِ خَلْقِهِ، إِذَا عُلِمَ هَذَا وَتَحَقَّقَ فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعِلْمِ وَغَيْرِهِ؛ فَكَذَلِكَ فِي الْعُلُوِّ وَالْإِسْتِوَاءِ وَالْفَوْقِيَّةِ بِلَا فَرْقٍ، إِذِ الْكُلُّ صِفَاتٌ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ.

فَهُؤُلَاءِ الضَّالُّونَ: هُمْ فِي صِفَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ حَائِرُونَ، فَفِيهِمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا فَوْقَهُ وَلَا تَحْتَهُ؛ لِأَنَّ الدُّخُولَ وَالْخُرُوجَ مِنْ صِفَاتِ التَّحْدِيدِ وَالْحَدَثِ، وَالرَّبُّ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِذَاتِهِ، وَالْقَوْلَانِ مُتَقَابِلَانِ مُنْحَرِفَانِ.

وَالْتَّحْقِيقُ: أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ بِفَوْقِيَّةٍ تَلِيقُ بِكَمَالِ عَظَمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ مُخْتَصَّةٌ بِجَلَالِ الْإِلَهِيَّةِ، كَمَا أَخْبَرَ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ، فَقَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وَقَوْلُهُ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]. وَقَوْلُهُ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨ و ٦١]. وَقَوْلُهُ: ﴿ءَاْمِنُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]. وَقَوْلُهُ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ رَافِعًا إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]. وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. وَقَوْلُهُ

حِكَايَةً عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُغَ الْأَسْبَابَ﴾ (٢٦) أَسْبَابَ السَّمَكَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأُظْهِرُكَ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧]. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ إِلَهَهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِرْعَوْنُ عَنْ مُوسَى: ﴿وَإِنِّي لِأُظْهِرُكَ كَذِبًا﴾.

فَمَجْمُوعُ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَبِمِعْرَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ إِلَى أَنَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ مَا أَوْحَى، وَبِقَوْلِهِ ﷺ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللَّهُ؟» فَقَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. فَقَالَ: «مَنْ أَنَا؟» فَقَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ^(١). فَأَقْرَبَهَا عَلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهَا بِقَوْلِهَا: فِي السَّمَاءِ.

فَبِمَجْمُوعِ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ: عَلِمَ الْعَارِفُونَ بِأَنَّ رَبَّهُمْ تَعَالَى فَوْقَهُمْ، وَفَوْقَ كُلِّ مَخْلُوقٍ، فَوْقَ عَرْشِهِ؛ وَفَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ، مُتَنَزِّهٌ عَنِ الدُّخُولِ فِي خَلْقِهِ، وَوُجُودُهُ بَاطِنٌ عَنِ وُجُودِ خَلْقِهِ، وَالْعَرْشُ الْعَظِيمُ لَا يُقْلَهُ، وَلَا يَحْمِلُهُ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ، بَلْ هُوَ حَامِلُ الْعَرْشِ، وَحَامِلُ حَمَلَةِ الْعَرْشِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فِي عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ مَعَ عِبَادِهِ، يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ، وَمُتَقَلِّبُهُمْ وَمُتَوَاهِمُهُمْ، فَهُوَ قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ، عَالٍ فِي دُنُوِّهِ، وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ بِمَعِيَّةٍ هِيَ صِفَتُهُ، وَبِحَيْطَةِ هِيَ نَعْتُهُ، تَعَالَى اللَّهُ عُلُوءًا كَبِيرًا.

وَمَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ حُكْمَ الْمَسْأَلَةِ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِفَوْقِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَمَعِيَّتِهِ، لَمْ يَصِلْ قَلْبُهُ إِلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ؛ لِأَنَّ مَبْدَأَ الْحَقَائِقِ وَوُجُودَهَا فِي النَّفْسِ - الْمُعْتَقِدِ - عِلْمًا قَطْعِيًّا، وَاعْتِقَادًا تَصَدِيقِيًّا، ثُمَّ تَعَوُّدُ تِلْكَ الْعَقَائِدِ بِعَيْنِهَا فَيَصِيرُ لِلْقُلُوبِ مَشَاهِدٌ، ثُمَّ تَصِيرُ الْمَشَاهِدُ مَقَامَاتٍ لِلْقُلُوبِ وَمَقَاعِدَ، فَإِذَا كَانَتِ الْعَقَائِدُ فَاسِدَةً، كَانَتِ الْمَشَاهِدُ وَهْمِيَّةً فَاسِدَةً.

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧)، من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

وَمَنْ عَرَفَ أَنَّ رَبَّهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ؛ صَارَ لِقَلْبِهِ قِبْلَةً فِي تَوَجُّهِهِ وَدُعَائِهِ وَمَطْلَبِهِ، كَمَا أَنَّ الْمُصَلِّي قِبْلَتُهُ فِي صَلَاتِهِ الْكَعْبَةُ، إِلَيْهَا يَتَوَجَّهُ، وَنَحْوَهَا يَنْحُو، فَإِذَا أُيْقِنَ بِذَلِكَ؛ يَصِيرُ الْعَرْشُ الْمَجِيدُ قِبْلَةً قَلْبِهِ فِي إِرَادَتِهِ وَتَوَجُّهِهِ، فَإِذَا تَحَقَّقَ بِذَلِكَ يَغِيبُ قَلْبُهُ عَنِ الْعَرْشِ لِاسْتِيلَاءِ الْحَقِيقَةِ عَلَيْهِ وَامْتِلَائِهِ بِهِ، فَيَصِيرُ الْقَلْبُ عَرْشًا لِلْمَثَلِ الْأَعْلَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧].

فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ وَفِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِهِ، يَمُنُّ بِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ»^(١).

١٠٧ - ابن المبرد (٩٠٩هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِنْهَا: جَحْدُ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ جَحْدُ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ، وَلَا فَوْقَ السَّبْعِ سَمَاوَاتٍ، أَوْ أَنَّهُ لَا يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ فَهِيَ مِنَ الْكِبَائِرِ»^(٢).

١٠٨ - العلامة الشوكاني (١٢٥٥هـ)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الِاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ، وَالْكَوْنُ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ، قَدْ صَرَّحَ بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي مَوَاطِنَ يَكْثُرُ حَصْرُهَا، وَيَطُولُ نَشْرُهَا. وَكَذَلِكَ صَرَّحَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ، بَلْ هَذَا مِمَّا يَجِدُهُ كُلُّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ النَّاسِ فِي نَفْسِهِ، وَتَحُسُّهُ فِي فِطْرَتِهِ وَتَجَذُّبُهُ إِلَيْهِ طَبِيعَتُهُ، كَمَا نَرَاهُ فِي كُلِّ مَنْ اسْتَعَاثَ بِاللَّهِ ﷻ، وَالتَّجَأَ إِلَيْهِ، وَوَجَّهَ أَدْعِيَتَهُ إِلَى جَانِبِهِ الرَّفِيعِ وَعِزِّهِ الْمَنِيعِ، فَإِنَّهُ يُشِيرُ عِنْدَ ذَلِكَ بِكَفِّهِ أَوْ يَرْمِي إِلَى السَّمَاءِ بِطَرْفِهِ، وَيَسْتَوِي فِي ذَلِكَ عِنْدَ عُرُوضِ أَسْبَابِ الدُّعَاءِ، وَحُدُوثِ بَوَاعِثِ الْإِسْتِغَاثَةِ، وَوُجُودِ مُقْتَضِيَّاتِ

(٢) «إرشاد الحائر إلى علم الكبائر» (ص ٦٣).

(١) «عمدة الطلاب» (ص ١٣٦ - ١٣٩).

الإزعاج، وظهور دواعي الالتجاء، عالم الناس وجاهلهم. والمأشي على طريق السلف، والمقتدي بأهل التأويل القائلين بأن الاستواء هو الاستيلاء، فالسلامة والنجاة في إمرار ذلك على الظاهر، والإذعان بأن الاستواء والكون على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكيف ولا تكلف، ولا قيل ولا قال، ولا قصور في شيء من المقال.

فمن جاوز هذا المقدار بإفراط أو تفريط، فهو غير مقتد بالسلف، ولا واقف في طريق النجاة، ولا معتصم عن الخطأ، ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة»^(١).

وكلام السلف والأئمة في هذا الباب، أعظم وأكثر من أن يذكر هنا إلا بعضه، كلهم مطبقون على الذم والرد على من نفى أن يكون الله فوق العرش، كلهم متفقون على وصفه بذلك، وعلى ذم الجهمية الذين ينكرون ذلك، وليس بينهم في ذلك خلاف، ولا يقدر أحد أن ينقل عن أحد من سلف الأمة وأئمتها في القرون الثلاثة حرفاً واحداً يخالف ذلك، لم يقولوا شيئاً من عبارات النافية: إن الله ليس في السماء، والله ليس فوق العرش، ولا أنه داخل العالم ولا خارجه، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه في كل مكان، أو أنه ليس في مكان، أو أنه لا تجوز الإشارة إليه، ولا نحو ذلك من العبارات التي تطلقها النفاة بأن يكون فوق العرش: لا نصاً ولا ظاهراً؛ بل هم مطبقون متفقون على أنه نفسه فوق العرش، وعلى ذم من ينكر ذلك بأعظم مما يذم به غيره من أهل البدع مثل القدرية والخوارج والروافض ونحوهم؛ وإذا كان كذلك، فليعلم أن [المشتغلين بعلم الكلام] من الجاحدين لأن يكون الله نفسه فوق العالم، هم مخالفون لجميع سلف

(١) «التحفة في مذاهب السلف» (ص ٣٥ - ٣٧).

الْأُمَّةُ وَأُثِمَّتْهَا، الَّذِينَ لَهُمْ فِي الْأُمَّةِ لِسَانُ صِدْقٍ^(١).

فَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذَا الْكَلَامِ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ «الْعَظِيمَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ مَسَائِلِ الدِّينِ، لَمْ يَكُنِ السَّلَفُ جَاهِلِينَ بِهَا وَلَا مُعْرِضِينَ عَنْهَا، بَلْ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَا قَالُوهُ فَهُوَ الْجَاهِلُ بِالْحَقِّ فِيهَا، وَيَأْخُذُ بِأَقْوَالِ السَّلَفِ، وَبِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَالصَّوَابُ فِي جَمِيعِ مَسَائِلِ النَّزَاعِ: مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَقَوْلُهُمْ هُوَ الَّذِي يُدُلُّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْعَقْلُ الصَّرِيحُ»^(٢).

وَمَنْ تَدَبَّرَ كَلَامَ أُمَّةِ السُّنَّةِ الْمَشَاهِيرِ فِي هَذَا الْبَابِ، عَلِمَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَدَقَّ النَّاسِ نَظْرًا، وَأَعْلَمَ النَّاسِ فِي هَذَا الْبَابِ بِصَحِيحِ الْمَنْقُولِ وَصَرِيحِ الْمَعْقُولِ، وَأَنَّ أَقْوَالَهُمْ هِيَ الْمُوَافِقَةُ لِلْمَنْصُوصِ وَالْمَعْقُولِ، وَلِهَذَا تَأْتَلَفُ وَلَا تَخْتَلِفُ، وَتَتَوَافَقُ وَلَا تَتَنَاقِضُ.

وَالَّذِينَ خَالَفُوهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا حَقِيقَةَ أَقْوَالِ السَّلَفِ وَالْأُمَّةِ، فَلَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَةَ الْمَنْصُوصِ وَالْمَعْقُولِ، فَتَشَعَّبَتْ بِهِمُ الطَّرُقُ، وَصَارُوا مُخْتَلِفِينَ فِي الْكِتَابِ، مُخَالِفِينَ لِلْكِتَابِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]^(٣).

وَقَدْ طَوَّلْنَا فِي هَذَا الْمَكَانِ، وَلَوْ ذَكَرْنَا كُلَّ مَنْ لَهُ كَلَامٌ فِي إِثْبَاتِ عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ مِنَ الْأُمَّةِ، لَا تَسَعُ الْخَرْقُ، وَإِذَا كَانَ الْمُخَالِفُ لَا يَهْتَدِي بِمَنْ ذَكَرْنَا، فَلَا هَدَاهُ اللَّهُ. وَلَا خَيْرَ - وَاللَّهُ - فَيَمَنْ رَدَّ عَلَى الْأُمَّةِ الْمَذْكُورِينَ، الَّذِينَ هُمْ بُبِ الْبَابِ وَنَقَاوَةُ الْأُمَّةِ فِي كُلِّ عَصْرِ، وَهُوَ مُتَّبِعٌ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ^(٤).

(١) «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (٣/ ٤٢٣ - ٤٢٤)، بتصرف يسير.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٢٠٥). (٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٣٠١).

(٤) انظر: «الأربعين في صفات رب العالمين» (ص ١١٨ - ١٢٠) للذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ، بتصرف وزيادة.

الدليل من الفطرة

إِنْ عَلُوهُ عَلَى الْعَالَمِ، وَأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا، وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: أَمْرٌ مُسْتَقَرٌّ فِي فِطْرِ الْعِبَادِ، مَعْلُومٌ لَهُمْ بِالضَّرُورَةِ، كَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْأُمَمِ إِقْرَارًا بِذَلِكَ وَتَصَدِيقًا مِنْ غَيْرِ تَوَاطُؤٍ مِنْهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَلَا تَشَاعُرٍ، وَهُمْ يُخْبِرُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ مُضْطَرُّونَ إِلَى تَوْجِيهِ قُلُوبِهِمْ إِلَى الْعُلُوِّ، كَمَا أَنََّّهُمْ مُضْطَرُّونَ إِلَى دُعَائِهِ وَقَصْدِهِ وَسُؤَالِهِ، كَمَا أَنََّّهُمْ يَضْطَرُّونَ إِلَى الْإِقْرَارِ بِهِ، وَأَنَّهُ رَبُّهُمْ وَخَالِقُهُمْ وَمَلِكُهُمْ؛ وَلَا يَجِدُونَ فَرْقًا بَيْنَ هَذَا الْإِضْطِرَارِ وَهَذَا، فَكَمَا لَا تَتَوَجَّهُ قُلُوبُهُمْ إِلَى رَبِّ غَيْرِهِ وَلَا إِلَى إِلَهٍ سِوَاهُ، فَكَذَلِكَ لَا يَجِدُونَ فِي قُلُوبِهِمْ تَوَجُّهًا إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى غَيْرِ الْعُلُوِّ، بَلْ يَجِدُونَ قُلُوبَهُمْ مُضْطَرَّةً إِلَى قَصْدِ جِهَةِ الْعُلُوِّ دُونَ سَائِرِ الْجِهَاتِ، وَهَذَا يَتَضَمَّنُ اضْطِرَارَهُمْ إِلَى قَصْدِهِ سُبْحَانَهُ فِي الْعُلُوِّ، وَإِقْرَارَهُمْ وَإِيمَانَهُمْ بِذَلِكَ ^(١)؛ إِلَّا مَنْ اجْتَالَتُهُ الشَّيَاطِينُ، فَأَخْرَجَتْهُ عَنْ فِطْرَتِهِ الَّتِي فُطِرَ عَلَيْهَا ^(٢).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْيَنِيهِ أَيْدِي السَّائِلِينَ تَوَجَّهَتْ
وَالْيَنِيهِ أَمْالُ الْعِبَادِ تَوَجَّهَتْ
بَلْ فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي لَمْ يُفْطَرُوا
وَنَظِيرُ هَذَا أَنََّّهُمْ فُطِرُوا عَلَى
لَكِنْ أُولُو التَّعْطِيلِ مِنْهُمْ أَضْبَحُوا
نَحْوَ الْعُلُوِّ بِفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ
نَحْوَ الْعُلُوِّ بِلَا تَوَاصِي ثَانٍ
إِلَّا عَلَيْهَا الْخَلْقُ وَالْثَّقَلَانِ
إِقْرَارِهِمْ لَا شَكَّ بِالذِّيَانِ
مَرَضَى بِدَاءِ الْجَهْلِ وَالْخِذْلَانِ ^(٣)

(٢) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٦٩).

(١) «الصواعق المرسلة» (ص ١٣٠٦).

(٣) «الكافية الشافية» (ص ٥٤ - ٥٥).

وَجَمِيعُ الطَّوَائِفِ تُنْكِرُ قَوْلَ الْمُعْطَلَةِ إِلَّا مَنْ تَلَقَّاهُ مِنْهُمْ، وَأَمَّا الْعَامَّةُ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ، فَفَطَرُهُمْ جَمِيعُهُمْ مُقَرَّةٌ بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَالَمِ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا فَوْقَهُ وَلَا تَحْتَهُ، وَلَا تُرْفَعُ إِلَيْهِ الْأَيْدِي وَلَا تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ نَحْوَ الْعُلُوِّ، أَنْكَرَتْ فِطْرُهُمْ ذَلِكَ غَايَةَ الْإِنْكَارِ وَدَفَعَتْهُ غَايَةَ الدَّفْعِ^(١). وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُصَدِّقُ أَنَّ عَاقِلًا يَقُولُ ذَلِكَ، لِيُظْهِرَ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ عِنْدَهُمْ، وَاسْتِقْرَارَهَا فِي أَنْفُسِهِمْ، فَيَنْسِبُونَ مَنْ خَالَفَهَا إِلَى الْجُنُونِ^(٢).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَعُلُوُّهُ فَوْقَ الْخَلِيقَةِ كُلِّهَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ الْخَلْقُ وَالْثَّقَلَانِ
لَا يَسْتَطِيعُ مُعْطَلٌ تَبْدِيلَهَا أَبَدًا وَذَلِكَ سُنَّةُ الرَّحْمَنِ
كُلُّ إِذَا مَا نَابَهُ أَمْرٌ يُرَى مُتَوَجِّهًا بِضَرُورَةِ الْإِنْسَانِ
نَحْوَ الْعُلُوِّ فَلَيْسَ يَطْلُبُ خَلْفَهُ وَأَمَامَهُ أَوْ جَانِبَ الْإِنْسَانِ^(٣)

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَقْرِيرِ ذَلِكَ: «... وَأَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ إِذَا حَزَبَهُمْ شِدَّةٌ أَوْ حَاجَةٌ فِي أَمْرٍ، وَجَّهُوا قُلُوبَهُمْ إِلَى اللَّهِ يَدْعُوْنَهُ وَيَسْأَلُوْنَهُ؛ وَأَنَّ هَذَا أَمْرٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْأُمَمِ الَّتِي لَمْ تُغَيَّرْ فِطْرَتُهَا، لَمْ يَحْصُلْ بَيْنَهُمْ بِتَوَاطُئٍ وَاتِّفَاقٍ. وَلِهَذَا يُوجَدُ هَذَا فِي فِطْرَةِ الْأَعْرَابِ وَالْعَجَائِزِ، وَالصَّبِيَّانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ، وَمَنْ لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا، وَلَمْ يَتَلَقَّ مِثْلَ هَذَا عَنْ مُعَلِّمٍ وَلَا أَسْتَاذٍ...»^(٤).

وَلِيَتَأَمَّلِ الْقَارِئُ اللَّيْبُ الْقِصَّةَ التَّالِيَةَ: «قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْحَافِظُ: سَمِعْتُ أَبَا الْمَعَالِي الْجَوِينِيَّ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]؟ فَقَالَ: كَانَ اللَّهُ وَلَا عَرْشٌ - وَجَعَلَ يَتَخَبَّطُ

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٤٣).

(١) «الصواعق المرسلة» (ص ١٢٨١).

(٤) «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ١٢).

(٣) «الكافية الشافية» (ص ١٠٤ - ١٠٥).

فِي الْكَلَامِ - فَقُلْتُ: قَدْ عَلِمْنَا مَا أَشْرَتْ إِلَيْهِ، فَهَلْ عِنْدَكَ لِلضَّرُورَاتِ مِنْ حِيلَةٍ؟ [أَي: كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الضَّرُورَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي قُلُوبِنَا؟] ^(١) فَقَالَ: مَا تُرِيدُ بِهَذَا الْقَوْلِ وَمَا تَعْنِي بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ؟ فَقُلْتُ: مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ: يَا رَبَّاهُ إِلَّا قَبْلَ أَنْ يَتَحَرَّكَ لِسَانُهُ، قَامَ مِنْ بَاطِنِهِ قَصْدٌ لَا يَلْتَفِتُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً يَقْصِدُ الْفَوْقَ، فَهَلْ لِهَذَا الْقَصْدِ الضَّرُورِيُّ عِنْدَكَ مِنْ حِيلَةٍ؟ فَنبَّئْنَا نَتَخَلَّصُ مِنَ الْفَوْقِ وَالتَّحْتِ، وَبَكَيْتُ وَبَكَى الْخَلْقُ، فَضْرَبَ الْأُسْتَاذُ بِكُمِّهِ عَلَى السَّرِيرِ وَصَاحَ: يَا لِلْحَيْرَةِ، وَخَرَقَ مَا كَانَ عَلَيْهِ وَانْخَلَعَ، وَصَارَتْ قِيَامَةٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَنَزَلَ، وَلَمْ يُجِيبْنِي إِلَّا: يَا حَبِيبِي الْحَيْرَةُ الْحَيْرَةُ، وَالْدَّهْشَةُ الدَّهْشَةُ. فَسَمِعْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَصْحَابَهُ يَقُولُونَ: سَمِعْنَاهُ يَقُولُ: حَيْرَنِي الْهَمْدَانِيُّ ^(٢).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ تَعْلِيْقًا عَلَى هَذَا الْكَلَامِ: «فَهَذَا الشَّيْخُ تَكَلَّمَ بِلِسَانِ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ، فَأَخْبَرَ أَنَّ الْعَرْشَ وَالْعِلْمَ بِاسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَيْهِ، إِنَّمَا أَخَذَ مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ وَخَبَرَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بِخِلَافِ الْإِقْرَارِ بِعُلُوِّ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ عَرْشٍ وَلَا اسْتِوَاءٍ؛ فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ فِطْرِيٌّ ضَّرُورِيٌّ، نَجِدُهُ فِي قُلُوبِنَا نَحْنُ وَجَمِيعُ مَنْ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى، فَكَيْفَ نَدْفَعُ هَذِهِ الضَّرُورَةَ عَنْ قُلُوبِنَا؟! ^(٣)»

وَنَذْكُرُ فِي هَذَا الْمَقَامِ: مَا جَرَى بَيْنَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ أَحَدِ الْمَشَايِخِ النَّافِينَ لِلْعُلُوِّ، يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُخْبِرًا عَنْ ذَلِكَ: «وَلَقَدْ كَانَ عِنْدِي مِنْ هَؤُلَاءِ النَّافِينَ لِهَذَا - يَعْنِي: صِفَةِ الْعُلُوِّ - مَنْ هُوَ مِنْ مَشَايِخِهِمْ، وَهُوَ يَطْلُبُ مِنِّي حَاجَةً، وَأَنَا أُحَاطِبُهُ فِي هَذَا الْمَذْهَبِ كَأَنِّي غَيْرُ مُنْكَرٍ لَهُ، وَأَخَّرْتُ قَضَاءَ

(١) «بيان تلبس الجهمية» (١/ ٥٤)، طبعة مجمع الملك فهد.

(٢) «العلو» (ص ١٣٤٧)، وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مختصر العلو» (ص ٢٧٧): «وإسناد

هذه القصة صحيحٌ مسلسلٌ بالحفاظ».

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٦١).

حَاجَّتِهِ حَتَّى ضَاقَ صَدْرُهُ، فَرَفَعَ طَرَفَهُ وَرَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: يَا اللَّهُ. فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ مُحَقِّقٌ لِمَنْ تَرَفَعُ طَرَفَكَ وَرَأْسَكَ؟! وَهَلْ فَوْقَ عِنْدِكَ أَحَدٌ؟ فَقَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَرَجَعَ عَنِ ذَلِكَ لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ اعْتِقَادَهُ يُخَالِفُ فِطْرَتَهُ، ثُمَّ بَيَّنْتُ لَهُ فَسَادَ هَذَا الْقَوْلِ، فَتَابَ مِنْ ذَلِكَ، وَرَجَعَ إِلَى قَوْلِ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَقَرِّ فِي فِطْرَتِهِمْ^(١).

وَقَدْ اعْتَرَضَ عَلَى الدَّلِيلِ الْفِطْرِيِّ: أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا لِيَكُونَ السَّمَاءُ قِبْلَةَ الدُّعَاءِ، كَمَا أَنَّ الْكَعْبَةَ قِبْلَةٌ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ هُوَ مَنْقُوضٌ بِوَضْعِ الْجَنَّةِ عَلَى الْأَرْضِ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي جِهَةِ الْأَرْضِ. وَهَذَا الْكَلَامُ بَاطِلٌ مَعْلُومٌ بِالِاضْطِرَّارِ بُطْلَانُهُ، مُخَالِفٌ لِصَرِيحِ الْمَعْقُولِ، وَصَحِيحِ الْمَنْقُولِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ. وَذَلِكَ يَظْهَرُ بَوُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ قَوْلَكُمْ: إِنَّ السَّمَاءَ قِبْلَةُ الدُّعَاءِ، لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَلَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ، وَهُوَ قَوْلٌ مُخَدَّثٌ، وَمُخَالِفٌ لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِمَا عَلِمَ بِالِاضْطِرَّارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، فَيَكُونُ مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ تَوَجُّهَ الْخَلَائِقِ بِقُلُوبِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ حَالُ الدُّعَاءِ، أَمْرٌ فِطْرِيٌّ ضَرُورِيٌّ، لَا يَخْتَصُّ بِهِ أَهْلُ الْمِلَلِ وَالشَّرَائِعِ؛ وَالْمُسْتَقْبَلُ لِلْكَعْبَةِ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ هُنَاكَ، بِخِلَافِ الدَّاعِي، فَإِنَّهُ يَتَوَجَّهُ إِلَى رَبِّهِ وَخَالِقِهِ، وَيَرْجُو الرَّحْمَةَ أَنْ تَنْزَلَ مِنْ عِنْدِهِ.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّ قِبْلَةَ الدُّعَاءِ هِيَ قِبْلَةُ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلدَّاعِي أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ فِي دُعَائِهِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ لِلدُّعَاءِ قِبْلَةً غَيْرَ قِبْلَةِ الصَّلَاةِ، أَوْ إِنَّ لَهُ قِبْلَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا الْكَعْبَةُ،

وَالْأُخْرَى السَّمَاءُ، فَقَدْ ابْتَدَعَ فِي الدِّينِ، وَخَالَفَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.

الوجه الرابع: أَنَّ الْقِبْلَةَ تَقْبَلُ النَّسْخَ، كَمَا نُسِخَتْ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، أَمَّا التَّوَجُّهُ إِلَى السَّمَاءِ حَالَ الدُّعَاءِ، فَهُوَ أَمْرٌ مَرْكُوزٌ فِي الْفِطْرِ، لَا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى غَيْرِ جِهَةِ الْعُلُوِّ، يَفْعَلُهُ الْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ.

وَإِذَا كَانَتِ الْقِبْلَةُ أَمْرًا يَقْبَلُ النَّسْخَ وَالتَّبْدِيلَ، فَيَجِبُ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ إِذَا كَانَتِ السَّمَاءُ قَدْ جُعِلَتْ قِبْلَةً لِلدُّعَاءِ، أَنْ يَجُوزَ تَغْيِيرُ ذَلِكَ وَتَبْدِيلُهُ؛ حَتَّى يَجُوزَ أَنْ يُدْعَا اللَّهُ إِلَى نَحْوِ الْأَرْضِ، وَيَجُوزَ أَنْ يَدْعُوهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْجِهَاتِ السَّتِّ، وَيُمَدِّ يَدَهُ وَعَيْنِيهِ إِلَى سَائِرِ جِهَاتِهِ، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ قِبْلَةً لِبَعْضِ الدَّاعِينَ دُونَ بَعْضٍ (١).

الوجه الخامس: أَنَّ الْقِبْلَةَ: مَا يَسْتَقْبِلُهُ الْعَابِدُ بِوَجْهِهِ، كَمَا تُسْتَقْبَلُ الْكَعْبَةُ فِي الصَّلَاةِ وَالِدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ وَالذَّبْحِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ وَجْهَةً، وَالِاسْتِقْبَالُ خِلَافُ الْإِسْتِدْبَارِ، فَالِاسْتِقْبَالُ بِالْوَجْهِ، وَالِاسْتِدْبَارُ بِالدُّبُرِ، فَأَمَّا مَا حَاذَاهُ الْإِنْسَانُ بِرَأْسِهِ أَوْ يَدَيْهِ أَوْ جَنْبِهِ، فَهَذَا لَا يُسَمَّى قِبْلَةً، لَا حَقِيقَةً وَلَا مَجَازًا، فَلَوْ كَانَتِ السَّمَاءُ قِبْلَةً الدُّعَاءِ، لَكَانَ الْمَشْرُوعُ أَنْ يُوجَّهَ الدَّاعِي وَجْهَهُ إِلَيْهَا، وَهَذَا لَمْ يُشْرَعْ.

الوجه السادس: أَنَّ الْقِبْلَةَ لَا يَجِدُ النَّاسُ فِي أَنْفُسِهِمْ مَعْنَى يَطْلُبُ تَعْيِينَهَا، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ قِبْلَةٍ وَقِبْلَةٍ، بِخِلَافِ التَّوَجُّهِ فِي الدُّعَاءِ نَحْوَ السَّمَاءِ، فَالنَّاسُ يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ طَلَبًا ضَرُورِيًّا لِمَا فَوْقَ.

الوجه السابع: عِنْدَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْلُبُ وَجْهَهُ (فِي السَّمَاءِ) يَسْأَلُ اللَّهُ ﷻ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِ - عَنِ الْقِبْلَةِ، اسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ وَحَدَّدَ لَهُ الْمَسْجِدَ

الْحَرَامَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ رَأَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَتَوَلَّىكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]. وَالنَّصُّ هُنَا يُشِيرُ بِوُضُوحٍ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبَدَلَ نَبِيِّهِ ﷺ قِبَلَةً جَدِيدَةً يَرْضَاهَا هِيَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، بَدَلًا مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَلَمْ يُسَمَّ ثَقَلَبٌ وَجْهَ النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّمَاءِ تَوَجُّهًا نَحْوَ الْقِبَلَةِ، بَلْ إِنَّ النَّصَّ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ ثَقَلَبٌ وَجْهَهُ فِي السَّمَاءِ، إِنَّمَا كَانَ يَنْتَظِرُ الْأَمْرَ مِنَ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ، الَّذِي اسْتَجَابَ لَهُ وَعَيْنَ لَهُ قِبَلَةً فِي الْأَرْضِ لَا فِي السَّمَاءِ^(١).

الوجه الثامن: رَفَعُ الْأَيْدِي بِالْإِعْتِقَادِ «يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: الرَّفْعُ الَّذِي فِيهِ الْإِشَارَةُ الْحِسِّيَّةُ الظَّاهِرَةُ، وَالْقَصْدُ وَالْإِرَادَةُ الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا الصَّمَدُ الْأَعْلَى، وَالْإِعْتِقَادُ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْقَصْدِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْعَمَلِ. [وَالْجَهْمِيَّةُ يَزْعُمُونَ] أَنَّ الثَّلَاثَةَ فَاسِدَةٌ. فَيَقَالُ: لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، لَكَانَ النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ فِي الدِّينِ، إِذْ ذَاكَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ لِتَضَمُّنِهِ اعْتِقَادًا فَاسِدًا فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَدُعَاءٍ فَاسِدًا مُتَعَلِّقًا بِهِ، وَعِبَادَةٍ غَيْرَ صَالِحَةٍ لَهُ.

وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنَ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَلَمْ يَنْهَ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ لِبَنِي آدَمَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، لَا عَنْ هَذَا الرَّفْعِ، وَلَا عَنْ هَذَا الْقَصْدِ، وَلَا عَنْ هَذَا الْإِعْتِقَادِ، بَلْ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ مُوَافِقِينَ لَهُمْ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ الْعِلْمَ الضَّرُورِيَّ مِنْ دِينِ النَّبِيِّينَ: أَنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ لَيْسَ مِنَ الْمُنْكَرِ بَلْ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَذَلِكَ يُبْطِلُ كَوْنَهُ مَبْنِيًّا عَلَى اعْتِقَادٍ فَاسِدٍ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، مُسْتَلْزِمًا لَهُ وَدَالًا عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَا كَانَ مُتَفَرِّعًا عَنِ الْإِعْتِقَادِ الْفَاسِدِ، أَوْ كَانَ مُسْتَلْزِمًا لَهُ، مِثْلُ أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ النَّهْيُ عَنْهُ، فَإِنَّ الْعَقَائِدَ الْفَاسِدَةَ، وَالْمَقَاصِدَ الْفَاسِدَةَ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، تَجِبُ إِزَالَتُهَا وَإِزَالَةُ فُرُوعِهَا وَأُصُولِهَا الَّتِي تُوجِبُهَا.

(١) «الرحمن على العرش استوى» (ص ٦٩ - ٧٠)، تأليف: الدكتور عوض منصور.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَالْجَهْمِيَّةُ تَنْهَى عَنْ هَذَا الْإِعْتِقَادِ وَهَذِهِ الْإِرَادَةُ، فَهُمْ نَاهُونَ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِبَادَتِهِ^(١).

فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ: أَنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّ السَّمَاءَ قَبْلَةُ الدُّعَاءِ مِنْ أَكْثَرِ الْفِرْيَةِ عَلَى اللَّهِ، وَأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ افْتِرَاءَاتِ الْجَهْمِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رُسُلِهِ وَدِينِهِ.

وَأَمَّا النَّقْضُ بِوَضْعِ الْجَبْهَةِ، فَمَا أَفْسَدَهُ مِنْ نَقْضٍ! وَهَذَا يَتَبَيَّنُ مِنْ وُجُوهِ:

أَحَدُهَا: أَنْ يُقَالَ: وَضَعَ الْجَبْهَةَ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يَتَضَمَّنْ قَصْدَهُمْ لِأَحَدٍ فِي السُّفْلِ، بَلِ السُّجُودُ بِهَا يُعْقَلُ أَنَّهُ تَوَاضَعٌ وَخُضُوعٌ لِلْمَسْجُودِ لَهُ، لَا طَلَبٌ وَقَصْدٌ مِمَّنْ هُوَ فِي السُّفْلِ، بِخِلَافِ رَفْعِ الْأَيْدِي إِلَى الْعُلُوِّ عِنْدَ الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُمْ يَقْصِدُونَ بِهِ الطَّلَبَ مِمَّنْ هُوَ فِي الْعُلُوِّ.

وَالِاسْتِدْلَالُ هُوَ بِقَصْدِهِمُ الْقَائِمِ بِقُلُوبِهِمْ، وَمَا يَتَّبَعُهُ مِنْ حَرَكَاتِ أَبْدَانِهِمْ، وَالِدَّاعِي يَجِدُ مِنْ قَلْبِهِ مَعْنَى يَطْلُبُ الْعُلُوَّ، وَالسَّاجِدُ لَا يَجِدُ مِنْ قَلْبِهِ مَعْنَى يَطْلُبُ السُّفْلَ، بَلِ السَّاجِدُ أَيْضًا يَقْصِدُ فِي دُعَائِهِ الْعُلُوَّ، فَقَصْدُ الْعُلُوِّ عِنْدَ الدُّعَاءِ يَتَنَاوَلُ الْقَائِمَ وَالْقَاعِدَ وَالرَّائِعَ وَالسَّاجِدَ^(٢).

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ وَضْعَ الْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ يَفْعَلُهُ النَّاسُ لِكُلِّ مَنْ تَوَاضَعُوا لَهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَلِهَذَا يَسْجُدُ الْمُشْرِكُونَ لِلْأَصْنَامِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ سُجُودَ عِبَادَةٍ، وَقَدْ سَجَدَ لِيُوسُفَ أَبَوَاهُ وَإِخْوَتُهُ سُجُودَ تَحِيَّةٍ لَا عِبَادَةٍ، لِكَوْنِ ذَلِكَ كَانَ جَائِزًا فِي شَرْعِهِمْ، وَأَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، وَالسُّجُودُ لَا يَخْتَصُّ بِمَنْ هُوَ فِي الْأَرْضِ، بَلْ لَا يَكَادُ يُفْعَلُ لِمَنْ هُوَ

(١) «بيان تلبيس الجهمية» (٤/٦٠٣ - ٦٠٤)، طبعة مجمع الملك الفهد.

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٧/٢١ - ٢٢).

فِي بَطْنِهَا، بَلْ لِمَنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِهَا عَالٍ عَلَيْهَا؛ وَأَمَّا تَوَجُّهُ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ
وَالْأَيْدِي عِنْدَ الدُّعَاءِ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَفْعَلُونَهُ إِذَا كَانَ الْمَدْعُوُّ فِي الْعُلُوِّ، فَإِذَا
دَعَا اللَّهُ فَعَلُوا ذَلِكَ، وَإِنْ قُدِّرَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْكَوَكِبَ وَيَسْأَلُهَا، أَوْ يَدْعُو
الْمَلَائِكَةَ، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ.

فَعَلِمَ أَنَّ قَصْدَهُمْ بِذَلِكَ التَّوَجُّهُ إِلَى جِهَةِ الْمَدْعُوِّ الْمَسْئُولِ الَّذِي
يَسْأَلُونَهُ وَيَدْعُونَهُ، حَتَّى لَوْ قُدِّرَ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَدْعُو صَنَمًا أَوْ غَيْرَهُ مِمَّا يَكُونُ
عَلَى الْأَرْضِ، لَكَانَ تَوَجُّهُ قَلْبِهِ وَوَجْهِهِ وَبَدَنِهِ إِلَى جِهَةِ مَعْبُودِهِ الَّذِي يَسْأَلُهُ
وَيَدْعُوهُ، كَمَا يَفْعَلُهُ النَّصَارَى فِي كَنَائِسِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ يُوجِّهُونَ قُلُوبَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ
وَأَيْدِيَهُمْ إِلَى الصُّورِ الْمُصَوَّرَةِ فِي الْحِيطَانِ، وَإِنْ كَانَ قَصْدُهُمْ صَاحِبَ
الصُّورَةِ، وَكَذَلِكَ مَنْ قَصَدَ الْمَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ، فَإِنَّهُ يُوجِّهُ قَصْدَهُ وَعَيْنَهُ إِلَى
مَنْ فِي الْقَبْرِ، فَإِذَا قُدِّرَ أَنَّ الْقَبْرَ أَسْفَلَ مِنْهُ تَوَجَّهَ إِلَى أَسْفَلٍ، وَكَذَلِكَ عَابِدُ
الصَّنَمِ إِذَا كَانَ فَوْقَ الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ الصَّنَمُ، فَإِنَّهُ يُوجِّهُ قَلْبَهُ وَطَرَفَهُ إِلَى
أَسْفَلٍ، لِكُونِ مَعْبُودِهِ هُنَاكَ.

فَعَلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ الْخَلْقَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ تَوَجُّهَ الْقَلْبِ وَالْعَيْنِ وَالْيَدِ عِنْدَ
الدُّعَاءِ إِلَى جِهَةِ الْمَدْعُوِّ، فَلَمَّا كَانُوا يُوجِّهُونَ ذَلِكَ إِلَى جِهَةِ السَّمَاءِ عِنْدَ اللَّهِ،
عَلِمَ إِبْطَاقُهُمْ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فِي جِهَةِ السَّمَاءِ.

الوجه الثالث: أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ إِذَا اجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ حَالَ
سُجُودِهِ، يَجِدُ قَلْبَهُ يَقْصِدُ الْعُلُوَّ، مَعَ أَنَّ وَجْهَهُ يَلِي الْأَرْضَ، بَلْ كُلَّمَا
ازْدَادَ وَجْهَهُ ذُلًّا وَتَوَاضَعًا، ازدَادَ قَلْبُهُ قَصْدًا لِلْعُلُوِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»^(١).

فَعَلِمَ أَنَّهُمْ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ تَوَجُّهِ وَجُوهِهِمْ فِي حَالِ السُّجُودِ إِلَى الْأَرْضِ، وَتَوَجُّهِ الْقُلُوبِ فِي حَالِ الدُّعَاءِ إِلَى مَنْ فِي السَّمَاءِ. وَالْقُلُوبُ حَالِ الدُّعَاءِ لَا تَقْصِدُ إِلَّا الْعُلُوَّ، وَأَمَّا الْوُجُوهُ وَالْأَيْدِي فَيَتَنَوَّعُ حَالُهَا: تَارَةً تَكُونُ فِي حَالِ السُّجُودِ إِلَى جِهَةِ الْأَرْضِ، لِكُونَ ذَلِكَ غَايَةَ الْخُضُوعِ، وَتَارَةً تَكُونُ حَالِ الْقِيَامِ مُطَرِّقَةً، لِكُونَ ذَلِكَ أَقْرَبَ إِلَى الْخُشُوعِ، وَتَارَةً تَتَوَجَّهُ إِلَى السَّمَاءِ لِتَوَجُّهِ الْقَلْبِ.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنْ رَفْعِ الْبَصَرِ فِي الصَّلَاةِ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: «لِيَتَهَيَّئَ أَقْوَامٌ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ، أَوْ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ»^(١).

وإِنَّمَا نَهَى عَنْ رَفْعِ الْبَصَرِ فِي الصَّلَاةِ، لِأَنَّهُ يُنَافِي الْخُشُوعَ الْمَأْمُورَ بِهِ فِي الصَّلَاةِ.

قَالَ ﷺ: ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكُرٍ ۖ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ [القمر: ٦، ٧].

وَقَالَ ﷺ: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ ٤٢ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ [المعارج: ٤٣، ٤٤].

وَقَالَ ﷺ: ﴿وَتَرْتَبَهُمْ يَعْزُضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].

وَلِهَذَا يُوجَدُ مَنْ يُخَاطَبُ الْمُعَظَّمُ عِنْدَهُ، لَا يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَيْهِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ الْجِهَاتُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ سَوَاءً، لَمْ نُؤْمَرْ بِهَذَا.

الوجه الرابع: أَنَّ السُّجُودَ مِنْ بَابِ الْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ لِلْمَسْجُودِ

(١) رواه مسلم (٤٢٨)، من حديث جابر بن سمره رضي الله عنه.

لَهُ؛ كَالرُّكُوعِ وَالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ. وَأَمَّا السُّؤَالُ وَالِدُّعَاءُ فَفِيهِ قَصْدُ الْمَسْئُولِ الْمَدْعُوِّ، وَتَوْجِيهِ الْقَلْبِ نَحْوَهُ، لَا سِيَّمَا عِنْدَ الضَّرُورَةِ! فَإِنَّ السَّائِلَ الدَّاعِيَ يَقْصِدُ بِقَلْبِهِ جِهَةَ الْمَدْعُوِّ الْمَسْئُولِ، بِحَسَبِ ضَرُورَتِهِ وَاحْتِيَاجِهِ إِلَيْهِ.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، كَانَ رَفْعُ رَأْسِهِ وَطَرْفِهِ وَيَدَيْهِ إِلَى جِهَةٍ، مُتَضَمِّنًا لِقَصْدِهِ إِيَّاهُ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ، بِخِلَافِ السَّاجِدِ، فَإِنَّهُ عَابِدٌ ذَلِيلٌ خَاشِعٌ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي الذَّلَّ وَالْخُضُوعَ، لَيْسَ فِيهِ مَا يَقْتَضِي تَوْجِيهَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ نَحْوَهُ، لَكِنْ إِنْ كَانَ دَاعِيًا وَجَّهَ قَلْبَهُ إِلَيْهِ.

الوجه الخامس: أَنْ يُقَالَ: قَصْدُ الْقُلُوبِ لِلْمَدْعُوِّ فِي الْعُلُوِّ أَمْرٌ فِطْرِيٌّ عَقْلِيٌّ، اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْأُمَمُ مِنْ غَيْرِ مُوَاطَاةٍ، وَأَمَّا الشُّجُودُ فَأَمْرٌ شَرْعِيٌّ يُفْعَلُ طَاعَةً لِلْأَمْرِ، كَمَا تُسْتَقْبَلُ الْكَعْبَةُ حَالَ الْعِبَادَةِ طَاعَةً لِلْأَمْرِ^(١). وَهَكَذَا الْحَقُّ يَنْتَصِرُ عَلَى الْبَاطِلِ، فَيَتْرُكُهُ صَرِيحًا زَهُوقًا: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ﴿٨١﴾ [الإسراء: ٨١].

فَاحْمَدُ إِلَهَكَ أَيُّهَا السُّنِّيُّ إِذْ عَافَاكَ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي بُهْتَانٍ^(٢)



(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ٢١ - ٢٥).

(٢) «الكافية الشافية» (ص ٥٣).

هَلْ نَجْزِمُ بِإِثْبَاتِ الْعُلُوِّ عَلَى الْعَرْشِ، أَوْ نَفُوضُ؟

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ بِأَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ يَجْزِمُونَ بِإِثْبَاتِ عُلُوِّ الرَّحْمَنِ عَلَى الْعَرْشِ، وَذَلِكَ يَتَبَيَّنُ مِنْ وَجُوهِ:

أَحَدُهَا: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ الْمُسْتَفِيضَةَ الْمُتَوَاتِرَةَ وَغَيْرَ الْمُتَوَاتِرَةِ، وَكَلَامَ السَّابِقِينَ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ: مَمْلُوءٌ بِمَا فِيهِ إِثْبَاتُ الْعُلُوِّ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الدَّلَالَاتِ، وَوُجُوهِ مِنَ الصِّفَاتِ، وَأَصْنَافٍ مِنَ الْعِبَارَاتِ. بِمَا تَعَجَّزُ عَنْهُ الْأَقْلَامُ، وَتَضَعُفُ عَنْ حَصْرِهِ الْأَوْهَامُ.

فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَا اشْتَرَكَتْ فِيهِ هَذِهِ النُّصُوصُ مِنْ إِثْبَاتِ عُلُوِّ اللَّهِ نَفْسِهِ عَلَى خَلْقِهِ هُوَ الْحَقُّ، أَوِ الْحَقُّ نَقِيضُهُ؛ إِذِ الْحَقُّ لَا يَخْرُجُ عَنِ النَّقِيضِينَ؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ نَفْسُهُ فَوْقَ الْخَلْقِ؛ أَوْ لَا يَكُونَ فَوْقَ الْخَلْقِ كَمَا تَقُولُ الْجَهْمِيَّةُ. فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ إِثْبَاتَ ذَلِكَ؛ أَوْ نَفْيَهُ.

فَإِنْ كَانَ نَفْيُ ذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يُبَيِّنْ هَذَا قَطُّ - لَا نَصًّا وَلَا ظَاهِرًا - وَلَا الرَّسُولُ ﷺ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ - الَّذِينَ كَانُوا أَعَمَقَ النَّاسِ عِلْمًا، وَأَنْصَحَهُمْ لِلْأُمَّةِ، وَأَبْيَنَهُمْ لِلْسُّنَةِ - وَالتَّابِعِينَ وَأُئِمَّةَ الْمُسْلِمِينَ؛ لَا أُمَّةَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ، وَلَا غَيْرُهُمْ، وَلَا يُمَكِّنُ أَحَدٌ أَنْ يَنْقُلَ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ أَنَّهُ نَفَى ذَلِكَ أَوْ أَخْبَرَ بِهِ. وَأَمَّا مَا نُقِلَ مِنَ الْإِثْبَاتِ عَنْ هَؤُلَاءِ، فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى أَوْ يُحْصَرَ.

فَإِنْ كَانَ الْحَقُّ هُوَ النَّفْيِ دُونَ الْإِثْبَاتِ، لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ لَوَازِمُ بَاطِلَةٌ:

(الأولى): أَنْ لَا يُسْتَفَادَ مِنْ خَبَرِ الرَّسُولِ ﷺ عَنِ اللَّهِ فِي هَذَا الْبَابِ عِلْمٌ وَلَا هُدًى، وَلَا بَيَانٌ لِلْحَقِّ فِي نَفْسِهِ. فَعِنْدَ النَّفَاةِ كَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا الْبَابِ لَا يَشْفِي عَالِيًا، وَلَا يَرَوِي غَلِيلًا، وَلَا يُبَيِّنُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا الْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ.

(الثانية): الْقَدْحُ فِي عِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، أَوْ فِي فَصَاحَتِهِ وَبَيَانِهِ، أَوْ فِي نُصْحِهِ وَإِرَادَتِهِ.

(الثالثة): أَنْ يَكُونَ الْمُعْطَلَةُ النَّفَاةُ أَعْلَمَ بِاللَّهِ مِنْهُ، أَوْ أَفْصَحَ أَوْ أَنْصَحَ.

(الرابعة): أَنْ يَكُونَ أَشْرَفُ الْكُتُبِ وَأَشْرَفُ الرُّسُلِ، قَدْ قَصَرَ فِي هَذَا الْبَابِ غَايَةَ التَّقْصِيرِ، بَلْ أَفْرَطَ فِي التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ غَايَةَ الْإِفْرَاطِ، وَتَنَوَّعَ فِيهِ غَايَةَ التَّنَوُّعِ بِأَنْوَاعٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنَ الْخِطَابِ، تَارَةً بِأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ، وَتَارَةً بِأَنَّهُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَتَارَةً بِأَنَّهُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، وَتَارَةً بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَعْرُجُ إِلَيْهِ، وَتَارَةً بِأَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ تُرْفَعُ إِلَيْهِ، وَتَارَةً بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي نُزُولِهَا مِنَ الْعُلُوِّ إِلَى أَسْفَلٍ تَنْزِلُ مِنْ عِنْدِهِ، وَتَارَةً بِأَنَّهُ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ، وَتَارَةً بِأَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، وَتَارَةً بِأَنَّ الْكِتَابَ نَزَلَ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَضْعَافُ ذَلِكَ مِمَّا إِذَا سَمِعَهُ الْمُعْطَلَةُ، سَبَّحُوا اللَّهَ وَنَزَّهُوهُ جُحُودًا وَإِنْكَارًا، لَا إِيْمَانًا وَتَصْدِيقًا، فَمَا ضَحِكَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لِقَائِلِهِ، يَعْبُسُ مِنْهُ هَؤُلَاءِ إِنْكَارًا وَتَكْذِيبًا، وَمَا شَهِدَ لِقَائِلِهِ بِالْإِيْمَانِ، شَهِدَ هَؤُلَاءِ لَهُ بِالْكَفْرِ وَالضَّلَالِ، وَمَا أَطْلَقَهُ عَلَى رَبِّهِ، يُطْلِقُ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ ضِدَّهُ وَتَقْيِضُهُ، وَمَا نَزَّ رَبُّهُ عَنْهُ مِنَ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ، يُمَسِّكُونَ عَنْ تَنْزِيهِهِ عَنْهُ - وَإِنْ اعْتَقَدُوا أَنَّهُ مُنْزَعٌ عَنْهُ -، وَيُبَالِغُونَ فِي تَنْزِيهِهِ عَنْ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، فَتَرَاهُمْ يُبَالِغُونَ أَعْظَمَ الْمُبَالِغَةِ فِي تَنْزِيهِهِ عَنْ عُلوِّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَتَكْلُمِهِ بِالْقُرْآنِ حَقِيقَةً، مَا لَا يُبَالِغُونَ مِثْلَهُ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ فِي تَنْزِيهِهِ عَنِ الظُّلْمِ وَالْعَيْبِ. فَهَذَا وَأَضْعَافُهُ

وَأَضْعَافُ أَضْعَافِهِ، مِنْ لَوَازِمِ قَوْلِ الْمُعْطَلَةِ (١).

(الخامسة): أَنْ يَكُونَ قَدْ نَزَلَ بَيَانَ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ لَهُمْ وَلَمْ يُفْصَحْ بِهِ، بَلْ رَمَزَ إِلَيْهِ رَمَزًا وَالْغَزَهُ الْغَازَا، لَا يُفْهَمُ مِنْهُ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ الْجُهِدِ الْجَهِيدِ. وَهَذَا يُنَافِي مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ كِتَابَهُ مِنَ التَّيْسِيرِ وَالْبَيَانِ.

(السادسة): أَنْ يَكُونَ قَدْ كَلَّفَ عِبَادَهُ أَنْ لَا يَفْهَمُوا مِنْ تِلْكَ الْأَلْفَافِ حَقَائِقَهَا وَظَوَاهِرَهَا، وَكَلَّفَهُمْ أَنْ يَفْهَمُوا مِنْهَا مَا لَا تَدُلُّ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَجْعَلْ مَعَهَا قَرِينَةً تُفْهَمُ ذَلِكَ. فَأَيُّ تَيْسِيرٍ يَكُونُ هُنَاكَ؟! وَأَيُّ تَعْقِيدٍ وَتَعْسِيرٍ لَمْ يَحْصُلْ بِذَلِكَ؟! وَهَذَا تَدْلِيْسٌ وَتَلْبِيْسٌ، وَتَقْيِضُ الْبَيَانِ وَضِدُّ الْهُدَى، وَهُوَ بِالْأَلْغَازِ أَشْبَهُ مِنْهُ بِالْهُدَى وَالْبَيَانِ. وَكَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِفَ لِعَلِيلٍ دَوَاءً قَاتِلًا، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ فِيهِ الشِّفَاءَ وَالْعَافِيَةَ، وَأَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْفَافِ ذَلِكَ الدَّوَاءِ مَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ، بَلْ عَلَى خِلَافِهِ، فَهَلْ يَكُونُ (٢) مِثْلُ هَذَا الْمُدَاوِي إِلَّا فِي غَايَةِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ، أَوْ فِي غَايَةِ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ وَالِإِضْلَالِ وَالتَّلْبِيْسِ وَالتَّدْلِيْسِ؟! فَلَا بُدَّ لَكُمْ مِنْ هَذِهِ اللَّوَاظِمِ الْمَذْكُورَةِ.

(السابعة): أَنْ يَكُونَ خَيْرُ الْأُمَّةِ وَأَفْضَلُهَا وَأَعْلَمُهَا، وَأَسْبَقُهَا إِلَى كُلِّ فَضْلٍ وَهُدًى وَمَعْرِفَةٍ، وَخَيْرُ الْقُرُونِ قَدْ أَمْسَكُوا مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ فِي «الْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْحَقَائِقِ الرَّبَّانِيَّةِ، الَّتِي هِيَ أَجَلُ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ، وَأَعْظَمُ الْمَقَاصِدِ السَّامِيَةِ» (٣)، وَذَلِكَ إِمَّا جَهْلٌ يُنَافِي الْعِلْمَ، وَإِمَّا كِتْمَانٌ يُنَافِي الْبَيَانَ. وَلَقَدْ أَسَاءَ الظَّنَّ بِخِيَارِ الْأُمَّةِ مَنْ نَسَبَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ إِذَا ازْدَوَجَ التَّكَلُّمُ بِالْبَاطِلِ وَالسُّكُوتُ عَنْ بَيَانِ الْحَقِّ، تَوَلَّدَ مِنْ بَيْنِهِمَا جَهْلُ الْحَقِّ وَإِضْلَالُ الْخَلْقِ.

(٢) «الصواعق» (ص ١٥٠٨).

(١) «الصواعق» (ص ١١٥٢).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٥ / ٣٧٠).

(الثَّامِنَةُ): أَنَّهُمْ التَّزَمُوا لِذَلِكَ تَجْهِيلَ السَّلَفِ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا أُمِّيِّينَ مُقْبِلِينَ عَلَى الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَالْوَرَعِ وَالتَّسْبِيحِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ، وَلَمْ تَكُنِ الْحَقَائِقُ مِنْ شَأْنِهِمْ^(١).

(التَّاسِعَةُ): أَنَّ تَرَكَ النَّاسِ مِنْ إِنْزَالِ هَذِهِ النُّصُوصِ، كَانَ أَنْفَعَ لَهُمْ وَأَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ، وَخَيْرًا «لَهُمْ مِنْ إِنْزَالِهَا إِلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهَا أَوْهَمَتْهُمْ وَأَفْهَمَتْهُمْ غَيْرَ الْمُرَادِ، وَأَوْفَعَتْهُمْ فِي اعْتِقَادِ الْبَاطِلِ، وَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُمْ مَا هُوَ الْحَقُّ فِي نَفْسِهِ؛ بَلْ أُحِيلُوا فِيهِ عَلَى مَا يَسْتَخْرِجُونَهُ بِعُقُولِهِمْ، وَأَفْكَارِهِمْ، وَمَقَايِسِهِمْ»^(٢).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَوْ كَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ مُعْطَلٌ
لَزِمَتْكُمْ شُنْعٌ ثَلَاثٌ فَارْتَوُوا
تَقْدِيمُهُمْ فِي الْعِلْمِ أَوْ فِي نُصَحِهِمْ
إِنْ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمْ حَقًّا فَقَدْ
إِذْ فِيهِمَا ضِدُّ الَّذِي قُلْتُمْ وَمَا
بَلْ كَانَ أَوْلَى أَنْ يُعْطَلَ مِنْهُمَا
إِمَّا عَلَى جَهْمٍ وَجَعْدٍ أَوْ عَلَى الذِّ
وَكَذَلِكَ أَتْبَاعُ لَهُمْ فَقَعُ الْفَلَا
وَكَذَلِكَ أَفْرَاحُ الْقَرَامِطَةِ الْأَلَى
لِعُلُوِّهِ وَصِفَاتِهِ الرَّحْمَنِ
أَوْ خُلَّةٍ مِنْهُمْ أَوْ ثِنْتَانِ
أَوْ فِي الْبَيَانِ أَذَاكَ ذُو إِمْكَانِ
ضَلَّ الْوَرَى بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
ضِدَّانِ فِي الْمَعْقُولِ يَجْتَمِعَانِ
وَيُحَالُ فِي عِلْمٍ وَفِي عُرْفَانِ
ظَامٍ أَوْ ذِي الْمَذْهَبِ الْيُونَانِ
صُمٌّ وَبُكْمٌ تَابِعُو الْعُمَيَّانِ
قَدْ جَاهَرُوا بِعَدَاوَةِ الرَّحْمَنِ^(٣)

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَلَيْنَ كَانَ الْحَقُّ مَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ السَّالِبُونَ، النَّافُونَ لِلصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَكَيْفَ يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، ثُمَّ عَلَى خَيْرِ الْأُمَّةِ: أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ دَائِمًا بِمَا هُوَ إِمَّا نَصٌّ،

(٢) «إعلام الموقعين» (٢/٣١٨).

(١) «الصواعق» (ص ٣١٤-٣١٨).

(٣) «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ص ١٣٨).

وَأَمَّا ظَاهِرٌ فِي خِلَافِ الْحَقِّ؟ ثُمَّ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ لَا يَبْهُو حُونَ بِهِ قَطُّ، وَلَا يَدُلُّونَ عَلَيْهِ لَا نَصًّا وَلَا ظَاهِرًا؛ حَتَّى يَجِيءَ أَنْبَاطُ الْفُرْسِ وَالرُّومِ، وَفُرُوحُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْفَلَاسِفَةِ، يُبَيِّنُونَ لِلْأُمَّةِ الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ، الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَوْ كُلِّ فَاضِلٍ أَنْ يَعْتَقِدَهَا!!

وَلَا زِمَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ: أَنْ لَا يَكُونَ الْكِتَابُ هُدًى لِلنَّاسِ وَلَا بَيِّنًا، وَلَا شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَلَا نُورًا، وَلَا مَرَدًّا عِنْدَ التَّنَازُعِ؛ لِأَنَّا نَعْلَمُ بِالِاضْطِرَّارِ أَنَّ مَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّفُونَ: إِنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ: لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؛ لَا نَصًّا، وَلَا ظَاهِرًا.

وَلَا زِمَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ: أَنْ يَكُونَ تَرْكُ النَّاسِ بِلَا رِسَالَةٍ: خَيْرًا لَهُمْ فِي أَصْلِ دِينِهِمْ؛ لِأَنَّ مَرَدَّهُمْ قَبْلَ الرِّسَالَةِ وَبَعْدَهَا وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا الرِّسَالَةُ زَادَتْهُمْ عَمَى وَضَلَالَةً^(١).

الوجه الثاني: فِي تَبْيِينِ وَجُوبِ الْإِقْرَارِ بِالِاثْبَاتِ، وَعُلُوِّ اللَّهِ عَلَى السَّمَاوَاتِ أَنْ يُقَالَ:

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْمَلَ الدِّينَ، وَأَتَمَّ النِّعْمَةَ، وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ بَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ؛ وَأَنَّ مَعْرِفَةَ مَا يَسْتَحِقُّهُ اللَّهُ وَمَا يُنْزَعُ عَنْهُ، هُوَ مِنْ أَجْلِ أُمُورِ الدِّينِ، وَأَعْظَمُ أَصُولِهِ؛ وَأَفْضَلُ وَأَوْجِبُ مَا اكْتَسَبَتْهُ النُّفُوسُ، وَأَجَلُ مَا حَصَلَتْهُ الْقُلُوبُ، وَأَدْرَكَتْهُ الْعُقُولُ، وَأَنَّ بَيَانَ هَذَا وَتَفْصِيلَهُ أُولَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْبَابُ لَمْ يُبَيِّنْهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَمْ يُفْصِلْهُ، وَلَمْ يُعَلِّمْ أُمَّتَهُ مَا يَقُولُونَ فِي هَذَا الْبَابِ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ الدِّينُ قَدْ كُمِّلَ، وَقَدْ تَرَكُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ الْبِضَاءَ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ بِمَاذَا يَعْرِفُونَ رَبَّهُمْ: أَبِمَا تَقُولُهُ النُّفَاةُ، أَوْ بِأَقْوَالِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ؟!

مِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ عَلَّمَ أُمَّتَهُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ^(١)،
وَقَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»^(٢).
وَقَالَ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ أَيْضًا: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ
يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ»^(٣).
وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي
الْهَوَاءِ، إِلَّا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا»^(٤).

وَمُحَالٌ مَعَ تَعْلِيمِهِمْ كُلَّ شَيْءٍ لَهُمْ فِيهِ مَنَفَعَةٌ فِي الدِّينِ - وَإِنْ دَقَّتْ -، أَنْ
يَتْرَكَ تَعْلِيمَهُمْ مَا يَقُولُونَهُ بِالْإِسْتِثْمِ، وَيَعْتَقِدُونَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، فِي رَبِّهِمْ وَمَعْبُودِهِمْ
رَبِّ الْعَالَمِينَ - الَّذِي مَعْرِفَتُهُ غَايَةُ الْمَعَارِفِ، وَعِبَادَتُهُ أَشْرَفُ الْمَقَاصِدِ، وَالْوُصُولُ
إِلَيْهِ غَايَةُ الْمَطَالِبِ؛ بَلْ هَذَا خُلَاصَةُ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَزُبْدَةُ الرِّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ.
فَكَيْفَ يَتَوَهَّمُ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مَسْكَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ وَحِكْمَةٍ: أَنْ لَا يَكُونَ
هَذَا الْبَابُ قَدْ وَقَعَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى غَايَةِ التَّمَامِ؟!^(٥)
فَكَيْفَ يَصِحُّ مَعَ كَمَالِ الدِّينِ وَتَمَامِهِ، وَمَعَ كَوْنِ الرَّسُولِ ﷺ قَدْ بَلَغَ
الْبَلَغَ الْمُبِينِ، أَنْ يَكُونَ نَفْيُ الْعُلُوِّ مِنَ الدِّينِ وَالْإِيْمَانِ، ثُمَّ لَا يَذْكُرُهُ اللَّهُ ﷻ،
وَلَا رَسُولُهُ ﷺ قَطُّ؟!

وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُدْعَى النَّاسُ وَيُؤْمَرُونَ بِاعْتِقَادٍ فِي أُصُولِ الدِّينِ، لَيْسَ

(١) ثبت هذا في «صحيح مسلم» (٢٦٢)، من حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٣) من حديث العرياض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «صحيح سنن ابن ماجه» (٤١).

(٣) قطعة من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رواه مسلم (١٨٤٤).

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (١٦٤٧)، وصححه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الصحيح» (١٨٠٣).

(٥) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/٥).

لَهُ أَصْلٌ عَمَّنْ جَاءَ بِالَّذِينَ؟! هَلْ هَذَا إِلَّا صَرِيحُ تَبْدِيلِ الدِّينِ؟! (١)

الوجه الثالث: أَنْ يُقَالَ: كُلُّ مَنْ فِيهِ أَدْنَى مَحَبَّةٍ لِلْعِلْمِ أَوْ أَدْنَى مَحَبَّةٍ لِلْعِبَادَةِ: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْبَحْثُ عَنْ هَذَا الْبَابِ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ، وَمَعْرِفَةُ الْحَقِّ فِيهِ، أَكْبَرُ مَقَاصِدِهِ، وَأَعْظَمُ مَطَالِبِهِ، وَأَجَلُ غَايَاتِهِ؛ أَعْنِي: بَيَانُ مَا يَنْبَغِي اعْتِقَادُهُ فِي الرَّبِّ ﷻ، - الَّذِي مَعْرِفَتُهُ أَجَلُ الْمَقَاصِدِ، وَارْفَعُ الْمَوَاهِبِ، وَأَعْظَمُ الْمَطَالِبِ -، فَلَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ الصَّحَابَةُ - الَّذِينَ هَمُّهُمْ أَشْرَفُ الْهِمَمِ، وَمَطَالِبُهُمْ أَجَلُ الْمَطَالِبِ، وَنُفُوسُهُمْ أَزْكَى النُّفُوسِ - وَالتَّابِعُونَ كُلُّهُمْ كَانُوا مُعْرِضِينَ عَنْ هَذَا لَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ، وَلَا يَشْتَاقُونَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، وَلَا تَطْلُبُ قُلُوبُهُمْ الْحَقَّ، وَهُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا يَتَوَجَّهُونَ بِقُلُوبِهِمْ إِلَيْهِ، وَيَدْعُوْنَهُ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً، وَرَغْبًا وَرَهَبًا، وَالْقُلُوبُ مَجْبُولَةٌ مَفْطُورَةٌ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ بِهَذَا، وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ فِيهِ، وَهِيَ مُشْتَاقَةٌ إِلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِهَا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَمَعَ الْإِرَادَةِ الْجَارِمَةِ وَالْقُدْرَةِ يَجِبُ حُصُولُ الْمُرَادِ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى سُؤَالِ الرَّسُولِ ﷺ، وَسُؤَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا. وَقَدْ سَأَلُوهُ عَمَّا هُوَ دُونَ هَذَا: سَأَلُوهُ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَأَجَابَهُمْ. وَسَأَلَهُ أَبُو رَزِينٍ: أَيُضْحِكُ رَبَّنَا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ». فَقَالَ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ خَيْرًا (٢). «فَجَعَلَ الْأَعْرَابِيُّ الْعَاقِلُ - بِصِحَّةِ فِطْرَتِهِ - ضَحِكَهُ دَلِيلًا عَلَى إِحْسَانِهِ وَإِنْعَامِهِ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ، مَقْرُونٌ بِالْإِحْسَانِ الْمَحْمُودِ، وَأَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ» (٣). وَلَوْ لَمْ يَفْهَمْ مِنْ ضَحِكِهِ ﷺ مَعْنَى، لَمْ يَقُلْ مَا قَالَ.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّهُمْ لَا بُدَّ أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْ رَبِّهِمُ الَّذِي يَعْبُدُونَهُ، وَإِذَا سَأَلُوهُ

(١) «الفتاوى الكبرى» (٦/٣٤٥).

(٢) رواه ابن ماجه (١٨١)، وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٦/٧٣٦): «وَالْخُلَاصَةُ أَنَّ الْحَدِيثَ بِمَجْمُوعِ الطَّرِيقَيْنِ حَسَنٌ عِنْدِي».

(٣) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (٦/١٢١).

فَلَا بُدَّ أَنْ يُجِيبَهُمْ. وَمِنْ الْمَعْلُومِ بِالِاضْطِرَّارِ: أَنَّ مَا تَقُولُهُ الْجَهْمِيَّةُ النُّفَاةُ، لَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ التَّبْلِيغِ عَنْهُ، وَإِنَّمَا نَقَلُوا عَنْهُ مَا يُوَافِقُ قَوْلَ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ.

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: أَنْ يُقَالَ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يُحِبُّ مِنَّا أَنْ نَعْتَقِدَ قَوْلَ النُّفَاةِ، أَوْ نَعْتَقِدَ قَوْلَ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ، أَوْ لَا نَعْتَقِدَ وَاحِدًا مِنْهُمَا.

فَإِنْ كَانَ مَطْلُوبُهُ مِنَّا اعْتِقَادَ قَوْلِ النُّفَاةِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ؛ وَأَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ رَبٌّ، وَلَا عَلَى الْعَرْشِ إِلَهٌ، فَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ أَفْضَلُ مِنَّا، فَقَدْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ هَذَا النَّفْيَ، وَالرَّسُولُ ﷺ كَانَ يَعْتَقِدُهُ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَرْضَاهُ لَنَا وَهُوَ إِمَّا وَاجِبٌ عَلَيْنَا أَوْ مُسْتَحَبٌّ لَنَا؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَأْمُرَنَا الرَّسُولُ ﷺ بِمَا هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْنَا، وَيَنْدُبَنَا إِلَى مَا هُوَ مُسْتَحَبٌّ لَنَا، وَلَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ عَنْهُ وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ، مَا فِيهِ إِثْبَاتٌ لِمَحْبُوبِ اللَّهِ وَمَرَاضِيهِ وَمَا يَقْرُبُ إِلَيْهِ؛ لَا سِيَّمَا مَعَ قَوْلِهِ ﷺ: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي» [المائدة: ٣].

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ: كَانَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُبَيِّنَ الرَّسُولُ ﷺ؛ وَقَدْ عَلِمَ بِالِاضْطِرَّارِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، لَمْ يَتَكَلَّمُوا بِمَذْهَبِ النُّفَاةِ. فَعَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ وَلَا مُسْتَحَبٍّ؛ بَلْ عَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ «التَّوْحِيدِ» الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ.

وَإِنْ كَانَ يُحِبُّ مِنَّا مَذْهَبَ الْإِثْبَاتِ؛ وَهُوَ الَّذِي أَمَرْنَا بِهِ؛ فَلَا بُدَّ أَيْضًا أَنْ يُبَيِّنَ ذَلِكَ لَنَا. وَمَعْلُومٌ أَنَّ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ إِثْبَاتِ «الْعُلُوِّ وَالصِّفَاتِ»، أَعْظَمُ مِمَّا فِيهِمَا مِنْ إِثْبَاتِ الْوُضُوءِ وَالتَّيَمُّمِ، وَالصِّيَامِ، وَتَحْرِيمِ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ، وَخَبِيثِ الْمَطَاعِمِ؛ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ «الشَّرَائِعِ». فَعَلَى قَوْلِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا، وَالرَّسُولُ ﷺ مُبَلِّغًا مُبَيِّنًا؛ وَالتَّوْحِيدُ عَنِ السَّلَفِ مَشْهُورًا مَعْرُوفًا، وَالْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ وَالسَّلَفُ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ

وَطَرِيقُهُمْ أَفْضَلُ الطَّرِيقِ، وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ إِضْلَالٌ، وَلَا دَلٌّ عَلَى كُفْرٍ وَمُحَالٍ؛ بَلْ هُوَ الشِّفَاءُ وَالْهُدَى وَالنُّورُ. وَهَذِهِ كُلُّهَا لَوَازِمٌ مُلْتَزِمَةٌ وَتَتَابُجٌ مَقْبُولَةٌ؛ فَقَوْلُهُمْ مُؤْتَلَفٌ غَيْرُ مُخْتَلَفٍ، وَمَقْبُولٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ.

وَإِنْ كَانَ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ مِمَّا أَنْ لَا نُثَبِّتَ وَلَا نُنْفِخَ؛ بَلْ تَبَقَى فِي الْجَهْلِ الْبَسِيطِ، وَفِي ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، لَا نَعْرِفُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ وَلَا الْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ، وَلَا الصَّدَقَ مِنَ الْكَذِبِ؛ بَلْ نَقِفُ بَيْنَ الْمُثَبَّتَةِ وَالنُّفَاةِ مَوْقِفَ الشَّاكِّينَ الْحَيَارَى ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣]؛ لَا مُصَدِّقِينَ وَلَا مُكَذِّبِينَ: لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يُحِبُّ مِمَّا عَدَمَ الْعِلْمِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَعَدَمَ الْعِلْمِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ اللَّهُ ﷻ مِنَ الصِّفَاتِ التَّامَّاتِ، وَعَدَمَ الْعِلْمِ بِالْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَيُحِبُّ مِمَّا الْحَيْرَةَ وَالشَّكَّ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْجَهْلَ، وَلَا الشَّكَّ، وَلَا الْحَيْرَةَ، وَلَا الضَّلَالَ؛ وَإِنَّمَا يُحِبُّ الدِّينَ وَالْعِلْمَ وَالْيَقِينَ.

وَقَدْ ذَمَّ «الْحَيْرَةَ» بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى اثْنًا قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٧١].

وَقَالَ ﷺ: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّهُ هَدَى عِبَادَهُ لِمَا اٰخْتَلَفَ فِيهِ الْمُخْتَلِفُونَ^(١).

وَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نَقُولَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ② ﴿[الفاتحة: ٦، ٧].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ [نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ] إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» ^(١).

فَهُوَ ﷺ يَسْأَلُ رَبَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَحْبُوبُ اللَّهِ عَدَمَ الْهُدَى فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ؟! وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ الْوَاقِفَةِ الَّذِينَ لَا يُثْبِتُونَ وَلَا يَنْفُونَ، وَيُنْكِرُونَ الْجَزَمَ بِأَحَدِ الْقَوْلَيْنِ: يَلْزَمُ عَلَيْهِ أُمُورٌ:

(أَحَدُهَا): أَنَّ مَنْ قَالَ هَذَا: فَعَلَيْهِ أَنْ يُنْكِرَ عَلَى النُّفَاةِ؛ فَإِنَّهُمْ ابْتَدَعُوا أَلْفَاظًا وَمَعَانِي لَا أَصْلَ لَهَا فِي الْكِتَابِ، وَلَا فِي السُّنَّةِ.

وَأَمَّا الْمُثْبِتَةُ إِذَا اقْتَصَرُوا عَلَى النُّصُوصِ؛ فَلَيْسَ لَهُ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِمْ، وَهَؤُلَاءِ الْوَاقِفَةُ هُمْ فِي الْبَاطِنِ يُوَافِقُونَ النُّفَاةَ أَوْ يُقَرُّونَهُمْ، وَإِنَّمَا يُعَارِضُونَ الْمُثْبِتَةَ، فَعَلِمَ أَنَّهُمْ أَقَرُّوا أَهْلَ الْبِدْعَةِ، وَعَادُوا أَهْلَ السُّنَّةِ.

(الثَّانِي): أَنْ يُقَالَ: عَدَمُ الْعِلْمِ بِمَعَانِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، لَيْسَ مِمَّا يُجِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهَذَا الْقَوْلُ بَاطِلٌ.

(الثَّالِثُ): أَنْ يُقَالَ: الشَّكُّ وَالْحَيْرَةُ لَيْسَتْ مَحْمُودَةً فِي نَفْسِهَا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ. غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ: أَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ بِالنَّفْيِ وَلَا الْإِثْبَاتِ، يَسْكُتُ. فَأَمَّا مَنْ عِلِمَ الْحَقَّ بِدَلِيلِهِ الْمُوَافِقِ لِبَيَانِ رَسُولِهِ ﷺ، فَلَيْسَ لِلْوَاقِفِ الشَّاكِّ الْحَائِرِ، أَنْ يُنْكِرَ عَلَى هَذَا الْعَالِمِ الْجَازِمِ الْمُسْتَبْصِرِ

الْمُتَّبِعِ لِلرَّسُولِ ﷺ، الْعَالِمِ بِالْمَنْقُولِ وَالْمَعْقُولِ.

(الرَّابِعُ): أَنْ يُقَالَ: السَّلَفُ كُلُّهُمْ أَنْكَرُوا عَلَى الْجَهْمِيَّةِ النُّفَاةِ، وَقَالُوا بِالْإِثْبَاتِ وَأَفْصَحُوا بِهِ، وَكَلَامُهُمْ فِي الْإِثْبَاتِ وَالْإِنْكَارِ عَلَى الْوَاقِفَةِ وَالنُّفَاةِ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُمَكِّنَ إِثْبَاتُهُ فِي هَذَا الْمَكَانِ... كُلُّهُمْ مُطَبِّقُونَ عَلَى الدِّمِّ وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ نَفَى أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى وَصْفِهِ بِذَلِكَ، وَعَلَى دَمِّ الْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ؛ وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ خِلَافٌ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَنْقُلَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَثَمَتِهَا فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ، حَرْفًا وَاحِدًا يُخَالِفُ ذَلِكَ؛ لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا مِنْ عِبَارَاتِ النُّفَاةِ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ، وَاللَّهُ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَلَا إِنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا إِنَّ جَمِيعَ الْأَمَكِنَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سَوَاءٌ، أَوْ إِنَّهُ لَا تَجُوزُ الْإِشَارَةُ الْحِسِّيَّةُ إِلَيْهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَارَاتِ الَّتِي تُطْلَقُهَا النُّفَاةُ: لَا نَصًّا وَلَا ظَاهِرًا؛ بَلْ هُمْ مُطَبِّقُونَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ نَفْسُهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعَلَى دَمِّ مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ.

فَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذَا الْكَلَامِ: أَنَّ الْحَقَّ الْحَقِيقَ بِالْقَبُولِ، هُوَ إِثْبَاتُ عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ، الْخَالِصُ مِنْ شَوْبِ التَّشْبِيهِ، الْمُصَفَّى مِنْ قَذَارَاتِ التَّعْطِيلِ. «وَالْمَسِيرُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَعْرِفَةِ صِفَاتِهِ الْعُلْيَا وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، بِالصُّعُودِ عَلَى سَلَالِمِ أَهْلِ الْكَلَامِ، نَقِیَصَةً وَاضِحَةً فِي الدِّينِ، وَثُلْمَةً بَارِزَةً فِي حِصْنِ الْيَقِينِ؛ بَلْ رَدُّ لِلتَّوْحِيدِ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَنَدَبَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ كُلَّ جِيلٍ مِنَ النَّاسِ.

فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْحَقَّ فِي كَلَامِ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ، وَالتَّوْحِيدُ هُوَ الَّذِي جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ، وَالْقُرْآنُ لَا يَكْفِي فِي ذَلِكَ، وَالْحَدِيثُ لَا يُغْنِي عَمَّا هُنَاكَ، فَقَدْ خَرَجَ عَنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْهِ دَائِرَةُ السُّوءِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلَامِ»^(١).

(١) «الدين الخالص» (١/ ١٥٣ - ١٥٤)، لصديق حسن خان رَحِمَهُ اللَّهُ.

شُبُهَاتُ وَالرَّدُّ عَلَيْهَا

اعْلَمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِأَنَّ النُّصُوصَ الدَّالَّةَ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ: لَا تَخْفَى عَلَى ذِي عِيَانٍ؛ بَلْ أَجْلَى مِنْ ضِيَاءِ الشَّمْسِ فِي الْبَيَانِ، لَكِنْ لِمَنْ لَهُ فَهْمٌ ثَاقِبٌ، وَعَقْلٌ كَامِلٌ، وَبَصَرٌ نَاقِدٌ.

وَهَذِهِ النُّصُوصُ الدَّالَّةُ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ «لَمْ يُعَارِضْهَا قَطُّ صَرِيحٌ مَعْقُولٌ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مُقَدِّمًا عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا الَّذِي يُعَارِضُهَا «جَهْلِيَّاتٌ»، وَ«ضَلَالَاتٌ»، وَ«خَيَالَاتٌ»، وَ«شُبُهَاتٌ مَكْذُوبَاتٌ»، وَ«أَوْهَامٌ فَاسِدَةٌ»، وَأَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ لَيْسَتْ مُطَابِقَةً لِمُسَمَّاهَا، بَلْ هِيَ مِنْ جِنْسِ تَسْمِيَةِ الْأَوْثَانِ «آلِهَةٌ» وَ«أَرْبَابًا»، وَتَسْمِيَةِ «مُسْلِمَةِ الْكُذَابِ» وَأَمْثَالِهِ «أَنْبِيَاءٌ»: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ (١٢) [النجم: ٢٣] ^(١)، مَبْنَاهَا عَلَى مَعَانٍ مُتَشَابِهَةٍ وَالْفَافِظُ مُجْمَلَةٌ، فَمَتَى وَقَعَ الْإِسْتِفْسَارُ وَالْبَيَانُ، ظَهَرَ أَنَّ مَا عَارَضَهَا شُبُهَةٌ سُوفِسْطَائِيَّةٌ ^(٢)، لَا بَرَاهِينَ عَقْلِيَّةً.

وَفِي هَذَا يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

مُحَصَّلٌ فِي أَصُولِ الدِّينِ حَاصِلُهُ مِنْ بَعْدِ تَحْصِيلِهِ عِلْمٌ بِلَا دِينٍ

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/٢٥٥-٢٥٦).

(٢) بَيْنَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «بَيَانِ تَلْيِيسِ الْجَهْمِيَّةِ» (١/٣٢٤): أَنَّ كَلِمَةَ السُّفْسُطَةِ تَتَضَمَّنُ إِنكَارَ الْحَقِّ، وَتَمْوِيهَهُ بِالْبَاطِلِ؛ فَكُلُّ مَنْ جَحَدَ حَقًّا مَعْلُومًا، وَمَوَّهَ ذَلِكَ بِبَاطِلٍ، فَهُوَ مُسْفِسِطٌ.

أَصْلُ الضَّلَالَةِ وَالْإِفْكِ الْمُبِينِ فَمَا فِيهِ فَأَكْثَرُهُ وَحْيُ الشَّيَاطِينِ ^(١)
وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَأَدِلَّةُ الْإِثْبَاتِ حَقًّا لَا يَقُو مُلَهَا الْجِبَالُ وَسَائِرُ الْأَكْوَانِ
تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَحْيُهُ مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالْبُرْهَانِ
أَنِّي يُعَارِضُهَا كِنَاسَةٌ هَذِهِ الـ أَذْهَانِ بِالشُّبُهَاتِ وَالْهَذْيَانِ
وَجَعَجَاعُ وَفَرَاقِعُ مَا تَحْتَهَا إِلَّا السَّرَابُ لِوَارِدِ ظَمْآنِ ^(٢)

وَإِنَّ الْمُشْتَغَلِينَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ جَعَلُوا أَقْوَالَ هُمُ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا، أَصُولُ
دِينِهِمْ - وَإِنْ سَمَوْهَا «أَصُولُ الْعِلْمِ وَالِدِينِ»، فَهِيَ «تَرْتِيبُ الْأَصُولِ فِي مُخَالَفَةِ
الرُّسُولِ وَالْمَعْقُولِ» -؛ وَمُعْتَقَدُهُمْ فِي رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ الْمُحْكَمَةُ، وَجَعَلُوا
قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ هُوَ الْمُتَشَابِهَ، الَّذِي لَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ عِلْمٌ وَلَا يَقِينٌ، ثُمَّ رَدُّوا
تَشَابُهَ الْوَحْيِ إِلَى مُحْكَمِ كَلَامِهِمْ وَقَوَاعِدِهِمْ.

وَهَذَا كَمَا أَحَدَثُوهُ مِنَ الْأَصُولِ الَّتِي نَفَوْا بِهَا صِفَاتِ الرَّبِّ بِجَلَّالِهِ،
وَنُعُوتِ كَمَالِهِ، وَنَفَوْا بِهَا كَلَامَهُ، وَتَكْلِيمَهُ، وَعُلُوَّهُ عَلَى عَرْشِهِ، مُحْكَمًا؛
وَجَعَلُوا النُّصُوصَ الدَّالَّةَ عَلَى خِلَافِ تِلْكَ الْقَوَاعِدِ وَالْأَصُولِ مُتَشَابِهَةً،
يَقْضِي بِتِلْكَ الْقَوَاعِدِ عَلَيْهَا، وَتُرَدُّ النُّصُوصُ إِلَيْهَا.

وَأَمَّا أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، فَطَرِيقُهُمْ عَكْسُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ،
يَجْعَلُونَ كَلَامَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ هُوَ الْأَصْلَ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، وَيُرَدُّ مَا يَتَنَازَعُ
النَّاسُ فِيهِ إِلَيْهِ، فَمَا وَافَقَهُ كَانَ حَقًّا، وَمَا خَالَفَهُ كَانَ بَاطِلًا، وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ
لَفْظٌ مُشْتَبِهٌ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ [كَالْحَيِّزِ وَالْجَهَّةِ وَالْمَكَانِ وَالْجِسْمِ
وَالْحَرَكَةِ]، لَمْ يَتَلَقَّوهُ بِالْقَبُولِ، وَلَمْ يَرُدُّوهُ بِالْإِنْكَارِ، حَتَّى يَسْتَفْصِلُوا قَائِلَهُ

عَنْ مُرَادِهِ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا مُوَافِقًا لِلْعَقْلِ وَالنَّقْلِ قَبْلُوهُ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا مُخَالِفًا لِلْعَقْلِ وَالنَّقْلِ رَدُّوهُ، وَتُصَوِّصُ الْوَحْيِ عِنْدَهُمْ، أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ أَنْ يُقَدِّمُوا عَلَيْهَا أَلْفَاظًا مُجْمَلَةً، لَهَا مَعَانٍ مُشْتَبِهَةٌ^(١).

وَهَذَا أَصْلُ مُهِمٍّ، مَنْ تَصَوَّرَهُ وَتَدَبَّرَهُ انْتَفَعَ بِهِ غَايَةَ النِّفَعِ، وَتَخَلَّصَ بِهِ مِنْ ضَلَالِ الْمُتَفَلِّسِينَ، وَحَيْرَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ، «وَعَرَفَ حَقِيقَةَ الْأَقْوَالِ الْبَاطِلَةِ، وَمَا يَلْزُمُهَا مِنَ اللَّوْازِمِ، وَعَرَفَ الْحَقَّ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ صَحِيحُ الْمَنْقُولِ، وَصَرِيحُ الْمَعْقُولِ؛ لَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الْأُصُولِ الَّتِي هِيَ أُصُولُ كُلِّ الْأُصُولِ، وَالضَّالُّونَ فِيهَا لَمَّا ضَيَّعُوا الْأُصُولَ حَرِمُوا الْوُصُولَ»^(٢). وَالْأُصُولُ اتَّبَاعُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ^(٣). كَمَا قِيلَ:

أَيُّهَا الْمُفْتَدِي لِتَطْلُبَ عِلْمًا كُلُّ عِلْمٍ عَبْدٌ لِعِلْمِ الرَّسُولِ
تَطْلُبُ الْفِرْعَ كَيْ تُصَحِّحَ حُكْمًا ثُمَّ أَغْفَلْتَ أَضِلَّ أَضِلَّ الْأُصُولِ^(٤)

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الرَّسُولُ ﷺ بَيْنَ الْأُصُولِ الْمُوصِلَةِ إِلَى الْحَقِّ أَحْسَنَ بَيَانٍ، وَبَيِّنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى الْخَالِقِ ﷻ، وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْبِدْعِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالْفَلَسَفَةِ وَنَحْوِهِمْ، فَهُمْ لَمْ يُثْبِتُوا الْحَقَّ، بَلْ أَصْلُوا أُصُولًا تُنَاقِضُ الْحَقَّ، فَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا وَلَمْ يَدُلُّوا عَلَى الْحَقِّ، حَتَّى أَصْلُوا أُصُولًا تُنَاقِضُ الْحَقَّ، وَرَأَوْا أَنَّهَا تُنَاقِضُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، فَقَدَّمُوهَا عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ^(٥)، فَيَا بئسَ مَا أَصْلُوا وَمَا فَرَعُوا!

(١) «الصواعق» (ص ٩٩١ - ٩٩٢). وانظر: «فتح الباري» (٧/ ٢٣٩ - ٢٤١)، لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٢٧).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ١٥٧).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ١٥٨). ولا يُدْرَى مَنْ قَاتِلُهُمَا؟

(٥) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٤٣٩ - ٤٤٠).

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ تَعَمُّقَهُمْ فِي التَّأْوِيلَاتِ الْمُخَالَفَةِ لِظَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعُدُولَهُمْ عَنْهُمَا إِلَى زُخْرَفِ الْقَوْلِ وَالْغُرُورِ لِتَقْوِيَةِ بَاطِلِهِمْ، وَتَقْرِيْبِهِ إِلَى الْقُلُوبِ الضَّعِيفَةِ؛ لَاحَ لَكَ الْحَقُّ، وَبَانَ الصَّدْقُ، فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى مَا أَسَّسُوهُ، وَلَا تُبَالِ بِمَا زَخَرَفُوهُ، وَالزَّمْ نَصَّ الْكِتَابِ، وَظَاهَرَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِينَ هُمَا أَصُولُ الشَّرْعِيَّاتِ، تَقِفْ عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ^(١).

وَبَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ، نَذْكُرُ شُبُهَاتِ الْمُتَكَلِّمِينَ - الَّتِي عَارَضُوا بِهَا نُصُوصَ الْوَحْيِ -، ثُمَّ نَأْتِي عَلَيْهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﷻ.

الشُّبُهَةُ الْأُولَى

يَسْتَلْزِمُ مِنْ إِبْثَاتِ الْقَوِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى، أَنْ يَكُونَ فِي مَكَانٍ وَحِيٍّ وَجْهَةٍ^(٢).
يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ بِأَنَّ الْمُشْتَغِلِينَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ إِذَا قَالُوا: «إِنَّ اللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحَيِّزِ وَالْجَهَةِ وَالْمَكَانِ»، أَوْ هَمُّوا النَّاسَ أَنْ مَقْصُودَهُمْ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا تَحْصُرُهُ الْمَخْلُوقَاتُ، وَلَا تَحُورُهُ الْمَصْنُوعَاتُ، وَهَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ، وَمَقْصُودُهُمْ: أَنَّهُ لَيْسَ مُبَايِنًا لِلْخَلْقِ وَلَا مُنْفَصِلًا عَنْهُمْ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ رَبٌّ يُعْبَدُ، وَلَا عَلَى الْعَرْشِ إِلَهٌ يُصَلَّى لَهُ وَيُسَجَّدُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يُعْرَجْ بِهِ إِلَيْهِ، وَلَا تُرْفَعُ إِلَيْهِ الْأَيْدِي فِي الدُّعَاءِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْجَهْمِيَّةِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ.
تَاللَّهِ قَدْ ضَلَّتْ عُقُولُ الْقَوْمِ إِذْ قَالُوا بِهَذَا الْقَوْلِ ذِي الْبُطْلَانِ^(٣)
وَالرَّدُّ عَلَى الشُّبُهَةِ الْمَذْكُورَةِ أَنْ يُقَالَ:

الْأَصْلُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ كُلَّ مَا ثَبَتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ سُنَّةِ

(١) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٢٩٥).

(٢) انظر: «أساس التقديس» (ص ٣٠) [مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة].

(٣) «الكافية الشافية» (ص ٩٠).

رَسُولِهِ ﷺ وَجَبَ التَّصَدِيقُ بِهِ، مِثْلُ عُلُوِّ الرَّبِّ، وَاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الْأَلْفَاظُ الْمُبْتَدَعَةُ فِي النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، مِثْلُ قَوْلِ الْقَائِلِ: هُوَ فِي جِهَةٍ أَوْ لَيْسَ فِي جِهَةٍ، وَهُوَ مُتَحَيِّزٌ أَوْ لَيْسَ بِمُتَحَيِّزٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَنَازَعَ فِيهَا النَّاسُ، وَلَيْسَ مَعَ أَحَدِهِمْ نَصٌّ لَا عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَا عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَلَا أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ. هَؤُلَاءِ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي جِهَةٍ، وَلَا قَالَ: لَيْسَ هُوَ فِي جِهَةٍ، وَلَا قَالَ: هُوَ مُتَحَيِّزٌ، وَلَا قَالَ: لَيْسَ بِمُتَحَيِّزٍ، بَلْ وَلَا قَالَ: هُوَ جِسْمٌ أَوْ جَوْهَرٌ، وَلَا قَالَ: لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا جَوْهَرٍ. فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ لَيْسَتْ مَنْصُوصَةً فِي الْكِتَابِ، وَلَا السُّنَّةِ، وَلَا الْإِجْمَاعِ، وَالنَّاطِقُونَ بِهَا قَدْ يُرِيدُونَ مَعْنَى صَحِيحًا، وَقَدْ يُرِيدُونَ مَعْنَى فَاسِدًا، فَإِنْ أَرَادُوا مَعْنَى صَحِيحًا يُوَافِقُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، كَانَ ذَلِكَ مَقْبُولًا مِنْهُمْ. وَإِنْ أَرَادُوا مَعْنَى فَاسِدًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، كَانَ ذَلِكَ الْمَعْنَى مَرْدُودًا عَلَيْهِمْ.

فَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي جِهَةٍ، قِيلَ: مَا تُرِيدُ بِذَلِكَ؟ أَتُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهُ سَبْعُ خِطِّينَ فِي جِهَةٍ مَوْجُودَةٌ تَحْصُرُهُ وَتُحِيطُ بِهِ وَتَعْلُو عَلَيْهِ، أَوْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، مِثْلَ أَنْ يَكُونَ فِي جَوْفِ السَّمَاوَاتِ، أَمْ تُرِيدُ بِالْجِهَةِ أَمْرًا عَدَمِيًّا وَهُوَ مَا فَوْقَ الْعَالَمِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ الْعَالَمِ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَإِنْ أَرَدْتَ الْجِهَةَ الْوُجُودِيَّةَ، وَجَعَلْتَ اللَّهَ تَعَالَى مَحْصُورًا فِي الْمَخْلُوقَاتِ، فَهَذَا بَاطِلٌ. فَكُلُّ مَوْجُودٍ سِوَى اللَّهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَهُوَ فَقِيرٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَمَّا سِوَاهُ. وَإِنْ أَرَدْتَ الْجِهَةَ الْعَدَمِيَّةَ، وَأَرَدْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ فَوْقَ الْمَخْلُوقَاتِ بَائِنٌ عَنْهَا، فَهَذَا حَقٌّ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ أَنْ شَيْئًا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ حَصَرَهُ وَلَا أَحَاطَ بِهِ وَلَا عَلَا عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ الْعَالِي عَلَيْهَا الْمُحِيطُ بِهَا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينَهُ﴾ [الزمر: ٦٧].

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَتَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟!» (١).

وَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ فِي جِهَةٍ. قِيلَ لَهُ: مَا تُرِيدُ بِذَلِكَ؟ فَإِنْ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ رَبٌّ يُعْبَدُ، وَلَا عَلَى الْعَرْشِ إِلَهٌ، وَنَبِينًا مُحَمَّدٌ ﷺ لَمْ يُعْرَجْ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْأَيْدِي لَا تُرْفَعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّعَاءِ، وَلَا تَتَوَجَّهُ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ، وَلَا تَصْعَدُ الْمَلَائِكَةُ إِلَيْهِ، وَلَا تَنْزِلُ الْكُتُبُ مِنْهُ، وَلَا يَقْرُبُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَدْنُو إِلَى شَيْءٍ، فَهَذَا فِرْعَوْنِيٌّ مُعْطَلٌّ، جَاوِدٌ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَمَنْ نَفَى الْجِهَةَ، وَأَرَادَ بِالنَّفْيِ كَوْنَ الْمَخْلُوقَاتِ مُحِيطَةً بِهِ، أَوْ كَوْنَهُ مُفْتَقِرًا إِلَيْهَا، فَهَذَا حَقٌّ.

وَكَذَلِكَ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُتَحَيِّزٌ، أَوْ قَالَ: لَيْسَ بِمُتَحَيِّزٍ، إِنْ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: مُتَحَيِّزٌ، أَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ تَحُوزُهُ وَتُحِيطُ بِهِ، وَلَيْسَ هُوَ بِقُدْرَتِهِ يَحْمِلُ الْعَرْشَ وَحَمَلَتُهُ، وَلَيْسَ هُوَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْكَبِيرِ الْعَظِيمِ، الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، فَقَدْ أَخْطَأَ. وَإِنْ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ مُنْحَازٌ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ، مُبَايِنٌ لَهَا، عَالٍ عَلَيْهَا، فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدْ أَصَابَ. وَمَنْ قَالَ: لَيْسَ بِمُتَحَيِّزٍ؛ إِنْ أَرَادَ: الْمَخْلُوقَاتُ لَا تَحُوزُهُ، فَقَدْ أَصَابَ. وَإِنْ أَرَادَ: لَيْسَ بِبَائِنٍ عَنْهَا، بَلْ هُوَ لَا دَاخِلَ فِيهَا، وَلَا خَارِجٌ عَنْهَا، فَقَدْ أَخْطَأَ.

وَمَنْ قَالَ بِنَفْيِ الْمَكَانِ عَنِ اللَّهِ ﷻ، فَقَدْ يُرَادُ بِالْمَكَانِ مَا يَحْوِي الشَّيْءَ وَيُحِيطُ بِهِ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا يَسْتَقِرُّ الشَّيْءُ عَلَيْهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا كَانَ الشَّيْءُ فَوْقَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ

(١) رواه البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه البخاري (٧٤١٢)، ومسلم (٢٧٨٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

مَا فَوْقَ الْعَالَمِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَوْجُودًا.

فَإِنْ قِيلَ: هُوَ فِي مَكَانٍ، بِمَعْنَى إِحَاطَةِ غَيْرِهِ بِهِ، وَافْتِقَارِهِ إِلَى غَيْرِهِ؛ فَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الْغَيْرِ، وَإِحَاطَةِ الْغَيْرِ بِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَإِنْ أُريدَ بِالْمَكَانِ مَا فَوْقَ الْعَالَمِ، وَمَا هُوَ الرَّبُّ فَوْقَهُ.

قِيلَ: إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا خَالِقٌ أَوْ مَخْلُوقٌ، وَالْخَالِقُ بَائِنٌ مِنَ الْمَخْلُوقِ، كَانَ هُوَ الظَّاهِرَ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ.

وَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ: هُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ؛ فَهَذَا الْمَعْنَى حَقٌّ، سِوَاءَ سَمَّيْتَ ذَلِكَ مَكَانًا أَوْ لَمْ تُسَمِّهِ.

وَإِذَا عُرِفَ الْمَقْصُودُ، فَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَهُوَ الْقَوْلُ الْمُطَابِقُ لِصَحِيحِ الْمَنْقُولِ وَصَرِيحِ الْمَعْقُولِ^(١).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ فِي الْمَعْنَى: أَنْ يُنْظَرَ إِلَى الْمَقْصُودِ، فَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ الْمَكَانَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ الْمُتَمَكِّنُ، سِوَاءَ كَانَ مُحِيطًا بِهِ، أَوْ كَانَ تَحْتَهُ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ فِي مَكَانٍ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ، وَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ الْعَرْشَ هُوَ الْمَكَانُ، وَأَنَّ اللَّهَ فَوْقَهُ، مَعَ غِنَا عَنْهُ، فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ فِي مَكَانٍ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ.

فَمِمَّا يَجِبُ نَفْيُهُ بِلَا رَيْبٍ: افْتِقَارُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى مَا سِوَاهُ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنِ مَا سِوَاهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِصِفَةٍ تَتَضَمَّنُ افْتِقَارَهُ إِلَى مَا سِوَاهُ»^(٢).

ثُمَّ نَقُولُ: لَا نُسَلِّمُ كَوْنَ الْبَارِي عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، يَلْزَمُ مِنْهُ

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٦/٢٤٩).

(١) «منهاج السُّنَّة» (٢/١٤٤ - ١٤٥).

أَنَّهُ فِي حَيْزٍ وَجْهَةٍ؛ لِأَنَّ الْعَرْشَ سَقْفُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَمَا فَوْقَهُ لَا يُسَمَّى جِهَةً، وَمَا دُونَ الْعَرْشِ يُقَالُ فِيهِ: حَيْزٌ وَجْهَاتٌ، وَمَا فَوْقَهُ فَلَيْسَ هُوَ كَذَلِكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، كَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ، وَنَقَلَهُ عَنْهُمْ الْأُئِمَّةُ.

وَلَوْ سَلَّمْنَا أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ إِبْثَابِ الْعُلُوِّ إِبْثَابُ الْجِهَةِ، فَلَا زِمَ الْحَقُّ حَقٌّ، فَمَا اسْتَلْزَمَهُ صَرِيحُ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ، فَهُوَ حَقٌّ بِلَا خِلَافٍ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ. أَمَّا الْقَوْلُ الْمُتَوَلَّدُ أَخِيرًا مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ، فَهَذَا شَيْءٌ لَا يُعْقَلُ وَلَا يُفْهَمُ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ مُخَالَفَةِ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ. فَفَرَّ بِدِينِكَ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَآمِنْ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ، وَفَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^(١).

وَمَنْ تَدَبَّرَ هَذَا كُلَّهُ وَتَأَمَّلَهُ، تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ [إِبْثَابِ عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ]، هُوَ الْحَقُّ الْمَعْلُومُ بِصَرِيحِ الْمَعْقُولِ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ خَالَفُوا الْقُرْآنَ فِي أَصُولِ الدِّينِ: فِي دَلَائِلِ الْمَسَائِلِ، وَفِي نَفْسِ الْمَسَائِلِ، خِلَافًا خَالَفُوا بِهِ الْقُرْآنَ وَالْإِيمَانَ، وَخَالَفُوا بِهِ صَرِيحَ عَقْلِ الْإِنْسَانِ، وَكَانُوا فِي قَضَايَاهُمْ الَّتِي يَذْكُرُونَهَا فِي خِلَافٍ ذَلِكَ، أَهْلُ كَذِبٍ وَبُهْتَانٍ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مُتَعَمِّدِينَ الْكَذِبَ، بَلِ التَّبَسُّ عَلَيْهِمْ مَا ابْتَدَعُوهُ مِنَ الْهَذْيَانِ^(٢).

السُّبْهَةُ الثَّانِيَّةُ

لَوْ كَانَ الْخَالِقُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَكَانَ حَامِلُ الْعَرْشِ حَامِلًا لِمَنْ فَوْقَ الْعَرْشِ، فَيَلْزَمُ احْتِيَاجُ الْخَالِقِ إِلَى الْمَخْلُوقِ^(٣). اَعْلَمْ ﷻ: بِأَنَّ «غَايَةَ مَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمُتَقَعِّرِينَ مِنَ الْعِلْمِ، عِبَارَاتٌ

(١) «الْعُلُوُّ» (ص ١٣٧٨)، و«معارج القبول» (١/ ٢٠٢ - ٢٠٣).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٢٠٣). (٣) انظر: «أساس التقديس» (ص ٤٤).

وَشَقَاشِقُ لَا يَعْباُ اللهُ بِهَا، يُحَرِّفُونَ بِهَا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، فَنَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الْكَلَامِ وَأَهْلِهِ»^(١).

وَالْكَلَامُ الْمَذْكُورُ، فِيهِ مِنَ الْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَوَصْفِهِ بِالنَّقَائِصِ، مَا يُعَلِّمُ بَطْلَانَهُ بِصَرِيحِ الْمَعْقُولِ وَصَحِيحِ الْمَقُولِ.

وَالرَّدُّ عَلَى الشُّبْهَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ وَجْوهٍ:

الوجه الأول:

هُؤُلَاءِ النِّفَاةُ كَثِيرًا مَا يَتَكَلَّمُونَ بِالْأَوْهَامِ وَالْخَيَالَاتِ الْفَاسِدَةِ، وَيَصِفُونَ اللَّهَ بِالنَّقَائِصِ وَالْآفَاتِ، وَيُمَثِّلُونَهُ بِالْمَخْلُوقَاتِ، بَلْ بِالنَّقِصَاتِ، بَلْ بِالْمَعْدُومَاتِ، بَلْ بِالْمُتَمَتِّعَاتِ، فَكُلُّ مَا يُضَيِّفُونَهُ إِلَى أَهْلِ الْإِثْبَاتِ الَّذِينَ يَصِفُونَهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَيُزَيِّهُونَهُ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ كُفُوٌ أَوْ سَمِيٌّ، فَمَا يُضَيِّفُونَهُ إِلَى هَؤُلَاءِ مِنْ زَعْمِهِمْ أَنََّّهُمْ يُحَكِّمُونَ بِمُوجِبِ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ الْفَاسِدِ، أَوْ أَنََّّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ بِالنَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ، أَوْ أَنََّّهُمْ يُشَبِّهُونَهُ بِالْمَخْلُوقَاتِ، هُوَ بِهِمْ أَخْلَقُ، وَهُوَ بِهِمْ أَعْلَقُ، وَهُمْ بِهِ أَحَقُّ، فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ أَحَدًا سَلَبَ اللَّهِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، إِلَّا وَقَوْلُهُ يَتَضَمَّنُ لَوْصِفِهِ بِمَا يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ مِنَ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ وَلِمَثِيلِهِ بِالْمَخْلُوقَاتِ، وَتَجِدُهُ قَدْ تَوَهَّمَ وَتَخَيَّلَ أَوْهَامًا وَخَيَالَاتٍ فَاسِدَةً غَيْرَ مُطَابِقَةٍ، بَنَى عَلَيْهَا قَوْلَهُ، مِنْ جِنْسِ هَذَا الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ، وَأَنََّّهُمْ يَتَوَهَّمُونَ وَيَتَخَيَّلُونَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ، كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى الْعَرْشِ، كَمَا أَنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ فَوْقَ كُرْسِيِّهِ، كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى كُرْسِيِّهِ^(٢)، وَكَمَا يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَى السَّطْحِ أَوْ السَّرِيرِ. وَهَذَا «تَشْبِيهُ لَهُ بِالْمَخْلُوقِ الضَّعِيفِ الْعَاجِزِ الْفَقِيرِ»^(٣)، وَقِيَاسُ فَاسِدٍ؛ لِأَنَّ «قِيَاسَ اللَّهِ الْخَالِقِ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْغَنِيِّ عَنْ كُلِّ

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (١٩/٧).

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥٤٧/١٠).

(٣) «بيان تلبيس الجهمية» (١٢٦/٢).

شَيْءٍ، الصَّمَدُ الَّذِي يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ، بِالْمَخْلُوقَاتِ الضَّعِيفَةِ الْمُحْتَاجَةِ، عَدْلٌ لَهَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَنْ عَدَلَهَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِنَّهُ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ^(١). وَهَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّةُ دَائِمًا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ، وَيَعْدِلُونَ بِهِ، وَيَضْرِبُونَ لَهُ الْأَمْثَالَ^(٢). فَإِنَّ كَلَامَهُمْ هَذَا وَأَمْثَالُهُ عَدْلٌ بِاللَّهِ، وَإِشْرَاكٌ بِهِ، وَجَعَلَ أُنْدَادَ لَهُ، وَضَرَبَ أَمْثَالَ لَهُ: فَكَلَامُهُمْ فِي عُلُوِّ اللَّهِ يُوجِبُ لَهُمْ أَنْهُمْ جَعَلُوا مِثْلَ هَذَا الْعُلُوِّ: يَجْمَعُ مِنَ التَّمَثِيلِ لِلَّهِ وَالْعَدْلِ بِهِ ابْتِدَاءً، وَمِنْ جَحْدِ عُلُوِّهِ الْمُسْتَلَزِمِ لِحُجُودِ ذَاتِهِ انْتِهَاءً؛ ظَانِّينَ أَنَّ هَذَا تَنْزِيهٌ لِلَّهِ وَتَقْدِيسٌ^(٣).

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُنْثَبَ لَهُ صِفَاتُ الْكَمَالِ، وَنَنْفِي عَنْهُ مُمَازَلَةَ الْمَخْلُوقَاتِ؟ وَأَنَّهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا أَفْعَالِهِ؟ فَلَا بُدَّ مِنْ تَنْزِيهِهِ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْآفَاتِ، وَمُمَازَلَةِ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ إِبْثَاتَ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ، الَّتِي لَيْسَ فِيهَا كُفُوٌ لِذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

وَبَيَانُ ذَلِكَ هُنَا: أَنَّ اللَّهَ مُسْتَغْنٍ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَلَمْ يَصِرْ عَالِيًا عَلَى الْخَلْقِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، بَلْ هُوَ سَبَّحَانَهُ خَلَقَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ بِنَفْسِهِ عَالٍ عَلَيْهَا، لَا يَفْتَقِرُ فِي عُلُوِّهِ عَلَيْهَا إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا، كَمَا يَفْتَقِرُ الْمَخْلُوقُ إِلَى مَا يَعْلُو عَلَيْهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ سَبَّحَانَهُ حَامِلٌ بِقُدْرَتِهِ لِلْعَرْشِ وَلِحِمْلَةِ الْعَرْشِ. فَإِنَّمَا أَطَاقُوا حَمْلَ الْعَرْشِ بِقُوَّتِهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ إِذَا جَعَلَ فِي مَخْلُوقٍ قُوَّةً، أَطَاقَ الْمَخْلُوقُ حَمْلَ مَا شَاءَ أَنْ يَحْمِلَهُ مِنْ عَظَمَتِهِ وَغَيْرِهَا، فَهُوَ بِقُوَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ الْحَامِلُ لِلْحَامِلِ وَالْمَحْمُولِ، فَكَيْفَ يَكُونُ مُفْتَقرًا إِلَى شَيْءٍ؟

(١) «بيان تلبيس الجهمية» (٢/١٢٥). (٢) «بيان تلبيس الجهمية» (٢/١٢٦).

(٣) «بيان تلبيس الجهمية» (٢/٢٨٣)، بتصرف يسير.

وَأَيْضًا فَالْمَحْمُولُ مِنَ الْعِبَادِ بِشَيْءٍ عَالٍ، لَوْ سَقَطَ ذَلِكَ الْعَالِي سَقَطَ هُوَ، وَاللَّهُ أَغْنَى وَأَجَلُّ وَأَعْظَمُ، مِنْ أَنْ يُوصَفَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ^(١).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاسْتَوَاؤُهُ وَعُلُوُّهُ عَلَى عَرْشِهِ، سَلَامٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا إِلَى مَا يَحْمِلُهُ أَوْ يَسْتَوِي عَلَيْهِ، بَلِ الْعَرْشُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، وَحَمَلَتْهُ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ. فَهُوَ الْغَنِيُّ عَنِ الْعَرْشِ، وَعَنْ حَمَلَتِهِ، وَعَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ. فَهُوَ اسْتَوَاءٌ وَعُلُوٌّ لَا يَشُوبُهُ حَصْرٌ، وَلَا حَاجَةٌ إِلَى عَرْشٍ وَلَا غَيْرِهِ، وَلَا إِحَاطَةٌ شَيْءٍ بِهِ ﷻ، بَلْ كَانَ يَسْتَحَاجُ وَلَا عَرْشٌ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِ حَاجَةٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، بَلِ اسْتَوَاؤُهُ عَلَى عَرْشِهِ، وَاسْتِيْلَاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ، مِنْ مُوجِبَاتِ مُلْكِهِ وَقَهْرِهِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى عَرْشٍ وَلَا غَيْرِهِ بِوَجْهِ مَا»^(٢).

وَهُوَ السَّلَامُ عَلَى الْحَقِيقَةِ سَالِمٌ مِنْ كُلِّ تَمْثِيلٍ وَمِنْ نُقْصَانٍ^(٣)

الْوَجْهُ الثَّانِي: لَا نُسَلِّمُ أَنَّ مَنْ حَمَلَ الْعَرْشَ يَجِبُ أَنْ يَحْمِلَ مَا فَوْقَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَا فَوْقَهُ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَالْهَوَاءُ فَوْقَ الْأَرْضِ وَلَيْسَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، وَكَذَلِكَ السَّحَابُ فَوْقَهَا وَلَيْسَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، وَكَذَلِكَ السَّمَاوَاتُ فَوْقَ الْأَرْضِ وَلَيْسَتْ الْأَرْضُ حَامِلَةً السَّمَاوَاتِ، وَكُلُّ سَمَاءٍ فَوْقَهَا سَمَاءٌ، وَلَيْسَ السُّفْلَى حَامِلَةً لِلْعُلَى، وَكَذَلِكَ السَّمَاوَاتُ فَوْقَ السَّحَابِ وَالْهَوَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَيْسَتْ مُحْتَاجَةً إِلَى ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الْعَرْشُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ وَلَيْسَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَإِذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمُورِ الْعَالِيَةِ فَوْقَ غَيْرِهَا لَيْسَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَكَيْفَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ «الْعَلِيُّ الْأَعْلَى»، خَالِقُ الْخَلْقِ، الْغَنِيُّ الصَّمَدُ، مُحْتَاجًا إِلَى مَا هُوَ عَالٍ عَلَيْهِ وَهُوَ فَوْقَهُ، مَعَ أَنَّهُ هُوَ خَالِقُهُ وَرَبُّهُ وَمَلِكُهُ؟! وَذَلِكَ الْمَخْلُوقُ بَعْضُ مَخْلُوقَاتِهِ، مُفْتَقِرٌ فِي كُلِّ أُمُورِهِ إِلَيْهِ. فَإِذَا كَانَ الْمَخْلُوقُ إِذَا عَلَا عَلَى

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (١٩/٧ - ٢٠).

(٣) «الكافية الشافية» (ص ٢٤٧).

(٢) «بدائع الفوائد» (١٣٦/٢).

كُلُّ شَيْءٍ غَنِيٌّ عَنْهُ، لَمْ يَجِبْ أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ، فَكَيْفَ يَجِبُ عَلَى الرَّبِّ إِذَا عَلَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَذَلِكَ الشَّيْءُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ؟^(١)

وَأَصْحَابُ التَّلْبِيسِ وَاللَّبْسِ لَا يُمَيِّزُونَ هَذَا التَّمْيِيزَ، وَلَا يُفَصِّلُونَ هَذَا التَّفْصِيلَ، وَلَوْ مَيَّزُوا وَفَصَّلُوا، لَهَدُّوا إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَعَلِمُوا مُطَابَقَةَ الْعَقْلِ الصَّرِيحِ لِلتَّنْزِيلِ، وَلَسَلَكُوا خَلْفَ الدَّلِيلِ، وَلَكِنْ فَارَقُوا الدَّلِيلَ، وَضَلُّوا سَوَاءَ السَّبِيلِ^(٢).

الشُّبْهَةُ الثَّالِثَةُ

لَوْ كَانَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ، لَكَانَ مَحْصُورًا^(٣).

هَؤُلَاءِ النَّفَاةُ يُوهِمُونَ عَامَّةَ الْمُسْلِمِينَ، أَنَّ مَقْصُودَهُمْ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَحْصُورًا فِي بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ، [أَوْ مُفْتَقِرًا إِلَى مَخْلُوقٍ]، وَيَفْتَرُونَ الْكَذِبَ عَلَى أَهْلِ الْإِثْبَاتِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ؛ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ فِي جَوْفِ السَّمَاوَاتِ، إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَكَاذِيبِ الَّتِي يَفْتَرُونَهَا عَلَى أَهْلِ الْإِثْبَاتِ، فَيَخْدَعُونَ بِذَلِكَ جُهَالَ النَّاسِ، فَإِذَا وَقَعَ الْإِسْتِفْصَالُ وَالْإِسْتِفْسَارُ، انْكَشَفَتِ الْأَسْرَارُ، وَتَبَيَّنَ اللَّيْلُ مِنَ النَّهَارِ، وَتَمَيَّزَ أَهْلُ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ مِنْ أَهْلِ النِّقَاقِ الْمُدْلِسِينَ، الَّذِينَ لَبَّسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَكَتَمُوا الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ^(٤).

وَالرَّدُّ عَلَى الشُّبْهَةِ الْمَذْكُورَةِ أَنْ يُقَالَ:

مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ كَوْنَ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ بِمَعْنَى أَنَّ السَّمَاءَ تُحِيطُ بِهِ وَتَحْوِيهِ،

(١) «تلبيس الجهمية» (٢/ ١٤٤)، بتصرف يسير.

(٢) لمزيد من التفصيل، انظر: «الجواب الصحيح» (٣/ ٤٩١ - ٤٩٢)، و«بيان تلبيس الجهمية»

(١/ ٥٢٠ - ٥٦٦)، و«منهاج السنة» (٢/ ٦٤٧)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ١٩ -

٢٠)، و«الصواعق» (٤/ ١٢١٩ - ١٢٢٠).

(٣) انظر: «أساس التقديس» (ص ٨٤). (٤) «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٣٥٣).

فَهُوَ كَاذِبٌ - إِنْ نَقَلَهُ عَنْ غَيْرِهِ -، وَضَالٌّ - إِنْ اعْتَقَدَهُ فِي رَبِّهِ -، وَمَا سَمِعْنَا أَحَدًا يَفْهَمُ هَذَا مِنَ اللَّفْظِ، وَلَا رَأَيْنَا أَحَدًا نَقَلَهُ عَنْ وَاحِدٍ، وَلَوْ سُئِلَ سَائِرُ الْمُسْلِمِينَ: هَلْ تَفْهَمُونَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ: «إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ»، أَنَّ السَّمَاءَ تَحْوِيهِ، لَبَادَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ يَقُولَ: هَذَا شَيْءٌ لَعَلَّهُ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالِنَا.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا: فَمِنْ التَّكْلُفِ أَنْ يُجْعَلَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ شَيْئًا مُحَالًا، لَا يَفْهَمُهُ النَّاسُ مِنْهُ، ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ يَتَأَوَّلَهُ، بَلْ عِنْدَ النَّاسِ «إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ»، «وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ» وَاحِدٌ، إِذِ السَّمَاءُ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الْعُلُوُّ، وَكُلُّ مَا عَلَا فَهُوَ سَمَاءٌ. يُقَالُ: سَمَاءٌ، يَسْمُو، سُمُوًّا؛ أَي: عَلَا، يَعْلُو، عُلُوًّا.

فَإِذَا قِيلَ: نَزَلَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ، كَانَ نُزُولُهُ مِنَ السَّحَابِ.

وَإِذَا قِيلَ: الْعَرْشُ وَالْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ، لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ دَاخِلَ السَّمَاوَاتِ، بَلْ وَلَا الْجَنَّةُ.

وَالسَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ وَسَائِرُ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ، إِذَا قَالُوا: «اللَّهُ فِي السَّمَاءِ»، فَالْمُرَادُ بِالسَّمَاءِ مَا فَوْقَ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ فِي الْعُلُوِّ لَا فِي السُّفْلِ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، فَلَهُ أَعْلَى الْعُلُوِّ، وَهُوَ مَا فَوْقَ الْعَرْشِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ غَيْرُهُ - الْعَلِيُّ الْأَعْلَى ﷻ - . «لَا يَقُولُونَ: إِنَّ هُنَاكَ شَيْئًا يَحْوِيهِ أَوْ يَحْصُرُهُ، أَوْ يَكُونُ مُحَالًا لَهُ أَوْ ظَرْفًا وَوَعَاءً، ﷻ عَنْ ذَلِكَ؛ بَلْ هُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ مُسْتَعْنٍ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ عَالٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْحَامِلُ لِلْعَرْشِ وَلِحِمْلَةِ الْعَرْشِ بِقُوَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَكُلُّ مَخْلُوقٍ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَرْشِ وَعَنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ»^(١). فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ فِي جَوْفِ السَّمَاوَاتِ، فَلَيْسَ هَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ، أَهْلِ الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ، وَمَنْ قَالَ

بِذَلِكَ فَهُوَ جَاهِلٌ، كَمَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ وَيَقَى الْعَرْشُ فَوْقَهُ، أَوْ يَقُولُ: إِنَّهُ يَحْصُرُهُ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، فَهُوَ لَا ضَلَالٌ: كَمَا أَنَّ أَهْلَ النَّفْيِ ضَلَالٌ^(١).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]، أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللَّغَةُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ، بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ.

وَهُوَ سَبْعَانِ مِائَةً فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيِّمٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا -، حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ، مِثْلَ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ أَوْ تُقْلُهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِاجْتِمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وَهُوَ ﴿يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾، ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾^(٢).

فَمَنْ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَبِأَمْرِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، وَهُوَ الَّذِي يُمْسِكُهُمَا أَنْ تَزُولَا، أَيْكُونُ مُحْتَاجًا إِلَيْهِمَا مُفْتَقِرًا إِلَيْهِمَا؟! وَإِذَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ يُكْفَرُونَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ السَّمَاوَاتِ تُقْلُهُ أَوْ تُظِلُّهُ؛ لِمَا

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ١٥ - ١٦).

(٢) «شرح العقيدة الواسطية» (ص ١٩٤ - ١٩٥).

فِي ذَلِكَ مِنْ احتِياجِهِ إِلَى مَخْلُوقَاتِهِ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ فِي استِوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ، مُحْتَاجٌ إِلَى الْعَرْشِ، كاحتِياجِ المَحْمُولِ إِلَى حَامِلِهِ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ؟ لَأَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ، حَيُّ قَيُّومٌ، هُوَ الْغَنِيُّ الْمُطْلَقُ، وَمَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ. فَكَيْفَ يَمَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ مُفْتَقِرٌ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ فَأَيْنَ حَاجَتُهُ فِي الْحَمْلِ إِلَى الْعَرْشِ، مِنْ حَاجَةِ ذَاتِهِ إِلَى مَا هُوَ دُونَ الْعَرْشِ؟! (١)

فَكَيْفَ يُتَوَهَّمُ بَعْدَ هَذَا أَنَّ خَلْقًا يَحْصُرُهُ وَيَحْوِيهِ؟! وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَأَصْلَبِنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]؛ أَي: «عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ»، ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧]؛ بِمَعْنَى: «عَلَى الْأَرْضِ» وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَهُوَ كَلَامٌ عَرَبِيٌّ حَقِيقَةٌ لَا مَجَازًا، وَهَذَا يَعْلَمُهُ مَنْ عَرَفَ حَقَائِقَ مَعَانِي الْحُرُوفِ، وَأَنَّهَا مُتَوَاطئةٌ فِي الْغَالِبِ، لَا مُشْتَرَكَةٌ (٢).

وَفِي خِتَامِ الرَّدِّ عَلَى الشُّبْهَةِ الْمَذْكُورَةِ، نَقُولُ - وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ -:
يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَجْزِمَ، بِأَنَّ كُلَّ مَا عَارَضَ هَذِهِ الصِّفَةَ الْعَظِيمَةَ، وَغَيْرَهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْجَلِيلَةِ؛ «فَهُوَ بَاطِلٌ»، وَكُلُّ شُبْهَةٍ ثَوَرَدُ عَلَيْهِ فَهِيَ فَاسِدَةٌ، سِوَاءَ قَدَرِ الْعَبْدِ عَلَى حَلِّهَا أَمْ لَا، فَلَا يُوجِبُ لَهُ عَجْزُهُ عَنْ حَلِّهَا، الْقَدَحَ فِيهَا عِلْمُهُ؛ لِأَنَّ مَا خَالَفَ الْحَقَّ فَهُوَ بَاطِلٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]، وَبِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ الشَّرْعِيَّةِ: تَنْحَلُّ عَنِ الْإِنْسَانِ إِشْكَالَاتٌ كَثِيرَةٌ يُورِدُهَا الْمُتَكَلِّمُونَ، وَيُرْتَّبُهَا الْمَنْطِقِيُّونَ، إِنْ حَلَّهَا الْإِنْسَانُ فَهُوَ تَبَرُّعٌ مِنْهُ، وَإِلَّا فَوَظِيفَتُهُ أَنْ يُبَيِّنَ الْحَقَّ بِأَدِلَّتِهِ، وَيَدْعُوَ إِلَيْهِ (٣).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٨٧/٢ - ١٨٨).

(٢) «الرسالة التدمرية» (ص ٨٥ - ٨٩)، تحقيق: محمود عودة السعودي. وانظر: «مجموع

الفتاوى» (١٠٦/٥) و(١٠٠/١٦ - ١٠١)، و«درء تعارض العقل والنقل» (١٦/٧)،

و«الجواب الصحيح» (٣١٦/٤ - ٣١٧).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ١٥٥).

الشبهة الرابعة

قَالَ الرَّازِيُّ: الْعَالَمُ كُرَّةٌ... فَلَوْ كَانَ اللَّهُ فِي جِهَةٍ فَوْقَ، لَكَانَ أَسْفَلَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى سُكَّانِ الْوَجْهِ الْآخِرِ^(١).

وَهَذَا الْكَلَامُ «إِذَا تَدَبَّرَهُ الْعَاقِلُ، تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الْقَوْمَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ»^(٢).

وَهَذِهِ الشُّبْهَةُ وَأَمْثَالُهَا «مِنَ الْخَيَالَاتِ وَالْأَوْهَامِ الْبَاطِلَةِ، الَّتِي تُعَارِضُ بِهَا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، وَالْعُلُومَ الضَّرُورِيَّةَ، وَالْقُصُودَ الضَّرُورِيَّةَ، وَالْعُلُومَ الْبُرْهَانِيَّةَ الْقِيَاسِيَّةَ، وَالْكَتُبَ الْإِلَهِيَّةَ، وَالسُّنَنَ النَّبَوِيَّةَ، وَإِجْمَاعَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ مِنْ سَائِرِ الْبَرِيَّةِ»^(٣).

وَالْجَوَابُ عَنِ الشُّبْهَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهَا: أَنْ يُقَالَ: الْقَائِلُونَ بِأَنَّ الْعَالَمَ كُرَّةٌ يَقُولُونَ: إِنَّ السَّمَاءَ عَالِيَّةٌ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، وَالْأَرْضُ تَحْتَهَا مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، وَالْجِهَاتُ قِسْمَانِ: حَقِيقِيَّةٌ وَلَهَا جِهَتَانِ: الْعُلُوُّ وَالسُّفْلُ فَقَطْ، فَالْأَفْلَاكُ وَمَا فَوْقَهَا هُوَ الْعَالِي مُطْلَقًا، وَمَا فِي جَوْفِهَا هُوَ السَّافِلُ مُطْلَقًا، وَإِضَافِيَّةٌ: وَهِيَ الْجِهَاتُ السَّتُّ بِالنِّسْبَةِ لِلْحَيَوَانِ، فَمَا أَمَامَهُ يُقَالُ لَهُ: أَمَامٌ، وَمَا خَلْفَهُ يُقَالُ لَهُ: خَلْفٌ، وَمَا عَنْ يَمِينِهِ يُقَالُ لَهُ: الْيَمِينُ، وَمَا عَنْ يَسَارِهِ يُقَالُ لَهُ: الْيَسَارُ، وَمَا فَوْقَ رَأْسِهِ يُقَالُ لَهُ: فَوْقُ، وَمَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ يُقَالُ لَهُ: تَحْتُ.

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا عَلَّقَ رِجْلَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَرَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ، أَلَيْسَتْ السَّمَاءُ فَوْقَهُ، وَإِنْ قَابَلَهَا بِرِجْلَيْهِ؟!^(٤)

(١) انظر: «أساس التقديس» (ص ٤٤١). (٢) «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٥٥٥).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ٢١).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ١٩٦ - ١٩٧).

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، هُمْ بِاعْتِبَارِ الْحَقِيقَةِ كُلُّهُمْ فَوْقَ الْأَرْضِ، وَلَيْسَ بَعْضُهُمْ تَحْتَ شَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ السَّحَابُ وَطَيْرُ الْهَوَاءِ، هُوَ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ فَوْقَ الْأَرْضِ وَتَحْتَ السَّمَاءِ، لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُ تَحْتَ الْأَرْضِ. وَكَذَلِكَ مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنَ الْجِبَالِ وَالنَّبَاتِ، وَالْحَيَوَانِ وَالْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِمْ، هُمْ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِ الْأَرْضِ فَوْقَهَا، وَهُمْ تَحْتَ السَّمَاءِ، وَلَيْسَ أَهْلُ هَذِهِ النَّاحِيَةِ تَحْتَ أَهْلِ هَذِهِ النَّاحِيَةِ، وَلَا أَحَدٌ مِنْهُمْ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ الْبَتَّةَ.

وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ لَا يَلْزَمُ مِنْ عُلوِّهَا عَلَى مَا تَحْتَهَا، أَنْ تَكُونَ تَحْتَ مَا فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنَ الْعَالَمِ؛ فَالْعَلِيُّ الْأَعْلَى سُبْحَانَهُ، أَوْلَى أَنْ لَا يَلْزَمَ مِنْ عُلوِّهِ عَلَى الْعَالَمِ، أَنْ يَكُونَ تَحْتَ شَيْءٍ مِنْهُ.

وَكَانَ مَنْ احْتَجَّ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحُجَّةِ، إِنَّمَا احْتَجَّ بِالْخِيَالِ الْبَاطِلِ الَّذِي لَا حَقِيقَةَ لَهُ، مَعَ دَعْوَاهُ أَنَّهُ مِنَ الْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ، فَإِنْ كَانَ يَتَصَوَّرُ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ، فَهُوَ مُعَانِدٌ جَاحِدٌ مُحْتَجٌّ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَتَصَوَّرُ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ، فَهُوَ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْعَقْلِيَّةِ، الَّتِي هِيَ مُوَافِقَةٌ لِمَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهَا تَنَاقُضُ الْأَدِلَّةَ السَّمْعِيَّةَ، فَهُوَ كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنْ كُنْتَ لَا تَذَرِي فِتْلِكَ مُصِيبَةً وَإِنْ كُنْتَ تَذَرِي فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ ^(١)

وَمِنْ الْعَجَبِ أَنَّ هَؤُلَاءِ النِّفَاةَ يَعْتَمِدُونَ فِي إِبْطَالِ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَثَمَتُهَا، وَمَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِبَادَهُ، وَجَعَلَهُمْ مُضْطَرِّينَ إِلَيْهِ عِنْدَ قَصْدِهِ وَدُعَائِهِ، وَنَصَبَ عَلَيْهِ الْبَرَاهِينَ الْعَقْلِيَّةَ الضَّرُورِيَّةَ، عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحُجَّةِ، الَّتِي لَا يَعْتَمِدُونَ فِيهَا إِلَّا عَلَى مُجَرَّدِ خِيَالٍ وَوَهْمٍ بَاطِلٍ، مَعَ دَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِمُوجِبِ الْعَقْلِ، وَيَدْفَعُونَ

مُوجِبَ الْوَهْمِ وَالْخِيَالِ^(١).

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ ﷺ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

قَالَ ﷺ: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠]، وَقَالَ ﷺ: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]. وَقَالَ ﷺ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦].

وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ إِحَاطَتِهِ بِخَلْقِهِ: أَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ دَاخِلَ ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوءًا كَبِيرًا؛ فَإِنَّهُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ. أَلَا تَرَى أَنَّ السَّمَاءَ لَمَّا كَانَتْ «مُحِيطَةً بِالْأَرْضِ» كَانَتْ عَالِيَةً عَلَيْهَا؟ وَلَا يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُحِيطٌ بِهِ، مُمَائِلَتُهُ وَمُشَابَهَتُهُ لَهُ، فَإِذَا كَانَتِ السَّمَاءُ مُحِيطَةً بِالْأَرْضِ، وَلَيْسَتْ مُمَائِلَةً لَهَا؛ فَالْتَفَاوُتُ الَّذِي بَيْنَ الْعَالَمِ وَرَبِّ الْعَالَمِ، أَعْظَمُ مِنَ التَّفَاوُتِ الَّذِي بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ^(٢).

وَيَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْعَالَمَ الْعُلُويَّ وَالسُّفْلِيَّ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْخَالِقِ ﷺ، فِي غَايَةِ الصَّغَرِ.

قَالَ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْزُنُّ، فَيَقُولُ: أَنَا

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٦/٣٣٢). (٢) «الصواعق المرسله» (ص ١٣٠٨).

(٣) رواه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (١٩-٢٧٨٦) - والسِّيَاقُ لَهُ -.

الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصَدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر].
وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ عَظَمَتَهُ أَعْظَمُ مِمَّا وَصَفَ ذَلِكَ الْحَبْرُ، فَإِنَّ الَّذِي فِي
الآيَةِ أَبْلَغُ^(١).

وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ: أَنَّ ضَحِكَ النَّبِيِّ ﷺ وَتَعَجُّبَهُ، وَتِلَاوَتَهُ
الآيَةِ، لَيْسَ تَصَدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ؛ بَلْ هُوَ رَدٌّ عَلَيْهِ، وَإِنْكَارٌ وَتَعَجُّبٌ مِنْ سُوءِ
اعْتِقَادِهِ أَنَّ مَذْهَبَ الْيَهُودِ التَّجْسِيمُ، وَأَنَّهُ فَهَمَ مِنْهُ ذَلِكَ. وَهَذَا الْقَوْلُ، يَا أَبَاهُ
النَّظْمُ السُّنِّيُّ، وَيُخَالِفُهُ وَاضِحٌ هَذَا الْكَلَامُ.

قَالَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُشَيْحٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا إِقْرَارُ نَبِينَا
يَجْعَلُ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ عَلَى أَصْبُعٍ
وَالشَّجَرِ عَلَى أَصْبُعٍ وَالثَّرَى عَلَى أَصْبُعٍ
ثُمَّ يَهْزُؤُنَّ لِلَّهِ قَائِلًا
قَالُوا ضَحِكَ النَّبِيِّ مِنْهُ تَعَجُّبًا
هَلْ يُقَرُّهُ الْمُصْطَفَى عَلَى مَقَالٍ مُخَالِفٍ
بَلْ أَيْدِ قَوْلِ الْحَبْرِ مُصَدِّقًا لِمَقَالِهِ
فَهَذِهِ أَدِلَّةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ
بِلَا تَشْبِيهِ لَهَا قِطْعًا وَلَا نُكَيْفُهَا

مُصَدِّقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ وَالنَّبِيِّ يَسْمَعُ
وَالْأَرْضِينَ عَلَى أَصْبُعٍ وَالْمَاءَ يَحْمِلُهُ أَصْبُعُ
وَسَائِرَ الْخَلْقِ تَحْمِلُهَا أَصْبُعُ
أَنَا الْمَلِكُ يُكْرِّرُهَا فَبِالْحَقِّ فَاقْنَعُوا
وَلَيْسَ تَصَدِيقًا لِلْحَبْرِ قُلْنَا لَهُمْ اسْمَعُوا
هَذَا مُحَالٌ حَيْثُ الْإِقْرَارُ مِنْهُ سُنَّةٌ تُتَّبَعُ
بِتِلَاوَةِ آيَةٍ تُطَابِقُ قَوْلَ الْحَبْرِ تَصَدِّعُ
عَلَى مُرَادٍ ظَاهِرٍ لَفْظُهَا دَلَالَةٌ تَقْطَعُ
بَلْ نَنْتَهِي حَيْثُ انْتَهَى الْوَحْيَانِ بِنَاوَتِنَا^(٢)

فَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا، بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَظَمَةِ اللَّهِ

تَعَالَى، أَصْغَرُ مَنْ أَنْ تَكُونَ مَعَ قَبْضِهِ لَهَا، إِلَّا كَالشَّيْءِ الصَّغِيرِ فِي يَدِ أَحَدِنَا، حَتَّى يَدْحُوهَا كَمَا تُدْحَى الْكُرَّةُ^(١).

وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّهُ أَعْظَمَ، وَأَكْبَرَ، وَأَجَلَّ مِنْ أَنْ يَقْدِرَ الْعِبَادُ قَدْرَهُ، أَوْ تُدْرِكُهُ أَبْصَارُهُمْ، أَوْ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا، وَأَمَكْنَ أَنْ تَكُونَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي قَبْضَتِهِ لَمْ يَجِبْ - وَالْحَالُ هَذِهِ -، أَنْ يَكُونَ تَحْتَ الْعَالَمِ، أَوْ تَحْتَ شَيْءٍ مِنْهُ، فَإِنَّ الْوَاحِدَ مِنَ الْآدَمِيِّينَ، إِذَا قَبَضَ قَبْضَةً أَوْ بُنْدُقَةً أَوْ حِمَصَةً أَوْ حَبَّةَ خَرْدَلٍ، وَأَحَاطَ بِهَا، لَمْ يَجِزْ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ أَحَدًا جَانِبَيْهَا فَوْقَهُ.

وَكَذَلِكَ أَمْثَالُ ذَلِكَ مِنْ إِحَاطَةِ الْمَخْلُوقِ بِبَعْضِ الْمَخْلُوقاتِ؛ كإِحَاطَةِ الْإِنْسَانِ بِمَا فِي جَوْفِهِ، وَإِحَاطَةِ الْبَيْتِ بِمَا فِيهِ، وَإِحَاطَةِ السَّمَاءِ بِمَا فِيهَا مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمُحِيطَاتُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهَا تَحْتَ الْمُحَاطِ، وَإِنَّ ذَلِكَ نَقْصٌ، مَعَ كَوْنِ الْمُحِيطِ يُحِيطُ بِهِ غَيْرُهُ، فَالْعَلِيُّ الْأَعْلَى الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي تَكُونُ الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، كَيْفَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ شَيْءٍ مِمَّا هُوَ عَالٍ عَلَيْهِ أَوْ مُحِيطٌ بِهِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ نَقْصًا مُمْتَنِعًا؟!

وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ بَعْضَ الْمَشَايخِ سُئِلَ عَنْ تَقْرِيبِ ذَلِكَ إِلَى الْعَقْلِ، فَقَالَ لِلْسَّائِلِ: إِذَا كَانَ بَاشِقٌ كَبِيرٌ، وَقَدْ أَمْسَكَ بِرِجْلِهِ حِمَصَةً، أَلَيْسَ يَكُونُ مُمَسِكًا لَهَا فِي حَالِ طَيْرَانِهِ، وَهُوَ فَوْقَهَا وَمُحِيطٌ بِهَا؟ فَإِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا مُمَكِّنًا فِي الْمَخْلُوقِ، فَكَيْفَ يَتَعَذَّرُ فِي الْخَالِقِ؟^(٢)

فَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذَا الْكَلَامِ «أَنَّ مَا يَدْعُوهُ مِنَ الْعَقْلِيَّاتِ الْمُخَالَفَةِ لِلنُّصُوصِ،

(١) «مجموع الفتاوى» (٥٦٢/٦).

(٢) راجع: «درء تعارض العقل والنقل» (٣٢٧/٦ - ٣٢٩)، و«مجموع الفتاوى» (٥٦٤/٦) و(٥٨١/٦ - ٥٨٣).

لَا حَقِيقَةً لَهَا عِنْدَ الْإِعْتِبَارِ الصَّحِيحِ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ بَابِ الْقَعْقَعَةِ بِالشَّانِ، لِمَنْ يُفَزَعُهُ ذَلِكَ مِنَ الصَّبِيَّانِ، وَمَنْ هُوَ شَبِيهُ الصَّبِيَّانِ، وَإِذَا أُعْطِيَ النَّظْرُ فِي الْمَعْقُولَاتِ حَقُّهُ مِنَ التَّمَامِ، وَجَدَهَا بَرَاهِينَ نَاطِقَةً بِصِدْقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ، وَأَنَّ لَوَازِمَ مَا أَخْبَرَ بِهِ لَازِمٌ صَحِيحٌ، وَأَنَّ مَنْ نَفَاهُ نَفَاهُ لِجَهْلِهِ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ^(١).

الشُّبْهَةُ الْخَامِسَةُ

لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا بِالْعُلُوِّ لَكَانَ جِسْمًا، وَلَوْ كَانَ جِسْمًا لَكَانَ مُمَازِلًا لِسَائِرِ الْأَجْسَامِ، وَاللَّهُ قَدْ نَفَى عَنْهُ الْمِثْلَ^(٢).

أَقُولُ - وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ -: هُنَا ثَلَاثُ مُقَدِّمَاتٍ حَصَلَ فِيهَا التَّلْيِيسُ:

أَحَدُهَا: كَوْنُ كُلِّ عَالٍ جِسْمًا.

وَالثَّانِي: كَوْنُ الْأَجْسَامِ مُتَمَاثِلَةً.

وَالثَّالِثُ: كَوْنُ هَذَا التَّمَازُلِ، هُوَ الْمُرَادُ بِالْمِثْلِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ^(٣).

وَالْجَوَابُ عَلَى الشُّبْهَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ وُجُوهٍ:

[الْأَوَّلُ:] قَدْ ادَّعَيْتَ أَيُّهَا الْجَهْمِيُّ أَنَّ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ، الَّذِي هُوَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَالَّذِي هُوَ خَيْرُ الْكَلَامِ، وَأَصْدَقُهُ، وَأَحْسَنُهُ، وَأَفْصَحُهُ، وَهُوَ الَّذِي هَدَى اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، وَجَعَلَهُ شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَنْزِلْ كِتَابٌ مِنَ السَّمَاءِ أَهْدَى مِنْهُ، وَلَا أَحْسَنُ وَلَا أَكْمَلُ، فَانْتَهَكْتَ حُرْمَتَهُ، وَادَّعَيْتَ أَنَّ ظَاهِرَهُ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ^(٤). وَهَذَا الْإِلْزَامُ إِنَّمَا

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٤/ ١٨١). (٢) انظر: «أساس التقديس» (ص ٨٤).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ١١ - ١١٢).

(٤) راجع: «الصواعق» (ص ٢٣٩).

هُوَ لِمَنْ جَاءَ بِالنُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ، وَتَكَلَّمَ بِهَا، وَدَعَا الْأُمَّةَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهَا وَمَعْرِفَتِهَا، وَنَهَاهُمْ عَنْ تَحْرِيفِهَا وَتَبْدِيلِهَا.

يَا قَوْمُ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ أَسَأْتُمْ بِأَيِّمَّةِ الْإِسْلَامِ ظَنَّ الشَّانِ مَا ذَنْبُهُمْ وَنَبِيُّهُمْ قَدْ قَالَ مَا مَا الذَّنْبُ إِلَّا لِلنُّصُوصِ لَدَيْكُمْ إِذْ جَسَمْتَ بَلْ شَبَّهْتَ صِنْفَانِ مَا ذَنْبُ مَنْ قَدْ قَالَ مَا نَطَقَتْ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا عُذْوَانٍ^(١)

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَمَا ذَنْبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ إِذَا نَطَقُوا بِمَا نَطَقَتْ بِهِ النُّصُوصُ، وَأَمْسَكُوا عَمَّا أَمْسَكَتْ عَنْهُ، وَوَصَفُوا اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ، وَوَصَفَهُ رَسُولُهُ، وَرَدُّوا تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتَحَالَ الْمُبْطِلِينَ؟! الَّذِينَ عَقَدُوا أَلْوِيَةَ الْفِتْنَةِ، وَأَطْلَقُوا أَعِنَّةَ الْمِحَنَةِ، وَقَالُوا عَلَى اللَّهِ، وَفِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَرَدُّوا بَاطِلَهُمْ، وَبَيَّنُّوا زَيْفَهُمْ، وَكَشَفُوا إِفْكَهُمْ، وَنَافَحُوا عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَخْذِ الثَّارِ مِنْهُمْ، إِلَّا بِأَنْ سَمَوْهُمْ مُشَبَّهَةً مُمَثَّلَةً مُجَسِّمَةً حَشَوِيَّةً، وَلَوْ كَانَ لَهُؤُلَاءِ عُقُولٌ؛ لَعَلِمُوا أَنَّ التَّلْقِيبَ بِهَذِهِ الْأَلْقَابِ لَيْسَ لَهُمْ، وَإِنَّمَا هُوَ لِمَنْ جَاءَ بِهَذِهِ النُّصُوصِ، وَتَكَلَّمَ بِهَا، وَدَعَا الْأُمَّةَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهَا وَمَعْرِفَتِهَا، وَنَهَاهُمْ عَنْ تَحْرِيفِهَا وَتَبْدِيلِهَا، فَدَعَا التَّشْنِيعَ بِمَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ وَكُلُّ عَاقِلٍ مُنْصِفٍ، أَنَّهُ كَذِبٌ ظَاهِرٌ وَإِفْكٌ مُفْتَرَى^(٢).

الثاني: نَحْنُ أَثْبَتْنَا لِلَّهِ غَايَةَ الْكَمَالِ، وَنُعَوِّتُ الْجَلَالَ، وَوَصَفْنَاهُ بِكُلِّ صِفَةٍ كَمَالٍ، فَإِنْ لَزِمَ مِنْ هَذَا تَجَسُّيٌّ أَوْ تَشْبِيهٌ، لَمْ يَكُنْ هَذَا نَقْصًا، وَلَا عَيْبًا، وَلَا دَمًا، بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، فَإِنْ لَزِمَ الْحَقُّ حَقًّا، وَمَا لَزِمَ مِنْ إِثْبَاتِ كَمَالِ الرَّبِّ لَيْسَ بِنَقْصٍ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَنْفِثُمْ عَنْهُ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ لَزِمَ هَذَا

(٢) «الصواعق المرسله» (١/ ٢٦٢ - ٢٦٣).

(١) «الكافية الشافية» (ص ١٢٩).

النَّفْيِ وَصَفُهُ بِأُضْدَادِهَا مِنَ الْعُيُوبِ، وَالنَّقَائِصِ، فَمَا سَوَّى اللَّهُ، وَلَا رَسُولُهُ، وَلَا عُقَلَاءُ عِبَادِهِ، بَيْنَ مَنْ نَفَى كَمَالَهُ الْمُقَدَّسَ حَذَرًا مِنَ التَّجْسِيمِ، وَبَيْنَ مَنْ أَثَبَتَ كَمَالَهُ الْأَعْظَمَ، وَصِفَاتِهِ الْعُلَى، بِلَوَازِمِ ذَلِكَ، كَائِنَتْ مَا كَانَتْ^(١).

لَا تَجْعَلُوا الْإِثْبَاتَ تَشْبِيهًا لَهُ كَمْ تَرْتَقُونَ بِسُلْمِ التَّنْزِيهِ لِلَّهِ فَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ هَذَا هُوَ التَّشْبِيهِ لَا إِثْبَاتُ أَوْ سَمَّيْتُمُ التَّخْرِيفَ تَأْوِيلًا كَذَا اللَّهُ وَأَضَفْتُمْ أَمْرًا إِلَى ذَا ثَالِثًا فَجَعَلْتُمُ الْإِثْبَاتَ تَجْسِيمًا وَتَشْدُّ فَقَلَبْتُمُ تِلْكَ الْحَقَائِقَ مِثْلَ مَا وَجَعَلْتُمُ الْمَمْدُوحَ مَذْمُومًا كَذَا

يَا فِرْقَةَ التَّشْبِيهِ وَالطُّغْيَانِ غَطِيبِ تَرْوِيجًا عَلَى الْعُمَيَّانِ كِصْفَاتِنَا جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ صَافٍ كَمَالٍ فَمَا هُمَا سَيَّانِ^(٢) غَطِيبِ تَنْزِيهًا هُمَا لِقَبَّانِ شَرًّا وَأَقْبَحَ مِنْهُ ذَا بُهْتَانِ بِيهَا وَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْعُدْوَانِ قُلِبَتْ قُلُوبُكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْعَكْسِ حَتَّى اسْتَكْمَلَ اللَّبْسَانِ^(٣)

الثَّالِثُ: مَاذَا تَعْنُونَ بِقَوْلِكُمْ: «لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكَانَ جِسْمًا؟»

أَتَعْنُونَ بِهِ أَنَّهُ مَا يَتَضَمَّنُ مُمَائِلَةً لِلشَّيْءِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ؛ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يُوصَفَ بِشَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْمَخْلُوقِينَ، وَكُلُّ مَا اخْتَصَّ بِالْمَخْلُوقِ فَهُوَ صِفَةٌ نَقْصٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَمُسْتَحَقٌّ لِغَايَةِ الْكَمَالِ، وَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ فِي شَيْءٍ مِنَ صِفَاتِ الْكَمَالِ؛ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ النِّقْصِ مُطْلَقًا، وَمُنَزَّهٌ فِي الْكَمَالِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، فَبَيَّنَ أَنَّهُ أَحَدٌ صَمَدٌ، وَاسْمُهُ الْأَحَدُ

(٢) «الكافية الشافية» (ص ٣٣٦).

(١) «الصواعق» (ص ٢٦٣ - ٢٦٤).

(٣) «الكافية الشافية» (ص ١٥٥).

يَتَضَمَّنُ نَفْيَ الْمِثْلِ، وَاسْمُهُ الصَّمَدُ يَتَضَمَّنُ جَمِيعَ صِفَاتِ الْكَمَالِ^(١).
وَإِذَا كَانَ اللَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ، وَلَا الرُّوحِ الْمَنْفُوخَةِ فِيْنَا،
وَلَا مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ، وَلَا الْأَفْلَاقِ، فَلَأَن لَا يَكُونَ مِنْ جِنْسِ بَدَنِ الْإِنْسَانِ
وَلَحْمِهِ وَعَصَبِهِ وَعِظَامِهِ، وَيَدِهِ وَرِجْلِهِ وَوَجْهِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْضَائِهِ
وَأَبْعَاضِهِ، أَوْلَى وَأَحْرَى^(٢).

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ الْمُرَكَّبِ، وَهُوَ مَا كَانَ مُفْتَرِقًا فَرَكْبُهُ غَيْرُهُ، كَمَا
تُرَكَّبُ الْمَصْنُوعَاتُ مِنْ: الْأَطْعِمَةِ، وَالثِّيَابِ وَالْأَبْنِيَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَجْزَائِهَا
الْمُفْتَرِقَةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ بِذَلِكَ، بَلْ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ
مَا لَا يُوصَفُ بِذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ^(٣)؛ فَهُوَ مِنْ أَكْفَرِ النَّاسِ، وَأَضْلَلِهِمْ،
وَأَجْهَلِهِمْ، وَأَشَدَّهُمْ مُحَارَبَةً لِلَّهِ.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِهِ «أَنَّ الرَّبَّ مُرَكَّبٌ مُؤَلَّفٌ؛ بِمَعْنَى: أَنَّهُ يَقْبَلُ التَّفْرِيقَ
وَالْإِنْقِسَامَ وَالتَّجْزِئَةَ، فَهَذَا مِنْ أَكْفَرِ النَّاسِ وَأَجْهَلِهِمْ»^(٤).

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا يُوصَفُ بِالصِّفَاتِ، وَيُرَى بِالْأَبْصَارِ، وَيَتَكَلَّمُ،
وَيُكَلَّمُ، وَيَسْمَعُ، وَيُبْصِرُ، وَيَرْضَى، وَيَغْضَبُ، فَهَذِهِ الْمَعَانِي ثَابِتَةٌ لِلرَّبِّ
تَعَالَى، وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِهَا، فَلَا نَفِيَّهَا عَنْهُ بِتَسْمِيَّتِكُمْ لِلْمَوْصُوفِ بِهَا جِسْمًا،
وَلَا تُرَدُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ عَنِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، لِتَسْمِيَةِ أَعْدَاءِ
الْحَدِيثِ لَنَا حَشَوِيَّةً. وَلَا نَجْحَدُ صِفَاتِ خَالِقِنَا، وَعُلُوَّهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَاسْتِوَاءَهُ
عَلَى عَرْشِهِ؛ لِتَسْمِيَةِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ الْمُعْطَلَّةِ، لِمَنْ أَثْبَتَ ذَلِكَ، مُجَسِّمًا مُشَبَّهًا.

فَإِنْ كَانَ تَجْسِيمًا ثُبُوتُ اسْتِوَاءِهِ عَلَى عَرْشِهِ إِنِّي إِذَا لَمْ جَسِّمْ
وَإِنْ كَانَ تَشْبِيهًا ثُبُوتُ صِفَاتِهِ فَمِنْ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ لَا أَتَكْتُمُ

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (١٠/٣٠٧).

(١) «منهاج السنة» (٢/٥٢٧ - ٥٣٠).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٥/٤٢٧ - ٤٢٨).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/١٤٥).

وَإِنْ كَانَ تَنْزِيهَا جُحُودُ اسْتِوَاءِهِ وَأَوْصَافِهِ أَوْ كَوْنُهُ يَتَكَلَّمُ
فَعَنْ ذَلِكَ التَّنْزِيهِ نَزَّهَتْ رَبَّنَا بِتَوْفِيقِهِ وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا يُشَارُ إِلَيْهِ إِشَارَةً حَيَّةً، فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ أَعْرَفُ الْخَلْقِ
بِهِ بِأَصْبَعِهِ رَافِعًا لَهَا إِلَى السَّمَاءِ، يُشْهَدُ الْجَمْعَ الْأَعْظَمَ مُشِيرًا لَهُ.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا يُقَالُ: أَيْنَ هُوَ؟ فَقَدْ سَأَلَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِهِ عَنْهُ
بِأَيْنَ، مُنْبَهَا عَلَى عُلُوِّهِ عَلَى عَرْشِهِ.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا يَلْحَقُهُ «مِنْ» وَ«إِلَى»، فَقَدْ نَزَلَ جِبْرِيلُ مِنْ عِنْدِهِ،
وَنَزَلَ كَلَامُهُ مِنْ عِنْدِهِ، وَعُرِجَ بِرَسُولِهِ ﷺ إِلَيْهِ، وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ،
وَعِنْدَهُ الْمَسِيحُ رُفِعَ إِلَيْهِ.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا يَكُونُ فَوْقَ غَيْرِهِ، وَمُسْتَوِيًا عَلَى غَيْرِهِ، فَهُوَ ﷻ
فَوْقَ عِبَادِهِ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ.

الرَّابِعُ: لَا يَلْزَمُ مِنْ اسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ، أَنْ يَكُونَ جِسْمًا بِالْمَعْنَى
الَّذِي اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ، لَا عَقْلًا وَلَا سَمْعًا إِلَّا بِالِدَّعَاوَى الْكَاذِبَةِ. فَدَعَاوَى هَذَا
اللزوم عَيْنُ الْبَهْتِ وَالْكَذِبِ الصُّرَاحِ؛ بَلِ الْعَرْشُ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يَلْزَمُ
مِنْ كَوْنِهِ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا، أَنْ يَكُونَ مُرَكَّبًا مِنَ الْجَوَاهِرِ الْفَرْدَةِ وَلَا مِنَ
الْمَادَّةِ وَالصُّورَةِ، وَلَا مُمَثَّلًا لِغَيْرِهِ مِنَ الْأَجْسَامِ، وَكَذَلِكَ جِبْرِيلُ مَخْلُوقٌ مِنْ
مَخْلُوقَاتِهِ وَهُوَ ذُو قُوَّةٍ وَحَيَاةٍ وَسَمْعٍ وَبَصَرٍ وَأَجْنَحَةٍ، وَيَصْعَدُ وَيَنْزِلُ وَيَرَى
بِالْأَبْصَارِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ وَصْفِهِ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مُرَكَّبًا مِنَ الْجَوَاهِرِ الْفَرْدَةِ، وَلَا
مِنَ الْمَادَّةِ وَالصُّورَةِ، وَلَا أَنْ يَكُونَ جِسْمُهُ مُمَثَّلًا لِأَجْسَامِ الشَّيَاطِينِ، فَدَعَاوَا
مِنْ هَذَا الْفَشْرِ^(١) وَالْهَذْيَانِ، وَالِدَّعَاوَى الْكَاذِبَةِ. وَالتَّفَاوُتُ الَّذِي بَيْنَ اللَّهِ

(١) الْفَشْرُ: فَشَّرَ فَشْرًا: كَذَبَ وَبَالَغَ فِي الْكَذْبِ وَالِدَّعَاءِ.

وَخَلْقِهِ، أَعْظَمُ مِنَ التَّفَاوُتِ الَّذِي بَيْنَ جِسْمِ الْعَرْشِ وَجِسْمِ الثَّرَى وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ، وَأَعْظَمُ مِنَ التَّفَاوُتِ الَّذِي بَيْنَ أَجْسَامِ الْمَلَائِكَةِ وَأَجْسَامِ الشَّيَاطِينِ، وَالْعَاقِلُ إِذَا أَطْلَقَ عَلَى جِسْمٍ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ - وَعِنْدَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ مَوْصُوفٌ بِتِلْكَ الصِّفَةِ - لَمْ يَلْزَمْ مِنْ ذَلِكَ تَمَثُّلُهَا؛ فَإِذَا أَطْلَقَ عَلَى الرَّجِيعِ، الَّذِي قَدْ بَلَغَ غَايَةَ الْخَبَثِ، أَنَّهُ جِسْمٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ ذُو رَائِحَةٍ وَلَوْنٍ، وَأَطْلَقَ ذَلِكَ عَلَى الْمِسْكِ، لَمْ يَقُلْ ذُو حِسٍّ سَلِيمٍ وَلَا عَقْلٍ مُسْتَقِيمٍ؛ إِنَّهُمَا مُتَمَثِّلَانِ، وَأَيْنَ التَّفَاوُتُ الَّذِي بَيْنَهُمَا مِنَ التَّفَاوُتِ الَّذِي بَيْنَ اللَّهِ وَخَلْقِهِ، فَكَمْ تُلَبَّسُونَ وَكَمْ تُدَلَّسُونَ وَتُمَوَّهُونَ؟!

فَكَيْفَ يَجُوزُ بَعْدَ هَذَا أَنْ يُقَالَ: إِذَا كَانَ الرَّحْمَنُ فَوْقَ الْعَرْشِ أَنْ يَكُونَ مُمَثِّلًا لِخَلْقِهِ؟! وَاللَّهُ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ. حَتَّى لَوْ قُدِّرَ لُزُومُ ذَلِكَ كُلِّهِ، لَكَانَ التِّزَامُهُ أَسْهَلَ مِنْ تَعْطِيلِ عُلُوِّهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَجَعَلِهِ بِمَنْزِلَةِ الْمَعْدُومِ الْمُتَمَتِّعِ، الَّذِي لَا هُوَ دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ^(١). عَظَّمْتُمْ السَّبْعَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا وَالْعَرْشَ أَخْلَيْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ^(٢) قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَدْ عَظَّلَ الرَّحْمَنُ أَفِيدَةً لَهُمْ مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمِنْ إِيْمَانٍ إِذْ عَظَّلُوا الرَّحْمَنَ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالْعَرْشَ أَخْلَوْهُ مِنَ الرَّحْمَنِ^(٣) أَيُّهَا الْمُشْتَغِلُونَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ: إِنَّ نَفْيَكُمْ لِعُلُوِّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ بِدَعْوَى التَّجْسِيمِ، خَطَأٌ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، وَجِنَايَةٌ عَلَى الْفَاطِ الْوَحْيِ. أَمَّا اللَّفْظِيُّ: فَتَسْمِيَتُكُمْ عُلُوُّ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ تَجْسِيمًا وَتَشْبِيهًا وَتَحْزِيرًا.

(١) «الصواعق» (ص ١٠١٦ - ١٠١٧).

(٢) «نونية القحطاني» (ص ٥١)، طبعة مكتبة السوادى.

(٣) «الكافية الشافية» (ص ٢٦٨).

وَتَوَاصَيْتُمْ بِهَذَا الْمَكْرِ الْكَبَارِ إِلَى نَفِي مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، وَالْعَقْلُ، وَالْفِطْرَةُ؛ فَكَذَبْتُمْ عَلَى الْقُرْآنِ، وَعَلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَعَلَى اللُّغَةِ، وَوَضَعْتُمْ لِصِفَاتِهِ الْأَفَاطَا مِنْكُمْ بَدَأْتُ، وَإِلَيْكُمْ تَعُودُ.

وَأَمَّا خَطُؤُكُمْ فِي الْمَعْنَى: فَفَنَيْتُمْ، وَتَعْطِيلُكُمْ لِعُلُوِّ الرَّحْمَنِ بِوَاسِطَةِ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ وَالْأَلْقَابِ، «فَنَفَيْتُمْ الْمَعْنَى الْحَقَّ وَسَمَّيْتُمُوهُ بِالِاسْمِ الْمُنْكَرِ، وَكُنْتُمْ فِي ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ سَمِعَ أَنَّ فِي الْعَسَلِ شِفَاءً وَلَمْ يَرَهُ، فَسَأَلَ عَنْهُ؟ فَقِيلَ لَهُ: مَائِعٌ رَقِيقٌ أَصْفَرُ يُشْبِهُ الْعَذْرَةَ تَتَقَيَّؤُهُ الزَّنَابِيرُ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْعَسَلَ يَنْفِرُ عَنْهُ بِهَذَا التَّعْرِيفِ، وَمَنْ عَرَفَهُ وَذَاقَهُ لَمْ يَزِدْهُ هَذَا التَّعْرِيفُ عِنْدَهُ إِلَّا مَحَبَّةً لَهُ، وَرَغْبَةً فِيهِ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الْقَائِلُ:

تَقُولُ هَذَا جَنِيُّ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ وَإِنْ تَشَاءُ قُلْتَ ذَا قِيءِ الزَّنَابِيرِ
مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصَفَهُمَا وَالْحَقُّ قَدْ يَغْتَرِيهِ سُوءُ تَغْيِيرِ^(١)

أَفِظْتُ الْجَاهِلُونَ أَنَّا نَجْحَدُ عُلُوَّ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ، لِأَسْمَاءِ سَمَّوْهَا، هُمْ وَسَلَفُهُمْ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، وَالْقَابِ وَضَعُوهَا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، لَمْ يَأْتِ بِهَا سُنَّةٌ وَلَا قُرْآنٌ، وَشُبُهَاتٍ قُذِفَتْ بِهَا قُلُوبٌ، مَا اسْتَنَارَتْ بِنُورِ الْوَحْيِ، وَلَا خَالَطَتْهَا بَشَاشَةُ الْإِيمَانِ، وَخَيَالَاتٍ هِيَ بِتَخْيِيلَاتِ الْمَمْرُورِينَ، وَأَصْحَابِ الْهَوَسِ، أَشْبَهُ مِنْهَا بِقَضَايَا الْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ، وَوَهْمِيَّاتٍ نِسْبَتُهَا إِلَى الْعَقْلِ الصَّحِيحِ، كَنِسْبَةِ السَّرَابِ إِلَى الْأَبْصَارِ فِي الْقِيَعَانِ.

فَدَعُونَا مِنْ هَذِهِ الدَّعَاوَى الْبَاطِلَةِ، الَّتِي لَا تُفِيدُ إِلَّا تَضْيِيعَ الزَّمَانِ، وَإِتْعَابَ الْأَذْهَانِ، وَكَثْرَةَ الْهَذْيَانِ، وَحَاكِمُونَا إِلَى الْوَحْيِ، لَا إِلَى «نُحَالَةِ الْأَفْكَارِ وَزُبَالَةِ الْأَذْهَانِ، وَعَفَارَةِ الْأَرَاءِ، وَوَسَاوِسِ الصُّدُورِ، الَّتِي لَا حَقِيقَةَ لَهَا فِي التَّحْقِيقِ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَى قَدَمِ الْحَقِّ وَالتَّصْدِيقِ، فَمَلَأْتُمْ بِهَا الْأَوْزَاقَ سَوَادًا، وَالْقُلُوبَ

شُكُوكًا، وَالْعَالَمَ فَسَادًا»^(١).

يَا قَوْمَنَا وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِنَا عَقْلًا وَنَقْلًا مَعَ صَرِيحِ الْفِطْرَةِ الـ
أُولَى وَذَوْقِ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ كُلُّ يَدُلُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ
فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ أَتَرُونَ أَنَّا تَارِكُو ذَا كُلِّهِ
لِجَعَا جِيعِ التَّعْطِيلِ وَالْهَذْيَانِ^(٢)
وَهَذِهِ الشُّبْهَةُ قَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَيْهَا «بِالِاسْتِقْصَاءِ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ أَنَّهَا مِنَ الْقَوْلِ
الْهُرَاءِ، فَهَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^(٣).

الشُّبْهَةُ السَّادِسَةُ

لَوْ كَانَ اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَلَزِمَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ مِنَ الْعَرْشِ، أَوْ
أَصْغَرَ، أَوْ مُسَاوِيًّا؛ وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَالِ^(٤).
اعْلَمْ رَحِمَتُ اللَّهِ بِأَنَّ «طَرِيقَةَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَثِمَتِهَا: أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا
وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ: مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا
تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ: إِبْثَاتٌ بِلَا تَمْثِيلٍ، وَتَنْزِيهٌ بِلَا تَعْطِيلٍ، إِبْثَاتُ الصِّفَاتِ،
وَنَفْيُ مُمَآثِلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:
١١]، فَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْمُثَمِّلَةِ؛ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، رَدٌّ عَلَى
الْمُعْطَلَةِ^(٥). وَهَذِهِ مُعَالَجَةٌ لِسَقَمِ الْأَوْهَامِ، وَدَوَاءٌ لِدَاءِ الْأَسْقَامِ، وَشِفَاءٌ لِأَوَامِ
الْجَهْلِ، عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ وَالْتِمَامِ^(٦).

وَمَنْ فَهِمَ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ حَقَّ فَهَمَّهَا، وَتَدَبَّرَهَا حَقَّ تَدَبَّرَهَا، مَشَى

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ١٠٥)، بتصرف وزيادة.

(٢) «الكافية الشافية» (ص ١٣١). (٣) «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٣٥٥).

(٤) انظر: «أساس التقديس» (ص ٤٧٢). (٥) «منهاج السنة» (٢/ ٥٢٣).

(٦) «السراج الوهاج» (١٠/ ٥٢٥-٥٢٦).

بِهَا عِنْدَ اخْتِلَافِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الصِّفَاتِ عَلَى طَرِيقَةِ بَيَضَاءٍ وَاضِحَةٍ، وَيَزْدَادُ بَصِيرَةً إِذَا تَأَمَّلَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ فَإِنَّ هَذَا الْإِثْبَاتَ بَعْدَ ذَلِكَ النَّفْيِ لِلْمِثْلِ، قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى بَرْدِ الْيَقِينِ، وَشِفَاءِ الصَّدُورِ، وَانْتِلَاجِ الْقُلُوبِ.

فَاقْدُرْ يَا طَالِبَ الْحَقِّ قَدَرَ هَذِهِ الْحُجَّةِ النَّيِّرَةِ، وَالْبُرْهَانِ الْقَوِيِّ، فَإِنَّكَ تُحِطُّ بِهَا كَثِيرًا مِنَ الْبِدَعِ، وَتُهَشِّمُ بِهَا رُؤُوسًا مِنَ الضَّلَالَةِ، وَتُرْغِمُ بِهَا آثَافَ طَوَائِفَ مِنَ الْقَاصِرِينَ الْمُتَكَلِّفِينَ، وَالْمُتَكَلِّمِينَ الْمُتَأَوِّلِينَ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا ضَمَمْتَ إِلَيْهِ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فَإِنَّكَ حِينَئِذٍ قَدْ أَخَذْتَ بِطَرْفِي حَبْلِ مَا يُسَمُّونَهُ عِلْمَ الْكَلَامِ، وَعِلْمَ أَصُولِ الدِّينِ ^(١).
وَالرَّدُّ عَلَى الشُّبْهَةِ الْمَذْكُورَةِ أَنْ يُقَالَ:

إِنَّ اللَّهَ ﷻ الْمَوْصُوفَ بِصِفَاتِ الْمَجْدِ وَالْكَبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ، «أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ذَاتًا وَقَدْرًا وَمَعْنَى وَعِزَّةً وَجَلَالَةً، فَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ كَمَا هُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَالٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَأَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ» ^(٢). فَهُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي حَيَاتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ، الْعَلِيُّ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي عُلُوِّهِ، بَلْ هُوَ مُنْفَرِدٌ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ عَنْ مُمَائِلَةِ مَخْلُوقَاتِهِ، فَلَهُ أَعْظَمُ الْمُبَايَنَةِ وَأَجَلُّهَا وَأَكْمَلُهَا، كَمَا لَهُ مِنْ كُلِّ صِفَةٍ كَمَالٍ أَعْظَمُهَا وَأَكْمَلُهَا» ^(٣).

وَالْقَائِلُ الَّذِي قَالَ: لَوْ كَانَ اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَلَزِمَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ مِنَ الْعَرْشِ أَوْ أَصْغَرَ أَوْ مُسَاوِيًّا، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَالِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ: فَإِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مِنْ كَوْنِ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ، إِلَّا مَا يَثْبُتُ لِأَيِّ جِسْمٍ كَانَ عَلَى

(٢) «الصواعق» (ص ١٣٧٩).

(١) «فتح البيان» (٢٨٢/١٢).

(٣) «الصواعق المرسلة» (ص ١٣٣٨).

أَيَّ جِسْمٍ كَانَ، وَهَذَا اللَّازِمُ تَابِعٌ لِهَذَا الْمَفْهُومِ، أَمَّا اسْتِوَاءٌ يَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَخْتَصُّ بِهِ، فَلَا يَلْزِمُهُ شَيْءٌ مِنَ اللَّوَاظِمِ الْبَاطِلَةِ، الَّتِي يَجِبُ نَفْيُهَا، كَمَا يَلْزِمُ مِنْ سَائِرِ الْأَجْسَامِ. وَصَارَ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ الْمُثْمَلِ: إِذَا كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى الْعَرْشِ، فَهُوَ مُمَازِلٌ لِاسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى السَّرِيرِ أَوْ الْفُلْكِ، إِذْ لَا يُعْلَمُ الْإِسْتِوَاءُ إِلَّا هَكَذَا؛ فَإِنَّ كِلَيْهِمَا مِثْلٌ، وَكِلَيْهِمَا عَطَلٌ حَقِيقَةٌ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَامْتَاَزَ الْأَوَّلُ بِتَعْطِيلِ كُلِّ اسْمٍ لِلِاسْتِوَاءِ الْحَقِيقِيِّ، وَامْتَاَزَ الثَّانِي بِإِثْبَاتِ اسْتِوَاءٍ هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ^(١).

وَحِينَئِذٍ فَنَفَاةُ الْعُلُوِّ هُمْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: إِنْ سَلَّمُوا أَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا مُتَحَيِّزٍ، بَطَلَ كُلُّ دَلِيلٍ لَهُمْ عَلَى نَفْيِ عُلُوِّهِ عَلَى عَرْشِهِ؛ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا بَنَوْا ذَلِكَ عَلَى أَنَّ عُلُوَّهُ عَلَى الْعَرْشِ مُسْتَلْزِمٌ لِكُونِهِ جِسْمًا مُتَحَيِّزًا، وَاللَّازِمُ مُنْتَفٍ، فَيَنْتَفِي الْمَلْزُومُ؛ فَإِذَا لَمْ تَثْبُتِ الْمُلَازِمَةُ، لَمْ يَكُنْ لَهُمْ دَلِيلٌ عَلَى النَّفْيِ، وَلَا يَبْقَى لِلنُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِإِثْبَاتِ عُلُوِّهِ عَلَى الْعَالَمِ مَا يُعَارِضُهَا، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ^(٢).

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْعَقْلِ الصَّرِيحِ، وَلَا فِي شَيْءٍ مِنَ النَّقْلِ الصَّحِيحِ، مَا يُوجِبُ مُخَالَفَةَ الطَّرِيقَةِ السَّلَفِيَّةِ أَصْلًا.

ثُمَّ الْمُخَالَفُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَسَلَفِ الْأُمَّةِ - مِنَ الْمُتَأَوِّلِينَ لِهَذَا الْبَابِ -، فِي أَمْرِ مَرِيحٍ؛ فَإِنَّ مَنْ أَنْكَرَ الرُّؤْيَا يَزْعُمُ أَنَّ الْعَقْلَ يُحِيلُهَا، وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ فِيهَا إِلَى التَّأْوِيلِ، ... وَمَنْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ؛ يَزْعُمُ أَنَّ الْعَقْلَ أَحَالَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ إِلَى التَّأْوِيلِ.

وَيَكْفِيكَ دَلِيلًا عَلَى فَسَادِ قَوْلِ هَؤُلَاءِ: أَنَّهُ لَيْسَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ قَاعِدَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ فِيمَا يُحِيلُهُ الْعَقْلُ، بَلْ مِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الْعَقْلَ جَوَزَ وَأَوْجَبَ، مَا

يَدَّعِي الْآخِرُ أَنَّ الْعَقْلَ أَحَالَهُ^(١). يَعْرِفُ هَذَا كُلُّ مُنْصِفٍ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ فَلْيُصَفِّ فَهْمَهُ وَعَقْلَهُ عَنْ شَوَائِبِ التَّعَصُّبِ وَالتَّمَذُّبِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ، أَسْفَرَ الصُّبْحُ لِعَيْنَيْهِ^(٢).

وَالْعَجَبُ أَنَّ مَنْ هُوَ لَا مَنْ يُصَرِّحُ بِأَنَّ عَقْلَهُ إِذَا عَارَضَهُ الْحَدِيثُ - لَا سِيَّمَا فِي أَخْبَارِ الصِّفَاتِ -، حَمَلَ الْحَدِيثَ عَلَى عَقْلِهِ وَصَرَّحَ بِتَقْدِيمِهِ عَلَى الْحَدِيثِ، وَجَعَلَ عَقْلَهُ مِيزَانًا لِلْحَدِيثِ. فَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ عَقْلُهُ هَذَا كَانَ مُصَرِّحًا بِتَقْدِيمِهِ فِي الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فَيَكُونُ مِنَ السَّبِيلِ الْمَأْمُورِ بِاتِّبَاعِهِ، أَمْ هُوَ عَقْلٌ مُتَبَدِّعٌ جَاهِلٌ ضَالٌّ، حَائِزٌ خَارِجٌ عَنِ السَّبِيلِ؟!^(٣)

وَإِنَّ «عَقْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكْمَلَ عُقُولِ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَلَوْ وُزِنَ عَقْلُهُ بِعُقُولِهِمْ، لَرَجَحَ بِهَا كُلَّهَا، وَقَدْ أَخْبَرَ - ﷺ - أَنَّهُ قَبْلَ الْوَحْيِ لَمْ يَكُنْ يَدْرِي الْإِيمَانَ، كَمَا لَمْ يَكُنْ يَدْرِي الْكِتَابَ. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ، مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]. فَإِذَا كَانَ أَعْقَلُ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، إِنَّمَا حَصَلَ لَهُ الْهُدَى بِالْوَحْيِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبا: ٥٠]. فَكَيْفَ يَحْصُلُ لِسُفَهَاءِ الْعُقُولِ، وَأَخْفَاءِ الْأَحْلَامِ، وَفَرَّاشِ الْأَلْبَابِ، الْإِهْتِدَاءُ إِلَى حَقَائِقِ الْإِيمَانِ، بِمُجَرَّدِ عُقُولِهِمْ، دُونَ نُصُوصِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخْرِجُ الْجِبَالُ هَذَا ۝﴾ [مريم: ٨٩، ٩٠]»^(٤).

نُمَّ نَقُولُ لِلْجَمِيعِ: بِعَقْلِ مَنْ مِنْكُمْ يُوزَنُ كَلَامُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟! وَأَيُّ عُقُولِكُمْ تُجْعَلُ مَعْيَارًا لَهُ؟! فَمَا وَاقِفُهُ قَبْلَ وَأَقَرُّ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَمَا خَالَفُهُ رُدُّ

(٢) «فتح البيان» (٤/٣٠٥).

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/٢٨-٢٩).

(٤) «الصواعق» (ص ٧٣٤-٧٣٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/٥٧-٥٨).

أَوْ أَوَّلَ أَوْ فَوْضَ (١).

وَنَحْنُ نَقُولُ: إِذَا تَعَارَضَ النَّقْلُ وَهَذِهِ الْعُقُولُ، أَخَذَ بِالنَّقْلِ الصَّرِيحِ وَرُمِيَ
بِهَذِهِ الْعُقُولِ تَحْتَ الْأَقْدَامِ، وَحُطَّتْ حَيْثُ حَطَّهَا اللَّهُ وَحَطَّ أَصْحَابُهَا (٢).

فَقُبْحًا لِهَاتِيكَ الْعُقُولِ فَإِنَّهَا عِقَالٌ عَلَى أَصْحَابِهَا وَوَبَالَ (٣)
وَرَحِمَ اللَّهُ الْإِمَامَ مَالِكََ بْنَ أَنَسٍ حَيْثُ قَالَ: «كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجَدَلُ مِنْ
رَجُلٍ، تَرَكْنَا مَا نَزَلَ بِهِ جِبْرَائِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ لِيُجَدِّلَهُ» (٤).

وَفِي خِتَامِ الرَّدِّ عَلَى الشُّبْهَةِ الْمَذْكُورَةِ، نَقُولُ لِلْمُشْتَغِلِينَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ:
«إِذَا عَلِمَ الْإِنْسَانُ بِالْعَقْلِ أَنَّ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ وَعَلِمَ أَنَّهُ أَخْبَرَ بِشَيْءٍ، وَوَجَدَ فِي
عَقْلِهِ مَا يُنَافِي خَبْرَهُ، كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُسَلِّمَ لِمَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ الَّذِي
هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، وَيَنْقَادَ لَهُ وَيَتَّبِعَ عَقْلَهُ، وَيَعْلَمَ أَنَّ عَقْلَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ أَقْلٌ مِنْ عَقْلِ
أَجْهَلِ الْخَلْقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ هُوَ، وَأَنَّ التَّفَاوُتَ الَّذِي بَيْنَهُمَا فِي الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ
بِاللَّهِ تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَدِينِهِ، أَعْظَمُ بِكَثِيرٍ كَثِيرٍ مِنَ التَّفَاوُتِ
الَّذِي بَيْنَ مَنْ لَا خَبَرَ لَهُ بِصِنَاعَةِ الطَّبِّ، وَمَنْ هُوَ أَعْلَمُ أَهْلَ زَمَانِهِ بِهَا.

فَيَا لِلَّهِ الْعَجَبُ! إِذَا كَانَ عَقْلُهُ يُوجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْقَادَ لِطَبِيبٍ يَهُودِيٍّ،
فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ مِنْ قَوَى الْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ وَالْأَشْرِبَةِ، وَالْأَضْمِدَةِ وَالْمُسَهَّلَاتِ
وَصِفَاتِهَا وَكَمِّيَّاتِهَا وَدَرَجَاتِهَا، مَعَ مَا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْكَلْفَةِ وَالْأَلَمِ
وَمُقَاسَاةِ الْمَكْرُوهَاتِ، لِظَنِّهِ أَنَّ هَذَا أَعْلَمُ بِهَذَا الشَّانِ مِنْهُ، وَأَنَّهُ إِذَا صَدَّقَهُ كَانَ
فِي تَصَدِيقِهِ حُصُولَ الشِّفَاءِ وَالْعَافِيَةِ، مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ يُخْطِئُ كَثِيرًا، وَأَنَّ كَثِيرًا
مِنَ النَّاسِ لَا يَشْفَى بِمَا يَصِفُهُ الطَّبِيبُ، بَلْ يَكُونُ اسْتِعْمَالُهُ لِمَا يَصِفُهُ سَبَبًا

(٢) «الصواعق» (ص ٧٩١).

(١) «الصواعق» (ص ٧٨٣).

(٣) «شفاء العليل» (٢/ ٨٢١)، طبعة مكتبة العبيكان.

(٤) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٩٥٠)، بسند صحيح.

مِنْ أَسْبَابِ هَلَاكِهِ، وَأَنَّ أَسْبَابَ الْمَوْتِ أَغْلَاطُ الْأَطِبَّاءِ، فَكَمْ لَهُمْ مِنْ قَتِيلٍ أَسْكَنُوهُ الْمَقَابِرَ بَغْلَطِهِمْ وَخَطِئِهِمْ؟ وَإِنْ كَانَ خَطَأُ الطَّيِّبِ إِصَابَةً الْمَقَادِيرِ، وَكَيْفَ لَا يَسْلُكُ هَذَا الْمَسْلُوكَ مَعَ الرَّسُولِ «صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ»، وَهُمْ الصَّادِقُونَ الْمُصَدِّقُونَ؟ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرُهُمْ عَلَى خِلَافٍ مَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَالَّذِينَ عَارَضُوا أَقْوَالَهُمْ بِعُقُولِهِمْ، عِنْدَهُمْ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ الْمُرْكَبِ وَالْبَسِيطِ، مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا مَنْ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ^(١).

الشُّبْهَةُ السَّابِعَةُ

يَسْتَدِلُّ الْمُشْتَغِلُونَ بِعِلْمِ الْكَلامِ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَلَا يَبْصُقُ قَبْلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى»^(٢)، عَلَى نَفْيِ الْعُلُوِّ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعْلِيْقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: وَقَدْ نَزَعَ بِهَذَا الْحَدِيثِ بَعْضُ مَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَ الْمُعْتَزِلَةِ، فِي أَنَّ اللَّهَ ﷻ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ، وَهَذَا جَدَلٌ مِنْ قَائِلِهِ^(٣).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَدِيثُ حَقٌّ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَهُوَ سَبْعُ عَشْرَةَ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ قَبْلَ وَجْهِ الْمُصَلِّي، بَلْ هَذَا الْوَصْفُ يَثْبُتُ لِلْمَخْلُوقَاتِ.

فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ أَنَّهُ يُنَاجِي السَّمَاءَ أَوْ يُنَاجِي الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، لَكَانَتْ السَّمَاءُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فَوْقَهُ، وَكَانَتْ أَيْضًا قَبْلَ وَجْهِهِ؛ مَعَ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ تُشْرِقُ وَقَدْ تَغْرُبُ، فَتَنْحَرِفُ عَنْ سَمْتِ الرَّأْسِ، فَكَيْفَ يَمُنُّ هُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ دَائِمًا، لَا يَأْفُلُ وَلَا يَغِيبُ ﷻ؟!

وَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَثَلَ بِذَلِكَ - وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى - وَلَكِنَّ

(١) «الصواعق» (ص ٨٢٢ - ٨٢٣).

(٢) رواه البخاري (٤٠٦)، ومسلم (٥٤٧) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) «التمهيد» (١٤/١٥٧).

الْمَقْصُودَ بِالتَّمْثِيلِ بَيَانِ جَوَازِ هَذَا وَإِمْكَانُهُ، لَا تَشْبِيهِ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَرَى رَبَّهُ مُخْلِيًا بِهِ» فَقَالَ لَهُ أَبُو رَزِينِ الْعُقَيْلِيُّ: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُوَ وَاحِدٌ وَنَحْنُ جَمِيعٌ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَأَنْبِتُكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي آلَاءِ اللَّهِ، هَذَا الْقَمَرُ كُلُّكُمْ يَرَاهُ مُخْلِيًا بِهِ، وَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(١). وَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَافُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»^(٢).

فَشَبَّهَ الرُّؤْيَةَ بِالرُّؤْيَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَرِيئُ مُشَابِهًا لِلْمَرِيئِ؛ فَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا رَأَوْا رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنَاجَوْهُ؛ كُلُّ يَرَاهُ فَوْقَهُ قَبْلَ وَجْهِهِ، كَمَا يَرَى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَلَا مُنَافَاةَ أَصْلًا.

وَمَنْ كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ، وَالرُّسُوحِ فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ: يَكُونُ إِقْرَارُهُ لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ - عَلَى مَا هُمَا عَلَيْهِ -، أَوْ كَذِبًا^(٣).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْعَبْدُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ يَسْتَقْبِلُ رَبَّهُ، وَاللَّهُ يَقْبَلُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، مَا لَمْ يَصْرِفْ وَجْهَهُ عَنْهُ، كَمَا تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحَاحُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، مِثْلُ قَوْلِهِ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ، فَإِنَّمَا يَسْتَقْبِلُ رَبَّهُ». وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَيْنَمَا اسْتَقْبَلَ الْعَبْدُ، فَإِنَّهُ يَسْتَقْبِلُ وَجْهَ اللَّهِ، فَإِنَّ تَمَّ وَجْهَ اللَّهِ^(٤)؛ فَإِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ عَلَى سَمَاوَاتِهِ، وَهُوَ مُحِيطٌ بِالْعَالَمِ كُلِّهِ، فَأَيْنَمَا وَلَّى الْعَبْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتَقْبِلُهُ^(٥).

(١) هذا معنى حديث: رواه ابن ماجه (١٨٠)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ سَنَنِ ابْنِ مَاجَهَ» (١٥٠). وَقَدْ مَضَى لَفْظُهُ (ص ٤٣) فِي هَذَا الْكِتَابِ.

(٢) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٥٤)، وَمُسْلِمٌ (٦٣٣).

(٣) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (١٠٧/٥، ٥٧٧) وَ(٦/٥٦٩).

(٤) كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَوَجْهُ اللَّهِ» [البقرة: ١١٥].

(٥) «بَيَانُ تَلْبِيسِ الْجَهْمِيَّةِ فِي تَأْسِيسِ بَدْعِهِمُ الْكَلَامِيَّةَ» (٦/٧٦-٧٧).

فَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذَا الْكَلَامِ «أَنَّ مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا الْبَابِ وَغَيْرِهِ، كُلُّهُ حَقٌّ يُصَدَّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِفِطْرَةِ الْخَلَائِقِ، وَمَا جَعَلَ فِيهِ مِنَ الْعُقُولِ الصَّرِيحَةِ، وَالْقُصُودِ الصَّحِيحَةِ، لَا يُخَالِفُ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ، وَلَا الْقَصْدَ الصَّحِيحَ، وَلَا الْفِطْرَةَ الْمُسْتَقِيمَةَ، وَلَا النُّقْلَ الصَّحِيحَ الثَّابِتَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَإِنَّمَا يَظُنُّ تَعَارُضَهَا: مَنْ صَدَّقَ بِبَاطِلٍ، مِنَ الْقَوْلِ، أَوْ فَهِمَ مِنْهُ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ؛ أَوْ اعْتَقَدَ شَيْئًا، ظَنَّهُ مِنَ الْعَقْلِيَّاتِ، وَهُوَ مِنَ الْجَهْلِيَّاتِ. أَوْ مِنَ الْكُشُوفَاتِ، وَهُوَ مِنَ الْكُشُوفَاتِ»^(١).

الشُّبْهَةُ الثَّامِنَةُ

يَسْتَدِلُّ الْمُشْتَغِلُونَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ»، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»^(٢) عَلَى نَفْيِ الْعُلُوِّ^(٣).

وَهَذَا الْإِسْتِدْلَالُ بِبَاطِلٍ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ» إِبْثَاتٌ صَرِيحٌ لِفَوْقِيَّةِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَنَفْيُهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِنَّ الظَّاهِرَ مَعْنَاهُ: هُوَ الْعَالِي فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ. وَهَذَا غَايَةُ الْكَمَالِ فِي الْعُلُوِّ، أَنْ لَا يَكُونَ فَوْقَ الْعَالِي شَيْءٌ مَوْجُودٌ، وَاللَّهُ مَوْصُوفٌ بِذَلِكَ^(٤).

وَكُلُّ شَيْءٍ عَلَا شَيْئًا فَقَدْ ظَهَرَ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (٩٧) ﴿[الكهف: ٩٧]؛ أَي: يَعْلُو عَلَيْهِ^(٥). وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٨٠).

(٢) قطعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: رواه مسلم (٢٧١٣).

(٣) يُنْظَرُ: «أساس التقديس» (ص ٤٠).

(٤) «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ١١).

(٥) «التمهيد» (٨/ ٩٧).

﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]؛ أَي: يَرْتَفِعُونَ وَيَصْعَدُونَ، وَيَعْلُونَ عَلَيْهِ (أَي: عَلَى الدَّرَجِ).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]؛ أَي: لِيُعْلِيَهُ، وَمِنْهُ ظَهَرَ الدَّائِيَّةُ؛ لِأَنَّهُ عَالٍ عَلَيْهَا. وَيُقَالُ: ظَهَرَ الْخَطِيبُ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَظَاهِرُ الثَّوبِ أَعْلَاهُ، بِخِلَافِ بَاطِنِهِ. وَكَذَلِكَ ظَاهِرُ الْبَيْتِ أَعْلَاهُ، وَظَاهِرُ الْقَوْلِ مَا ظَهَرَ مِنْهُ وَبَانَ. وَظَاهِرُ الْإِنْسَانِ خِلَافُ بَاطِنِهِ، فَكُلَّمَا عَلَا الشَّيْءُ ظَهَرَ^(١).

فَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ». «فَنَقَى أَنْ يَكُونَ فَوْقَ اللَّهِ شَيْءٌ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّهُ ﷺ أَكْمَلُ شَيْءٍ ظُهُورًا، وَالظُّهُورُ يَتَضَمَّنُ الْعُلُوَّ»^(٢).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالظَّاهِرُ الْعَالِي الَّذِي مَا فَوْقَهُ حَقًّا رَسُولُ اللَّهِ ذَا تَفْسِيرِهِ فَاقْبَلْهُ لَا تَقْبَلْ سِوَاهُ مِنَ التَّفَا وَالشَّيْءِ حِينَ يَتِمُّ مِنْهُ عُلُوُّهُ أَوْ مَا تَرَى هَذِي السَّمَاءَ وَعُلُوُّهَا

شَيْءٌ كَمَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانِ وَلَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِضَمَانٍ سِيرِ الْتِي قِيلَتْ بِلَا بُرْهَانٍ فَظُّهُورُهُ فِي غَايَةِ التَّبَيَّنِ وَظُّهُورَهَا وَكَذَلِكَ الْقَمَرَانِ^(٣)

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»، وَلَمْ يَقُلْ: «فَلَيْسَ تَحْتَكَ شَيْءٌ».

وَالْمَعْنَى: لَيْسَ دُونَ اللَّهِ شَيْءٌ، لَا أَحَدٌ يُدَبِّرُ دُونَ اللَّهِ، لَا أَحَدٌ يَنْفَرِدُ

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/٢٤٤). وانظر: «شرح الواسطية» (١/١٨١) لابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ،

و«فتح الباري» (٤/٢٧٦ - ٢٧٧) لابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ، و«جامع البيان» (١١م/٢٥ ج/٤٣ ص

و(١١م/ج ٢٧ ص ١٢٤ - ١٢٥).

(٣) «الكافية الشافية» (ص ١١٣).

(٢) «بيان تلييس الجهمية» (٤/٤١).

بِشْيءٍ دُونَ اللَّهِ، وَلَا أَحَدٌ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ، كُلُّ شَيْءٍ فَاللَّهُ مُحِيطٌ بِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: «لَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»؛ يَعْنِي: لَا يَحُولُ دُونَكَ شَيْءٌ، وَلَا يَمْنَعُ دُونَكَ شَيْءٌ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ... وَهَكَذَا^(١).

وَهَذَا كُلُّهُ يُبَيِّنُ أَنَّهُ لَيْسَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ [لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ]، بَلْ ظَاهِرُهُ مَا ظَهَرَ مِنْهُ وَمَا بَيَّنَّهُ الرَّسُولُ، الَّذِي هُوَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَلْفَافِ، وَأَحْسَنِهَا بَيَانًا وَإِظْهَارًا، إِذْ لَا يَكُونُ أَحَدٌ غَيْرُ الرَّسُولِ أَحْسَنَ بَيَانًا وَإِظْهَارًا، لِمَا يُخْبِرُهُ بِهِ عَنْ رَبِّهِ مِنَ الرَّسُولِ، وَقَدْ نَزَّهَهُ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُ كَلَامِهِ كُفْرًا، وَضَلَالًا، وَإِفْكًَا، وَمُحَالًا؛ وَلَا يَكُونُ هُوَ قَدْ جَعَلَ هَذَا الظَّاهِرَ غَيْرَ ظَاهِرٍ، وَقَدْفَ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ، حَتَّى يَظْهَرَ الْحَقُّ وَيَخْفَى الْبَاطِلُ، كَيْفَ وَقَدْ تَكْفَّلَ الرَّبُّ بِإِظْهَارِ دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، بِظُهُورِ الْعِلْمِ وَالْحُجَّةِ، وَظُهُورِ الْقُدْرَةِ وَالنُّصْرَةِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى، وَدِينَ الْحَقِّ، فَكَيْفَ يَكُونُ كَلَامُهُ مُضِلًّا، إِذَا كَانَ ظَاهِرُهُ الضَّلَالُ وَلَمْ يُبَيِّنْ ذَلِكَ؟!^(٢)

الشُّبْهَةُ التَّاسِعَةُ

قَالَ الْجَوِينِيُّ: «فَإِنْ اسْتَدَلُّوا - يَعْنِي: أَهْلُ السُّنَّةِ - بِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فَالْوَجْهُ مُعَارَضَتُهُمْ بِآيِ يُسَاعِدُونَنَا عَلَى تَأْوِيلِهَا: مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]... فَنَسَأَلُهُمْ عَنْ مَعْنَى ذَلِكَ، فَإِنْ حَمَلُوهُ عَلَى كَوْنِهِ مَعْنًا بِالْإِحَاطَةِ وَالْعِلْمِ، لَمْ يَمْتَنِعْ حَمْلُ الْإِسْتِوَاءِ عَلَى الْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ»^(٣).

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: قُلْنَا: نَحْنُ لَمْ نَتَأَوَّلْ شَيْئًا، وَحَمَلْ هَذِهِ اللَّفْظَاتِ

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (٢/ ٥١)، للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٢٦٩)، بتصرف يسير.

(٣) «الإرشاد» (ص ٤٠)، للجويني رَحِمَهُ اللَّهُ.

عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي لَيْسَ بِتَأْوِيلٍ؛ لِأَنَّ التَّأْوِيلَ صَرَفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ، وَهَذِهِ الْمَعَانِي هِيَ الظَّاهِرُ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَافِ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ الْمُتَبَادَرُ إِلَى الْأَفْهَامِ مِنْهَا. وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا، فَالْمُتَبَادَرُ إِلَى الْفَهْمِ مِنْ قَوْلِهِمْ: «اللَّهُ مَعَكَ»؛ أَيِ: بِالْحِفْظِ وَالْكَلاَةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - فِيمَا أَخْبَرَ عَنْ نَبِيِّهِ -: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنِّي اللَّهُ مَعَنَّا﴾ [التوبة: ٤٠]، وَقَالَ لِمُوسَى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]. وَلَوْ أَرَادَ أَنَّهُ بِذَاتِهِ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ، لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِذَلِكَ اخْتِصَاصٌ لَوْجُودِهِ فِي حَقِّ غَيْرِهِمْ كَوْجُودِهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُوجِبًا لِنَقْيِ الْحُزَنِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَلَا عِلَّةَ لَهُ.

فَعَلِمَ أَنَّ ظَاهِرَ هَذِهِ الْأَلْفَافِ، هُوَ مَا حُمِلَتْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ تَأْوِيلًا. ثُمَّ لَوْ كَانَ تَأْوِيلًا فَمَا نَحْنُ تَأْوِلُنَا، وَإِنَّمَا السَّلَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الَّذِي ثَبَتَ صَوَابُهُمْ، وَوَجَبَ اتِّبَاعُهُمْ، هُمُ الَّذِينَ تَأَوَّلُوهُ، فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكَ وَمَالِكًا وَسُفْيَانَ، وَكَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ قَالُوا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]؛ أَيِ: عِلْمُهُ.

ثُمَّ قَدْ ثَبَتَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالْمُتَوَاتِرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَإِجْمَاعِ السَّلَفِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ عَلَى عَرْشِهِ، وَجَاءَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ مَعَ قَرَائِنَ مَحْفُوفَةٍ بِهَا، دَالَّةٌ عَلَى إِرَادَةِ الْعِلْمِ مِنْهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧]؛ ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، فَبَدَّأَهَا بِالْعِلْمِ وَخَتَمَهَا بِهِ، ثُمَّ سَيَّاقَهَا لِتَخْوِيفِهِمْ بِعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِحَالِهِمْ، وَأَنَّهُ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ.

وَهَذِهِ قَرَائِنُ كُلِّهَا دَالَّةٌ عَلَى إِرَادَةِ الْعِلْمِ. فَقَدْ اتَّفَقَ فِيهَا هَذِهِ الْقَرَائِنُ وَدَلَالَةُ الْأَخْبَارِ عَلَى مَعْنَاهَا وَمَقَالَةِ السَّلَفِ وَتَأْوِيلُهُمْ، فَكَيْفَ يُلْحَقُ بِهَا مَا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالْأَخْبَارَ وَمَقَالَاتِ السَّلَفِ؟! فَهَذَا لَا يَخْفَى عَلَى عَاقِلٍ إِنَّ

شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِنْ خَفِيَ فَقَدْ كَشَفْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ، بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى (١).
وَقَالَ الْعَلَّامَةُ يَحْيَى بْنُ أَبِي الْخَيْرِ الْعِمْرَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَلِمَ
تَأَوَّلْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا
هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [الآية: المجادلة: ٧]؟

قُلْنَا لَهُ: لِأَنَّ الْقُرْآنَ يُعَاضِدُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ عَلَى
الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: فَعَلِمْنَا أَنَّ هُنَاكَ مَعْنَى يَخْتَصُّ بِهِ الْعَرْشُ
دُونَهُ، فَقُلْنَا: هُوَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَلَا نُكَيِّفُ الْإِسْتِوَاءَ؛ بَلْ نُصَدِّقُ وَنُؤْمِنُ
بِهِ إِيْمَانًا مُجْمَلًا، وَأَنَّهُ تَعَالَى اللَّهُ أَنْ يَكُونَ فِي الْحُشُوشِ وَالْأَمَكِنَةِ الدَّنِيَّةِ
فَنَزَّهَنَاهُ عَنْهَا، وَحَمَلْنَا هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى الْإِحَاطَةِ وَالْعِلْمِ، لِذِكْرِ الْعِلْمِ فِي ابْتِدَاءِ
الْآيَةِ وَآخِرِهَا، كَمَا حَمَلْنَا قَوْلَهُ تَعَالَى لِمُوسَى وَهَارُونَ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ
وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]: عَلَى النَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ، وَإِنْ كَانَ يَسْمَعُ كَلَامَ فِرْعَوْنَ وَيَرَاهُ
كَمَا يَسْمَعُ كَلَامَهُمَا وَيَرَاهُمَا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ هَذِهِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ الَّتِي وَرَدَتْ
بِصِفَاتِ الذَّاتِ، فَإِنَّ الْعُقُولَ تَقْصُرُ عَنْ مَعْرِفَةِ الْمُرَادِ بِهَا، فَلَزِمْنَا بِالضَّرُورَةِ
التَّصْدِيقُ بِهَا وَالْإِمْسَاكُ عَنْهَا (٢).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ يَحْصُلُ مِنْهُمَا
كَمَالُ الْهُدَى وَالنُّورِ، لِمَنْ تَدَبَّرَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، وَقَصَدَ اتِّبَاعَ الْحَقِّ،
وَأَعْرَضَ عَنْ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَالْإِلْحَادِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ.
وَلَا يَحْسَبُ الْحَاسِبُ أَنَّ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ يُنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضًا الْبَتَّةَ، مِثْلَ
أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: مَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ يُخَالِفُ الظَّاهِرَ
مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذَا غَلَطٌ.

(١) «ذم التأويل» (ص ٤٥ - ٤٦).

(٢) «الانتصار في الرد على المعتزلة القدريّة الأشرار» (٢/ ٦٣٤ - ٦٣٥).

وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ مَعَنَا حَقِيقَةً، وَهُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ حَقِيقَةً، كَمَا جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]. فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ مَعَنَا أَيْنَمَا كُنَّا.

وَذَلِكَ أَنَّ كَلِمَةَ (مَعَ) فِي اللُّغَةِ إِذَا أُطْلِقَتْ، فَلَيْسَ ظَاهِرُهَا فِي اللُّغَةِ إِلَّا الْمُقَارَنَةُ الْمُطْلَقَةُ؛ مِنْ غَيْرِ وَجُوبٍ مُمَاسَّةٍ أَوْ مُحَاذَاةٍ عَنْ يَمِينٍ أَوْ شِمَالٍ؛ فَإِذَا قِيدَتْ بِمَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي، دَلَّتْ عَلَى الْمُقَارَنَةِ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى. فَإِنَّهُ يُقَالُ: مَا زِلْنَا نَسِيرُ وَالْقَمَرُ مَعَنَا أَوْ وَالنَّجْمُ مَعَنَا. فَاللَّهُ مَعَ خَلْقِهِ حَقِيقَةً، وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ حَقِيقَةً. ثُمَّ هَذِهِ «الْمَعِيَّةُ» تَخْتَلِفُ أَحْكَامُهَا بِحَسَبِ الْمَوَارِدِ، فَلَمَّا قَالَ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [الحديد: ٤] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. دَلَّ ظَاهِرُ الْخِطَابِ عَلَى أَنَّ حُكْمَ هَذِهِ الْمَعِيَّةِ وَمُقْتَضَاهَا: أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْكُمْ؛ شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَمُهِيمٌ عَالِمٌ بِكُمْ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ السَّلَفِ: إِنَّهُ مَعَهُمْ بِعِلْمِهِ، وَهَذَا ظَاهِرُ الْخِطَابِ وَحَقِيقَتُهُ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ»^(١). فَهُوَ سَيَّاحِلٌ مَعَ الْمُسَافِرِ فِي سَفَرِهِ وَمَعَ أَهْلِهِ فِي وَطْنِهِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنْ تَكُونَ ذَاتُهُ مُخْتَلِطَةً بِذَوَاتِهِمْ، كَمَا قَالَ: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ أَي: مَعَهُ عَلَى الْإِيمَانِ، لَا أَنَّ ذَاتَهُمْ فِي ذَاتِهِ، بَلْ هُمْ مُصَاحِبُونَ لَهُ؛ وَقَوْلُهُ: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦]، يَدُلُّ عَلَى مُوَافَقَتِهِمْ فِي الْإِيمَانِ وَمُوَالَاتِهِمْ.

فَاللَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِعِبَادِهِ، وَهُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، وَعِلْمُهُ بِهِمْ مِنْ لَوَازِمِ الْمَعِيَّةِ^(٢).

(١) قطعة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: رواه مسلم (١٣٤٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/٢٣١).

وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]. فَإِنَّهُ افْتَتَحَ الْآيَةَ بِالْعِلْمِ وَخَتَمَهَا بِالْعِلْمِ، فَكَانَ السِّيَاقُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ: أَنَّهُ عَلِيمٌ بِهِمْ^(١).

وَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِصَاحِبِهِ فِي الْغَارِ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، كَانَ هَذَا أَيْضًا حَقًّا عَلَى ظَاهِرِهِ، وَدَلَّتِ الْحَالُ عَلَى أَنَّ حُكْمَ هَذِهِ الْمَعِيَّةِ هُنَا مَعِيَّةُ الْإِطْلَاعِ، وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِمُوسَى وَهَارُونَ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]. هُنَا الْمَعِيَّةُ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَحُكْمُهَا فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ النَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ^(٢).

فَلَفِظُ «الْمَعِيَّةِ» قَدْ اسْتُعْمِلَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي مَوَاضِعَ، يَقْتَضِي فِي كُلِّ مَوْضِعٍ أُمُورًا لَا يَقْتَضِيهَا فِي الْمَوْضِعِ الْآخِرِ، فَإِمَّا أَنْ تَخْتَلِفَ دَلَالَتُهَا بِحَسَبِ الْمَوَاضِعِ، أَوْ تَدُلَّ عَلَى قَدَرٍ مُشْتَرَكٍ بَيْنَ جَمِيعِ مَوَارِدِهَا - وَإِنْ امْتَأَزَ كُلُّ مَوْضِعٍ بِخَاصِّيَّةٍ -؛ فَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ، لَيْسَ مُقْتَضَاهَا أَنْ تَكُونَ ذَاتُ الرَّبِّ ﷻ مُخْتَطِطَةً بِالْخَلْقِ، حَتَّى يُقَالَ: قَدْ صُرِفَتْ عَنْ ظَاهِرِهَا.

وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ «الْمَعِيَّةَ» تُضَافُ إِلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ - كِإِضَافَةِ الرُّبُوبِيَّةِ مَثَلًا -، وَأَنَّ الْإِسْتِوَاءَ عَلَى الشَّيْءِ لَيْسَ إِلَّا لِلْعَرْشِ، وَأَنَّ اللَّهَ يُوصَفُ بِالْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَلَا يُوصَفُ بِالسُّفُولِ وَلَا بِالتَّحْتِيَّةِ قَطُّ، لَا حَقِيقَةً وَلَا مَجَازًا: عَلِمَ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ^(٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠٤/٥).

(١) «مجموع الفتاوى» (٤٩٥/٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠٢-١٠٦/٥).

الشبهة العاشرة

قَالَ النَّسْفِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]؛
 أَي: مَنْ مَلَكَوْتُهُ فِي السَّمَاءِ؛ لِأَنَّهَا مَسْكَنُ مَلَائِكَتِهِ، وَمِنْهَا مَنَزِلُ قَضَايَاهُ
 وَكُتُبِهِ وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَأَمِنْتُمْ خَالِقَ السَّمَاءِ وَمَلِكَهُ؛ أَوْ لِأَنَّهُمْ
 [أَي: الْمُشْرِكِينَ] كَانُوا يَعْتَقِدُونَ الشَّيْبَةَ، وَأَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّ الرَّحْمَةَ
 وَالْعَذَابَ يَنْزِلَانِ مِنْهُ؛ فَقِيلَ لَهُمْ عَلَى حَسَبِ اعْتِقَادِهِمْ: أَأَمِنْتُمْ مَنْ تَزْعُمُونَ
 أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْمَكَانِ^(١).

أَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ: هَذَا تَحْرِيفٌ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَقَدْ حَرَفَ هَذِهِ
 الْآيَةَ بِتَحْرِيفَيْنِ فَاضْحَيْنِ:

أَمَّا التَّحْرِيفُ الْأَوَّلُ: فَهُوَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك:
 ١٦]، بِمَنْ مَلَكَوْتُهُ فِي السَّمَاءِ؛ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ فِي السَّمَاءِ، بَلْ
 مَلَكَوْتُهُ فِي السَّمَاءِ، وَهَذَا تَحْرِيفٌ مَحْضٌ؛ لِأَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ لُغَةِ الْعَرَبِ، وَلَا
 يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ هَذِهِ الْآيَةِ الْبَيِّنَةُ؛ فَإِنَّ كَلِمَةَ «مَنْ» اسْمُ مَوْصُولٍ بِمَعْنَى «الَّذِي»،
 وَالْمُرَادُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَلِمَةُ «فِي» بِمَعْنَى «عَلَى»، وَ«السَّمَاءُ» هُوَ «الْعُلُوُّ»؛
 فَكُلُّ مَا عَلَا فَهُوَ سَمَاءٌ، فَكَلِمَةُ «فِي» لَيْسَتْ لِلظَّرْفِيَّةِ، وَ«السَّمَاءُ» لَيْسَ الْمُرَادُ
 مِنْهَا الْفُلْكَ وَالْجِسْمَ، بَلِ الْمُرَادُ جِهَةُ الْعُلُوِّ.

فَمَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عِنْدَ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّةِ السُّنَّةِ: أَمَّا
 تَخَافُونَ اللَّهَ الَّذِي هُوَ عَلَى السَّمَاءِ الْعَالِيِّ عَلَى خَلْقِهِ وَفَوْقَ عِبَادِهِ، أَنْ يُرْسِلَ
 عَلَيْكُمْ حَاصِبًا، وَأَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ؟!

ثُمَّ سِيَاقُ هَذِهِ الْآيَةِ وَكَلِمَةُ «مَنْ» الْمَوْصُولَةُ، وَكَلِمَةُ «يُرْسِلُ» وَكَلِمَةُ

(١) «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» (٤/ ٢٢٢)، للنسفي رحمه الله.

«يَخْسِفُ»، مَعَ كَثْرَةِ تِلْكَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَفِطْرَةِ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ، كُلُّهَا تَدُلُّ دَلَالَةً قَاطِعَةً عَلَى أَنَّ تَأْوِيلَ النَّسْفِيِّ لِهَذِهِ الْآيَةِ تَحْرِيفٌ وَهْمِيٌّ، كَمَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّحِيحَ الْحَقَّ الصَّرِيحَ: هُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي جِهَةِ الْعُلُوِّ، فَوْقَ الْعَالَمِ، عَالٍ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ.

وَأَمَّا التَّحْرِيفُ الثَّانِي: وَهُوَ قَوْلُ النَّسْفِيِّ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَحْمُولَةٌ عَلَى زَعَمِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْمُشَبَّهَةِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ السَّمَاءِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ: أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الْمُشَبَّهُونَ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ، فَلِمَ لَا تَخَافُونَهُ.

أَقُولُ: فَصَدَ النَّسْفِيُّ أَنَّ عَقِيدَةَ كَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ، مِنَ الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ لِلْمُشَبَّهَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْعَقِيدَةُ مِنَ الْعَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ لِلْمُؤَحِّدِينَ الْمُسْلِمِينَ!!

وَانْظُرْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ كَيْفَ حَرَّفَ الْمُصَنَّفُ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ!! حَتَّى جَعَلَ الْعَقِيدَةَ السَّلَفِيَّةَ - أَيِ: الْعُلُوِّ لِلَّهِ تَعَالَى - عَقِيدَةً لِلْمُشَبَّهَةِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَدْ حَكَمَ عَلَى عَقِيدَةِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأُئِمَّةِ هَذَا الدِّينِ - وَهِيَ عَقِيدَةُ عُلُوِّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ -، بِأَنَّهَا عَقِيدَةُ الْمُشَبَّهَةِ الْمُشْرِكِينَ. وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ عَلَّامَةُ الْعِرَاقِ الْأَلُوسِيُّ الْمُفَسِّرُ حَيْثُ قَالَ:

«وَقِيلَ: هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى زَعَمِ الْعَرَبِ حَيْثُ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ سَبَّحَ الْعِلَاقَةُ فِي السَّمَاءِ؛ فَكَانَتْهُ قِيلَ: أَأَمِنْتُمْ مَنْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ. وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْمَكَانِ!! وَهَذَا فِي غَايَةِ السَّخَافَةِ، فَكَيْفَ يُنَاسِبُ بِنَاءُ الْكَلَامِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ عَلَى زَعَمِ بَعْضِ الْجَهْلَةِ، كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى الْمُنْصِفِ»^(١).

ثُمَّ ذَكَرَ الْأَلُوسِيُّ عِدَّةَ نُصُوصٍ لِأُئِمَّةِ الْإِسْلَامِ عَلَى إِقْرَارِ الصِّفَاتِ

يَلَّهِ تَعَالَى، وَلَا سِيَّمَا صِفَةُ الْعُلُوِّ لَهُ تَعَالَى، وَقَالَ: «وَأَيْمَنُ السَّلَفِ لَمْ يَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِهِ تَعَالَى».

أَقُولُ - يَعْنِي: الْأَلُوسِيَّ -: إِنَّ مَعْنَى الْآيَةِ عِنْدَ السَّلَفِ: أَمِيتُمْ اللَّهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ؛ أَي: فِي الْعُلُوِّ، بِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ: «مَنْ» هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، لَا غَيْرُ. ثُمَّ قَالَ الْأَلُوسِيُّ أَيْضًا: «وَحَدِيثُ الْجَارِيَةِ مِنْ أَقْوَى الْأَدِلَّةِ لَهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ، وَتَأْوِيلُهُ بِمَا أَوَّلَ بِهِ الْخَلْفُ، خُرُوجَ عَنْ دَائِرَةِ الْإِنْصَافِ، عِنْدَ أُولِي الْأَلْبَابِ»^(١). وَهَذَا كَلَامٌ فِي غَايَةِ الْإِنْصَافِ لِمَنْ فَهَمَهُ^(٢).

الشُّبْهَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ

لَوْ كَانَ تَعَالَى فَوْقَ الْعَرْشِ، لَمَا صَحَّ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ تَعَالَى قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ^(٣). وَالْجَوَابُ عَلَى هَذِهِ الشُّبْهَةِ أَنْ يُقَالَ: لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَصْفُ الرَّبِّ بِالْقُرْبِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَصْلًا، بَلْ قُرْبُهُ الَّذِي فِي الْقُرْآنِ خَاصٌّ لَا عَامٌّ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فَهُوَ سَبْحَانَهُ قَرِيبٌ مِمَّنْ دَعَاهُ. وَهَذَا الْقُرْبُ مِنَ الدَّاعِي هُوَ قُرْبٌ خَاصٌّ، لَيْسَ قُرْبًا عَامًّا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ؛ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ دَاعِيهِ، وَقَرِيبٌ مِنْ عَابِدِهِ.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ، هَلَلْنَا وَكَبَّرْنَا، ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْزِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ! فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ، وَتَعَالَى جَدُّهُ»^(٤). وَفِي لَفْظٍ: «وَالَّذِي تَدْعُونَهُ

(١) «التنبيهات السنية» (ص ١٠٨ - ١١١). (٢) «بيان تلبس الجهمية» (٢/ ٧٥). (٣) انظر: «أساس التقديس» (ص ١٤). (٤) رواه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤).

أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةٍ أَحَدِكُمْ»^(١).

وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ قَرِيبٌ مِنْ قَلْبِ الدَّاعِي، فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ. فَالْمَعْنَى يَكُونُ بِتَقْرِيْبِهِ قَلْبَ الدَّاعِي إِلَيْهِ، كَمَا يَقْرُبُ إِلَيْهِ قَلْبُ السَّاجِدِ؛ كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ»: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»^(٢).

وَمِنْ «الْمَعْلُومِ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُتَقَرِّبًا إِلَى رَبِّهِ إِذَا ذَلَّ لَهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ». وَرَبُّهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ عِنْدَهُ فِي قَلْبِهِ فِي غَايَةِ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَقَدْ تَقَرَّبَ إِلَى رَبِّهِ بِنِهَآيَةِ تَقَرُّبِهِ»^(٣).

فَالسَّاجِدُ إِذَا سَجَدَ يَتَقَرَّبُ قَلْبُهُ وَرُوحُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالسُّجُودُ هُوَ نِهَآيَةُ خُضُوعِ الْعَبْدِ وَتَوَاضُعِهِ، وَالْعَبْدُ كُلَّمَا تَوَاضَعَ رَفَعَهُ اللَّهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»^(٤).

فَالْمُتَوَاضِعُ: الَّذِي ذَلَّ وَاسْتَكَانَ. تَعَالَى لَا لِخَلْقِهِ، يَكُونُ قَلْبُهُ قَرِيبًا مِنْ اللَّهِ، فَيَرْفَعُهُ اللَّهُ بِذَلِكَ، فَهُوَ فِي الظَّاهِرِ هَابِطٌ نَازِلٌ، وَفِي الْبَاطِنِ - وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ - صَاعِدٌ عَالٍ^(٥)، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا فِي رَأْسِهِ حَكْمَةٌ»^(٦) بِيَدِ مَلَكٍ، فَإِذَا تَوَاضَعَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ارْفَعْ حَكْمَتَهُ، وَإِذَا تَكَبَّرَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ضَعْ حَكْمَتَهُ»^(٧).

(١) رواه مسلم [٤٦ - (٢٧٠٤)].

(٢) رواه مسلم (٤٨٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (٦/ ٢٦٢).

(٤) قطعة من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رواه مسلم (٢٥٨٨).

(٥) «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٦٧ - ٦٨)، طبعة مجمع الملك فهد.

(٦) الْحَكْمَةُ: مَا أَحَاطَ بِحُنُكِي الْفَرَسِ مِنْ لُجَامِهِ، وَفِيهَا الْعِذَارَانُ؛ وَهُمَا مِنَ الْفَرَسِ كَالْعَارِضِينَ مِنْ وَجْهِ الْإِنْسَانِ.

(٧) رواه الطبراني (١٢٩٣٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَحَسَنَهُ لَغِيْرَهُ الْأَلْبَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٢٨٩٥).

فَالسَّاجِدُ يَقْرُبُ الرَّبَّ إِلَيْهِ فَيَدْنُو قَلْبُهُ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنْ كَانَ بَدَنُهُ عَلَى الْأَرْضِ. وَمَتَى قَرُبَ أَحَدُ الشَّيْئَيْنِ مِنَ الْآخِرِ، صَارَ الْآخَرُ إِلَيْهِ قَرِيبًا بِالضَّرُورَةِ. وَإِنْ قُدِّرَ أَنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ مِنَ الْآخِرِ تَحَرُّكٌ بِذَاتِهِ، كَمَا أَنَّ مَنْ قَرُبَ مِنْ مَكَّةَ قَرُبَتْ مَكَّةُ مِنْهُ. وَقَالَ ﷺ: «فِيمَا يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ ﷺ: «مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا؛ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا؛ وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» (١).

فَكُلَّمَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ بِاخْتِيَارِهِ قَدَرٍ شَبْرٍ، زَادَهُ الرَّبُّ قُرْبًا إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونَ كَالْمُتَقَرَّبِ بِذِرَاعٍ. فَكَذَلِكَ قُرْبُ الرَّبِّ مِنْ قَلْبِ الْعَابِدِ، وَهُوَ مَا يَحْصُلُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَهُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ يَصِيرُ مُجِبًّا لِمَا أَحَبَّ الرَّبُّ، مُبْغِضًا لِمَا أَبْغَضَ، مُوَالِيًا لِمَنْ يُوَالِي، مُعَادِيًا لِمَنْ يُعَادِي؛ فَيَتَّحِدُ مَرَادُهُ مَعَ الْمَرَادِ الْمَأْمُورِ بِهِ، الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ (٢). وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الرَّبُّ ﷻ مِنَ الْعَبْدِ جَوْفَ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ ﷻ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، فَكُنْ» (٣).

وَلَيْسَ هَذَا الْقُرْبُ كَقُرْبِ الْخَلْقِ الْمَعْهُودِ مِنْهُمْ، كَمَا ظَنَّهُ مَنْ ظَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ؛ وَإِنَّمَا هُوَ قُرْبٌ لَيْسَ يُشَبَّهُ قُرْبَ الْمَخْلُوقِينَ، كَمَا أَنَّ الْمَوْصُوفَ بِهِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿[الشورى: ١١]﴾ (٤)؛ بَلِ الرَّبُّ تَعَالَى فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَالْعَبْدُ فِي الْأَرْضِ (٥).

(١) قطعة من حديث أبي ذر رضي الله عنه: رواه مسلم (٢٦٨٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥٠٣/٥ - ٥١٣).

(٣) رواه النسائي (٥٧٢) من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (١٩٢/١).

(٤) «فتح الباري» (١١٦/٣ - ١١٧)، لابن رجب الحنبلي رحمته الله.

(٥) «مدارج السالكين» (٢٧٢/٣) [دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية].

وَقَالَ ﴿٢٢٤﴾: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]،
وَقَالَ ﴿٢٢٥﴾: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

وَمَعْلُومٌ أَنَّ قَوْلَهُ ﴿٢٢٤﴾: ﴿قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١] مَقْرُونٌ بِالتَّوْبَةِ
وَالِاسْتِغْفَارِ، أَرَادَ بِهِ قَرِيبٌ مُجِيبٌ لِاسْتِغْفَارِ الْمُسْتَغْفِرِينَ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ، كَمَا
أَنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ بِهِمْ، وَقَدْ قُرِنَ الْقَرِيبُ بِالْمُجِيبِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يُقَالُ: إِنَّهُ
مُجِيبٌ لِكُلِّ مَوْجُودٍ، وَإِنَّمَا الْإِجَابَةُ لِمَنْ سَأَلَهُ وَدَعَا، فَكَذَلِكَ قُرْبُهُ ﴿٢٢٤﴾.

وَقَالَ ﴿٢٢٥﴾: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فَذَكَرَ الْخَبَرَ وَهُوَ «قَرِيبٌ» عَنْ لَفْظِ «الرَّحْمَةِ» وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ، إِذَا نَا بِقُرْبِهِ
تَعَالَى مِنَ الْمُحْسِنِينَ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ بِرَحْمَتِهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.
وَيُوضَحُ ذَلِكَ: أَنَّ الرَّحْمَةَ لَمَّا كَانَتْ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَصِفَاتُهُ
قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ؛ فَإِذَا كَانَتْ قَرِيبَةً مِنَ الْمُحْسِنِينَ، فَهُوَ قَرِيبٌ ﴿٢٢٥﴾ مِنْهُمْ قَطْعًا.

فَالرَّبُّ ﴿٢٢٦﴾ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَرَحْمَتُهُ قَرِيبَةٌ مِنْهُمْ، وَقُرْبُهُ يَسْتَلْزِمُ قُرْبَ
رَحْمَتِهِ. فَفِي حَذْفِ التَّاءِ هَاهُنَا تَنْبِيهُ عَلَى هَذِهِ الْفَائِدَةِ الْعَظِيمَةِ الْجَلِيلَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ الْقُرْبَيْنِ: قُرْبَهُ وَقُرْبَ رَحْمَتِهِ. وَلَوْ
قَالَ: إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، لَمْ يَدُلَّ عَلَى قُرْبِهِ تَعَالَى مِنْهُمْ.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: قُرْبُهُ ﴿٢٢٦﴾ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَقُرْبُ رَحْمَتِهِ مِنْهُمْ
مُتَلَاذِمَانِ، لَا يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ؛ فَإِذَا كَانَتْ رَحْمَتُهُ قَرِيبَةً مِنْهُمْ، فَهُوَ
أَيْضًا قَرِيبٌ مِنْهُمْ، وَإِذَا كَانَ الْمَعْنَيَانِ مُتَلَاذِمَيْنِ، صَحَّ إِرَادَةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا.

فَكَانَ فِي بَيَانِ قُرْبِهِ ﴿٢٢٦﴾ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، مِنَ التَّحْرِيزِ عَلَى الْإِحْسَانِ
وَاسْتِدْعَائِهِ مِنَ النُّفُوسِ وَتَرْغِيهَا فِيهِ، غَايَةً حَظًّا لَهَا، وَأَشْرَفُهُ، وَأَجَلُّهُ عَلَى

الإِطْلَاقِ. وَهُوَ أَفْضَلُ إِعْطَاءٍ أُعْطِيَهِ الْعَبْدُ، وَهُوَ قُرْبُهُ ﷺ مِنْ عَبْدِهِ. الَّذِي هُوَ غَايَةُ الْأَمَانِيِّ، وَنَهَايَةُ الْأَمَالِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ، وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَسَعَادَةُ الْعَبْدِ كُلِّهَا.

فَكَانَ فِي الْعُدُولِ عَنْ قَرِيبَةٍ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ اسْتِدْعَاءِ الْإِحْسَانِ وَتَرْغِيبِ النُّفُوسِ فِيهِ، مَا لَا يَتَخَلَّفُ بَعْدَهُ إِلَّا مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ شَقَاوَتُهُ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذَا: أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بِذَاتِهِ وَرَحْمَتِهِ قُرْبًا لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، كَمَا أَنَّهُ ﷻ يَقْرُبُ مِنْ عِبَادِهِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَيَدْنُو مِنْ أَهْلِ عِرْقَةٍ عَشِيَّةٍ عِرْقَةً وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ؛ فَإِنَّ عُلُوَّهُ ﷻ عَلَى سَمَاوَاتِهِ مِنْ لَوَائِمِ ذَاتِهِ، فَلَا يَكُونُ قَطُّ إِلَّا عَالِيًا، وَلَا يَكُونُ فَوْقَهُ شَيْءٌ الْبَتَّةَ، كَمَا قَالَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ: «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ» (١).

الشُّبْهَةُ الثَّانِيَّةُ عَشْرَةٌ

قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْبَغْدَادِيُّ: قَالَ عَلِيٌّ: كَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانَ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ (٢).

وَالْكَلَامُ الْمَذْكُورُ كَذِبٌ مُفْتَرَى عَلَى عَلِيٍّ ﷺ، وَقَدْ اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ أَنَّهُ مَوْضُوعٌ مُخْتَلَقٌ مُفْتَرَى، وَلَيْسَ هُوَ فِي شَيْءٍ مِنْ دَوَائِرِ الْحَدِيثِ لَا كِبَارِهَا وَلَا صِغَارِهَا، وَلَا رَوَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ وَلَا ضَعِيفٍ، وَلَا بِإِسْنَادٍ مَجْهُولٍ، وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مُتَأَخِّرُو الْجَهْمِيَّةِ، فَتَلَقَّاهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَى آخِرِ التَّجَهُُّمِ، وَهُوَ التَّعْطِيلُ وَالْإِلْحَادُ...

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤٩٣/٥)، وبدائع الفوائد (٣/١٧ - ٣٢)، و«مختصر الصواعق»

(٢) (٢٦٨ - ٢٧١). والجملة المذكورة قطعة من حديث: رواه مسلم (٢٧١٣)، عن أبي

هريرة ﷺ.

(٢) «الفرق بين الفرق» (ص ٣٢١) [طبعة دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية].

وَهَذِهِ الْمَقُولَةُ قَصَدَ بِهَا الْمُتَكَلِّمَةُ الْجَهْمِيَّةُ، نَفَى الصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ، مِنْ اسْتِوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَغَيْرِ ذَلِكَ... وَهُمْ دَائِمًا يَهْدُونَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَهِيَ أَجَلٌ عِنْدَهُمْ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وَمِنْ حَدِيثِ الْجَارِيَةِ.

الشُّبْهَةُ الثَّلَاثَةُ عَشْرَةُ

قَالَ الْقَشِيرِيُّ: «قَالَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فِي شَيْءٍ، أَوْ مِنْ شَيْءٍ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ؛ إِذْ لَوْ كَانَ عَلَى شَيْءٍ لَكَانَ مَحْمُولًا، أَوْ كَانَ فِي شَيْءٍ لَكَانَ مَحْضُورًا، أَوْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ لَكَانَ مُحَدَّثًا»^(١).

سُبْحَانَ اللَّهِ!! كَيْفَ قُوبِلَ هَذَا الْكَلَامُ بِأَعْظَمِ الْقَبُولِ، وَقُدِّمَ عَلَى الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ. فَلَيْسَ الدِّينُ بِكَثْرَةِ الْكَلَامِ، وَلَكِنْ بِالْهُدَى وَالسَّدَادِ.

وَالْكَلَامُ عَلَى الْأَثَرِ الْمَذْكُورِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

[الْأَوَّلُ:] هَذَا الْكَلَامُ وَأَشْبَاهُهُ مِمَّا اتَّفَقَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ عَلَى أَنَّهُ مَكْذُوبٌ عَنْ جَعْفَرٍ، وَالْكَذِبُ عَلَى جَعْفَرٍ كَثِيرٌ مُتَشِيرٌ. وَالَّذِي نَقَلَهُ الْعُلَمَاءُ الثَّقَاتُ عَنْهُ مَعْرُوفٌ، يُخَالِفُ رَوَايَةَ الْمُفْتَرِينَ عَلَيْهِ^(٢).

[الثَّانِي:] أَنَّ الْمَعْنَى الْمَذْكُورَةَ فِيهِ صَحِيحَةٌ إِلَّا قَوْلَهُ: «أَوْ عَلَى شَيْءٍ»، فَفِيهِ مُضَادَّةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]؛ فَإِنْ اسْتَوَاءَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ بِغَيْرِ كَيْفِيَّةٍ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ. وَجَلَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ مَحْمُولًا أَوْ مَحْضُورًا؛ بَلْ جَمِيعُ الْخَلْقِ مَحْمُولُونَ بِقُدْرَتِهِ، مَحْضُورُونَ فِي قَبْضَتِهِ. تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُعْطَلَّةُ وَالْمُشَبَّهَةُ عُلُوءًا كَبِيرًا^(٣).

(١) «الرسالة القشيرية» (٤٠ / ١ - ٤١).

(٢) «الاستقامة» (١ / ١٩١).

(٣) «تنبيه النبيه والغبي في الرد على المدارس والحلبي» (ص ٢٨ - ٢٩).

الشُّبْهَةُ الرَّابِعَةُ عَشْرَةَ

قَالَ الزُّرْقَانِيُّ: إِذَا كُنْتُمْ تَأْخُذُونَ بِظَوَاهِرِ النُّصُوصِ عَلَى حَقِيقَتِهَا، فَمَاذَا تَفْعَلُونَ بِمِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]؟ أَتَقُولُونَ: إِنَّهُ فِي السَّمَاءِ حَقِيقَةً؟ أَمْ فِي الْأَرْضِ حَقِيقَةً؟ أَمْ فِيهِمَا مَعًا حَقِيقَةً؟ وَإِذَا كَانَ فِي الْأَرْضِ وَحْدَهَا حَقِيقَةً، فَكَيْفَ تَكُونُ لَهُ جِهَةٌ فَوْقَ، وَلَا يُقَالُ: لَهُ جِهَةٌ تَحْتَ؟ وَلِمَاذَا يُشَارُ إِلَيْهِ فَوْقَ، وَلَا يُشَارُ إِلَيْهِ تَحْتَ؟^(١)

إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْأَوْهَامِ وَالْخِيَالِ، فَهُوَ يُحَاوِلُ اثْبَاتَ التَّنَاقُضِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ لِيَدْعَمَ بَتَعْطِيلِهِ وَإِنْكَارِهِ لِصِفَةِ عُلُوِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَّا فَالْجَوَابُ وَاضِحٌ، وَلَا تَنَاقُضَ وَلَا اضْطِرَابَ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّا نَقُولُ: إِنَّهُ لَا شَكَّ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ؛ أَي: عَلَى السَّمَاءِ، وَلَا نَقُولُ: إِنَّهُ فِي الْأَرْضِ. كَمَا لَا نَقُولُ: إِنَّهُ فِيهِمَا. وَلَا نَقُولُ أَيْضًا: إِنَّهُ يُشَارُ إِلَيْهِ إِلَى التَّحْتِ. كَمَا لَا نَقُولُ: إِنَّهُ يُشَارُ إِلَيْهِ إِلَى التَّحْتِ وَالْفَوْقِ جَمِيعًا. بَلْ نَقُولُ: إِنَّهُ فَوْقَ الْعَالَمِ عَالٍ عَلَى خَلْقِهِ، وَيُشَارُ إِلَيْهِ إِلَى جِهَةِ الْفَوْقِ ﷻ.

وَلَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]^(٢). فَإِنَّ مَعْنَى الْآيَةِ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: هُوَ إِلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَهُ مَنْ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ، وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِمَا دُونَ الْعَرْشِ، وَلَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِ اللَّهِ مَكَانٌ. وَلَا يَكُونُ عِلْمُ اللَّهِ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]^(٣).

(١) «مناهل العرفان» (٢/٣١٦) [طبعة دار الكتب العلمية، الأولى].

(٢) «التنبيهات السنية» (ص ٢٠٠ - ٢٠١).

(٣) «الرد على الجهمية» (ص ٣٩) [المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى].

قَالَ الْاَجْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمِمَّا يُلَبِّسُونَ بِهِ عَلَى مَنْ لَا عِلْمَ مَعَهُ، احْتَجُّوا بِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤].

وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَطْلُبُونَ بِهِ الْفِتْنَةَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

وَعِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يُعَلِّمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣]، فَهُوَ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِمَّا جَاءَتْ بِهِ السُّنَنُ: إِنَّ اللهَ ﷻ عَلَى عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ.

وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ إِلَهٌُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَهٌُ مَنْ فِي الْأَرْضِ، إِلَهٌُ يُعْبَدُ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَهٌُ يُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ، هَكَذَا فَسَّرَهُ الْعُلَمَاءُ^(١).

الشبهة الخامسة عشرة

قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ «حُسْنِ الْمُحَاجَجَةِ»^(٢): إِذَا كَانَ اللهُ تَعَالَى - عِنْدَكُمْ - فَوْقَ الْعَالَمِ بَاطِنًا مِنْهُ خَارِجًا مِنْهُ، فَهُوَ - إِذَا - إِذَا أَنْ يَكُونَ مُمَاسًا لِلْعَالَمِ أَوْ مُنْفَصِلًا عَنْهُ، فَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّهُ مُمَاسٌّ لِلْعَالَمِ فَأَنْتُمْ مُبْتَدِعَةٌ مُجَسِّمَةٌ. وَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّهُ مُنْفَصِلٌ عَنِ الْعَالَمِ - فَيُقَالُ - إِذَنْ - تُوجَدُ الْمَسَافَةُ بَيْنَ الْعَالَمِ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى، فَهَذِهِ الْمَسَافَةُ إِنْ كَانَتْ عَدَمِيَّةً فَصَارَ اللهُ مُمَاسًّا بِالْعَالَمِ، وَإِنْ كَانَتْ وَجُودِيَّةً فَهِيَ جُزْءٌ مِنَ الْعَالَمِ، فَيَلْزَمُ أَنَّ اللهَ مُنْفَصِلٌ عَنِ الْعَالَمِ بِجُزْءٍ مِنَ الْعَالَمِ. أَقُولُ - وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ - قَبْلَ الرَّدِّ عَلَى هَذِهِ الشُّبْهَةِ: «فَلْيَقِفْ كُلُّ إِنْسَانٍ

عِنْدَ حُدُودِ الْقُرْآنِ وَمَا ثَبَتَ مِنَ السُّنَّةِ، وَلِيَحْذَرَ مِنْ نَزَغَاتِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بِمَا نَمَّقُوهُ مِنْ جَدَلِ الْكَلَامِ، وَلَفَقُوهُ بِعِبَارَاتٍ لَا تُجِدِي نَفْعًا عَنِ الْأَتَامِ، وَقَدْ حَذَّرَ مِنْ ذَلِكَ أئِمَّةُ الْأُمَّةِ، وَأَعْلَامُ الْأئِمَّةِ، وَمِنْهُمْ الْأئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ، ذَمُّوا الْكَلَامَ وَمَنِ اشْتَغَلَ بِهِ وَمَنِ اسْتَمَعَ، وَقَبْلَهُمْ عُلَمَاءُ لَا يُحْصَرُونَ، وَبَعْدَهُمْ خَلْقٌ آخَرُونَ»^(١).

هَؤُلَاءِ الْأئِمَّةُ وَعُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ، وَمُقْتَدَى الْأُمَّةِ، حَذَرُوا مِنَ الْكَلَامِ وَأَهْلِهِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ فِي اقْتِبَاسِهِ وَنَقْلِهِ^(٢).

وَمِنْ نَظْمِ الْإِمَامِ الْحَافِظِ ابْنِ نَاصِرِ الدِّينِ الدَّمَشَقِيِّ (١٤٨ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:
«عِلْمُ الْكَلَامِ بَلَاؤُهُ مُتَعَدِّدٌ مِنْهُ الْأئِمَّةُ حَذَرُوا يَا مُتَّقِي
وَبَلَاؤُهُ مِنْ مَنْطِقٍ صَدَقَ الَّذِي قَالَ: الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ»^(٣)
وَالْجَوَابُ عَلَى الشُّبْهَةِ الْمَذْكُورَةِ أَنْ يُقَالَ:

إِنَّ السَّلَفَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ الْعَالَمِ بَائِنٌ عَنْهُ، وَهَذَا الْقَدْرُ كَافٍ فِي الْعَقِيدَةِ، وَلَمْ يَخُوضُوا فِي الْمَسَافَةِ، هَلْ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْعَالَمِ مَسَافَةٌ أَمْ لَا؟ وَكَمْ مِقْدَارُ هَذِهِ الْمَسَافَةِ؟ وَهَلْ تِلْكَ الْمَسَافَةُ جُزْءٌ مِنَ الْعَالَمِ أَمْ لَا؟ وَذَلِكَ لِوَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: خَشْيَةُ الدُّخُولِ فِي الْكَيْفِ.

وَالثَّانِي: خَشْيَةُ الدُّخُولِ فِي دَائِرَةِ الْغَيْبِ، بِدُونِ خَبَرٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.
فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ الْعَرْشِ، وَقَاهِرٌ فَوْقَ عِبَادِهِ، عَالٍ عَلَى الْكَوْنِ، بَائِنٌ عَنْ خَلْقِهِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْكَيْفِ.

(١) «مجالس في تفسير قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾» (ص ٨٥).

(٢) المصدر السابق (ص ٤٧٧).

(٣) المصدر السابق (ص ٩٠).

وَإِنَّا نَعْلَمُ بِالْإِضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ: أَنَّ الْمَوْجُودَ مَوْجُودَانِ: خَالِقٌ وَمَخْلُوقٌ.

فَاللَّهُ تَعَالَى بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ خَالِقٌ، وَمَا سِوَاهُ عَالَمٌ - وَهُوَ الْكَوْنُ - وَهُوَ مَخْلُوقٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ الْكَوْنِ، بَائِثٌ عَنْ خَلْقِهِ. فَلَيْسَ وَرَاءَ هَذَا الْكَوْنِ شَيْءٌ مَوْجُودٌ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا الْمَسَافَةُ وَلَا غَيْرُهَا.

فَالَّذِي يُنْكِرُ عُلُوَّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ بِشَبْهَةِ الْمَسَافَةِ، فَهُوَ الْمُشَبَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ أَوَّلًا؛ لِأَنَّهُ قَدْ شَبَّهَ فَوْقِيَّةَ اللَّهِ تَعَالَى بِفَوْقِيَّةِ رَجُلٍ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ، وَلِذَلِكَ دَخَلَ فِي الْمَسَافَةِ وَكَيْفِيَّتِهَا.

ثُمَّ هُوَ الْمُعْطَلُ ثَانِيًا؛ لِأَنَّهُ عَطَّلَ صِفَةَ عُلُوِّ اللَّهِ تَعَالَى خَشْيَةَ الْمَسَافَةِ.

ثُمَّ هُوَ الْمُشَبَّهُ ثَالِثًا؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي أَشْنَعَ مِمَّا فَرَّ مِنْهُ، وَهُوَ خَوْفُ الْوُقُوعِ فِي التَّشْبِيهِ. لِأَنَّهُ لَمَّا عَطَّلَ صِفَةَ عُلُوِّ اللَّهِ تَعَالَى خَشْيَةَ التَّشْبِيهِ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا فَوْقَهُ وَلَا تَحْتَهُ؛ شَبَّهَ اللَّهَ تَعَالَى بِالْمَعْدُومِ، بَلْ بِالْمُتَنَبِّعِ^(١).

فَتَبًّا لِذَوِي الْعُقُولِ الْخَائِضَةِ، وَالْقُلُوبِ الْمُعْطَلَةِ، وَالنُّفُوسِ الْجَاخِذَةِ، فَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

فَاسْمَعْ وَتَعَقَّلْ مَا يُقَالُ لَكَ، وَتَدَبَّرْ مَا يُلْقَى إِلَيْكَ، وَالْجَأْ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، فَلَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ. وَدَعَ الْمُكَابَرَةَ وَالْمِرَاءَ، فَإِنَّ الْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ، مَا أَنَا قُلْتُهُ، بَلِ الْمُصْطَفَى ﷺ قَالَهُ^(٢).

(٢) انظر: «مختصر العلو» (ص ١٠٠).

(١) «التنبيهات السنية» (ص ٣٩٥ - ٤٠٠).

الشُّبْهَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَةَ

كَانَ فِي الْأَزَلِ لَيْسَ مُسْتَوِيًّا عَلَى الْعَرْشِ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ، فَلَا يَكُونُ عَلَى الْعَرْشِ؛ لِأَنَّ الْإِسْتِوَاءَ فِعْلٌ حَادِثٌ - كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ -، فَلَوْ قَامَ بِهِ الْإِسْتِوَاءُ لَقَامَتْ بِهِ الْحَوَادِثُ، وَإِنَّ قِيَامَ الْحَوَادِثِ بِذَاتِهِ تَغْيِيرٌ، وَاللَّهُ مُنْزَعٌ عَنِ التَّغْيِيرِ ^(١).

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ بِأَنَّ الْمُشْتَغِلِينَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ إِذَا قَالُوا: «لَا تَحُلُهُ الْحَوَادِثُ»، أَوْ هَمُّوا النَّاسَ أَنْ مُرَادَهُمْ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مَحَلًّا لِلتَّغْيِيرَاتِ وَالِاسْتِحَالَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي تَحْدُثُ لِلْمَخْلُوقِينَ فَتُحِيلُهُمْ وَتُفْسِدُهُمْ، وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٌ، وَلَكِنْ مَقْصُودُهُمْ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَلَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَجِيءُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَ أَنْ كَانَ رَاضِيًّا، وَلَا يَرْضَى بَعْدَ أَنْ كَانَ غَضْبَانًا، وَلَا يَقُومُ بِهِ فِعْلُ الْبَتَّةِ، وَلَا أَمْرٌ مُجَدَّدٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَوِيًّا عَلَيْهِ، وَلَا يَغْضَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَكِنْ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يُنَادِي عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُنَادِيًا لَهُمْ، فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا حَوَادِثٌ، وَهُوَ مُنْزَعٌ عَنْ حُلُولِ الْحَوَادِثِ ^(٢)؛ فَإِنَّ هَذَا مِنَ اللَّبْسِ وَالتَّلْبِيسِ، وَتَسْمِيَةِ الْمَعَانِي الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ بِالْأَسْمَاءِ الْقَبِيحَةِ الْمُنْفَرَّةِ، وَتِلْكَ طَرِيقَةٌ لِلنَّفَاةِ مَأْلُوفَةٌ وَسَجِيَّةٌ مَعْرُوفَةٌ ^(٣).

وَالْجَوَابُ عَلَى الشُّبْهَةِ الْمَذْكُورَةِ - الَّتِي هِيَ أَوْهَنُ مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ -

مِنْ وَجْهِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: مَنْ قَالَ لَكُمْ: إِنَّ الْحَادِثَ لَا يَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ. مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ؟ هَلْ هِيَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؟ هَلْ هِيَ فِي السُّنَّةِ

(٢) «الصواعق المرسلة» (ص ٩٣٥ - ٩٣٦).

(١) انظر: «أساس التقديس» (ص ٦٦).

(٣) المصدر السابق (ص ١٥٠٠).

المُطَهَّرَةُ؟ هَلْ هِيَ فِي الْعَقْلِ؟ وَكُلُّ مَنْ أَمَعَنَ النَّظَرَ وَفَهَمَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ، عَلِمَ أَنَّ السَّلَفَ كَانُوا أَعَمَقَ مِنْ هَؤُلَاءِ عِلْمًا، وَأَبَرَّ قُلُوبًا، وَأَقْلَّ تَكَلُّفًا، وَأَنَّهُمْ فَهَمُّوا مِنْ حَقَائِقِ الْأُمُورِ، مَا لَمْ يَفْهَمَهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَالَفُوهُمْ، وَقَبِلُوا الْحَقَّ وَرَدُّوا الْبَاطِلَ، وَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ ﷻ أَيقَنَ فَسَادَ هَذَا الْكَلَامِ^(١).

الوجه الثاني: إِنَّا نُقَابِلُ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ الْفَاسِدَةَ بِقَاعِدَةٍ أَكْمَلَ مِنْهَا وَأَوْضَحَ، وَهُوَ: أَنَّ الْفَعَالَ لِمَا يُرِيدُ أَكْمَلُ مِنَ الَّذِي لَا يَفْعَلُ. وَاللَّهُ ﷻ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَاللَّهُ يُحَدِّثُ مَا يَشَاءُ، لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، «وَمَا كَانَ مِنْ أَوْصَافٍ كَمَالِهِ وَنُعُوتٍ جَلَالِهِ، لَمْ يَكُنْ حَادِثًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ»^(٢).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وَأَنْتُمْ إِذَا عَطَلْتُمُ اللَّهَ ﷻ عَنِ الْأَفْعَالِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ - كَالِاسْتِوَاءِ وَالنُّزُولِ وَالضَّحِكِ وَالْفَرَحِ وَالْغَضَبِ -، مَعْنَى ذَلِكَ: وَصَفْتُمُوهُ بِأَنْقَصَ مَا يَكُونُ. «وَالْكَمَالُ فِي اتِّصَافِهِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ؛ لَا فِي نَفْيِ اتِّصَافِهِ بِهَا»^(٣).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللَّهُ ﷻ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، مُنَزَّهٌ عَنِ النَّقَائِصِ، وَكُلُّ كَمَالٍ وَصِفَ بِهِ الْمَخْلُوقُ مِنْ غَيْرِ اسْتِلْزَامِهِ لِنَقْصٍ، فَالْخَالِقُ أَحَقُّ بِهِ، وَكُلُّ نَقْصٍ نُزَّهَ عَنْهُ الْمَخْلُوقُ، فَالْخَالِقُ أَحَقُّ بِأَنْ يُنَزَّهَ عَنْهُ، وَالْفِعْلُ صِفَةٌ كَمَالٍ، لَا صِفَةٌ نَقْصٍ؛ كَالْكَلَامِ وَالْقُدْرَةِ، وَعَدَمُ الْفِعْلِ صِفَةٌ نَقْصٍ؛ كَعَدَمُ الْكَلَامِ وَعَدَمُ الْقُدْرَةِ، فَدَلَّ الْعَقْلُ عَلَى صِحَّةِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الشَّرْعُ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ»^(٤).

(١) انظر: «النبوات» (ص ٧٩)، و«شرح حديث النزول» (ص ٤١٧)، و«درء التعارض» (١/ ٣٩، ٤٠، ٩٨) و(٣/ ٤٥٤).

(٢) «التيان في أقسام القرآن» (ص ٧٠). (٣) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٢٤٢).

(٤) «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالرَّبُّ لَيْسَ مُعْطَلًا عَنْ فِعْلِهِ بَلْ كُلُّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانٍ^(١)
فَمَنْ «لَا يُقَرَّرُ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لَا
يُقَرَّرُ بِأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَمَنْ لَا يُقَرَّرُ بِأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ، بَعْدَ
أَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا يَقُولُ: مَنْ
يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شُؤْنِهِ وَأَفْعَالِهِ،
الَّتِي مَنْ لَمْ يُقَرَّرْ بِهَا، لَمْ يُقَرَّرْ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٢).

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: «لَفْظُ التَّغْيِيرِ لَفْظٌ مُجْمَلٌ. فَالتَّغْيِيرُ فِي اللُّغَةِ الْمَعْرُوفَةِ،
لَا يُرَادُ بِهِ مُجَرَّدُ كَوْنِ الْمَحَلِّ قَامَتْ بِهِ الْحَوَادِثُ»^(٣)؛ بَلْ إِنَّ لَفْظَ التَّغْيِيرِ فِي
كَلَامِ النَّاسِ الْمَعْرُوفِ: يَتَضَمَّنُ اسْتِحَالَةَ الشَّيْءِ.
وَالنَّاسُ إِنَّمَا يَقُولُونَ: تَغَيَّرَ، لِمَنْ اسْتَحَالَ مِنْ صِفَةٍ إِلَى صِفَةٍ.
فَالْإِنْسَانُ مَثَلًا: إِذَا مَرَضَ، وَتَغَيَّرَ فِي مَرَضِهِ؛ كَأَنِ اصْفَرَّ لَوْنُهُ أَوْ شَحَبَ،
أَوْ نَحَلَ جِسْمُهُ: يُقَالُ: غَيَّرَهُ الْمَرَضُ.

وَكَذَا إِذَا تَغَيَّرَ جِسْمُهُ بِجُوعٍ أَوْ تَعَبٍ، قِيلَ: قَدْ تَغَيَّرَ.
وَكَذَا إِذَا غَيَّرَ لَوْنَ شَعْرِ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ؛ قِيلَ: قَدْ غَيَّرَ ذَلِكَ.
وَكَذَا إِذَا تَغَيَّرَ خُلُقُهُ وَدِينُهُ؛ مِثْلَ أَنْ يَكُونَ فَاجِرًا فَيَتُوبَ، وَيَصِيرُ بَرًّا. أَوْ
يَكُونَ بَرًّا، فَيَنْقَلِبُ فَاجِرًا. فَهَذَا يُقَالُ عَنْهُ: إِنَّهُ قَدْ تَغَيَّرَ.
وَمِنْ هَذَا الْبَابِ، قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - لَمَّا أَتَى بِأَبِي قُحَافَةَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ،
وَرَأْسُهُ وَلِحْيَتُهُ كَالثَّغَامَةِ بَيَاضًا -: «غَيِّرُوا هَذَا بِشَيْءٍ، وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ»^(٤).

(١) «الكافية الشافية» (ص ٩٠). (٢) «شفاء العليل» (ص ١٣١).

(٣) «جامع الرسائل» (٢/ ٤٤)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٢٤٩).

(٤) أخرجه مسلم [٧٩ - (٢١٠٢)]، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وَكَذَا الشَّمْسُ إِذَا اصْفَرَّتْ، قِيلَ: تَغَيَّرَتْ. وَيُقَالُ: وَقْتُ الْعَصْرِ مَا لَمْ يَتَغَيَّرْ لَوْنُ الشَّمْسِ.

وَالْأَطْعِمَةُ إِذَا اسْتَحَالَ لَوْنُهَا أَوْ رِيحُهَا؛ يُقَالُ: تَغَيَّرَتْ أَيْضًا.

يَقُولُ اللَّهُ ﷻ عَنِ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ [محمد: ١٥].

فَاللَّبَنُ يَتَغَيَّرُ طَعْمُهُ مِنَ الْحَلَاوَةِ إِلَى الْحُمُوضَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالْمَاءُ الْكَثِيرُ إِذَا وَقَعَتِ النَّجَاسَةُ فِيهِ، لَمْ يَنْجُسْ، إِلَّا أَنْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ، أَوْ لَوْنُهُ، أَوْ رِيحُهُ؛ وَقَوْلُهُمْ: إِذَا نَجَسَ الْمَاءُ بِالتَّغْيِيرِ، زَالَ بِزَوَالِ التَّغْيِيرِ.

«وَكَذَلِكَ يُقَالُ: فُلَانٌ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَى فُلَانٍ، إِذَا صَارَ يُبْغِضُهُ بَعْدَ الْمَحَبَّةِ، فَإِذَا كَانَ ثَابِتًا عَلَى مَوَدَّتِهِ، لَمْ يُسَمَّ هَشْتَهُ إِلَيْهِ وَخِطَابَهُ لَهُ تَغْيِيرًا.

وَإِذَا جَرَى عَلَى عَادَتِهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَلَا يُقَالُ: إِنَّهُ قَدْ تَغَيَّرَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا عَلَى عَادَتِهِمُ الْمَوْجُودَةَ يَقُولُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا هُوَ خَيْرٌ، لَمْ يَكُونُوا قَدْ غَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ، فَإِذَا انْتَقَلُوا عَنْ ذَلِكَ فَاسْتَبَدَّلُوا بِقَصْدِ الْخَيْرِ قَصْدَ الشَّرِّ، وَبِاعْتِقَادِ الْحَقِّ اعْتِقَادَ الْبَاطِلِ، قِيلَ: قَدْ غَيَّرُوا بِأَنْفُسِهِمْ، مِثْلَ مَنْ كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ، فَتَغَيَّرَ قَلْبُهُ وَصَارَ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ، فَهَذَا قَدْ غَيَّرَ مَا فِي نَفْسِهِ»^(١).

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ يُقَالُ لَهَا: تَغْيِيرٌ.

أَمَّا مَا يَقُومُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ أَفْعَالٍ: كَتَكَلُّمِهِ، وَمَشْيِهِ، وَقِيَامِهِ، وَقُعُودِهِ،

(١) «جامع الرسائل» (٢/٤٥)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٦/٢٤٩ - ٢٥٠)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٣/٧٤ - ٧٥).

وَطَوَافِهِ، وَصَلَاتِهِ، وَرُكُوبِهِ، وَأَمْرِهِ، وَنَهْيِهِ؛ فَلَا يُقَالُ: إِنَّ هَذَا تَغَيَّرَ.

فَالنَّاسُ لَا يَقُولُونَ لِلْإِنْسَانِ - إِذَا كَانَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ وَيُصَلِّيَ الْخَمْسَ - أَنَّهُ كُلَّمَا قَرَأَ وَصَلَّى: قَدْ تَغَيَّرَ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ تَكُنْ عَادَتُهُ هَذِهِ الْأَفْعَالُ، فَإِذَا تَغَيَّرَتْ صِفَتُهُ وَعَادَتُهُ، قِيلَ: إِنَّهُ قَدْ تَغَيَّرَ.

وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يَقُولُونَ لِلشَّمْسِ وَالْكَوَاكِبِ - إِذَا كَانَتْ ذَاهِبَةً مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ -: إِنَّهَا مُتَغَيِّرَةٌ.

وَلَا يَقُولُونَ لِلْمَاءِ، إِذَا جَرَى مَعَ بَقَاءِ صِفَائِهِ: إِنَّهُ تَغَيَّرَ.

وَلَا يُقَالُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ لِلْفَاكِهَةِ وَالطَّعَامِ - إِذَا حُوِّلَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ -: إِنَّهُ تَغَيَّرَ. وَيَقُولُونَ: تَغَيَّرَ الْهَوَاءُ، إِذَا بَرَدَ بَعْدَ السَّخُونَةِ، وَلَا يَكَادُونَ يُسَمُّونَ مُجَرَّدَ هُبُوبِهِ تَغْيَرًا، وَإِنْ سُمِّيَ بِذَلِكَ، فَهُمْ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا. وَلِهَذَا لَمْ يُطْلَقْ عَلَى الصِّفَةِ الْمُلَازِمَةِ لِلْمَوْصُوفِ أَنَّهَا مُغَايِرَةٌ لَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَحِيلَ عَنْهَا وَلَا يُزَايِلَ.

وَالنَّاسُ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: التَّغْيِيرُ عَلَى اللَّهِ مُمْتَنِعٌ، فَهِمُوا مِنْ ذَلِكَ الْإِسْتِحَالَةَ وَالْفَسَادَ، مِثْلَ انْقِلَابِ صِفَاتِ الْكَمَالِ إِلَى صِفَاتِ نَقْصٍ، أَوْ تَفَرُّقِ الذَّاتِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَجِبُ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنْهُ. وَاللَّهُ أَجَلُ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَخْطُرَ بِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، قِيَامُ الْقَبَائِحِ وَالْآفَاتِ وَالْعُيُوبِ بِهِ ﷺ^(١).

وَأَمَّا كَوْنُهُ ﷺ يَتَصَرَّفُ بِقُدْرَتِهِ، فَيَخْلُقُ، وَيَسْتَوِي، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ بِنَفْسِهِ، وَيَتَكَلَّمُ إِذَا شَاءَ، وَنَحْوُ هَذَا، فَهَذَا لَا يُسَمُّونَهُ تَغْيَرًا. فَإِنَّ صِفَةَ الْمَوْصُوفِ اللَّازِمَةَ لَهُ لَا تُسَمَّى تَغْيَرًا.

فَالرَّبُّ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ، وَلَا يَزَالُ مَوْصُوفًا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، مَنْعُوتًا

بِنُعُوتِ الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَكَمَالِهِ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، فَيَمْتَنِعُ أَنْ يَزُولَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ، وَيَمْتَنِعُ أَنْ يَصِيرَ نَاقِصًا بَعْدَ كَمَالِهِ.

و«هَذَا الْأَصْلُ» عَلَيْهِ قَوْلُ السَّلَفِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ: إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ مَوْصُوفًا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ، فَلَا يَكُونُ مُتَغَيِّرًا، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: يَا مَنْ يُغَيِّرُ، وَلَا يَتَغَيَّرُ! (١)

وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ عَنْ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَعْرِفُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ إِلَّا بِالْفِعْلِ، فَمَنْ كَانَ لَهُ فِعْلٌ فَهُوَ حَيٌّ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِعْلٌ فَهُوَ مَيِّتٌ (٢).

وَلَكِنَّ حُجَجَ النُّفَاةِ مَبْنَاهَا عَلَى أَلْفَاظٍ مُجْمَلَةٍ مُوْهِمَةٍ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: يَتَكَلَّمُونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْكَلَامِ، وَيُلَبِّسُونَ عَلَى جُهَالِ النَّاسِ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَتَوَهَّمِ الْجَاهِلُ أَنَّهُمْ يُعْظَمُونَ اللَّهَ، وَهُمْ إِنَّمَا يَقُودُهُمْ قَوْلُهُمْ إِلَى فِرْيَةٍ عَلَى اللَّهِ (٣).

فَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذَا الْكَلَامِ أَنَّ الْمُسْتَعْلِينَ يَعْلِمُ الْكَلَامَ «قَدْ خَالَفُوا صَرِيحَ الْمَعْقُولِ، وَسَلَبُوا الْكَمَالَ عَمَّنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْكَمَالِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَلَمْ يَكْفِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى جَعَلُوا الْكَمَالَ نَقْصًا، وَعَدَمَهُ كَمَالًا، فَعَكَسُوا الْأَمْرَ، وَقَلَبُوا الْفِطْرَ، وَأَفْسَدُوا الْعُقُولَ، فَتَأَمَّلْ شُبْهَهُمُ الْبَاطِلَةَ، وَخَيَالَاتِهِمُ الْفَاسِدَةَ الَّتِي عَارَضُوا بِهَا الْوَحْيَ، هَلْ تُقَاوِمُ الْأَدِلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى إِبْثَاتِ الْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ لِلرَّبِّ ﷻ؟ ثُمَّ اخْتَرِ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَا شِئْتَ» (٤).

وَفِي خِتَامِ الرَّدِّ عَلَى الشُّبُهَاتِ نَقُولُ: إِنَّ النُّصُوصَ الدَّالَّةَ عَلَى

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/٢٤٩-٢٥٠).

(٢) «خلق أفعال العباد» (ص ١١٧)، تحقيق: بدر البدر.

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٤/٧٢-٧٥). (٤) انظر: «الصواعق» (ص ٩١٧).

عُلُوّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ كَثِيرَةٌ مُنْتَشِرَةٌ، قَدْ بَهَرَتْ الْمُتَكَلِّمِينَ بِكَثَرَتِهَا وَقُوَّتِهَا، وَلَيْسَ مَعَهُمْ فِي نَفْيِ ذَلِكَ، لَا عَقْلٌ صَرِيحٌ، وَلَا نَقْلٌ صَحِيحٌ. فَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ مَعَهُمْ عَقْلِيَّاتٍ، وَإِنَّمَا مَعَهُمْ جَهْلِيَّاتٌ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كِرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٩) [النور: ٣٩]؛ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ فِي قَوْلِهِمْ إِلَى آيَةٍ مِنَ التَّنْزِيلِ مُحْكَمَةٍ، وَلَا رِوَايَةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَحِيحَةٍ، فَارْقُوا الدَّلِيلَ، وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ^(١).

وَنَسَّأَلُهُ ﷺ أَنْ لَا يَبْتَلِيَنَا بِمَا ابْتَلَاهُمْ بِهِ مِنْ مُفَارَقَةِ الْمَنْقُولِ وَالْمَعْقُولِ، وَتَلْقَى الْعِلْمَ وَالْيَقِينَ مِنْ غَيْرِ مَشْكَاتِ الرَّسُولِ ﷺ^(٢).



(١) «إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ» (ص ١٢٧).

(٢) «الصَّوَاعِقُ» (ص ١٠١٩).

الرَّدُّ عَلَى مَنْ ادَّعَى الْمَجَازَ بِالْفَوْقِيَّةِ بِفَوْقِيَّةِ الْقَدْرِ وَالرُّتْبَةِ

اعْلَمْ رَحِمَتُ اللَّهِ بِأَنَّ الْمُعْطَلَةَ ادَّعَوْا أَنَّ عُلُوَّ اللَّهِ ﷻ مَجَازٌ فِي فَوْقِيَّةِ الرُّتْبَةِ
وَالْقَهْرِ وَالْقَدْرِ، كَمَا يُقَالُ: الذَّهَبُ فَوْقَ الْفِضَّةِ، وَالْأَمِيرُ فَوْقَ الْوَزِيرِ، وَالْدِّينَارُ
فَوْقَ الدَّرْهِمِ، وَالْمِسْكُ فَوْقَ الْعَنْبَرِ؛ أَي: فِي الْقِيَمَةِ وَالْقَدْرِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْفَوْقُ وَصْفٌ ثَابِتٌ بِالذَّاتِ مِنْ
لَكِنْ نَفَاةُ الْفَوْقِ مَا وَقَّوَابِهِ
بَلْ فَسَّرُوهُ بِأَنَّ قَدَرَ اللَّهِ أَعْدَ
قَالُوا وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ النَّاسِ فِي
هُوَ فَوْقَ جِنْسِ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ لَا
وَالْفَوْقُ أَنْوَاعٌ ثَلَاثٌ كُلُّهَا
هَذَا الَّذِي قَالُوا وَفَوْقُ الْقَهْرِ وَالْ

كُلُّ الْوُجُوهِ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ
جَحَدُوا كَمَالَ الْفَوْقِ لِلذَّيَّانِ
لَى لَا بِفَوْقِ الذَّاتِ لِلرَّحْمَنِ
ذَهَبٌ يُرَى مِنْ خَالِصِ الْعَقِيَّانِ
بِالذَّاتِ بَلْ فِي مُقْتَضَى الْأَثْمَانِ
لِلَّهِ ثَابِتَةٌ بِلَا نُكْرَانِ
فَوْقِيَّةُ الْعُلْيَا عَلَى الْأَكْوَانِ^(١)

وَعُلُوُّ الْقَدْرِ وَالْقَهْرِ، وَإِنْ كَانَ ثَابِتًا لِلرَّبِّ ﷻ، لَكِنْ إِنْكَارَ حَقِيقَةِ
فَوْقِيَّتِهِ ﷻ، وَحَمَلَهَا عَلَى الْمَجَازِ، بَاطِلٌ مِنْ وَجُوهِ عَدِيدَةٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْأَصْلَ الْحَقِيقَةَ، وَالْمَجَازُ عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ. وَالْقَوْلُ
بِالْمَجَازِ فِي الصِّفَاتِ، يُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى تَكْذِيبِ النُّصُوصِ الصَّرِيحَةِ
الصَّحِيحَةِ الْمُحْكَمَةِ، الْمَفْهُومَةِ اللَّفْظِ، الْمَعْقُولَةِ الْمَعْنَى.

قَالَ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِي رَحِمَهُ اللهُ: «كُلُّ مَا قَالَهُ اللهُ تَعَالَى، فَعَلَى الْحَقِيقَةِ، لَا عَلَى الْمَجَازِ، وَلَا تُحْمَلُ صِفَاتُ اللهِ تَعَالَى عَلَى الْعُقُولِ وَالْمَقَابِيِسِ، وَلَا يُوصَفُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ نَبِيُّهُ، أَوْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ» (١).

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللهُ: «أَهْلُ السُّنَّةِ مُجْمِعُونَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَالْإِيمَانِ بِهَا وَحَمْلِهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا عَلَى الْمَجَازِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يُكَيِّفُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ» (٢).

قَالَ الذَّهَبِيُّ مُعَقِّبًا: صَدَقَ وَاللهُ، فَإِنَّ مَنْ تَأَوَّلَ سَائِرَ الصِّفَاتِ، وَحَمَلَ مَا وَرَدَ مِنْهَا عَلَى مَجَازِ الْكَلَامِ، أَذَاهُ ذَلِكَ السَّلْبُ إِلَى تَعْطِيلِ الرَّبِّ، وَأَنْ يُشَابِهَ الْمَعْدُومَ، كَمَا نُقِلَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ قَالَ: «مَثَلُ الْجَهْمِيَّةِ؛ كَقَوْمٍ قَالُوا: فِي دَارِنَا نَخْلَةٌ، قِيلَ: لَهَا سَعْفٌ؟ قَالُوا: لَا، قِيلَ: فَلَهَا كَرْبٌ؟ قَالُوا: لَا، قِيلَ: لَهَا رُطْبٌ وَقِنُوءٌ؟ قَالُوا: لَا، قِيلَ: فَلَهَا سَاقٌ؟ قَالُوا: لَا، قِيلَ: فَمَا فِي دَارِكُمْ نَخْلَةٌ» (٣).

(قُلْتُ): كَذَلِكَ هُوَ لَاءِ النِّفَاةُ قَالُوا: إِلَهَنَا اللهُ تَعَالَى، وَهُوَ لَا فِي زَمَانٍ وَلَا فِي مَكَانٍ، وَلَا يُرَى... وَقَالُوا: سُبْحَانَ الْمُنَزَّهِ عَنِ الصِّفَاتِ! بَلْ نَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ السَّمِيعِ الْبَصِيرِ الْمُرِيدِ، الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَاتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَيُرَى فِي الْآخِرَةِ، الْمُتَّصِفِ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، الْمُنَزَّهِ عَنْ سِمَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَعَنْ جَحْدِ الْجَا حِدِينَ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٤).

وَقَالَ الْحَافِظُ الْإِمَامُ أَبُو أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَصَّابُ رَحِمَهُ اللهُ (٤٠٠هـ): «كُلُّ صِفَةٍ وَصَفَ اللهُ بِهَا نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهَا نَبِيُّهُ، فَهِيَ صِفَةٌ

(١) «الرسالة الوافية» (ص ٢٥٤ - ٢٥٥). (٢) «التمهيد» (٧/ ١٤٥).

(٣) أخرجه ابن شاهين في «الكتاب اللطيف» (ص ٧٩)، وذكره الأصبهاني في «الحجة» (١/ ٤٤١).

(٤) «العلو» (٢/ ١٣٢٦ - ١٣٢٧).

حَقِيقَةٌ لَا مَجَازًا^(١).

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَقِّبًا: «نَعَمْ لَوْ كَانَتْ صِفَاتُهُ مَجَازًا لَتَحْتَمَّ تَأْوِيلُهَا، وَلَقِيلَ: مَعْنَى الْبَصَرِ كَذَا، وَمَعْنَى السَّمْعِ كَذَا، وَمَعْنَى الْحَيَاةِ كَذَا، وَلَفُسِّرَتْ بِغَيْرِ السَّابِقِ إِلَى الْأَفْهَامِ، فَلَمَّا كَانَ مَذْهَبُ السَّلَفِ إِمْرَارَهَا بِلَا تَأْوِيلٍ، عَلِمَ أَنَّهَا غَيْرُ مَحْمُولَةٍ عَلَى الْمَجَازِ، وَأَنَّهَا حَقٌّ بَيِّنٌ»^(٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ النُّصُوصَ فِي الصِّفَاتِ وَاضِحَةٌ، وَلَوْ كَانَتْ الصِّفَاتُ تُرَدُّ إِلَى الْمَجَازِ، لَبْطَلَّ أَنْ تَكُونَ صِفَاتٍ لِلَّهِ، وَإِنَّمَا الصِّفَةُ تَابِعَةٌ لِلْمَوْصُوفِ، فَهُوَ مَوْجُودٌ حَقِيقَةٌ لَا مَجَازًا، وَصِفَاتُهُ لَيْسَتْ مَجَازًا، فَإِذَا كَانَ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ لَا مِثْلَ لَهَا»^(٣).

الثَّانِي: مَعْلُومٌ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ: أَنَّ الْمُخَاطَبَ الْمُبَيَّنَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْمَجَازِ الْمُخَالِفِ لِلْحَقِيقَةِ، وَالْبَاطِنِ الْمُخَالِفِ لِلظَّاهِرِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُقَرَّنَ بِخِطَابِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْمَجَازِيَّةِ؛ فَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ - الَّذِي بُعِثَ بِأَفْصَحِ اللُّغَاتِ وَأَبْيَنِ الْأَلْسِنَةِ وَالْعِبَارَاتِ -، الْمُبَلِّغُ الْمُبَيَّنُّ الَّذِي بَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، تَكَلَّمَ بِالْكَلَامِ الَّذِي يُفْهَمُ مِنْهُ مَعْنَى، وَأَعَادَهُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً؛ وَخَاطَبَ بِهِ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ وَفِيهِمُ الذَّكِيُّ وَالْبَلِيدُ، وَالْفَقِيهُ وَغَيْرُ الْفَقِيهِ، وَقَدْ أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَدَبَّرُوا ذَلِكَ الْخِطَابَ وَيَعْقِلُوهُ، وَيَتَفَكَّرُوا فِيهِ وَيَعْتَقِدُوا مُوجِبَهُ، ثُمَّ أَوْجَبَ أَنْ لَا يَعْتَقِدُوا بِهَذَا الْخِطَابِ شَيْئًا مِنْ ظَاهِرِهِ^(٤)؛ وَهُوَ «يَعْلَمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَلَامِ خِلَافُ مَفْهُومِهِ وَمُقْتَضَاهُ، كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُقَرَّنَ بِخِطَابِهِ مَا يَصْرِفُ الْقُلُوبَ عَنْ فَهْمِ الْمَعْنَى الَّذِي لَمْ يُرَدْ؛ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ بَاطِلًا لَا يَجُوزُ اعْتِقَادُهُ فِي اللَّهِ، فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَنْهَاهُمْ عَنْ أَنْ يَعْتَقِدُوا فِي اللَّهِ مَا لَا يَجُوزُ اعْتِقَادُهُ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ

(٢) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٣٣٨ - ٣٣٩).

(١) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٣٣٨ - ٣٣٩).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٥٥ - ٣٦٢).

(٣) «العلو» (٢/ ١٣٠٤).

مَخَوْفًا عَلَيْهِمْ؛ وَلَوْ لَمْ يُخَاطِبُهُمْ بِمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ خُطَابُهُ هُوَ الَّذِي يَدُلُّهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْإِعْتِقَادِ الَّذِي تَقُولُ النُّفَاةُ: هُوَ اعْتِقَادٌ بَاطِلٌ؟! كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُعَلِّمَنَا نَبِيُّنَا ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى «الْخِرَاءَةَ» وَيَقُولُ: «مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ»^(١). وَيَقُولُ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»^(٢)، ثُمَّ يَتْرُكُ الْكِتَابَ الْمُنَزَّلَ عَلَيْهِ وَسُنَّتَهُ الْغَرَاءَ، مَمْلُوءَةً مِمَّا يَزْعُمُ الْخَصْمُ أَنَّ ظَاهِرَهُ تَشْبِيهُ وَتَجْسِيمٌ، وَأَنَّ اعْتِقَادَ ظَاهِرِهِ ضَلَالٌ، وَهُوَ لَا يُبَيِّنُ ذَلِكَ وَلَا يُوَضِّحُهُ؟!^(٣).

الثَّالِثُ: إِنَّ لَفْظَ «الْعَلِيِّ» وَ«الْعُلُوِّ»، لَمْ يُسْتَعْمَلْ فِي الْقُرْآنِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ فِي مُجَرَّدِ الْقُدْرَةِ، وَلَا فِي مُجَرَّدِ الْفَضِيلَةِ. وَلَفْظُ «الْعُلُوِّ» يَتَضَمَّنُ الْإِسْتِعْلَاءَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَفْعَالِ، إِذَا عُذِّي بِحَرْفِ الْإِسْتِعْلَاءِ، دَلَّ عَلَى الْعُلُوِّ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى عُلُوِّهِ عَلَى الْعَرْشِ^(٤).

الرَّابِعُ: أَنَّ الْقَائِلَ إِذَا قَالَ: الذَّهَبُ فَوْقَ الْفِضَّةِ، قَدْ أَحَالَ الْمُخَاطَبَ عَلَى مَا يَفْهَمُ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ، وَالْمُعْتَدُّ بِأَمْرَيْنِ عَهْدَ تَسَاوِيهِمَا فِي الْمَكَانِ وَتَفَاوُتِهِمَا فِي الْمَكَانَةِ، فَانْصَرَفَ الْخِطَابُ إِلَى مَا يَعْرِفُهُ السَّامِعُ، وَلَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ. فَهَلْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَغَيْرِهِمْ، عَهْدٌ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي فَوْقِيَّةِ الرَّبِّ تَعَالَى، حَتَّى يَنْصَرِفَ فَهُمْ السَّامِعُ إِلَيْهَا؟!

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٦٤٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وصححه المحدث الألباني رحمته الله في «الصحيحة» (١٨٠٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٣) من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمته الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٤١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٦/٣٦٧-٣٦٩)، بتصرف يسير.

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٦/٣٥٩).

الخَامِسُ: أَنَّ الْفِطَرَ وَالْعُقُولَ وَالشَّرَائِعَ وَجَمِيعَ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ ﷺ فَوْقَ الْعَالَمِ بِذَاتِهِ، فَالْخِطَابُ بِفَوْقِيَّتِهِ يَنْصَرِفُ إِلَى مَا اسْتَقَرَّ فِي الْفِطْرِ وَالْعُقُولِ وَالْكِتَابِ السَّمَاوِيَّةِ.

الْسَّادِسُ: أَنَّ هَذَا الْمَجَازَ لَوْ صُرِّحَ بِهِ فِي حَقِّ اللَّهِ كَانَ قَبِيحًا، فَإِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُقَالُ فِي الْمُتَقَارِبِينَ فِي الْمُنَزَّلَةِ وَأَحَدُهُمَا أَفْضَلُ مِنَ الْآخَرِ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَتَقَارَبَا بِوَجْهِ فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ فِيهِمَا ذَلِكَ، وَإِذَا كَانَ يَقْبُحُ كُلُّ الْقُبْحِ أَنْ تَقُولَ: «الْجَوْهَرُ فَوْقَ قِشْرِ الْبَصْلِ»؛ وَإِذَا قُلْتَ ذَلِكَ ضَحِكْتَ مِنْكَ الْعُقَلَاءُ لِلتَّفَاوُتِ الْعَظِيمِ الَّذِي بَيْنَهُمَا، فَالْتَّفَاوُتُ الَّذِي بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ، وَفِي مِثْلِ هَذَا قَالَ الْقَائِلُ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُضُ قَدْرَهُ إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا^(١)

السَّابِعُ: أَنَّ الرَّبَّ ﷻ لَمْ يَمْتَدِّحْ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَلَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَرْشِ، وَأَنَّ رُتْبَتَهُ فَوْقَ رُتْبَةِ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ خَيْرٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْعَرْشِ. وَهَذَا مِمَّا تَفَرُّ مِنْهُ الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ، وَتَشْمِزُ مِنْهُ الْقُلُوبُ الصَّحِيحَةُ. فَإِنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ ابْتِدَاءً: اللَّهُ خَيْرٌ مِنْ عِبَادِهِ، أَوْ خَيْرٌ مِنْ عَرْشِهِ، مِنْ جِنْسِ قَوْلِهِ: الشَّمْسُ أَضْوَأُ مِنَ السَّرَاجِ، وَالسَّمَاءُ أَعْلَى مِنْ سَقْفِ الدَّارِ، وَالْجَبَلُ أَثْقَلُ مِنَ الْحَصَى، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ فُلَانٍ الْيَهُودِيِّ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ تَمَجِيدٌ، وَلَا تَعْظِيمٌ، وَلَا مَدْحٌ؛ بَلْ هُوَ مِنْ أَرْدَلِ الْكَلَامِ، وَأَسْمَجِهِ، وَأَهْجَنِهِ! فَكَيْفَ يَلِيقُ حَمْلُ الْكَلَامِ الْمَجِيدِ عَلَيْهِ؟! وَحَيْثُ وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ، فَإِنَّمَا هُوَ فِي سِيَاقِ الرَّدِّ لِمَنْ سَوَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّأَلُّهِ، فَبَيَّنَ ﷻ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ تِلْكَ الْأِلَهَةِ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:

[٣٩]، وَقَوْلِ السَّحَرَةِ: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٣].

فَهَذَا السِّيَاقُ يُقَالُ فِي مِثْلِهِ: إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ الْبَاطِلَةِ، وَأَمَّا بَعْدَ أَنْ يَذْكَرَ أَنَّهُ مَالِكُ الْكَائِنَاتِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَيُقَالُ مَعَ ذَلِكَ: هُوَ أَفْضَلُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَعْظَمُ مِنْ مَصْنُوعَاتِهِ، فَهَذَا يُنْزِعُهُ عَنْهُ كَلَامُ اللَّهِ^(١). وَلَا يَصِحُّ إِلْحَاقُ هَذَا بِذَلِكَ، وَلَا يُنْكَرُ هَذَا إِلَّا غَيْبٌ.

الثَّامِنُ: أَنَّ هَذَا الْمَجَازَ مُحْتَمِلٌ إِذَا كَانَ هُنَاكَ مُقَارَنَةٌ فِي الصِّفَاتِ بَيْنَ مَخْلُوقٍ وَمَخْلُوقٍ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لِمُوسَى ﷺ: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: ٦٨]، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]؛ فَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ جَمِيعًا مُسْتَقَرُّونَ عَلَى الْأَرْضِ، فَهِيَ فَوْقِيَّةٌ قَاهِرَةٌ وَعَلَبِيَّةٌ، لَمْ يَلْزَمْ مِثْلُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ أَلْقَاهُمْ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨ و ٦١]، إِذْ قَدْ عَلِمَ بِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ وَعِبَادُهُ، لَيْسُوا مُسْتَوِينَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، حَتَّى تَكُونَ فَوْقِيَّةٌ قَاهِرَةٌ وَعَلَبِيَّةٌ.

التَّاسِعُ: هَبْ أَنْ هَذَا يَحْتَمِلُ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، لِدَلَالَةِ السِّيَاقِ وَالْقَرَائِنِ الْمُقْتَرِنَةِ بِاللَّفْظِ عَلَى فَوْقِيَّةِ الرُّتَبَةِ، وَلَكِنْ هَذَا إِنَّمَا يَأْتِي مُجَرَّدًا عَنْ «مِنْ»، وَلَا يُسْتَعْمَلُ مَقْرُونًا بِ«مِنْ»، فَلَا يُعْرَفُ فِي اللُّغَةِ الْبَتَّةُ أَنْ يُقَالَ: الذَّهَبُ مِنْ فَوْقِ الْفِضَّةِ، وَلَا عَالِمٌ مِنْ فَوْقِ الْجَاهِلِ، وَقَدْ جَاءَتْ فَوْقِيَّةُ الرَّبِّ مَقْرُونَةً بِ«مِنْ»، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]؛ فَهَذَا صَرِيحٌ فِي فَوْقِيَّةِ الذَّاتِ، وَلَا يَصِحُّ حَمْلُهُ عَلَى فَوْقِيَّةِ الرُّتَبَةِ؛ لِأَنَّ الظَّرْفَ (فَوْقَ) جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُقَيَّدًا

بِحَرْفِ الْجَرِّ (مِنْ)، وَالظُّرُوفُ الْمُقَيَّدَةُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِثْلُ (مِنْ فَوْقِ)،
و(مِنْ تَحْتَ)، لَا تَعْنِي إِلَّا مَعَانِيَ الظُّرُوفِ الْحَقِيقِيَّةِ لَا الْمَجَازِيَّةِ، وَتَخْتَلِفُ
عَنْ جَمِيعِ الظُّرُوفِ الَّتِي تَأْتِي غَيْرَ مُقَيَّدَةٍ مِثْلُ (فَوْقِ) وَ(تَحْتَ)، الَّتِي قَدْ تَعْنِي
الْحَقِيقَةَ أَوِ الْمَجَازَ أَوْ كِلَيْهِمَا مَعًا، وَيُحَدِّدُ ذَلِكَ الْقُرْآنُ. انْظُرْ مَثَلًا قَوْلَهُ تَعَالَى:
﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦]، ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ
مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى: ٥]، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَى مِنْ فَوْقِهَا﴾ [فصلت: ١٠]، ﴿لَهُمْ
مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]، ﴿لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ
مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الزمر: ٢٠]، ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ،
سَحَابٌ﴾ [النور: ٤٠]، ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَفْلا بُصُرُونَ﴾ [الزخرف:
٥١]، ﴿فَنَادَيْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ [مريم: ٢٤]، ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ
فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

العاشر: إِذَا كَانَ الْعُلُوُّ وَالْفَوْقِيَّةُ صِفَةً كَمَالٍ لَا نَقْصَ فِيهِ، وَلَا يَسْتَلْزِمُ
نَقْصًا، وَلَا يُوجِبُ مَحْذُورًا، وَلَا يُخَالِفُ كِتَابًا وَلَا سُنَّةً وَلَا إِجْمَاعًا، فَنفِي حَقِيقَتِهَا
عَيْنُ الْبَاطِلِ... فَلَوْ لَمْ يَقْبَلِ الْعُلُوُّ وَالْفَوْقِيَّةُ لَكَانَ كُلُّ عَالٍ عَلَى غَيْرِهِ أَكْمَلَ مِنْهُ.
فَإِنَّ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مَا يُوصَفُ بِالْعُلُوِّ دُونَ السُّفُولِ كَالسَّمَاوَاتِ، وَمَا كَانَ
مَوْصُوفًا بِالْعُلُوِّ دُونَ السُّفُولِ، كَانَ أَفْضَلَ مِمَّا لَا يُوصَفُ بِالْعُلُوِّ^(١)، وَالْخَالِقُ
أَكْمَلُ مِنَ الْمَخْلُوقِ. فَكَيْفَ تَكُونُ الْمَخْلُوقَاتُ أَكْمَلَ مِنَ الْخَالِقِ ﷻ؟!^(٢)

فَإِنَّكُمْ لَمْ تَرْضَوْا أَنْ تَجْعَلُوا عُلُوَّ اللَّهِ أَكْمَلَ مِنْ عُلُوِّ غَيْرِهِ، وَلَا جَعَلْتُمُوهُ مِثْلَ
عُلُوِّهِ؛ بَلْ جَعَلْتُمْ عُلُوَّ الْغَيْرِ أَكْمَلَ مِنْ عُلُوِّهِ، وَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ الْغَيْرِ الَّذِي هُوَ
مُسْتَغْنٍ عَنْهُ، وَكُلُّ هَذَا إِفْكٌ وَبُهْتَانٌ عَظِيمٌ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٣).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (١٨/٧).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠٢/١٦).

(٣) «بيان تلبيس الجهمية» (٢٨٧/٢).

الحادي عشر: أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ فَوْقِيَّتُهُ ﷻ مَجَازًا لَا حَقِيقَةً لَهَا، لَمْ يُتَصَرَّفْ فِي أَنْوَاعِهَا وَأَقْسَامِهَا وَلَوَازِمِهَا، وَلَمْ يُتَوَسَّعْ فِيهَا غَايَةَ التَّوَسُّعِ؛ فَإِنَّ فَوْقِيَّةَ الرُّتْبَةِ وَالْفَضِيلَةِ لَا يُتَصَرَّفُ فِي تَنْوِيعِهَا إِلَّا بِمَا شَاكَلَ مَعْنَاهَا، نَحْوَ قَوْلِنَا: هَذَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا وَأَفْضَلُ وَأَجَلُّ وَأَعْلَى قِيَمَةً، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا فَوْقِيَّةُ الذَّاتِ فَإِنَّهَا تَتَنَوَّعُ بِحَسَبِ مَعْنَاهَا، فَيُقَالُ فِيهَا: اسْتَوَى، وَيَعْرُجُ إِلَيْهِ كَذَا، وَيَصْعَدُ إِلَيْهِ وَيَنْزِلُ مِنْ عِنْدِهِ، وَرَفِيعُ الدَّرَجَاتِ، وَتُرْفَعُ إِلَيْهِ الْأَيْدِي، وَإِنَّ عِبَادَهُ يَخَافُونَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَإِنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا نَظَرُوا إِلَيْهِ فِي الْجَنَّةِ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ. فَهَذِهِ لَوَازِمُ أَنْوَاعِ فَوْقِيَّةِ الذَّاتِ، لَا أَنْوَاعِ فَوْقِيَّةِ الْفَضِيلَةِ وَالْمَرْتَبَةِ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا، عَرَفَ أَنَّ النُّفَاةَ أَفْسَدُوا اللُّغَةَ وَالْفِطْرَةَ وَالْعَقْلَ وَالشَّرْعَ.

الثاني عشر: أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ فَوْقِيَّةُ الرَّبِّ ﷻ مَجَازًا لَا حَقِيقَةً لَهَا، لَكَانَ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَلَا اسْتَوَى عَلَيْهِ، وَلَا هُوَ الْعَلِيِّ وَلَا الرَّفِيعِ، وَلَا هُوَ فِي السَّمَاءِ، أَصَحُّ مِنْ إِطْلَاقِ ذَلِكَ، وَأَدْنَى الْأَحْوَالِ أَنْ يَصِحَّ النَّفْيُ كَمَا يَصِحُّ الْإِطْلَاقُ الْمَجَازِيُّ. وَمَعْلُومٌ قَطْعًا أَنَّ إِطْلَاقَ هَذَا النَّفْيِ تَكْذِيبُ صَرِيحٍ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْإِطْلَاقَاتُ إِنَّمَا هِيَ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، لَمْ يَكُنْ فِي نَفْيِهَا مَحْذُورٌ، لَا سِيَّمَا وَنَفْيُهَا (عِنْدَ الْمُعْطَلَةِ) عَيْنُ التَّنْزِيهِ وَالتَّعْظِيمِ^(١).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُلُّ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ حَقِيقَةً، لَزِمَهُ جَوَازُ إِطْلَاقِ نَفْيِهِ. فَمَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةً، فَإِنَّهُ يَقُولُ: لَيْسَ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، كَمَا أَنَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ لَفْظَ الْأَسَدِ لِلرَّجُلِ الشُّجَاعِ وَالْحِمَارِ لِلْبَلِيدِ لَيْسَ بِحَقِيقَةٍ، فَإِنَّهُ يَلْزِمُهُ صِحَّةُ نَفْيِهِ. فَيَقُولُ: هَذَا

لَيْسَ بِأَسَدٍ، وَلَا بِحِمَارٍ، وَلَكِنَّهُ آدَمِيٌّ»^(١).

الثالث عشر:

إِنَّ الْجَهْمِيَّةَ الْمُعْطَلَّةَ مُعْتَرِفُونَ بِوَصْفِهِ تَعَالَى بِعُلُوِّ الْقَهْرِ وَعُلُوِّ الْقَدْرِ، وَإِنَّ ذَلِكَ كَمَالٌ لَا تَقْصُ، فَإِنَّهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، فَيُقَالُ: مَا أَثْبَتُمْ بِهِ هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ مِنَ الْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ، هُوَ بِعَيْنِهِ حُجَّةٌ خُصُومِكُمْ عَلَيْكُمْ فِي إِثْبَاتِ عُلُوِّ الذَّاتِ لَهُ ﷺ، وَمَا نَفَيْتُمْ بِهِ عُلُوِّ الذَّاتِ، يَلْزَمُكُمْ أَنْ تَنْفُوا بِهِ ذِينَكَ الْوَجْهَيْنِ مِنَ الْعُلُوِّ، فَأَحَدُ الْأَمْرَيْنِ لَا زِمَ لَكُمْ وَلَا بُدَّ، إِمَّا أَنْ تُثْبِتُوا لَهُ ﷺ الْعُلُوَّ الْمُطْلَقَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ذَاتًا وَقَهْرًا وَقَدْرًا، وَإِمَّا أَنْ تَنْفُوا ذَلِكَ كُلَّهُ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا نَفَيْتُمْ عُلُوَّ ذَاتِهِ ﷺ بِنَاءً عَلَى لُزُومِ التَّجْسِيمِ، وَهُوَ لَا زِمَ لَكُمْ فِيمَا أَثْبَتُمُوهُ مِنْ وَجْهِي الْعُلُوِّ، فَإِنَّ الذَّاتَ الْقَاهِرَةَ لِغَيْرِهَا الَّتِي هِيَ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ غَيْرِهَا، إِنْ لَمْ يُعْقَلْ كَوْنُهَا غَيْرَ جِسْمٍ لَزِمَ لَكُمْ التَّجْسِيمُ، وَإِنْ عُقِلَ كَوْنُهَا غَيْرَ جِسْمٍ؛ فَكَيْفَ لَا يُعْقَلُ أَنْ تَكُونَ الذَّاتُ الْعَالِيَةُ عَلَى سَائِرِ الذَّوَاتِ غَيْرَ جِسْمٍ؟! وَكَيْفَ لَزِمَ التَّجْسِيمُ مِنْ هَذَا الْعُلُوِّ، وَلَمْ يَلْزَمْ مِنْ ذَلِكَ الْعُلُوُّ؟!^(٢)

الرَّابِعُ عَشَرَ: لَوْ كَانَتْ فَوْقِيَّةُ الرَّبِّ ﷻ مَجَازًا لَا حَقِيقَةً لَهَا، وَأَنَّ الْحَقَّ فِي أَقْوَالِ الثُّفَاةِ الْمُعْطَلِينَ، وَأَنَّ تَأْوِيلَاتِهِمْ هِيَ الْمُرَادَةُ مِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ، يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَحَدُ مَحَاضِيرِ ثَلَاثَةِ، لَا بُدَّ مِنْهَا أَوْ مِنْ بَعْضِهَا، وَهِيَ: الْقَدْحُ فِي عِلْمِ الْمُتَكَلِّمِ بِهَا، أَوْ فِي بَيَانِهِ، أَوْ فِي نَصَحِهِ.

وَتَقْرِيرُ ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ:

إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُتَكَلِّمُ بِهَذِهِ النُّصُوصِ، عَالِمًا أَنَّ الْحَقَّ فِي تَأْوِيلَاتِ الثُّفَاةِ الْمُعْطَلِينَ، أَوْ لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ.

فَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ، كَانَ قَدْحًا فِي عِلْمِهِ.

وَإِنْ كَانَ عَالِمًا أَنَّ الْحَقَّ فِيهَا، فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى التَّعْبِيرِ بِعِبَارَاتِهِمْ - الَّتِي هِيَ تَنْزِيهُ لِّلَّهِ بِزَعْمِهِمْ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمثِيلِ وَالتَّجْسِيمِ، وَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ اللَّهُ مَنْ لَمْ يُنْزَهُ بِهَا - أَوْ لَا يَكُونُ قَادِرًا عَلَى تِلْكَ الْعِبَارَاتِ.

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَى التَّعْبِيرِ بِذَلِكَ، لَزِمَ الْقَدْحُ فِي فَصَاحَتِهِ، وَكَانَ وَرَثَةُ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ، أَفْصَحَ مِنْهُ، وَأَحْسَنَ بَيَانًا وَتَعْبِيرًا عَنِ الْحَقِّ.

وَإِنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ، وَتَكَلَّمَ دَائِمًا بِخِلَافِهِ وَمَا يَنَاقِضُهُ، كَانَ ذَلِكَ قَدْحًا فِي نُسُجِهِ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ رُسُلَهُ بِكَمَالِ النُّصْحِ وَالْبَيَانِ، فَقَالَ ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يَلْسَانُ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤]، وَقَالَ ﷺ: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]. وَأَخْبَرَ عَنْ رُسُلِهِ ﷺ بِأَنَّهُمْ أَنْصَحُ النَّاسِ لِأُمَمِهِمْ، قَالَ ﷺ: ﴿ يَقُومُ لَقَدْ أَبْلَغْنُكُمْ رَسُولَاتِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف: ٩٣]، وَقَالَ ﷺ: ﴿ وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وَقَالَ ﷺ: ﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٨].

فَمَعَ النُّصْحِ وَالْبَيَانِ وَالْمَعْرِفَةِ التَّامَّةِ، كَيْفَ يَكُونُ مَذْهَبُ النُّفَاقِ الْمُعْطَلَةِ، أَصْحَابِ التَّحْرِيفِ، هُوَ الصُّوَابُ، وَقَوْلُ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ، أَتْبَاعُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ بِاطِّلَافٍ^(١) قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَسَلِ الْمُعْطَلَّ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلَ تَقْضِي عَلَى التَّعْطِيلِ بِالْبُطْلَانِ
مَاذَا تَقُولُ أَكَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ هَذَا الرَّسُولُ حَقِيقَةَ الْعُرْفَانِ

أَمْ لَا وَهَلْ كَانَتْ نَصِيحَتُهُ لَنَا
 أَمْ لَا وَهَلْ حَارَ الْبَلَاغَةُ كُلُّهَا
 فَإِذَا انْتَهَتْ هَذِي الثَّلَاثَةُ فِيهِ كَا
 فِلَايِي شَيْءٍ عَاشَ فِينَا كَاتِمًا
 بَلْ مُفْصِحًا بِالضَّدِّ مِنْهُ حَقِيقَةً الـ
 وَلَايِي شَيْءٍ لَمْ يُصْرَحْ بِالَّذِي
 أَلْعَجَزَهُ عَنْ ذَاكَ أَمْ تَقْصِيرُهُ
 حَاشَاهُ بَلْ ذَا وَصْفُكُمْ يَا أُمَّةَ التَّ
 وَلَايِي شَيْءٍ كَانَ يَذْكُرُ ضِدًّا ذَا
 أَتَرَاهُ أَصْبَحَ عَاجِزًا عَنْ قَوْلِهِ اش
 كُلُّ النَّصِيحَةِ لَيْسَ بِالْخَوَانِ
 فَالْلَفْظُ وَالْمَعْنَى لَهُ طَوْعَانِ
 مِلَّةٌ مُبَرَّأَةٌ مِنَ النُّقْصَانِ
 لِلنَّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ فِي الْأَزْمَانِ
 إِنْصَاحٌ مُوَضَّحَةٌ بِكُلِّ بَيَانِ
 صَرَّحْتُمْ فِي رَبَّنَا الرَّحْمَنِ
 فِي النُّصْحِ أَمْ لِحَفَاءِ هَذَا الشَّانِ
 عَطِيلٌ لَا الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ
 فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ زَمَانِ
 تَوَلَّى وَيَنْزِلُ أَمْرُهُ وَفُلَانٌ^(١)

وَمَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ إِذَا كَانَ أَعْلَمَ الْخَلْقِ بِالْحَقِّ،
 وَكَانَتْ «نَصِيحَتُهُ لِأُمَّتِهِ كَامِلَةً تَامَّةً، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُسَاوِيَهُ فِيهَا أَحَدٌ،
 وَكَانَ فَصِيحًا بَلِيغًا مُقْتَدِرًا عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَعَانِي الْمَقْصُودَةِ
 بِالْأَلْفَاظِ الْجَلِيلَةِ الْفَصِيحَةِ -؛ فَمَعَانِي كَلَامِهِ أَجَلُ الْمَعَانِي، وَالْأَلْفَاظُ
 أَفْصَحُ الْأَلْفَاظِ - كَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُحَالِ أَنْ يَكْتُمَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ مِنَ الْعُلُوفِ
 وَالْفُوقِيَّةِ وَصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَيُفْصِحَ بِضِدِّ ذَلِكَ.

بَلْ لَمَّا كَانَ ﷺ كَامِلَ الْعِلْمِ بِرَبِّهِ وَبِدِينِهِ، فَهُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ
 وَأَخْشَاهُمْ لِرَبِّهِ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا؛ أَرْحَمُ بِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ
 وَأُمَّهَاتِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَأَبْلَغُ الْخَلْقِ وَأَقْدَرُهُمْ عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَعَانِي
 النَّافِعَةِ، عَلَّمَهُمْ ﷺ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ، وَقَدْ بَيَّنَ لِلنَّاسِ جَمِيعَ مَا

يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، خُصُوصًا الْأُمُورَ الْمُهِمَّةَ وَالْعَقَائِدَ الدِّينِيَّةَ وَالْأُصُولَ
الْإِيمَانِيَّةَ؛ فَلَوْ كَانَ الْحَقُّ فِيمَا يَقُولُهُ النَّفَّاءُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يُصَرِّحْ بِشَيْءٍ
مِنْهُ؛ بَلْ صَرَّحَ بِضِدِّهِ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ مَوْكُولاَ لِعُقُولِ النَّاسِ وَأَرَائِهِمْ
الضَّعِيفَةِ، لَزِمَ انْتِفَاءُ هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ كُلِّهَا، وَهَذَا لَا يَفُوهُ بِهِ مُسْلِمٌ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ»^(١).

وَفِي ذَلِكَ بَلَاغٌ لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَكِفَايَةٌ لِمَنْ اسْتَبَصَرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.
وَمَنْ تَدَبَّرَ مَا كَتَبْنَاهُ، وَأَعْطَى مِنْ قَلْبِهِ النُّصْفَةَ، وَأَعْرَضَ عَنْ هَوَاهُ، وَاسْتَمَعَ
وَأَصْغَى بِقَلْبٍ حَاضِرٍ، وَكَانَ مُسْتَرَشِدًا مُهْتَدِيًا، وَلَمْ يَكُنْ مُتَعَنِّتًا، وَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِنُورِ
الْيَقِينِ، عَرَفَ صِحَّةَ جَمِيعِ مَا قُلْنَاهُ، وَلَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ:
﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلِّلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]^(٢).



(١) «توضيح الكافية الشافية» (ص ٣٣٧ - ٣٣٨).

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٢٢٩ - ٢٣٠).

الرَّدُّ عَلَى مَنْ تَأَوَّلَ الْإِسْتِوَاءَ بِالِاسْتِيْلَاءِ

اعْلَمْ بِحِكْمِ اللَّهِ بِأَنَّهُ يَجِبُ قَبُولُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْخَبَرُ، إِذَا اجْتَمَعَتْ فِيهِ
أَوْصَافُ أَرْبَعَةٍ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ صَادِرًا عَنْ عِلْمٍ.

الثَّانِي: الصِّدْقُ.

الثَّالِثُ: الْبَيَانُ وَالْفَصَاحَةُ.

الرَّابِعُ: سَلَامَةُ الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ؛ بِأَنْ يُرِيدَ الْمُخْبِرُ هِدَايَةَ مَنْ أَخْبَرَهُمْ.

فَدَلِيلُ الْأَوَّلِ - وَهُوَ الْعِلْمُ - : قَوْلُهُ ﷺ: ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ؟﴾ [البقرة: ١٤٠]، وَقَوْلُهُ ﷺ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤) ﴿[النحل: ٧٤]. وَقَوْلُهُ ﷺ: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ٥٥]؛ فَهُوَ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ مِنْ غَيْرِهِ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِكَ مِنْ نَفْسِكَ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا سَيَكُونُ لَكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا؟

وَدَلِيلُ الْوَصْفِ الثَّانِي - الصِّدْقُ - : قَوْلُهُ ﷺ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وَقَوْلُهُ ﷺ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]؛ أَي: لَا أَحَدَ أَصْدَقُ مِنْهُ، فَأَصْدَقُ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ. وَالْكَلَامُ الصِّدْقُ يَتَّصِفُ بِمُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِلْوَاقِعِ؛ أَي: الْإِخْبَارُ عَنِ الْأُمُورِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، لَا عَلَى خِلَافِ مَا هِيَ عَلَيْهِ^(١). وَلَا شَيْءَ مِنَ الْكَلَامِ يُطَابِقُ الْوَاقِعَ كَمَا يُطَابِقُهُ

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ١٢٣).

كَلَامُ اللَّهِ ﷻ، فَكُلُّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ؛ فَهُوَ صِدْقٌ، بَلْ أَصْدَقُ مِنْ كُلِّ قَوْلٍ.

وَدَلِيلُ الْوَصْفِ الثَّالِثِ - الْبَيَانُ وَالْفَصَاحَةُ -: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وَحُسْنُ حَدِيثِهِ يَتَضَمَّنُ الْحُسْنَ اللَّفْظِيَّ وَالْمَعْنَوِيَّ.

وَدَلِيلُ الْوَصْفِ الرَّابِعِ - سَلَامَةُ الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ -: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]. وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

فَاجْتَمَعَ فِي كَلَامِ اللَّهِ ﷻ الْأَوْصَافُ الْأَرْبَعَةُ، الَّتِي تُوجِبُ قَبُولَ الْخَبَرِ.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَقْبَلَ كَلَامَهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَأَنْ لَا يَلْحَقَنَا شَكٌّ فِي مَدْلُولِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَذَا الْكَلَامِ لِأَجْلِ إِضْلَالِ الْخَلْقِ، بَلْ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ وَيَهْدِيَهُمْ، وَصَدَرَ كَلَامُ اللَّهِ ﷻ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ أَعْلَمِ الْقَائِلِينَ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعْتَرِيَهُ خِلَافُ الصِّدْقِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ كَلَامًا عَيِّيًّا غَيْرَ فَصِيحٍ، وَكَلَامُ اللَّهِ ﷻ لَوْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ؛ لَمَا اسْتَطَاعُوا؛ فَإِذَا اجْتَمَعَتِ هَذِهِ الْأُمُورُ الْأَرْبَعَةُ فِي الْكَلَامِ؛ وَجَبَ عَلَى الْمُخَاطَبِ الْقَبُولُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ^(١). وَأَنْ لَا يَتْرَكَ ذَلِكَ إِلَى قَوْلِ مَنْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَيَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ غَايَةُ الضَّلَالِ، وَمُنْتَهَى الْخِذْلَانِ^(٢).

وَمَنْ تَأَوَّلَ الْإِسْتِوَاءَ بِالِاسْتِيْلَاءِ «فَهَذَا - عِنْدَ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ -، بَاطِلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ؛ بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَالْإِلْحَادِ فِي

(١) انظر: «شرح العقيدة الواسطية» (ص ١٠٧ - ١٠٨)، للعلامة: ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «شرح العقيدة الواسطية» (ص ٧٥)، للعلامة: محمد خليل هراس رَحِمَهُ اللَّهُ.

أَسْمَاءُ اللَّهِ وَآيَاتِهِ»^(١). وَهَذَا يَتَبَيَّنُ مِنْ وَجُوهِ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْإِسْتِوَاءَ فِي اللَّغَةِ يُسْتَعْمَلُ عَلَى وَجُوهِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ مُطْلَقًا غَيْرَ مُقَيَّدٍ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ الْكَمَالُ كَقَوْلِهِ يَرْحَمُهُ:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [الفصص: ١٤]، وَهَذَا مَعْنَاهُ: كَمَلَ

وَتَمَّ. يُقَالُ: اسْتَوَى النَّبَاتُ وَاسْتَوَى الطَّعَامُ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَقْرُونًا بِ(الْوَاوِ)، فَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّسَاوِي، كَقَوْلِهِمْ:

اسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشَبَةُ. وَاسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ مَقْرُونًا بِ(إِلَى)، فَيَكُونُ الْمَعْنَى قَصْدَ إِلَيْهِ عُلُوًّا

وَارْتِفَاعًا، كَقَوْلِهِ سُبْحَانَكَ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩].

الرَّابِعُ: أَنْ يَكُونَ مَقْرُونًا بِ(عَلَى)، فَيَكُونُ بِمَعْنَى الْعُلُوِّ وَالْإِرْتِفَاعِ،

كَقَوْلِهِ سُبْحَانَكَ: ﴿لِاسْتَوَا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣]، وَقَوْلِهِ:

﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَاسْتَوَى عَلَى

سُوقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

هَذِهِ مَعَانِي الْإِسْتِوَاءِ الْمَعْقُولَةِ فِي كَلَامِهِمْ، لَيْسَ فِيهَا مَعْنَى (اسْتَوَى)

الْبَتَّةَ، وَلَا نَقْلَهُ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ اللَّغَةِ الَّذِينَ يُعْتَمَدُ قَوْلُهُمْ، وَإِنَّمَا قَالَهُ مُتَأَخِّرُو

النُّفَاةِ، مِمَّنْ سَلَكَ طَرِيقَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ.

الثَّانِي: أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ اسْتَدَلُّوا بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

قَدْ اسْتَوَى بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مُهْرَاقِ

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا الْبَيْتُ تَسَدَّلُ بِهِ الْجَهْمِيَّةُ عَلَى أَنَّ الْإِسْتِوَاءَ

عَلَى الْعَرْشِ بِمَعْنَى الْإِسْتِيلَاءِ، وَهَذَا مِنْ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَيْسَتْ

فِي بَيْتِ هَذَا النَّصْرَانِيِّ حُجَّةٌ وَلَا دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ بِاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ اسْتِيْلَاءَهُ عَلَيْهِ - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ عُلُوءًا كَبِيرًا -، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُقَالُ: اسْتَوْلَى عَلَى الشَّيْءِ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ عَاصِيًا عَلَيْهِ قَبْلَ اسْتِيْلَائِهِ عَلَيْهِ؛ كَاسْتِيْلَاءِ بَشْرٍ عَلَى الْعِرَاقِ، وَاسْتِيْلَاءِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ عَصْيَانِهَا عَلَيْهِ، وَعَرْشُ الرَّبِّ لَمْ يَكُنْ مُمْتَنِعًا عَلَيْهِ نَفْسًا وَاحِدًا، حَتَّى يُقَالَ: اسْتَوْلَى عَلَيْهِ، أَوْ مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ: الْإِسْتِيْلَاءُ، وَلَا تَجِدُ أَوْضَعَ مِنْ حُجَجِ الْجَهْمِيَّةِ، حَتَّى أَذَاهُمْ الْإِفْلَاسُ مِنَ الْحُجَجِ إِلَى بَيْتِ هَذَا النَّصْرَانِيِّ الْمَقْبُوحِ، وَلَيْسَ فِيهِ حُجَّةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

وَقَدْ أَشَدَّ فِيهِمُ الْمُنْشَدُ:

قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْقُرْآنَ وَرَاءَهُ فَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ^(٢)
الْثَالِثُ: أَنَّ أَهْلَ اللُّغَةِ لَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ، أَنْكَرُوهُ غَايَةَ الْإِنْكَارِ، وَلَمْ يَجْعَلُوهُ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ.

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ - وَقَدْ سُئِلَ: هَلْ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ ﴿اسْتَوْلَى﴾؛ بِمَعْنَى: اسْتَوْلَى؟ - فَقَالَ: لَا تَعْرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ. وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ أَيْمَةِ اللُّغَةِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ هَذَا تَفْسِيرٌ لِكَلَامِ اللَّهِ بِالرَّأْيِ الْمُجَرَّدِ الَّذِي لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ صَاحِبٌ وَلَا تَابِعٌ، وَلَا قَالَهُ إِمَامٌ مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ الَّذِينَ يَحْكُونَ أَقْوَالَ السَّلَفِ.

الْخَامِسُ: أَنَّ إِحْدَاثَ الْقَوْلِ فِي تَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ السَّلَفُ وَالْأَيْمَةُ عَلَى خِلَافِهِ، يَسْتَلْزِمُ أَحَدَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ خَطَأً فِي نَفْسِهِ، أَوْ تَكُونَ أَقْوَالُ السَّلَفِ الْمُخَالِفَةَ لَهُ خَطَأً، وَلَا يَشْكُ عَاقِلٌ أَنَّهُ

أُولَى بِالْغَلَطِ وَالْخَطَا مِنْ قَوْلِ السَّلَفِ.

السَّادِسُ:

أَنَّهُ أَتَى بِلَفْظَةٍ (ثُمَّ) الَّتِي حَقِيقَتُهَا التَّرْتِيبُ وَالْمُهْلَةُ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَاهُ الْقُدْرَةُ عَلَى الْعَرْشِ وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَيْهِ؛ لَمْ يَتَأَخَّرْ ذَلِكَ إِلَى مَا بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّ الْعَرْشَ كَانَ مَوْجُودًا قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ، كَمَا ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(١). وَقَالَ ﷺ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ [هود: ٧]، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ قَادِرٍ وَلَا مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ، إِلَى أَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟!

السَّابِعُ:

أَنَّ الْقَائِلَ بِأَنَّ مَعْنَى (اسْتَوَى) بِمَعْنَى (اسْتَوَى) شَاهِدٌ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ أَرَادَ بِكَلَامِهِ هَذَا الْمَعْنَى، وَهَذِهِ شَهَادَةٌ لَا عِلْمَ لِقَائِلِهَا بِمَضْمُونِهَا، بَلْ هِيَ قَوْلٌ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ، وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْكَلَامَ بِلَا عِلْمٍ مُطْلَقًا، وَخَصَّ الْقَوْلَ عَلَيْهِ بِلَا عِلْمٍ بِالنَّهْيِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الَّذِي يَأْمُرُ بِالْقَوْلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ هُوَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ ﷺ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وَقَالَ ﷺ: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٩]، وَقَالَ ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوْحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]. فَلَوْ كَانَ اللَّفْظُ مُحْتَمِلًا لَهَا فِي اللَّغَةِ وَهِيَ هَاتِ!! لَمْ يَجُزْ أَنْ يَشْهَدَ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ أَرَادَ هَذَا الْمَعْنَى، بِخِلَافِ مَنْ أَخْبَرَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ أَرَادَ الْحَقِيقَةَ وَالظَّاهِرَ، فَإِنَّهُ شَاهِدٌ بِمَا أَجْرَى اللَّهُ ﷻ عَادَتَهُ مِنْ خِطَابِ خَلْقِهِ بِحَقَائِقِ لُغَتِهِمْ وَظَوَاهِرِهَا؛ كَمَا قَالَ ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [إبراهيم: ٤].

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

فَإِذَا كَانَ الْإِسْتِوَاءُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ مَعْلُومًا، كَانَ هُوَ الْمُرَادُ؛ لِكَوْنِ الْخِطَابِ بِلِسَانِهِمْ، وَهُوَ الْمُقْتَضِي لِقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا خَاطَبَهُمْ بِغَيْرِ مَا يَعْرِفُونَهُ، كَانَ بِمَنْزِلَةِ خِطَابِ الْعَرَبِيِّ بِالْعَجَمِيَّةِ.

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ الْمُتَأَوَّلَ يَجْمَعُ بَيْنَ وَصْفِ اللَّهِ تَعَالَى بِصِفَةٍ مَا وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ وَلَا أَضَافَهَا إِلَيْهِ، وَبَيْنَ نَفْيِ صِفَةٍ أَضَافَهَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ.

فَإِذَا قَالَ: مَعْنَى اسْتَوَى «اسْتَوَى»، فَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِالِاسْتِيْلَاءِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَصِفْ بِذَلِكَ نَفْسَهُ، وَنَفَى صِفَةَ الْإِسْتِوَاءِ مَعَ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ لَهَا فِي الْقُرْآنِ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ. أَفَمَا كَانَ اللَّهُ ﷻ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَقُولَ: «اسْتَوَى»، حَتَّى جَاءَ الْمُتَكَلِّفُ الْمُتَأَوَّلُ فَتَطَرَّفَ وَتَحَكَّمَ عَلَى اللَّهِ ﷻ وَعَلَى رَسُولِهِ؟! تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلوًّا كَبِيرًا! (١)

الثَّامِنُ: أَنَّهُ لَا يُقَالُ لِمَنْ اسْتَوَى عَلَى بَلَدَةٍ، وَلَمْ يَدْخُلْهَا وَلَمْ يَسْتَقِرَّ فِيهَا، بَلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بُعْدٌ كَثِيرٌ: إِنَّهُ قَدْ اسْتَوَى عَلَيْهَا، فَلَا يُقَالُ: اسْتَوَى أَبُو بَكْرٍ عَلَى الشَّامِ، وَلَا اسْتَوَى عُمَرُ عَلَى مِصْرَ وَالْعِرَاقِ، وَلَا قَالَ أَحَدٌ قَطُّ: اسْتَوَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْيَمَنِ، مَعَ أَنَّهُ اسْتَوَى خُلَفَاؤُهُ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ، وَلَمْ يَزَلِ الشُّعْرَاءُ يَمْدَحُونَ الْمُلُوكَ وَالْخُلَفَاءَ بِالْفُتُوحَاتِ، فَلَمْ يُسْمَعْ عَنْ قَدِيمٍ مِنْهُمْ جَاهِلِيٍّ وَلَا إِسْلَامِيٍّ وَلَا مُحَدِّثٍ، أَنَّهُ مَدَحَ أَحَدًا قَطُّ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْبَلَدِ الْفُلَانِيِّ الَّذِي فَتَحَهُ وَاسْتَوَى عَلَيْهِ، فَهَذِهِ دَوَائِبُهُمْ وَأَشْعَارُهُمْ مَوْجُودَةٌ.

التَّاسِعُ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْإِسْتِوَاءُ بِمَعْنَى الْمُلْكِ وَالْقَهْرِ؛ لَجَازَ أَنْ يُقَالَ: اسْتَوَى عَلَى ابْنِ آدَمَ وَعَلَى الْجَبَلِ وَعَلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَعَلَى الْبَحْرِ وَالشَّجَرِ وَالِدَّوَابِّ، وَهَذَا لَا يُطْلَقُ مُسْلِمٌ. «وَلَا اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ

(١) «تحریم النظر في كتب الكلام» (ص ٥٣)، للإمام: موفق الدين ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ.

المُسْلِمِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُوجَدُ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، كَمَا اسْتُعْمِلَ لَفْظُ الرُّبُوبِيَّةِ فِي الْعَرْشِ خَاصَّةً ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ عَامَّةً ﴿رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وَكَذَلِكَ لَفْظُ الْخَلْقِ وَنَحْوُهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تُخَصُّ وَتُعَمُّ، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝﴾ [العلق: ١، ٢]؛ فَالِاسْتِثْنَاءُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْعَرْشِ، لَا تُضَافُ إِلَى غَيْرِهِ، لَا خُصُوصًا وَلَا عُمُومًا^(١).

الْعَاشِرُ: أَنَّهُ إِذَا فُسِّرَ الْإِسْتِثْنَاءُ بِالْغَلْبَةِ وَالْقَهْرِ؛ عَادَ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَاتِ كُلُّهَا إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْلَمَ عِبَادَهُ بِأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، ثُمَّ غَلَبَ الْعَرْشَ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَهَرَهُ وَحَكَمَ عَلَيْهِ، أَفَلَا يَسْتَجِي مِنَ اللَّهِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى وَقَارٍ لِلَّهِ وَلِكَلَامِهِ أَنْ يَنْسِبَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ أَرَادَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝﴾ [طه: ٥]؛ أَي: اْعْلَمُوا يَا عِبَادِي أَنِّي بَعْدَ فَرَاجِي مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، غَلَبْتُ عَرْشِي وَقَهَرْتُهُ وَاسْتَوْلَيْتُ عَلَيْهِ؟!

الْحَادِي عَشَرَ: أَنَّ أَئِمَّةَ السُّنَّةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ تَفْسِيرَ الْإِسْتِثْنَاءِ بِالِاسْتِثْلَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُتَلَقَّى عَنِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَرِئَةِ وَالْخَوَارِجِ.. فَلَا يَجُوزُ الْعُدُولُ عَنْ تَفْسِيرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ إِلَى تَفْسِيرِهِمْ.

الثَّانِي عَشَرَ: أَنَّ الْإِسْتِثْلَاءَ يَكُونُ مَعَ مُزَايَلَةِ الْمُسْتَوْلِي لِلْمُسْتَوْلَى عَلَيْهِ وَمُفَارَقَتِهِ؛ كَمَا يُقَالُ: اسْتَوْلَى عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ عَلَى خُرَاسَانَ، وَاسْتَوْلَى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَاسْتَوْلَى الْجَوَادُ عَلَى الْأَمَدِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَلَا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ سَبَقَ الْجَوَادُ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الْأَمَدِ

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٧٦/١٧).

فَجَعَلَهُ مُسْتَوْليًا عَلَيْهِ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ لَهُ وَقَطَعَ مَسَافَتِهِ، وَالِاسْتِوَاءُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ مُجَاوَرَةِ الشَّيْءِ الَّذِي يُسْتَوَى عَلَيْهِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤] ﴿لِاسْتَوَا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وَهَكَذَا فِي جَمِيعِ مَوَارِدِهِ فِي اللُّغَةِ الَّتِي خُوطِبْنَا بِهَا، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: اسْتَوَى عَلَى الدَّابَّةِ وَالسَّطْحِ إِذَا نَزَلَ عَنْهَا وَفَارَقَهَا؛ كَمَا يُقَالُ: اسْتَوَلَى عَلَيْهَا، هَذَا عَكْسُ اللُّغَةِ وَقَلْبُ الْحَقَائِقِ، وَهَذَا قَطْعِيٌّ بِحَمْدِ اللَّهِ.

الثَّالِثُ عَشَرَ:

أَنَّ نَقْلَ مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ وَحَقِيقَتِهِ كَنَقْلِ لَفْظِهِ، بَلْ أَبْلَغُ فَإِنَّ الْأُمَّةَ كُلَّهَا تَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الرَّسُولَ أَخْبَرَ عَنْ رَبِّهِ بِأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ، مَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ مِنْهُمْ وَمَنْ لَا يَحْفَظُهُ، وَهَذَا الْمَعْنَى عِنْدَهُمْ كَمَا قَالَ مَالِكٌ وَأَيْمَةُ السُّنَّةِ: الْإِسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، كَمَا أَنَّ مَعْنَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْقُدْرَةِ وَالْحَيَاةَ وَالْإِرَادَةَ وَسَائِرَ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ مَعْلُومٌ، وَإِنْ كَانَتْ كَيْفِيَّتُهُ غَيْرَ مَعْلُومَةٍ لِلْبَشَرِ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُخَاطَبُوا بِالْكَيفِيَّةِ، وَلَمْ يُرَدَّ مِنْهُمْ الْعِلْمُ بِهَا، فَاخْرَاجُ الْإِسْتِوَاءِ عَنْ حَقِيقَتِهِ الْمَعْلُومَةِ؛ كَانْكَارِ وَرُودِ لَفْظِهِ؛ بَلْ أَبْلَغُ، وَهَذَا مِمَّا يُعْلَمُ أَنَّهُ مُنَاقِضٌ لِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ.

الرَّابِعُ عَشَرَ:

أَنَّ اللَّهَ ﷻ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ بَيَّنَّ لِعِبَادِهِ غَايَةَ الْبَيَانِ - وَبَيَّانَ الرَّبِّ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ بَيَانٍ -، وَأَمَرَ رَسُولَهُ بِالْبَيَانِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ، وَقَدْ فَعَلَ ﷺ مَا عَلَيْهِ، وَفَعَلَ رَسُولُهُ مَا عَلَيْهِ، فَمَاذَا نَشَأُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَ بِمَا عَلَيْنَا، كَمَا قَالَ الرَّهْرِيُّ: «مِنْ اللَّهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ»^(١).

فَهَذَا الْبَيَانُ الَّذِي تَكْفَّلَ بِهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِهِ رَسُولُهُ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ [قَبْلَ الْحَدِيثِ (٧٥٣٠)]، مَعْلَقًا مَجْزُومًا بِهِ.

بِهِ بَيَانَ اللَّفْظِ وَحَدَهُ، أَوْ الْمَعْنَى وَحَدَهُ، أَوْ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ بَيَانَ اللَّفْظِ دُونَ الْمَعْنَى، فَإِنَّ هَذَا لَا فَايْدَةَ فِيهِ، وَلَا يَحْصُلُ بِهِ مَقْصُودُ الرَّسَالَةِ^(١)، بَلْ كَانَ تَرْكُهُ أَنْفَعَ مِنَ الْإِيتْيَانِ بِهِ؛ فَإِنَّ الْإِيتْيَانِ بِهِ إِنَّمَا حَصَلَ مِنْهُ إِبْهَامُ الْمُحَالِ وَالتَّشْبِيهِ، وَأَوْقَعَ الْأُمَّةَ فِي اعْتِقَادِ الْبَاطِلِ. وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا إِذَا نُسِبَ إِلَى آحَادِ النَّاسِ، كَانَ ذَمُّهُ أَقْرَبَ مِنْ مَدْحِهِ؛ فَكَيْفَ يَلِيقُ نِسْبَتُهُ إِلَى مَنْ كَلَامُهُ هُدًى وَشِفَاءٌ، وَبَيَانٌ وَرَحْمَةٌ؟ هَذَا مِنْ أَمَحَلِ الْمُحَالِ^(٢)؛ بَلْ كَانَتْ عِنَايَتُهُ بِبَيَانِ الْمَعْنَى أَشَدَّ مِنْ عِنَايَتِهِ بِبَيَانِ اللَّفْظِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي، فَإِنَّ الْمَعْنَى هُوَ الْمَقْصُودُ، وَأَمَّا اللَّفْظُ فَوَسِيلَةٌ إِلَيْهِ وَدَلِيلٌ عَلَيْهِ، فَكَيْفَ تَكُونُ عِنَايَتُهُ بِالْوَسِيلَةِ أَهَمَّ مِنْ عِنَايَتِهِ بِالْمَقْصُودِ؟ وَكَيْفَ نَتَيَقَّنُ بَيَانَهُ لِلْوَسِيلَةِ، وَلَا نَتَيَقَّنُ بَيَانَهُ لِلْمَقْصُودِ؟ وَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ أُبَيْنِ الْمُحَالِ؟!

الخامس عشر: أَنَّ اللَّهَ ﷻ ذَمُّ الْمُحَرِّفِينَ لِلْكَلِمِ، وَالتَّحْرِيفُ نَوْعَانِ: تَحْرِيفُ اللَّفْظِ، وَتَحْرِيفُ الْمَعْنَى.

أَمَّا فِي اللَّفْظِ، فَمِثَالُهُ نَصَبُ اسْمِ الْجَلَالَةِ بَدَلَ رَفْعِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، لِيَكُونَ التَّكْلِيمُ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَأَمَّا فِي الْمَعْنَى؛ كَتَحْرِيفِ مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ إِلَى الْإِسْتِيلَاءِ.

وَلَوْ تَدَبَّرَ الْمُشْتَغِلُونَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ كِتَابَ اللَّهِ، لَمَنَعُهُمْ ذَلِكَ مِنْ تَبْدِيلِ الْإِسْتِوَاءِ بِالْإِسْتِيلَاءِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٥٩) [البقرة: ٥٩]. وَيَقُولُ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ (١١٦) [الأعراف: ١٦٢]، فَالْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ اللَّهُ لَهُمْ، هُوَ قَوْلُهُ: حِطَّةٌ، فَقَالُوا:

حِنْطَةٌ وَهِيَ الْقَمْحُ. «فَلَقُوا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَقُوا - وَإِنَّمَا زَادُوا حَرْفًا فِي الْكَلِمَةِ - يُعْرِفُهُمْ أَنَّ الزِّيَادَةَ فِي الدِّينِ، وَالْإِبْتِدَاعَ فِي الشَّرْعِ عَظِيمُ الْخَطَرِ.

وَإِذَا كَانَ تَغْيِيرُ كَلِمَةٍ فِي بَابِ التَّوْبَةِ - وَذَلِكَ أَمْرٌ يَرْجِعُ إِلَى الْمَخْلُوقِ -، يُوْجِبُ كُلَّ ذَلِكَ الْعَذَابِ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِتَغْيِيرِ مَا هُوَ خَبَرٌ عَنْ صِفَاتِ الْمَعْبُودِ؟» (١).

وَأَهْلُ التَّأْوِيلِ قِيلَ لَهُمْ: عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. فَزَادُوا لَأَمَّا فَقَالُوا: اسْتَوَى. وَهَذِهِ اللَّامُ الَّتِي زَادُوهَا، أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالنُّونِ الَّتِي زَادَهَا الْيَهُودُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَمَرَ الْيَهُودُ أَنْ يَقُولُوا حِطَّةً	فَأَبَوْا وَقَالُوا حِنْطَةٌ لَهُوَ
وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ قِيلَ لَهُ اسْتَوَى	فَأَبَى وَزَادَ الْحَرْفَ لِلنُّقْصَانِ
قَالَ اسْتَوَى اسْتَوَى وَذَا مِنْ جَهْلِهِ	لُغَةً وَعَقْلًا مَا هُمَا سَيَّانِ
نُونُ الْيَهُودِ وَلَامُ جَهْمِيِّ هُمَا	فِي وَخِي رَبِّ الْعَرْشِ زَائِدَتَانِ
وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ عَطَّلَ وَصْفَهُ	وَيَهُودٌ قَدْ وَصَفُوهُ بِالنُّقْصَانِ
فَهُمَا إِذَا فِي نَفْسِهِمَا لِصِفَاتِهِ	عُلْيَا كَمَا بَيَّنَّنْتُهُ أَخَوَانِ (٢)

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ بَدَّلَ اسْتَوَى بِ(اسْتَوَى)، لَمْ يَتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَعَلَيْهِ أَنْ يَجْتَنِبَ التَّبْدِيلَ وَيَخَافَ الْعَذَابَ الْعَظِيمَ، الَّذِي خَافَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. لَوْ عَصَى اللَّهُ فَبَدَّلَ قُرْآنًا بغيره، الْمَذْكُورَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

وَأَهْلُ [التَّحْرِيفِ] لَمْ يُنْكِرُوا أَنَّ كَلِمَةَ الْقُرْآنِ هِيَ اسْتَوَى، وَلَكِنْ

حَرَفُوهَا وَقَالُوا فِي مَعْنَاهَا: اسْتَوَلَى، وَإِنَّمَا أَبَدَلُوهَا بِهَا؛ لِأَنَّهَا أَصْلَحَ فِي زَعْمِهِمْ مِنْ لَفْظِ كَلِمَةِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ الْقُرْآنِ تُوهِمُ غَيْرَ اللَّائِقِ، وَكَلِمَةُ اسْتَوَلَى فِي زَعْمِهِمْ هِيَ الْمُنْزَهَةُ اللَّائِقَةُ بِاللَّهِ، مَعَ أَنَّهُ لَا يُعْقَلُ تَشْبِيهُ أَشْنَعُ مِنْ تَشْبِيهِ اسْتِيلَاءِ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ الْمَزْعُومِ، بِاسْتِيلَاءِ بَشَرٍ عَلَى الْعِرَاقِ.

وَلَيْسَ بِلَائِقٍ قَطْعًا، إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ الْإِسْتِيلَاءَ الْمَزْعُومَ مُنْزَهَةً، عَنْ مُشَابَهَةِ اسْتِيلَاءِ الْخَلْقِ، مَعَ أَنَّهُ ضَرَبَ لَهُ الْمَثَلَ بِاسْتِيلَاءِ بَشَرٍ عَلَى الْعِرَاقِ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤) ﴿[النحل: ٧٤].

وَنَحْنُ نَقُولُ: أَيُّهَا الْمُؤَوَّلُ هَذَا التَّأْوِيلُ، نَحْنُ نَسْأَلُكَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَنْزِيهِ أَحَدِ اللَّفْظَيْنِ؛ أَعْنِي: لَفْظُ: ﴿اسْتَوَى﴾ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ الْمَلَكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قُرْآنًا يُتْلَى، كُلُّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ أَنْكَرَ أَنَّهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كَفَرَ. وَلَفْظَةُ اسْتَوَلَى الَّتِي جَاءَ بِهَا قَوْمٌ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى نَصٍّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا سُنَّةَ رَسُولِهِ، وَلَا قَوْلِ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ. فَأَيُّ الْكَلِمَتَيْنِ أَحَقُّ بِالتَّنْزِيهِ فِي رَأْيِكَ؟^(١)

وَالظَّاهِرُ أَنَّكَ سَتَضْطَرُّ إِلَى أَنْ تَقُولَ: إِنَّ كَلَامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَحَقُّ بِالتَّنْزِيهِ مِنْ كَلَامِ جَاءَ بِهِ نَاسٌ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى دَلِيلٍ مِنْ نَقْلِ وَلَا عَقْلِ، إِلَّا إِذَا كُنْتَ مُكَابِرًا، وَالْمُكَابِرُ لَا دَاعِيَ لِلْكَلامِ مَعَهُ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (١٠٤) ﴿[الأنعام: ١٠٤].^(٢)

وَهَذِهِ الْوُجُوهُ كَافِيَةٌ شَافِيَةٌ نَافِعَةٌ لِمَنْ أَرَادَ الْهِدَايَةَ.

وَنَخْتِمُ هَذَا الْفَصْلَ بِنُقْطَتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُؤَوَّلِينَ أَنْ يَتَأَمَّلُوا آيَةَ مِنْ «سُورَةِ الْفُرْقَانِ»، وَهِيَ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]،
وَيَتَأَمَّلُوا مَعَهَا قَوْلَهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ فَاطِرٍ: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].
فَإِنَّ قَوْلَهُ فِي الْفُرْقَانِ: ﴿فَسَلَّ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، بَعْدَ قَوْلِهِ:
﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]، يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً: أَنَّ اللَّهَ الَّذِي وَصَفَ نَفْسَهُ
بِـ«الِاسْتِوَاءِ»، خَبِيرٌ بِمَا يَصِفُ بِهِ نَفْسَهُ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ الصِّفَةُ اللَّائِقَةُ مِنْ غَيْرِهَا.
وَيَفْهَمُ مِنْهُ: أَنَّ الَّذِي يَنْفِي عَنْهُ «صِفَةُ الْإِسْتِوَاءِ»، لَيْسَ بِخَبِيرٍ، نَعَمْ هُوَ وَاللَّهُ
لَيْسَ بِخَبِيرٍ^(١).

الثَّانِيَّةُ: إِنَّ السَّلَفِيِّينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ
الْعَرْشِ؟ قَالُوا: قَالَ اللَّهُ ﷻ كَذًا، وَقَالَ رَسُولُهُ ﷺ كَذًا. وَأَنْتُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ:
مَا الدَّلِيلُ عَلَى تَفْسِيرِ الْإِسْتِوَاءِ بِالِاسْتِيْلَاءِ؟ قُلْتُمْ: قَالَ الْأَخْطَلُ:
اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ...

بَنَيْتُمْ مَذْهَبَكُمْ عَلَى بَيْتِ شَعْرِ مِنْ قَوْلِهِ، وَتَرَكْتُمُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ؟!
وَهَذَا قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ نَبْهَانٍ بِه تَنْبِيْهَا، يَعْلَمُ بِهِ اللَّيْبُ مَا وَرَاءَهُ. وَإِلَّا لَوْ
أَعْطَيْنَا هَذَا الْمَوْضِعَ حَقَّهُ - وَهِيَ هَاتِ أَنْ يَصِلَ إِلَى ذَلِكَ عِلْمُنَا، أَوْ قُدْرَتُنَا -،
لَكُنَّا فِيهِ عِدَّةَ أَسْفَارٍ، وَكَذَا كُلُّ وَجْهِ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ، فَإِنَّهُ لَوْ بُسِطَ وَفُصِّلَ
لَا حَتَمَلٌ سِفْرًا أَوْ أَكْثَرَ^(٢).

فَعَلَى الْمُتَأَوَّلِ أَنْ يُجِيبَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ! وَهِيَ هَاتِ لَهُ بِجَوَابٍ صَحِيحٍ عَنْ
بَعْضِ ذَلِكَ!



(١) «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات» (ص ٨٨)، للعلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «الصواعق» (ص ٩١٧).

وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ الَّتِي نَزَلَ بِذِكْرِهَا الْقُرْآنُ، وَوَرَدَتْ بِهَا الْأَخْبَارُ الصَّحَاحُ... مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ بِصِفَاتِ الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ، بَلْ يَنْتَهُونَ فِيهَا إِلَى مَا قَالَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَهُ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ عَلَيْهِ، وَلَا إِضَافَةٍ إِلَيْهِ، وَلَا تَكْيِيفٍ لَهُ، وَلَا تَشْبِيهِ، وَلَا تَحْرِيفٍ، وَلَا تَبْدِيلٍ، وَلَا تَغْيِيرٍ، وَلَا إِزَالَةٍ لِلْفِظِ الْخَبَرِ عَمَّا تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ وَتَضَعُهُ عَلَيْهِ بِتَأْوِيلٍ مُنْكَرٍ، وَيُجْرُونَهُ عَلَى الظَّاهِرِ (٢).

وَمَنْ تَأَوَّلَ النُّزُولَ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ فَجَعَلَهُ مَجَازًا، أَوْ تَأَوَّلَهُ بِنُزُولِ مَلَكٍ

(١) راجع: «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص ٢٦ - ٢٧).

(٢) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص ٢٨).

مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ نُزُولِ أَمْرِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ. فَإِنْ أَرَادَ أَنَّهُ سَيُنْزِلُ إِذَا نَزَلَ وَأَتَى حَلَّتْ رَحْمَتُهُ وَأَمْرُهُ، فَهَذَا حَقٌّ؛ وَإِنْ أَرَادَ أَنَّ النُّزُولَ لِلرَّحْمَةِ وَالْأَمْرِ لَيْسَ إِلَّا، فَهُوَ بَاطِلٌ مِنْ وُجُوهِ:

(أَحَدُهَا:) أَنَّ أَمْرَهُ وَرَحْمَتَهُ وَمَلَائِكَتَهُ دَائِبًا تَنْزِلُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ، فَمَا بَالُ ثُلُثِ اللَّيْلِ خُصَّ بِنُزُولِ رَحْمَتِهِ وَأَمْرِهِ مِنْ بَيْنِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؟^(١)

قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَجِيءُ رَبُّنَا بِجَلَالِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا وَيَهْبِطُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَيَنْزِلُ إِلَيْهَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَلَا نَقُولُ: مَعْنَى ذَلِكَ: يَنْزِلُ أَمْرُهُ؛ بَلْ نَقُولُ: أَمْرُهُ نَازِلٌ إِلَيْهَا كُلِّ لَحْظَةٍ وَسَاعَةٍ وَإِلَى غَيْرِهَا مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ الْمَوْجُودِينَ مَا دَامَتْ مَوْجُودَةً. وَلَا تَخْلُو سَاعَةٌ مِنْ أَمْرِهِ؛ فَلَا وَجَهَ لِيُخْصِصَ نُزُولُ أَمْرِهِ إِلَيْهَا وَقْتًا دُونَ وَقْتٍ، مَا دَامَتْ مَوْجُودَةً بَاقِيَةً^(٢).

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ: إِنَّهُ يَنْزِلُ أَمْرُهُ وَتَنْزِلُ رَحْمَتُهُ وَنِعْمَتُهُ. وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ لِأَنَّ أَمْرَهُ بِمَا شَاءَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَنِقْمَتِهِ يَنْزِلُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِلا تَوْقِيتٍ ثُلُثِ اللَّيْلِ وَلَا غَيْرِهِ»^(٣).

وَقَالَ ابْنُ خَزِيمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِنَّهُ تَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ عِلْمَهُ يَنْزِلُ أَوْ أَمْرُهُ ضَلَّ»^(٤).

وَقَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَنَّهُ تَعَالَى يَنْزِلُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ أَدْنَبَ وَأَخْطَأَ وَأَجْرَمَ وَعَصَى لِمَنْ يَخْتَارُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَشَاءُ، ﷻ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، لَا

(١) «نقض عثمان بن سعيد» (ص ٢٨٢).

(٢) «التبصير في معالم الدين» (ص ١٤٢ - ١٤٧)، طبعة دار العاصمة، ١٤١٦ هـ.

(٣) «الاستذكار» (٨/ ١٤٨). (٤) «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٧٢٨).

بِمَعْنَى نُزُولِ الرَّحْمَةِ وَثَوَابِهِ، عَلَى مَا ادَّعَتْهُ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْأَشْعَرِيَّةُ^(١).

الثاني: الرَّحْمَةُ الَّتِي تُثَبِّتُهَا إِنْ نَزَلَتْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، لَمْ يُمَكِّنْ أَنْ يَقُولَ: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟»، كَمَا لَا يُمَكِّنُ الْمَلِكُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ... ثُمَّ إِذَا نَزَلَتْ الرَّحْمَةُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَنْزِلْ إِلَيْنَا، فَأَيُّ مَنْفَعَةٍ لَنَا فِي ذَلِكَ؟^(٢)

الثالث: أَنَّ أَلْفَاظَ الْحَدِيثِ تُبْطِلُ التَّأْوِيلَ بِنُزُولِ الْمَلِكِ، فِيهِ بَعْضُ الرُّوَايَاتِ: أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى يَقُولُ إِذَا نَزَلَ: «أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟!»^(٣)، وَفِي بَعْضِهَا أَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: «لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي»^(٤)، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ.

قَالَ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيُّ: «وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ يَقْطَعَانِ تَأْوِيلَ كُلِّ مُتَأَوِّلٍ، وَيَدْحَضَانِ حُجَّةَ كُلِّ مُبْطِلٍ»^(٥).

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْكَلَامَ الْمَذْكُورَ فِي الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَقُولُهُ غَيْرُهُ، فَإِنَّ الْمَلِكَ لَا يَقُولُ: «لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي»، وَلَا يَقُولُ: «مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ؟». بَلِ الَّذِي يَقُولُ الْمَلِكُ: مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ، فَيُحِبُّهُ

(١) «الغنية» (٥٧/١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/٣٧٢ - ٣٧٣).

(٣) أخرجه مسلم [١٦٩ - (٧٥٨)]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (٤٧٥)، والدارمي (١٤٨١ و ١٤٨٢)، وأحمد (١٦/٤ -

١٧) (١٦٢٦٥ و ١٦٢٦٨)، وابن حبان «الإحسان» (٢١٢) عن رِفاعَةَ بنِ عَرَابَةَ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه،

وقال الألباني رحمته الله في «إرواء الغليل» (١٩٨/٢): «وهذا سند صحيح رجاله ثقات رجال

الشيخين». ورواه ابن ماجه (١٣٦٧) بلفظ: «لَا يَسْأَلُنَّ عِبَادِي غَيْرِي»، وصححه الألباني رحمته الله

في «صحيح سنن ابن ماجه» (١١٣٣).

(٥) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ١٠٦).

أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ...»^(١).

فَالْمَلَكُ إِذَا نَادَى عَنِ اللَّهِ لَا يَتَكَلَّمُ بِصِغَةِ الْمُخَاطَبِ، بَلْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِكَذَا وَقَالَ بِكَذَا. وَإِذَا أَمَرَ السُّلْطَانُ مُنَادِيًا يُنَادِي فَإِنَّهُ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ النَّاسِ! أَمَرَ السُّلْطَانُ بِكَذَا، وَنَهَى عَنْ كَذَا، وَرَسَمَ بِكَذَا، لَا يَقُولُ: أَمَرْتُ بِكَذَا، وَنَهَيْتُ عَنْ كَذَا، بَلْ لَوْ قَالَ ذَلِكَ بُودِرَ إِلَى عُقُوبَتِهِ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُ قَالَ: «يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يُجِيبُ الدُّعَاءَ، وَيَغْفِرُ الذُّنُوبَ، وَيُعْطِي كُلَّ سَائِلٍ إِلَّا اللَّهَ، وَأَمْرُهُ وَرَحْمَتُهُ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

الخَامِسُ: نَزُولُ أَمْرِهِ وَرَحْمَتِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْهُ، وَحِينَئِذٍ فَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ هُوَ فَوْقَ الْعَالَمِ، فَنَفْسُ تَأْوِيلِهِ يُبْطِلُ مَذْهَبَهُ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ النُّفَاةِ لِبَعْضِ الْمُثْبِتِينَ: يَنْزِلُ أَمْرُهُ وَرَحْمَتُهُ، فَقَالَ لَهُ الْمُثْبِتُ: فِمَنْ يَنْزِلُ؟! مَا عِنْدَكَ فَوْقَ الْعَالَمِ شَيْءٌ، فِمَنْ يَنْزِلُ الْأَمْرُ؟ مِنَ الْعَدَمِ الْمَحْضِ!! فَبُهِتَ النَّافِي، وَكَانَ كَبِيرًا فِيهِمْ^(٢).

قَالَ الْإِمَامُ الدَّارِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْحَدِيثُ نَفْسُهُ يُبْطِلُ هَذَا التَّفْسِيرَ وَيَكْذِبُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ أُغِيطَ حَدِيثٌ لِلْجَهْمِيَّةِ، وَأَنْقَضَ شَيْءٌ لِدَعْوَاهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَنَفْسُ الْحَدِيثِ نَاقِضٌ لِدَعْوَاهُمْ، وَقَاطِعٌ لِحُجَجِهِمْ»^(٣).

الْسَّادِسُ: لَوْ أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَحَادِيثِ النُّزُولِ نَزُولَ مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَصَرَخَ بِذَلِكَ. فَهُوَ أَغْيَرُ عَلَى رَبِّهِ ﷻ مِنَ الْمُشْتَغِلِينَ بِعِلْمِ

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرجه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم [١٥٧ - (٢٦٣٧)].

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤١٦/٥). (٣) «نقضه على المريسي» (١/٥٠٠).

الْكَلَامِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ صَرْفَ النُّصُوصِ الصَّرِيحَةِ الصَّحِيحَةِ الْمُحْكَمَةِ عَنْ ظَاهِرِهَا، وَتَوَجِيهِهَا عَلَى الْمَحَامِلِ الْبَعِيدَةِ، وَالْمَنَازِلِ الشَّاسِعَةِ، تَحْرِيفٌ لِلشَّرْعِ، وَتَكْذِيبٌ لِلدِّينِ الْإِسْلَامِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، أَوْ يَشْعُرُونَ وَلَكِنْ لَا يَهْتَدُونَ.

السَّابِعُ: إِنَّ سَلَفَ الْأُمَّةِ وَالْأَئِمَّةَ مُجْمِعُونَ عَلَى إِثْبَاتِ نُزُولِ اللَّهِ تَعَالَى كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ. وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ تَأَوَّلَ نُزُولَ اللَّهِ تَعَالَى بِنُزُولِ أَمْرِهِ، أَوْ رَحْمَتِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ أَحَدًا مِنَ السَّلَفِ نَفَى نُزُولَ اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَيْهِمُ الْفِرْيَةَ، وَنَسَبَ إِلَيْهِمْ مَا لَمْ يَقُولُوهُ.

بَلْ إِنَّ الثَّابِتَ عَنِ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ أَنَّهُ لَمَّا أَظْهَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ الْقَوْلَ بِنَفْيِ نُزُولِ اللَّهِ تَعَالَى، رَدُّوا عَلَيْهِمْ، وَبَيَّنُّوا أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا نُزُولًا حَقِيقِيًّا، كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ.

حَدَّثَ الْإِمَامُ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (١٦٧هـ) بِحَدِيثِ نُزُولِ الرَّبِّ ﷻ فَقَالَ: «مَنْ رَأَيْتُمُوهُ يُنْكِرْ هَذَا فَاتَّهَمُوهُ»^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ نَعِيمُ بْنُ حَمَادٍ (٢٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَدِيثُ النُّزُولِ يَرُدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ قَوْلُهُمْ»^(٢).

قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيرَازِيُّ الْمَقْدِسِيُّ (٤٨٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: يُسَأَلُ عَنِ النُّزُولِ؟ فَإِنْ قَالَ: يَنْزِلُ كُلُّ لَيْلَةٍ، فَهُوَ سَنِيٌّ. وَإِنْ أَنْكَرَ، فَهُوَ أَشْعَرِيٌّ^(٣).

وَأَفْرَدَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ فِي «كِتَابِ السُّنَنِ» بَابًا فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ، ثُمَّ

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤٥١/٧)، و«مختصر العلو» (ص ١٤٤).

(٢) «التمهيد» (٤٤/٧).

(٣) «جزء فيه امتحان السني من البدعي» له (ص ٤٦٠).

أوردَ فِيهِ حَدِيثَ النُّزُولِ^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْمَلْطِيُّ (٣٧٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَنْكَرَ جَهْمٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا^(٢).

وَقَالَ عَبَادُ بْنُ الْعَوَّامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَدِمَ عَلَيْنَا شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مُنْذُ نَحْوِ مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّ عِنْدَنَا قَوْمًا مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ يُنْكِرُونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ [أَي: أَحَادِيثَ النُّزُولِ]؛ قَالَ: فَحَدَّثَنِي بِنَحْوِ مِنْ عَشْرَةِ أَحَادِيثَ فِي هَذَا، وَقَالَ: أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ أَخَذْنَا دِينَنَا هَذَا عَنِ التَّابِعِينَ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهُمْ عَمَّنْ أَخَذُوا؟^(٣)

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (١٨٧هـ): إِذَا قَالَ الْجَهْمِيُّ: أَنَا أَكْفَرُ بِرَبِّ يَزُولُ عَنْ مَكَانِهِ، فَقُلْ: أَنَا أَوْ مِنْ رَبِّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ^(٤).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَرَادَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ مُخَالَفَةَ الْجَهْمِيِّ الَّذِي يَقُولُ: إِنَّهُ لَا تَقُومُ بِهِ الْأَفْعَالُ الْإِخْتِيَارِيَّةُ، فَلَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ إِتْيَانٌ وَلَا مَجِيءٌ وَلَا نُزُولٌ وَلَا اسْتِوَاءٌ، وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ الْقَائِمَةِ بِهِ. فَقَالَ الْفُضَيْلُ: إِذَا قَالَ لَكَ الْجَهْمِيُّ: أَنَا أَكْفَرُ بِرَبِّ يَزُولُ عَنْ مَكَانِهِ، فَقُلْ: أَنَا أَوْ مِنْ رَبِّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. فَأَمْرُهُ أَنْ يُؤْمِنَ بِالرَّبِّ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَفْعَالِ الْقَائِمَةِ بِذَاتِهِ الَّتِي يَشَاءُهَا»^(٥).

وَسَأَلَ بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (١٧٩هـ) فَقَالَ: يَا أَبَا

(١) «سنن أبي داود» (٢٣٤ / ٤) (٤٧٣٣).

(٢) «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» (ص ١٢٤).

(٣) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٤٩)، بسند صحيح.

(٤) «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (٣ / ٢٠٤ - ٢٠٥) (١٥٩) [طبعة دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية].

(٥) «شرح حديث النزول» (ص ١٥٤).

== (الْعَلَمَانُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي سُبُحَاتِ عِلِّيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ) ==

إِسْمَاعِيلَ، الْحَدِيثُ الَّذِي جَاءَ: «يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا» أَيْتَحَوَّلَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ؟ فَسَكَتَ حَمَّادٌ، ثُمَّ قَالَ: «هُوَ فِي مَكَانِهِ، يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ شَاءَ»^(١).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَثَبَتْ قُرْبَهُ إِلَى خَلْقِهِ، مَعَ كَوْنِهِ فَوْقَ عَرْشِهِ»^(٢).

وَقَالَ الْبَرْبَهَارِيُّ شَيْخُ الْحَنَابِلَةِ بَيْغَدَادَ (٣٢٩هـ): «وَإِذَا سَمِعَتْ الرَّجُلُ يَقُولُ: إِنَّا نَحْنُ نُعْظِمُ اللَّهَ - إِذَا سَمِعَ آثَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -، فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ، يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَدْفَعَهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُعْظِمُ اللَّهَ وَيُنْزِلُهُ إِذَا سَمِعَ حَدِيثَ الرُّؤْيَةِ وَحَدِيثَ النُّزُولِ وَغَيْرَهُ، أَفَلَيْسَ قَدْ رَدَّ أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ: إِنَّا نَحْنُ نُعْظِمُ اللَّهَ أَنْ يَنْزِلَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ!! فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنْ غَيْرِهِ»^(٣).

وَقَالَ الْإِمَامُ الْأَجَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٦٠هـ) فِي كِتَابِهِ «الشَّرِيعَةُ»: «بَابُ الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ بِأَنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ.

الْإِيمَانُ بِهَذَا وَاجِبٌ، وَلَا يَسَعُ الْمُسْلِمَ الْعَاقِلُ أَنْ يَقُولَ: كَيْفَ يَنْزِلُ؟ وَلَا يَرُدُّ هَذَا إِلَّا الْمُعْتَرِضُ؛ وَأَمَّا أَهْلُ الْحَقِّ فَيَقُولُونَ: الْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ بِلَا كَيْفٍ؛ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ قَدْ صَحَّتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ، وَالَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا هَذِهِ الْأَخْبَارَ، هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا الْأَحْكَامَ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَعِلْمُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ، فَكَمَا قَبِلَ الْعُلَمَاءُ عَنْهُمْ ذَلِكَ، كَذَلِكَ قَبِلُوا مِنْهُمْ هَذِهِ السُّنَنَ، وَقَالُوا: مَنْ رَدَّهَا فَهُوَ ضَالٌّ خَبِيثٌ، يَخْذَرُونَهُ وَيُحْذَرُونَ مِنْهُ»^(٤).

(١) رواه ابن منده في «التوحيد» ح (٨٩١)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٣/٣/٢٠٢)، وقال الألباني: إسناده صحيح.

(٣) «شرح السنة» (ص ٥٦).

(٢) «شرح حديث النزول» (ص ١٥٣).

(٤) «الشرعية» (٣/١١٢٤ - ١١٢٦).

وَقَالَ الْإِمَامُ الدَّارِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ جُمْلَةً مِنْ أَحَادِيثِ النَّزُولِ -: فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ قَدْ جَاءَتْ كُلُّهَا وَأَكْثَرُ مِنْهَا فِي نُزُولِ الرَّبِّ ﷻ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ، وَعَلَى تَصَدِيقِهَا وَالْإِيمَانِ بِهَا أَدْرَكْنَا أَهْلَ الْفَقْهِ وَالْبَصَرِ مِنْ مَشَائِخِنَا، لَا يُنْكِرُهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْ رِوَايَتِهَا، حَتَّى ظَهَرَتْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ، فَعَارَضَتْ آثَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِرَدٍّ، وَتَشَمَّرُوا لِدَفْعِهَا بِجِدٍّ، فَقَالُوا: كَيْفَ نُزُولُهُ هَذَا؟ قُلْنَا: لَمْ نُكَلِّفْ [مَعْرِفَةَ] كَيْفِيَّةِ نُزُولِهِ فِي دِينِنَا، وَلَا تَعْقِلُهُ قُلُوبُنَا، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ فَنُسَبِّهُ مِنْهُ فِعْلًا أَوْ صِفَةً بِفِعَالِهِمْ وَصِفَتِهِمْ، وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقُدْرَتِهِ وَلُطْفِ رُبُوبِيَّتِهِ كَيْفَ يَشَاءُ، فَالْكَيفُ مِنْهُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نُزُولِهِ وَاجِبٌ، وَلَا يُسَأَلُ الرَّبُّ عَمَّا يَفْعَلُ كَيْفَ يَفْعَلُ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ؛ لِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ أَنْ يَفْعَلَهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لِفِعْلِ الْمَخْلُوقِ الضَّعِيفِ الَّذِي لَا قُدْرَةَ لَهُ إِلَّا مَا أَقْدَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: كَيْفَ يَصْنَعُ؟! وَكَيْفَ قَدِرَ؟!

وَلَوْ قَدْ آمَنْتُمْ بِاسْتِوَاءِ الرَّبِّ عَلَى عَرْشِهِ وَارْتِفَاعِهِ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَدَأًا إِذْ خَلَقَهَا؛ كَايْمَانِ الْمُصَلِّينَ بِهِ، لَقُلْنَا لَكُمْ: لَيْسَ نُزُولُهُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ بِأَشَدِّ عَلَيْهِ وَلَا بِأَعْجَبَ مِنْ اسْتِوَائِهِ عَلَيْهَا إِذْ خَلَقَهَا بَدَأًا، فَكَمَا قَدِرَ عَلَى الْأُولَى مِنْهُمَا كَيْفَ يَشَاءُ، فَكَذَلِكَ يَقْدِرُ عَلَى الْآخَرَى كَيْفَ يَشَاءُ^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ بَطَّةَ الْعُكْبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ جُمْلَةً مِنْ أَحَادِيثِ النَّزُولِ -: «وَقَدْ اخْتَصَرْتُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَرْوِيَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ وَهَدَايَةٌ لِلْمُؤْمِنِ الْمُؤَفَّقِ الَّذِي شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَأَمَدَّهُ بِبَصَائِرِ الْإِيمَانِ، وَأَعَادَهُ مِنْ عِنَادِ الْجَهْمِيَّةِ، وَجُحُودِ الْمُعْتَزِلَةِ؛ فَإِنَّ الْجَهْمِيَّةَ تَرُدُّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ وَتَجْحَدُهَا، وَتُكَذِّبُ الرِّوَاةَ، وَفِي تَكْذِيبِهَا لِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ رَدٌّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَمُعَانَدَةً لَهُ؛ وَمَنْ رَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ رَدَّ عَلَى اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ٧]»^(١).

الثامن: إِنَّ الْقُرْآنَ يُصَدِّقُ مَعْنَى الْحَدِيثِ كَمَا احْتَجَّ بِهِ أَئِمَّةُ السَّلَفِ. قَالَ الْإِمَامُ الدَّارِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمِمَّا يُعْتَبَرُ بِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ فِي النَّزُولِ وَيُحْتَجُّ بِهِ عَلَى مَنْ أَنْكَرَهُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]. وَهَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا نَزَلَ اللَّهُ لِيَحْكُمَ بَيْنَ الْعِبَادِ...، فَالَّذِي يَقْدِرُ عَلَى النَّزُولِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا لِيَفْصَلَ بَيْنَ عِبَادِهِ، قَادِرٌ أَنْ يَنْزِلَ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، فَإِنْ رَدُّوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي النَّزُولِ، فَمَاذَا يَصْنَعُونَ بِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ، ﷻ؟!»^(٢).

وَسُئِلَ الْإِمَامُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوِيَةَ فِي مَجْلِسِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ عَنْ حَدِيثِ النَّزُولِ أَصَحِّحٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوَادِ: كَيْفَ يَنْزِلُ؟ قَالَ: أَثْبَتُهُ فَوْقَ حَتَّى أَصِفَ لَكَ النَّزُولَ! فَقَالَ الرَّجُلُ: أَثْبَتُهُ فَوْقَ، فَقَالَ إِسْحَاقُ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، فَقَالَ ابْنُ طَاهِرٍ: هَذَا يَا أَبَا يَعْقُوبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَقَالَ: وَمَنْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَمْنَعُهُ الْيَوْمَ؟^(٣)

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ: قَالَ حَمَّادُ بْنُ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قُلْنَا لَهُوْلَاءِ: أَرَأَيْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]؟ قَالُوا: أَمَّا الْمَلَائِكَةُ فَيَجِيئُونَ صَفًّا صَفًّا، وَأَمَّا الرَّبُّ تَعَالَى فَإِنَّا لَا نَدْرِي مَا عَنْكَ بِذَلِكَ، وَلَا نَدْرِي كَيْفَ مَجِيئُهُ. فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّا لَمْ نُكَلِّفْكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا

(٢) «الرد على الجهمية» (ص ٦٣).

(١) «الإبانة» (٣/ ٢٣٩).

(٣) رواه الذهبي في «العلو» (ص ١١٢٧)، وصححه الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٩٣).

كَيْفَ مَجِيئُهُ؟ وَلَكِنَّا نُكَلِّفُكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِمَجِيئِهِ. أَرَأَيْتُمْ مَنْ أَنْكَرَ أَنَّ الْمَلَكَ يَجِيءُ صَفًا صَفًا، مَا هُوَ عِنْدَكُمْ؟ قَالُوا: كَافِرٌ مُكَذِّبٌ. قُلْتُ: فَكَذَلِكَ إِنْ أَنْكَرَ أَنَّ اللَّهَ سَيَجِيءُ يَجِيءُ فَهُوَ كَافِرٌ مُكَذِّبٌ»^(١).

قَالَ الرَّازِيُّ: «إِنَّ الرَّبَّ هُوَ الْمُرَبِّي، فَلَعَلَّ مَلَكًا عَظِيمًا هُوَ أَعْظَمُ الْمَلَائِكَةِ، كَانَ مُرَبِّيًا لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾ [الفجر: ٢٢]»^(٢).

وَقَدْ عَلَّقَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ عَلَى تَأْوِيلِ الرَّازِيِّ هَذَا بِقَوْلِهِ: «فَهَلْ يَشْكُ مَنْ لَهُ أَدْنَى مَسَكَةٍ مِنْ عَقْلِ وَإِيمَانٍ: أَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالْإِضْطِرَّارِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ، وَعَلَى كَلَامِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمُحَمَّدٍ قَطُّ رَبًّا غَيْرَ اللَّهِ: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]»^(٣).

التاسع: يُقَالُ لَهُمْ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ الدَّارِمِيُّ لِلْجَهْمِيَّةِ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ يَعْقِلُهَا مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّا قَدْ أَتَيْنَاكُمْ بِهَذِهِ الرُّوَايَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ، مَنْصُوصَةً صَحِيحَةً عَنْهُمْ، أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَقَدْ عَلِمْتُمْ يَقِينًا أَنَّا لَمْ نَخْتَرِعْ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ، وَلَمْ نَفْتَعِلْهَا، بَلْ رَوَيْنَاهَا عَنِ الْأَئِمَّةِ الْهَادِيْنَ الَّذِينَ نَقَلُوا أَصُولَ الدِّينِ وَفُرُوعَهُ إِلَى الْآثَامِ، وَكَانَتْ مُسْتَفِيضَةً فِي أَيْدِيهِمْ، يَتَنَافَسُونَ فِيهَا، وَيَتَرَيَّنُونَ بِرَوَايَتِهَا، وَيَحْتَجُّونَ بِهَا عَلَى مَنْ خَالَفَهَا. قَدْ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ وَرَوَيْتُمُوهَا كَمَا رَوَيْنَاهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَأَتُوا بِبَعْضِهَا أَنَّهُ لَا يَنْزِلُ مَنْصُوصًا

(١) رواه أبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف» (ص ٦٤)، وإسناده صحيح.

(٢) «أساس التقديس» (ص ١٤٣).

(٣) «بيان تلبيس الجهمية» (٣٠٦/٦ - ٣٠٧) [طبعة مجمع الملك فهد].

كَمَا رَوَيْنَا عَنْهُمْ النُّزُولَ مَنْصُوصًا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُ مَا تَأْتُونَ بِهِ ضِدًّا لِبَعْضِ مَا أَتَيْنَاكُمْ بِهِ، وَإِلَّا لَمْ يُدْفَعْ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ، وَمَا ثَبَتَ عَنْهُمْ فِي النُّزُولِ مَنْصُوصًا بِلَا ضِدٍّ مَنْصُوصٍ مِنْ قَوْلِهِمْ، أَوْ مِنْ قَوْلِ نَظَرَائِهِمْ، وَلَمْ يُدْفَعْ شَيْءٌ بِلَا شَيْءٍ، لِأَنَّ أَقَاوِيلَهُمْ وَرَوَايَاتِهِمْ شَيْءٌ لَا زِمَ، وَأَصْلٌ مَنِيعٌ، وَأَقَاوِيلُكُمْ رِيحٌ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ^(١).

وَأَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّ نُزُولَ الرَّبِّ ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَجَازٌ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِالنُّزُولِ الْإِحْسَانُ وَالرَّحْمَةُ، وَأَسْنَدَ دَعْوَاهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَوْجٍ﴾ [الزمر: ٦]، قَالَ: مَعْلُومٌ أَنَّ الْحَدِيدَ وَالْأَنْعَامَ لَمْ تَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ. وَهَذَا الْكَلَامُ بَاطِلٌ مِنْ وُجُوهٍ:

الوجه الأول: أَنَّ مَا ذَكَرَهُ الثُّفَاءُ مِنْ مَجَازِ النُّزُولِ لَا يُعَرَفُ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، وَلَا لُغَةٍ وَلَا شَرِيعٍ، وَلَا عُرِفَ وَلَا اسْتِعْمَلَ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ لَفْظُ نُزُولٍ، إِلَّا وَفِيهِ مَعْنَى النُّزُولِ الْمَعْرُوفِ - [أَي: الْهَبُوطُ وَالْدُّنُوءُ مِنْ عُلوٍّ] -، وَهَذَا هُوَ اللَّائِقُ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، وَلَا تَعْرِفُ الْعَرَبُ نُزُولًا إِلَّا بِهَذَا الْمَعْنَى، وَلَوْ أُرِيدَ غَيْرُ هَذَا الْمَعْنَى لَكَانَ خِطَابًا بِغَيْرِ لُغَتِهَا»^(٢).

الوجه الثاني: أَنَّهُ لَوْ عُرِفَ اسْتِعْمَالُ لَفْظِ النُّزُولِ فِي غَيْرِ مَعْنَاهُ الْمَعْرُوفِ لُغَةً مَعَ وُجُودِ قَرِينَةٍ تَصْرِفُهُ، لَمْ يَكُنْ مُوجِبًا لِإِخْرَاجِ اللَّفْظِ عَنْ حَقِيقَتِهِ حَيْثُ لَا قَرِينَةَ.

الوجه الثالث: أَنَّ قَوْلَهُ: مَعْلُومٌ أَنَّ الْحَدِيدَ لَمْ يَنْزِلْ جُرْمُهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ الْأَنْعَامُ، يُقَالُ لَهُ: أَيْنَ الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ؟

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: لَيْسَ هُنَاكَ مَا يَمْنَعُ أَصْلَ نُزُولِ الْأَنْعَامِ، خَاصَّةً وَأَنَّ أَصْلَ الْإِنْسَانِ وَهُوَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ مِنْ عَلُوٍّ إِلَى أَسْفَلٍ، كَمَا قَالَ ﷺ: ﴿ قَالَ أَهِيْطَا مِنْهَا جَمِيْعًا ﴾ [طه: ١٢٣]؛ فَالْمُدَّعِي أَنَّ الْحَدِيدَ لَمْ يَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ مَعَهُ مَا يُبْطِلُ ذَلِكَ.

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يَقُلْ: أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَا قَالَ: وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ السَّمَاءِ، فَقَوْلُهُمْ: مَعْلُومٌ أَنَّ الْحَدِيدَ وَالْأَنْعَامَ لَمْ يَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، لَا يُخْرِجُ لَفْظَةَ النُّزُولِ عَنْ حَقِيقَتِهَا، إِذْ عَدَمُ النُّزُولِ مِنْ مَكَانٍ مُعَيَّنٍ، لَا يَسْتَلْزِمُ عَدَمَهُ مُطْلَقًا.

الْوَجْهُ السَّادِسُ: أَنَّ الْحَدِيدَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَعَادِنِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ، وَهِيَ عَالِيَةٌ عَلَى الْأَرْضِ. «فَالْحَدِيدُ يُنَزِّلُهُ اللَّهُ مِنْ مَعَادِنِهِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ، لِيَنْتَفِعَ بِهِ بَنُو آدَمَ»^(١).

الْوَجْهُ السَّابِعُ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ ذَكَرَ الْإِنْزَالَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

- أ - إِنْزَالٌ مُطْلَقٌ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥].
 - ب - إِنْزَالٌ مِنَ السَّمَاءِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].
 - ج - إِنْزَالٌ مِنْهُ ﷻ كَقَوْلِهِ: ﴿نَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].
- فَأَخْبَرَ أَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْهُ، وَالْمَطَرُ مُنَزَّلٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْحَدِيدُ مُنَزَّلٌ نَزْولًا مُطْلَقًا.

الْوَجْهُ الثَّامِنُ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، فَالْكِتَابُ كَلَامُهُ وَالْمِيزَانُ عَدْلُهُ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَهُمَا مَعَ رُسُلِهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ

فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴿[الحديد: ٢٥]، وَلَمْ يَقُلْ: وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْحَدِيدَ؛ فَلَمَّا ذَكَرَ كَلَامَهُ وَعَدَلَهُ، أَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَهُمَا مَعَ رُسُلِهِ؛ وَلَمَّا ذَكَرَ مَخْلُوقَهُ النَّاصِرَ لِكِتَابِهِ وَعَدَلَهُ، أَطْلَقَ إِنْزَالَهُ، وَلَمْ يَقَيِّدْهُ بِمَا قَيَّدَ بِهِ إِنْزَالَ كَلَامِهِ. فَالْمُسَوِّي بَيْنَ الْإِنْزَالَيْنِ مُخْطِئٌ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى. وَلَيْسَ مِنْ ذَوِي الْأَذْهَانِ الْقَوِيْمَةِ وَالْأَفْكَارِ الْمُسْتَقِيْمَةِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَنْزَلَ﴾ [الزمر: ٦]، فَإِنَّ الْأَنْعَامَ تُخْلَقُ بِالتَّوَالِدِ الْمُسْتَلَزِمِ إِنْزَالَ الذُّكُورِ الْمَاءِ مِنْ أَصْلَابِهَا إِلَى أَرْحَامِ الْإِنَاثِ، وَلِهَذَا يُقَالُ: أَنْزَلَ، وَلَمْ يُنْزَلْ؛ ثُمَّ إِنَّ الْأَجِنَّةَ تَنْزِلُ مِنْ بُطُونِ الْأُمَّهَاتِ إِلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْأَنْعَامَ تَعْلُو فُحُولَهَا إِنَاثَهَا عِنْدَ الْوَطْءِ، وَيَنْزِلُ مَاءُ الْفَحْلِ مِنْ عُلوِّهِ إِلَى رَحِمِ الْأُنْثَى، وَتُلْقِي وَلَدَهَا عِنْدَ الْوِلَادَةِ مِنْ عُلوِّهِ إِلَى سُفْلٍ.

الوجه التاسع: أَنَّ نَزُولَ الرَّبِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَوَاهُ عَنْهُ نَحْوُ ثَمَانِيَّةٍ وَعِشْرِينَ نَفْسًا مِنَ الصَّحَابَةِ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنْ حَدِيثِ النَّزُولِ: «هَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ، صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، لَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ الْحَدِيثِ فِي صِحَّتِهِ، وَهُوَ حَدِيثٌ مَقْبُولٌ مِنْ طُرُقٍ مُتَوَاتِرَةٍ، وَوُجُوهُ كَثِيرَةٍ مِنْ أَخْبَارِ الْعُدُولِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ»^(١).

وَقَالَ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٦٠٠ هـ): «وَتَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ، وَصَحَّتِ الْآثَارُ بِأَنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ فَيَجِبُ الْإِيْمَانُ بِهِ، وَالتَّسْلِيمُ لَهُ، وَتَرْكُ الْإِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ، وَإِمْرَارُهُ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا تَأْوِيلٍ، وَلَا تَنْزِيهِ يَنْفِي حَقِيقَةَ النَّزُولِ»^(٢).

يُشِيرُ إِلَى دَعْوَى الَّذِينَ أَوَّلُوا صِفَةَ النَّزُولِ بِنَفْيِ حَقِيقَةِ هَذِهِ الصِّفَةِ، مُدَّعِينَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِثْبَاتَ الْحَقِيقِيَّ يَتَنَافَى مَعَ مَقْصِدِ التَّنْزِيهِ،

وَأَنَّ التَّنْزِيهَ يَقْتَضِي نَفْيَ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ. وَكَذَا الْقَائِلِينَ بِالتَّفْوِضِ لِجَزْمِهِمْ بِنَفْيِ حَقِيقَةِ النُّزُولِ مَعَ تَفْوِضِهِمُ الْمَعْنَى. وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ مِمَّا أَخَذَهُ الْمُتَبَدِّعَةُ عَلَى الْإِمَامِ عَبْدِ الْغَنِيِّ وَشَنَعُوا عَلَيْهِ بِهَا، وَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ بِقَوْلِهِ: «إِنْ صَحَّ هَذَا عَنْهُ فَهُوَ حَقٌّ، وَهُوَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: لَا أَنْزَهُ تَنْزِيهَا يَنْفِي حَقِيقَةَ وَجُودِهِ، أَوْ حَقِيقَةَ كَلَامِهِ، أَوْ حَقِيقَةَ عِلْمِهِ، أَوْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ»^(١).

وَقَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَحَادِيثُ نُزُولِ الْبَارِي تَعَالَى مُتَوَاتِرَةٌ، قَدْ جَمَعْتُ طُرُقَهَا وَتَكَلَّمْتُ عَلَيْهَا بِمَا أَسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ أَلَفْتُ أَحَادِيثَ النُّزُولِ فِي جُزْءٍ، وَذَلِكَ مُتَوَاتِرٌ أَقْطَعُ بِهِ»^(٣). وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُبَلِّغُهَا فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَجْمَعٍ، فَكَيْفَ تَكُونُ حَقِيقَتُهَا مُحَالًا وَبَاطِلًا، وَهُوَ ﷺ يَتَكَلَّمُ بِهَا دَائِمًا وَيُعِيدُهَا وَيُبِيدُهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَلَا يُقَرَّنُ بِاللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَجَازِهِ بِوَجْهِ مَا؟ بَلْ يَأْتِي بِمَا يَدُلُّ عَلَى إِرَادَةِ الْحَقِيقَةِ، كَقَوْلِهِ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي»^(٤)، وَقَوْلِهِ: «مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟»^(٥)، وَقَوْلِهِ: «فَيَكُونُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»^(٦)، فَهَذَا كُلُّهُ بَيَانٌ لِإِرَادَةِ الْحَقِيقَةِ، وَمَانِعٌ مِنْ حَمْلِهِ عَلَى الْمَجَازِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَا كُلُّ هَذَا قَابِلُ التَّأْوِيلِ بِالتَّحْرِيفِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ هَذَا وَأَصْلُ بَلِيَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ

(٢) «العلو» (ص ٧٠٠ - ٧٠١).

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٣).

(٤) سبق تخريجه (ص ٢٦٤).

(٣) «العلو» (ص ٧٥٥).

(٦) سبق تخريجه (ص ٤٦).

(٥) سبق تخريجه (ص ٤٥).

وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ قَالَ جَهَنَّمُ لَيْسَ رَبٌّ
كَثَلًا وَلَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى
مَا فَوْقَهَا رَبٌّ يُطَاعُ جَبَاهُنَا
وَلَا أَجْلِيهِ جُحِدَتْ صِفَاتُ كَمَالِهِ
وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ كَذَّبُوا بِنُزُولِهِ
وَلَا أَجْلِيهِ زَعَمُوا الْكِتَابَ عِبَارَةً
وَالْعَرْشِ خَارِجَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
وَالْعَرْشِ مِنْ رَبٍّ وَلَا رَحْمَنِ
تَهْوِي لَهُ بِسُجُودِ ذِي خُضْعَانِ
وَالْعَرْشِ أَخْلَوْهُ مِنَ الرَّحْمَنِ
نَحْوَ السَّمَاءِ بِنِصْفِ لَيْلٍ ثَانٍ
وَحِكَايَةً عَنِ ذَلِكَ الْقُرْآنِ^(١)

وَأَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّ حَدِيثَ النُّزُولِ لَا يُفْهَمُ مِنْهُ شَيْءٌ؛ فَهَذَا «ضَلَالٌ عَظِيمٌ،
وَهُوَ أَحَدُ أَنْوَاعِ الضَّلَالِ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﷺ، ظَنُّ أَهْلِ التَّخِيلِ، وَظَنُّ
أَهْلِ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ، وَظَنُّ أَهْلِ التَّجْهِيلِ»^(٢).

فَيَلْزَمُهُمْ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِحَدِيثِ النُّزُولِ لَمْ يَدْرِ هُوَ مَا
يَقُولُ؟! وَلَا مَا عَنِيَ بِكَلَامِهِ - وَهُوَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ ابْتِدَاءً. سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ
عَظِيمٌ وَقَدْ حُجِّجَ فِي الرَّسُولِ. وَهَلْ قَدَّرَ الرَّسُولُ ﷺ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ نَسَبَ كَلَامَهُ
إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ؟!!

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا نِسْبَةً لِلرَّسُولِ إِلَى التَّلْيِيسِ وَعَدَمِ الْبَيَانِ، بَلْ إِلَى كِتْمَانِ
الْحَقِّ وَإِضْلَالِ الْخَلْقِ، بَلْ إِلَى التَّكْلِيمِ بِكَلَامٍ لَا يُعْرَفُ حَقُّهُ مِنْ بَاطِلِهِ^(٣).
فَهَلْ يَجُوزُ لِعَاقِلٍ أَنْ يَظُنَّ هَذَا بِأَحَدٍ مِنْ عُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ؟ فَضْلًا عَنِ الْأَنْبِيَاءِ،
فَضْلًا عَنِ أَفْضَلِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَأَعْلَمِ الْخَلْقِ، وَأَفْصَحِ الْخَلْقِ، وَأَنْصَحِ
الْخَلْقِ لِلْخَلْقِ ﷺ؟! وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ، وَأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ
الَّذِي يَصِفُونَ بِهِ الرَّسُولَ وَأُمَّتَهُ هُوَ قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَصَوَّرُوا حَقِيقَةَ مَا قَالُوهُ وَلَوْ أَرَادُوا. وَلَوْ تَصَوَّرُوا

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/٤١٤).

(١) «الكافية الشافية» (ص ١٤٧ - ١٤٩).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/٢٤١).

ذَلِكَ، لَعَلِّمُوا أَنَّهُ يَلْزِمُهُمْ مَا هُوَ مِنْ أَقْبَحِ أَقْوَالِ الْكُفَّارِ فِي الْأَنْبِيَاءِ، وَهُمْ لَا يَرْضَوْنَ مَقَالَهَ مَنْ يَنْتَقِصُ النَّبِيَّ ﷺ، وَلَوْ تَنَقَّصَهُ أَحَدٌ لَا سَتَحَلُّوا قَتْلَهُ، وَهُمْ مُصِيبُونَ فِي اسْتِحْلَالِ قَتْلِ مَنْ يَقْدَحُ فِي الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، وَقَوْلُهُمْ يَتَضَمَّنُ أَعْظَمَ الْقَدَحِ؛ لَكِنْ لَمْ يَعْرِفُوا ذَلِكَ، وَلَا زِمَ الْقَوْلِ لَيْسَ بِقَوْلٍ، فَإِنَّهُمْ لَوْ عَرَفُوا أَنَّ هَذَا يَلْزِمُهُمْ مَا التَزَمُوهُ^(١).

فَالْحَقُّ الْحَقِيقُ بِالِاتِّبَاعِ، الْحَرِيِّ بِالِاعْتِقَادِ، الثَّانِي عَنِ الْإِبْتِدَاعِ، الَّذِي يَنْبَغِي عَلَيْهِ التَّعْوِيلُ: أَنَّ نُوْمَنَ بِأَحَادِيثِ النُّزُولِ، وَنَقُولَ بِظَاهِرِهَا، وَنُيْمَرَهَا عَلَى فَحْوَاهَا الْوَاضِحَةِ، وَمَبْنَاهَا النَّاطِقَةِ، مَعَ اعْتِقَادِ: التَّنْزِيهِ عَنْ شِبْهِ الْخَلْقِ، وَنَفْيِ: الْمُمَثَّلَةِ وَالْكَفَاءَةِ، كَمَا أَرْشَدَنَا إِلَى هَذَا: رَبُّنَا ﷻ، الَّذِي يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَقُولُ لِعِبَادِهِ مُخَاطِبًا بِمَا شَاءَ.

وَهَذَا الْحَقُّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءٌ فَدَعْنِي عَنْ بُنَيَاتِ الطَّرِيقِ وَمَنْ حَكَّمَ عَلَى عَقْلِهِ الْإِنْتِقَادَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَقَدْ فَازَ، وَمَنْ دَخَلَ فِي التَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلِ وَضُرِبَ الْأَمْثَالُ فَقَدْ خَاطَرَ بِدِينِهِ^(٢). وَهُوَ «غَيْرُ مُقْتَدٍ بِالسَّلَفِ، وَلَا وَاقِفٌ فِي طَرِيقِ النُّجَاةِ، وَلَا مَعْصُومٌ عَنِ الْخَطَا، وَلَا سَالِكٌ فِي جَادَةِ السَّلَامَةِ وَالْإِسْتِقَامَةِ»^(٣). وَمَنْ نَبَذَ الدِّينَ وَرَآءَهُ وَحَكَّمَ هَوَاهُ وَأَرَاءَهُ، ضَلَّ عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَاءَ بِسَخَطِ مَنْ رَبُّ الْعَالَمِينَ^(٤).

فَمَنْ خَالَفَ الْوَحْيَ الْمُبِينَ بِعَقْلِهِ فَذَاكَ امْرُؤٌ قَدْ خَابَ حَقًّا وَقَدْ خَسِرَ وَفِي تَرْكِ أَمْرِ الْمُصْطَفَى فِتْنَةٌ فَذُرْ خِلَافَ الَّذِي قَدْ قَالَه وَاتْلُ وَاعْتَبِرْ^(٥)

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/٤٧٦ - ٤٧٧).

(٢) «الأربعين في صفات رب العالمين» (ص ١٥١ - ١٥٢)، ضمن ست رسائل للحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) «الأسماء والصفات» (٢/٣٨٤).

(٣) «فتح البيان» (١١/١٢).

(٥) «السَّير» (١٨/٣٨٨).

وَأَخِيرًا: فَإِنَّ «مَنْ عَلِمَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَعْلَمُ الْخَلْقَ بِالْحَقِّ، وَأَفْصَحُ الْخَلْقِ فِي الْبَيَانِ، وَأَنْصَحُ الْخَلْقِ لِلْخَلْقِ، عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ فِي حَقِّهِ كَمَالُ الْعِلْمِ بِالْحَقِّ، وَكَمَالُ الْقُدْرَةِ عَلَى بَيَانِهِ، وَكَمَالُ الْإِرَادَةِ لَهُ. وَمَعَ كَمَالِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ، يَجِبُ وَجُودُ الْمَطْلُوبِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَهُ أَبْلَغُ مَا يَكُونُ، وَأَتَمُّ مَا يَكُونُ، وَأَعْظَمُ مَا يَكُونُ بَيَانًا لِمَا بَيَّنَّهُ فِي الدِّينِ مِنْ أُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَمَنْ وَقَرَ هَذَا فِي قَلْبِهِ، لَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَحْرِيفِ النُّصُوصِ بِمِثْلِ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ الَّتِي إِذَا تُدْبِرْتُ، وَجَدَ مَنْ أَرَادَهَا بِذَلِكَ الْقَوْلِ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَمَّا يَجِبُ اتِّصَافُ الرَّسُولِ ﷺ بِهِ»^(١).

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ غَيْرَ الرَّسُولِ ﷺ أَعْلَمُ بِهَذَا مِنْهُ، أَوْ أَكْمَلُ بَيَانًا مِنْهُ، أَوْ أَحْرَصُ عَلَى هُدَى الْخَلْقِ مِنْهُ: فَهُوَ مِنَ الْمُلْحِدِينَ، لَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٢).



(١) «مجموع الفتاوى» (١٧/١٢٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/٣١).

الشُّبُهَاتُ الْوَارِدَةُ عَلَى صِفَةِ النُّزُولِ

قَبْلَ الْبَدءِ بِذِكْرِ الشُّبُهَاتِ الْوَارِدَةِ عَلَى حَدِيثِ النُّزُولِ وَالرَّدِّ عَلَيْهَا، أَذْكُرُ كَلَامًا نَفِيسًا يُزِيلُ كَثِيرًا مِنَ الشُّبُهَاتِ فِي هَذَا الْبَابِ وَغَيْرِهِ.

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ بِأَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ لَا يُتَوَهَّمُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ، لَا فِي لَفْظِهَا وَلَا فِي ثُبُوتِ مَعْنَاهَا. فَإِبْثَاتُهَا لِلرَّبِّ تَعَالَى لَا مَحْذُورَ فِيهِ بِوَجْهِهِ، بَلْ تُثَبَّتْ لَهُ عَلَى وَجْهِهِ لَا يُمَانِلُ فِيهَا خَلْقُهُ، وَلَا يُشَابِهُهُمْ، فَمَنْ نَفَاهَا عَنْهُ لِإِطْلَاقِهَا عَلَى الْمَخْلُوقِ أَلْحَدَ فِي أَسْمَائِهِ، وَجَحَدَ صِفَاتِ كَمَالِهِ. وَمَنْ أَثْبَتَهَا عَلَى وَجْهِهِ يُمَانِلُ فِيهَا خَلْقَهُ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِخَلْقِهِ، وَمَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ أَثْبَتَهَا لَهُ عَلَى وَجْهِهِ لَا يُمَانِلُ فِيهَا خَلْقَهُ، بَلْ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ فَقَدْ بَرَىءَ مِنْ فَرْثِ التَّشْبِيهِ وَدَمِ التَّعْطِيلِ، وَهَذَا طَرِيقُ أَهْلِ السُّنَّةِ.

فَمَا لَزِمَ الصِّفَةَ لِإِضَافَتِهَا إِلَى الْعَبْدِ وَجَبَ نَفْيُهُ عَنِ اللَّهِ، كَمَا يَلْزَمُ حَيَاةَ الْعَبْدِ مِنَ النَّوْمِ وَالسُّنَّةِ وَالْحَاجَةِ إِلَى الْغِذَاءِ وَالْمَرَضِ وَالْمَوْتِ، وَكَذَلِكَ عِلْمُهُ مَحْفُوفٌ بِنَقْصَيْنِ: جَهْلٍ سَابِقٍ، وَنَسْيَانٍ لَاحِقٍ؛ وَكَذَلِكَ مَا يَلْزَمُ إِرَادَتُهُ عَنْ حَرَكَةِ نَفْسِهِ فِي جَلْبِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ وَدَفْعِ مَا يَنْصَرُّ بِهِ، وَكَذَلِكَ مَا يَلْزَمُ عُلُوُّهُ مِنْ احتِيَاجِهِ إِلَى مَا هُوَ عَالٍ عَلَيْهِ، وَكَوْنِهِ مَحْمُولًا بِهِ، مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ، مُحَاطًا بِهِ، كُلُّ هَذَا يَجِبُ نَفْيُهُ عَنِ الْقُدُوسِ السَّلَامِ - ﷺ -.

فَإِذَا أَحْطَتْ بِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ خَبَرًا وَعَقِلَتْهَا كَمَا يَنْبَغِي، خَلَصَتْ مِنَ الْآفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَصْلُ بَلَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ، آفَةُ التَّعْطِيلِ وَآفَةُ التَّشْبِيهِ، فَإِنَّكَ إِذَا وَفَيْتَ هَذَا الْمَقَامَ حَقَّهُ، أَثَبْتَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى حَقِيقَةً،

فَخَلَصْتَ مِنَ التَّعْطِيلِ وَنَفَيْتَ عَنْهَا خَصَائِصَ الْمَخْلُوقِينَ وَمُشَابَهَتَهُمْ،
فَخَلَصْتَ مِنَ التَّشْبِيهِ.

فَعَلَيْكَ بِمُرَاعَاةِ هَذَا الْأَصْلِ وَالِإِعْتِصَامِ بِهِ، وَاجْعَلْهُ جُتَّتَكَ الَّتِي تَرْجِعُ
إِلَيْهَا فِي كُلِّ مَا يُطْلَقُ عَلَى الرَّبِّ تَعَالَى وَعَلَى الْعَبْدِ^(١).

وَبَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ النَّفْسِ، نَذْكُرُ شُبُهَاتِ الْقَوْمِ وَنَأْتِي عَلَيْهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ
بِإِذْنِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﷻ.

الشُّبُهَةُ الْأُولَى

اللَّيْلُ يَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ، فَثُلُثُ اللَّيْلِ مَثَلًا فِي الشَّرْقِ يَنْتَقِلُ
حَتَّى يَكُونَ فِي الْغَرْبِ، وَيَخْتَلِفُ الزَّمَنُ؛ فَكَيْفَ نُوقِّقُ بَيْنَ هَذَا، وَبَيْنَ تَقْيِيدِ
نُزُولِ اللَّهِ ﷻ بِثُلُثِ اللَّيْلِ؟

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ قُبْحُ هَذَا
الِإِعْتِرَاضِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ وَخُلَفَاءَهُ الرَّاشِدِينَ لَوْ سَمِعُوا مَنْ يَعْتَرِضُ بِهِ لَمَّا
نَظَرُوهُ، بَلْ بَادَرُوا إِلَى عُقُوبَتِهِ وَإِلْحَاقِهِ بِزُمرَةِ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَافِقِينَ الْمُكَذِّبِينَ^(٢).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا إِنَّمَا قَالُوهُ لِتَخْيِيلِهِمْ مِنْ نُزُولِهِ مَا
يَتَخَيَّلُونَهُ مِنْ نُزُولِ أَحَدِهِمْ، وَهَذَا عَيْنُ التَّمْثِيلِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ جَعَلُوهُ
كَالْوَاحِدِ الْعَاجِزِ مِنْهُمْ، الَّذِي لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَجْمَعَ مِنَ الْأَفْعَالِ مَا يَعْجِزُ غَيْرُهُ
عَنْ جَمْعِهِ، وَقَدْ جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ بِأَنَّهُ يُحَاسِبُ خَلْقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كُلُّ مِنْهُمْ
يَرَاهُ مُخَلِّيًا بِهِ يَتَجَلَّى وَيُنَاجِيهِ، لَا يَرَى أَنَّهُ مُتَخَلِّيًا لغيرِهِ وَلَا مُحَاطِبًا لغيرِهِ،
وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»

(١) انظر: «بدائع الفوائد» (١/١٧٣)، و«جلاء الأفهام» (ص ٨٢ - ٨٣).

(٢) «فضل علم السلف على الخلف» (ص ٢٣)، تحقيق: الشيخ علي حسن عبد الحميد حفظه الله.

[الفاتحة]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٦﴾
[الفاتحة]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنَى عَلَيَّ عَبْدِي^(١).

فَكُلُّ مِنَ النَّاسِ يُنَاجِيهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لِكُلِّ مِنْهُمْ ذَلِكَ، وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ^(٢).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاللَّيْلُ يَخْتَلِفُ فَيَكُونُ ثُلُثُهُ بِالْمَشْرِقِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ ثُلُثُهُ بِالْمَغْرِبِ، وَتُرْوَاهُ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ هَؤُلَاءِ فِي ثُلْثِ لَيْلِهِمْ، وَإِلَى السَّمَاءِ هَؤُلَاءِ فِي ثُلْثِ لَيْلِهِمْ، لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، وَكَذَلِكَ قُرْبُهُ مِنَ الدَّاعِي الْمُتَقَرِّبِ إِلَيْهِ وَالسَّاجِدِ لِكُلِّ وَاحِدٍ بِحَسَبِهِ حَيْثُ كَانَ وَأَيْنَ كَانَ. وَالرَّجُلَانِ يَسْجُدَانِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ قُرْبٌ يَخُصُّهُ لَا يُشْرِكُهُ فِيهِ الْآخَرُ.

وَالنُّصُوصُ الْوَارِدَةُ فِيهَا الْهُدَى وَالشَّفَاءُ، وَالَّذِي بَلَغَهَا بَلَاغًا مُبِينًا، هُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِرَبِّهِ وَأَنْصَحُهُمْ لِخَلْقِهِ وَأَحْسَنُهُمْ بَيَانًا، وَأَعْظَمُ بَلَاغًا، فَلَا يُمَكِّنُ أَحَدٌ أَنْ يَعْلَمَ وَيَقُولَ مِثْلَ مَا عِلْمُهُ الرَّسُولُ ﷺ وَقَالَهُ. وَكُلُّ مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِبَصِيرَةٍ فِي قَلْبِهِ تَكُونُ مَعَهُ مَعْرِفَةٌ بِهِذَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ﴿١﴾ [سبأ: ٦]. وَقَالَ فِي ضِدِّهِمْ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٩﴾ [الأنعام: ٣٩]^(٣).

وَقَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأُورِدَ الْمُتَأَخَّرُونَ الَّذِينَ عَرَفُوا أَنَّ الْأَرْضَ كُرَوِيَّةٌ، وَأَنَّ الشَّمْسَ تَدُورُ عَلَى الْأَرْضِ، إِشْكَالًا؛ قَالُوا: كَيْفَ يَنْزِلُ

(١) قطعة من حديث أبي هريرة رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٩٥).

(٢) «بيان تلبيس الجهمية» (٤/ ٥٥ - ٥٦)، طبعة مجمع الملك فهد.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٤٣ - ٢٤٤).

فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ؟! وَثُلُثُ اللَّيْلِ إِذَا انْتَقَلَ عَنِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ، ذَهَبَ إِلَى أَوْرُوبَا وَمَا قَارَبَهَا؟! أَفَيَكُونُ نَازِلًا دَائِمًا؟! (١)

فَنَقُولُ: إِنَّهُ لَا إِشْكَالَ فِي ذَلِكَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الْفِعْلِيَّةِ، وَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا نَحْوَ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى سَوَاءٌ كَانَتْ ذَاتِيَّةً كَالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ، أَمْ مَعْنَوِيَّةً كَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ، أَمْ فِعْلِيَّةً كَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ وَالتَّزْوِيلِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا نَحْوَهَا مَا يَلِي:

أ - الْإِيمَانُ بِهَا عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ مِنَ الْمَعَانِي وَالْحَقَائِقِ الْأَلْبَنَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى.

ب - الْكَفُّ عَنْ مُحَاوَلَةِ تَكْيِيفِهَا تَصَوُّرًا فِي الذَّهْنِ، أَوْ تَعْبِيرًا فِي النُّطْقِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِلَا عِلْمٍ، وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [٢١] ﴿[الإسراء: ٣٦].

وَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُدْرِكَ الْمَخْلُوقُ كُنْهَ صِفَاتِهِ وَكَيْفِيَّتِهَا، وَلِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يُمَكِّنُ إدْرَاكَهُ إِلَّا بِمُشَاهَدَتِهِ أَوْ مُشَاهَدَةِ نَظِيرِهِ أَوْ الْخَبَرِ الصَّادِقِ عَنْهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُتَنَفٍّ بِالنِّسْبَةِ لِكَيْفِيَّةِ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

ج - الْكَفُّ عَنْ تَمَثُّلِهَا بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، سَوَاءً كَانَ ذَلِكَ تَصَوُّرًا فِي الذَّهْنِ أَمْ تَعْبِيرًا فِي النُّطْقِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فَإِذَا عَلِمْتَ هَذَا الْوَاجِبَ نَحْوَ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، لَمْ يَبْقَ إِشْكَالٌ فِي حَدِيثِ النَّزُولِ، وَلَا غَيْرِهِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أُمَّتَهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، مُخَاطِبًا بِذَلِكَ جَمِيعَ أُمَّتِهِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَخَبَرَهُ هَذَا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ الَّذِي أَظْهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَالَّذِي أَظْهَرَهُ عَلَيْهِ - وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى -، عَالِمٌ بِتَغْيِيرِ الزَّمَنِ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَنَّ ثُلُثَ اللَّيْلِ عِنْدَ قَوْمٍ يَكُونُ نِصْفَ النَّهَارِ عِنْدَ آخَرِينَ مَثَلًا.

وَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُخَاطِبُ الْأُمَّةَ جَمِيعًا بِهَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي خَصَّصَ فِيهِ نُزُولَ اللَّهِ ﷻ بِثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ عَامًّا لِجَمِيعِ الْأُمَّةِ، فَمَنْ كَانُوا فِي الثُّلُثِ الْآخِرِ مِنَ اللَّيْلِ تَحَقَّقَ عِنْدَهُمُ النَّزُولُ الْإِلَهِيُّ، وَقُلْنَا لَهُمْ: هَذَا وَقْتُ نُزُولِ اللَّهِ تَعَالَى بِالنِّسْبَةِ إِلَيْكُمْ، وَمَنْ لَمْ يَكُونُوا فِي الْوَقْتِ فَلَيْسَ ثُمَّ نُزُولُ اللَّهِ تَعَالَى بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ، وَالنَّبِيُّ ﷺ حَدَّدَ نُزُولَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِوَقْتِ خَاصٍّ، فَمَتَى كَانَ ذَلِكَ الْوَقْتُ كَانَ النَّزُولُ وَمَتَى انْتَهَى انْتَهَى النَّزُولُ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ أَيْ إِشْكَالٍ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ الذَّهْنُ قَدْ لَا يَتَصَوَّرُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نُزُولِ الْمَخْلُوقِ، لَكِنَّ نُزُولَ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ كَنُزُولِ خَلْقِهِ حَتَّى يُقَاسَ بِهِ، وَيُجْعَلَ مَا كَانَ مُسْتَحِيلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَخْلُوقِ مُسْتَحِيلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْخَالِقِ.

فَمَثَلًا: إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا وَابْتَدَأَ ثُلُثُ اللَّيْلِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ كَانُوا غَرْبًا، قُلْنَا: إِنَّ وَقْتَ النَّزُولِ الْإِلَهِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا قَدْ انْتَهَى، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى أَوْلِيكَ قَدْ ابْتَدَأَ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْإِمْكَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ^(١).

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيلٍ الْهَرَّاسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمُعْطَلَةُ يُشَكِّكُونَ فِي حَدِيثِ النَّزُولِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ عِلْمَ الْهَيْئَةِ أَثَبَّتَ أَنَّ الْأَرْضَ فِي دَوْرَانِهَا حَوْلَ

الشمس^(١) - وَحَوْلَ نَفْسِهَا -، تُحْدِثُ مَشَارِقَ وَمَغَارِبَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّهُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ يَكُونُ هُنَاكَ ثُلُثُ لَيْلٍ آخَرَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ اللَّهُ ﷻ صَاعِدًا نَازِلًا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، وَنَحْنُ نَقُولُ لَهُؤُلَاءِ: إِنَّ الْخَبَرَ قَدْ صَحَّ رَغْمَ أَنْوْفِكُمْ، وَكَلَامِكُمْ هَذَا لَيْسَ طَعْنًا فِي صِحَّةِ الْخَبَرِ، وَلَكِنَّهُ تَجْهِيلٌ لِلرَّسُولِ ﷺ وَالْحَادِّ فِي حَدِيثِهِ^(٢).

وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي نَفْسِ كُلِّ أَحَدٍ، وَهُوَ أَنْ لَا يَتَشَرَّبَ بِدَعِ الْمُبْتَدِعِينَ وَتَضْلِيلَاتِهِمْ، بَلْ يَعْتَصِمُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ ﷺ مِمَّا صَحَّ عَنْهُ، وَسَتَكُونُ هَذِهِ الْخَيَالَاتُ وَالْوَسَاوِسُ الَّتِي يُلْقُونَهَا، أَوْ هُنَّ عِنْدَهُ مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفِ الرَّدَّ عَلَى كَلَامِهِمْ بِالتَّفْصِيلِ، وَيَكُونُ قَائِلًا بِلِسَانِ حَالِهِ وَمَقَالِهِ: آمَنْتُ بِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا أَجَدُهُ فِي عَقْلِي مِنْ وَسَاوِسٍ أُرْمِي بِهِ عَرَضُ الْحَائِطِ وَلَا أَبَالِي. فَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِهِ، وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ بِرَبِّهِ مِمَّا سِوَاهُ، وَأَخْشَاهُمْ لَهُ، وَأَفْصَحُهُمْ وَأَبْلَغُهُمْ وَأَعْظَمُهُمْ بَيَانًا لِلْمَعْنَى الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ إِيَّاهُ. فَإِذَا قُلْنَا: كَلَامُهُ لَا بُدَّ مِنْ صَرْفِهِ عَنْ ظَاهِرِهِ، لَكُنَّا قَدْ طَعْنَا إِمَّا فِي نُصْحِهِ وَحَرِصِهِ عَلَى أُمَّتِهِ، وَإِمَّا فِي بَيَانِهِ وَفَصَاحَتِهِ، وَإِمَّا فِي عِلْمِهِ بِرَبِّهِ، وَكُلُّ مِنْهَا بَاطِلٌ وَكَافٍ فِي الطَّعْنِ فِيهِ ﷺ، حَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَاللَّهُ تَعَالَى يُشَبِّتُنَا عَلَى الْحَقِّ وَيَعِصِمُنَا مِنَ الزَّيْغِ وَالْبِدْعِ وَالرَّدِّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَنْ نَلْقَاهُ، إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ^(٣).

(١) الصحيح أن الشمس تدور حول الأرض.

(٢) تعليقات الشيخ محمد خليل الهراس على كتاب «التوحيد» لابن خزيمة (ص ١٢٨).

(٣) راجع: «صفة النزول الإلهي» (ص ٥٥٠).

الشُّبْهَةُ الثَّانِيَّةُ

قَالَ الرَّازِيُّ: «إِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ النُّزُولِ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا أَنْ يُسْمَعَ نِدَاؤُهُ، فَهَذَا الْمَقْصُودُ مَا حَصَلَ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ مُجَرَّدَ النِّدَاءِ، سَوَاءٌ سَمِعْنَاهُ أَوْ لَمْ نَسْمَعْهُ، فَهَذَا مِمَّا لَا حَاجَةَ فِيهِ إِلَى النُّزُولِ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، بَلْ كَانَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يُنَادِينَا وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ، وَمِثَالُهُ: أَنْ يُرِيدَ مَنْ فِي الْمَشْرِقِ إِسْمَاعَ مَنْ فِي الْمَغْرِبِ وَمُنَادَاتِهِ، فَيَتَقَدَّمُ إِلَى جِهَةِ الْمَغْرِبِ بِأَقْدَامٍ مَعْدُودَةٍ، ثُمَّ يُنَادِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ الْبَتَّةَ، فَهَهُنَا تَكُونُ تِلْكَ الْخُطُواتُ عَمَلًا بَاطِلًا، وَعَبَثًا فَاسِدًا، فَيَكُونُ كِفْعَلِ الْمَجَانِينِ، فَعَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ لَاقٍ بِحِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى»^(١).

إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ تَلَيَّسٌ عَلَى الْعَوَامِّ، وَتَمْوِيَةٌ عَلَى الْجُهَّالِ، وَكَذِبٌ ظَاهِرٌ. وَالرَّدُّ عَلَيْهِ مِنْ وَجْهٍ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: هَذَا الْكَلَامُ يُعْتَبَرُ مُصَادِمَةً صَرِيحَةً لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاعْتِرَاضًا وَاضِحًا عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا ﷻ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ، وَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟».

وَكُلُّ مَنْ عَارَضَ نُصُوصَ الْأَنْبِيَاءِ بِقِيَاسِهِ وَرَأْيِهِ فَهُوَ مِنْ خُلَفَاءِ الشَّيْطَانِ وَاتِّبَاعِهِ، فَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ، نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ وَالْعِصْمَةَ مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ الَّذِي مَا رُمِيَ الْعَبْدُ بِشَرٍّ مِنْهُ، وَأَنْ يَلْقَى اللَّهَ بِذُنُوبِ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا مَا خَلَا الْإِشْرَاكَ بِهِ، أَسْلَمَ لَهُ مِنْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ وَقَدْ عَارَضَ نُصُوصَ أَنْبِيَائِهِ بِرَأْيِهِ وَرَأْيِ بَنِي جَنْسِهِ. وَهَلْ طَرَدَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْلِيسَ وَلَعَنَهُ وَأَحْلَلَ عَلَيْهِ سَخَطَهُ وَغَضَبَهُ،

إِلَّا حَيْثُ عَارَضَ النَّصَّ بِالرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ ثُمَّ قَدَّمَهُ عَلَيْهِ؟! وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّ شُبْهَ عَدُوِّ اللَّهِ مَعَ كَوْنِهَا دَاحِضَةٌ بَاطِلَةٌ أَقْوَى مِنْ كَثِيرٍ مِنْ شُبْهِ الْمُعَارِضِينَ لِنُصُوصِ الْأَنْبِيَاءِ بِأَرَائِهِمْ وَعُقُولِهِمْ، فَالْعَالَمُ يَتَدَبَّرُ سِرَّ تَكْرِيرِ اللَّهِ تَعَالَى لِهَذِهِ الْقِصَّةِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَلِيَحْذَرَ أَنْ يَكُونَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ هَذَا الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ^(١).

الثاني: قَوْلُهُ: «إِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ النُّزُولِ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا أَنْ يُسْمَعَ نِدَاؤُهُ، فَهَذَا الْمَقْصُودُ مَا حَصَلَ».

فَيَقَالُ: لَوْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْمَقْصُودَ لَسَمِعْنَاهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنَ النِّدَاءِ حِكْمٌ عَظِيمَةٌ يَعْلَمُهَا اللَّهُ - تَجَلَّ وَجْهًا - وَنَحْنُ وَإِنْ لَمْ نَسْمَعْ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى هَذَا بِأَذَانِنَا، إِلَّا أَنَّا آمَنَّا بِذَلِكَ حَتَّى لَكَانَ الْقَائِمُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ - الثَّلَاثِ الْأَخِيرِ -، كَأَنَّهُ يَسْمَعُ أَنَّهُ تَعَالَى يُنَادِي بِذَلِكَ النِّدَاءِ، وَذَلِكَ لِعِلْمِنَا أَنَّهُ ﷺ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، وَهَذَا الْخَبَرُ قَدْ تَوَاتَرَ عَنْهُ ﷺ، وَمِنْ الْحِكْمِ الَّتِي نَعْلَمُهَا مِنْ هَذَا النِّدَاءِ الْعَظِيمِ: هُوَ إِقْبَالُ الْعَبْدِ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى رَبِّهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَالْإِلْحَاحُ عَلَيْهِ فِي الدُّعَاءِ، وَالشُّعُورُ بِقُرْبِهِ وَفَضْلِهِ، فَيَجِدُ قَائِمَ اللَّيْلِ مِنْ حَلَاوَةِ الْمُنَاجَاةِ، وَطِيبِ الذِّكْرِ وَالْيَقِينِ بِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ مَا لَا يَجِدُهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْوَقْتِ، يَعْلَمُ ذَلِكَ ضَرُورَةً قَوَامُ اللَّيْلِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ قَوَامَ اللَّيْلِ يُكْثِرُونَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ وَالذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ أَشَدَّ مِمَّا قَبْلَهُ، لِعِلْمِهِمْ أَنَّ وَقْتَ النُّزُولِ يَمْتَدُّ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَلِذَلِكَ يَنْتَظِرُ عِبَادُ الرَّحْمَنِ تِلْكَ السَّاعَاتِ الْقَلِيلَةَ بِفَارِغِ الصَّبْرِ.

الثالث: أَنَّهُ مِنْ عَادَةِ الْمُلُوكِ الْكُرَمَاءِ، وَالسَّادَةِ الرَّحَمَاءِ، إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُكْرِمُوا أَهْلَ بَلَدٍ، أَنْ يَحِلُّوا عَلَيْهِمْ قَرِيبًا مِنْ بِلَادِهِمْ، أَوْ فِي دِيَارِهِمْ، لِيُكْرِمُوهُمْ بِمَا يُرِيدُونَ، وَيَسْمَعُوا حَاجَاتِهِمْ، وَيُلَبُّوا رَغَبَاتِهِمْ، وَلَوْ عَرَضْنَا

عَلَى الْعَقْلِ مَلِكَيْنِ أَرَادَا أَنْ يُكْرِمَا أَهْلَ بَلَدٍ، أَحَدُهُمَا جَاءَ إِلَى أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ
بِنَفْسِهِ وَسَمِعَ حَاجَاتِهِمْ، وَأَكْرَمَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ، وَلَبَّى طَلَبَاتِهِمْ، وَالْآخَرُ أَرْسَلَ
أَحَدَ وَزَرَائِهِ أَوْ أَرْسَلَ رِسَالَةً مَعَ أَحَدِ جُنُودِهِ، بِمَا يُرِيدُ أَنْ يُكْرِمَهُمْ بِهِ، لَقَطَعَ
الْعَقْلُ بِأَنَّ الْأَوَّلَ أَكْرَمُ وَأَجَلُّ وَأَعْظَمُ فِي الْإِكْرَامِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ كَمَالٍ
فِي الْمَخْلُوقِ لَا نَقْصَ فِيهِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، فَالْخَالِقُ أَوْلَى بِهِ، وَوَاهِبُ
الْكَمَالِ أَحَقُّ بِهِ، فَالرَّبُّ تَعَالَى، يَنْزِلُ بِنَفْسِهِ إِلَى أَدْنَى سَمَاءٍ وَهِيَ السَّمَاءُ
الدُّنْيَا، وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهِيَ أَقْرَبُ السَّمَاوَاتِ إِلَى قَوَامِ اللَّيْلِ، وَيَقُولُ: «لَا
أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي»، فَهَلْ هَذَا إِلَّا عَيْنُ الْكَمَالِ؟! مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى:
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فَمَا أَجْهَلَ الْإِنْسَانَ بِرَبِّهِ! وَبِكْرَمِهِ! وَبِعِظَمِ فَضْلِهِ! فَلِلَّهِ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي
لِجَلَالِ وَجْهِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ.

وَبِهَذَا يُعْلَمُ أَنَّ قَوْلَهُ: بَلْ كَانَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يُنَادِينَا وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ، سُوءُ
أَدَبٍ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى.

الرَّابِعُ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُعْطَلَةَ كُلَّهُمْ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ تَعَالَى كَلَامٌ
بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ! فَكَيْفَ يُمَكِّنُ لَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا نِدَاءَ اللَّهِ تَعَالَى؟! وَكَيْفَ يَقْرَعُ
صَوْتُ اللَّهِ تَعَالَى أَسْمَاعَهُمْ؟! لِأَنَّهُمْ قَائِلُونَ بِبِدْعَةِ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ الَّذِي لَيْسَ
بِحَرْفٍ وَلَا بِصَوْتٍ، فَهُمْ أَبْشَعُ حَالًا وَأَشْنَعُ بِدْعَةً فِي بَابِ تَعْطِيلِ صِفَةِ الْكَلَامِ
مِنَ الْجَهْمِيَّةِ الْأُولَى؛ لِأَنَّ الْجَهْمِيَّةَ الْأُولَى كَانُوا يَقُولُونَ بِبِدْعَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ
فَقَطُّ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الْمُعْطَلَةُ فَهُمْ يَقُولُونَ مَعَ الْقَوْلِ بِبِدْعَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ، بِبِدْعَةِ
الْقَوْلِ بِالْكَلامِ النَّفْسِيِّ. فَخَرَقُوا بِذَلِكَ إِجْمَاعَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَتَوْا بِمَا لَا يُقَرُّهُ
عَقْلٌ صَرِيحٌ، وَلَا نَقْلٌ صَحِيحٌ، وَلَا لُغَةٌ، وَلَا عُرْفٌ، وَلَا إِجْمَاعٌ.

الْحَامِسُ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُعْطَلَةَ لِكَثِيرٍ مِنَ الصِّفَاتِ وَلَا سِيَّمَا صِفَةَ

النُّزُولِ، قَدْ أَوَّلُوا حَدِيثَ النُّزُولِ وَحَرَّفُوهُ إِلَى: نُزُولِ الْمَلِكِ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِلُ بِنَفْسِهِ، بَلْ يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِأَمْرِهِ، فَيُنَادِي هَذَا الْمَلَكُ وَيَقُولُ: «مَنْ يَدْعُونِي...، مَنْ يَسْأَلُنِي...، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي...».

أَقُولُ: إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَأَنَّ الْمَلَكَ يَنْزِلُ وَيُنَادِي، فَهَلْ أَهْلُ التَّأْوِيلِ سَمِعُوا نِدَاءَ هَذَا الْمَلِكِ؟!

وَهَلْ طَرَقَ صَوْتُ هَذَا الْمَلِكِ الَّذِي يَنْزِلُ وَيُنَادِي أَسْمَاعَهُمْ؟! وَإِذَا لَمْ يَسْمَعُوا نِدَاءَ هَذَا الْمَلِكِ، فَأَيُّ فَائِدَةٍ مِنْ نُزُولِ هَذَا الْمَلِكِ وَنِدَائِهِ؟! وَنَحْنُ نَقْلِبُ كَلَامَهُمْ عَلَيْهِمْ وَنَقُولُ لَهُمْ: وَإِذَا كَانَ نُزُولُ هَذَا الْمَلِكِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِيُسْمِعَنَا نِدَاءَهُ، فَهَذَا الْمَلِكُ لَمْ يُسْمِعْنَا نِدَاءَهُ وَصَوْتَهُ، فَأَيُّ فَائِدَةٍ مِنْ نُزُولِهِ؟

وَلَقَدْ كَانَ يُمَكِّنُ هَذَا الْمَلِكُ أَنْ يُنَادِيَنَا وَهُوَ فِي السَّمَاءِ...، وَهَلْ هَذَا إِلَّا مِثْلُ مَنْ يُرِيدُ - وَهُوَ بِالْمَشْرِقِ -، إِسْمَاعَ شَخْصٍ فِي الْمَغْرِبِ، فَتَقَدَّمَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِخُطَوَاتٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَخَذَ يُنَادِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ نِدَاءَهُ، فَيَكُونُ نَقْلُهُ الْأَقْدَامَ عَمَلًا بَاطِلًا، وَسَعْيُهُ نَحْوَ الْمَغْرِبِ عَبَثًا صِرْفًا، لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَكَيْفَ يَسْتَقِرُّ مِثْلُ هَذَا فِي قَلْبِ عَاقِلٍ؟^(١).

وَقَدْ سَدَّ هَؤُلَاءِ الْمُؤَوَّلَةُ عَلَى النَّاسِ طَرِيقَ مَعْرِفَةِ رَبِّهِمْ ﷻ، فَحَرَمُوهُمْ مِنْ خَيْرٍ عَظِيمٍ، بَلْ مِنْ أَعْظَمِ عِلْمٍ فِي الْوُجُودِ، فَاللَّهُ الْمَوْعِدُ.

الشُّبْهَةُ الثَّالِثَةُ

النُّزُولُ نُقْلَةً، وَالنُّقْلَةُ مِنْ خَصَائِصِ الْأَجْسَامِ، فَيَلْزِمُهَا لَوَازِمُ تَمَنُّعٍ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى.

لَا تَغْتَرَّ أَيُّهَا النَّاطِرُ بِهَذِهِ التَّلْفِيقَاتِ الْمُزَوَّقَةِ، وَالْكَلِمَاتِ الْمُدَبَّجَةِ،
وَالْعِبَارَاتِ الْمُبْهَرَجَةِ. فَإِنَّهَا كَلِمَاتٌ خَالِيَةٌ مِنَ التَّحْقِيقِ، عَارِيَةٌ مِنَ التَّوْفِيقِ.

وَالرَّدُّ عَلَى الشُّبْهَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ وُجُوهِ:

الوجه الأول: نَقُولُ: هَذَا جِدَالٌ بِالْبَاطِلِ لَا يَرْضِيهِ مَنْ هُوَ عَارِفٌ
بِكَيْفِيَّةِ الْإِسْتِدْلَالَاتِ، وَعَالِمٌ بِمَدَارِكِ الشَّرْعِ وَالْمَدْلُولَاتِ، «وَلَيْسَ بِمَانِعٍ مِنَ
الْقَوْلِ بِحَقِيقَةِ النُّزُولِ!!»

هَلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ اللَّهُ ﷻ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ؟!

فَلَيْسَ إِجْلَالُنَا لِلَّهِ كِإِجْلَالِ الصَّحَابَةِ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ.

وَلَيْسَ حِرْصُنَا عَلَى الْعِلْمِ بِصِفَاتِ اللَّهِ كَحِرْصِ الصَّحَابَةِ، وَهُمْ مَا قَالُوا
هَذِهِ الْإِحْتِمَالَاتِ أَبَدًا، قَالُوا: سَمِعْنَا وَآمَنَّا وَقَبِلْنَا وَصَدَّقْنَا.
وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْخَالِفُونَ الْمُخَالِفُونَ تَأْتُونَ الْآنَ وَتُجَادِلُونَ بِالْبَاطِلِ،
وَتَقُولُونَ: كَيْفَ؟! وَكَيْفَ؟! (١).

الوجه الثاني: إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِالْحَقِّ، وَأَنْصَحُ الْخَلْقِ
لِلْخَلْقِ، وَأَفْصَحُ الْخَلْقِ فِي بَيَانِ الْحَقِّ، وَأَخْرَصُ الْخَلْقِ عَلَى هِدَايَةِ الْخَلْقِ، فَمَا
بَيَّنَّهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ هُوَ الْغَايَةُ فِي هَذَا الْبَابِ «فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، كَانَ
الْمُتَحَذِّقُ وَالْمُنْكَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَضَلِّ النَّاسِ، وَأَجْهَلِهِمْ وَأَسْوَيْهِمْ أَدَبًا، بَلْ يَجِبُ
تَأْدِيبُهُ وَتَعْزِيرُهُ، وَيَجِبُ أَنْ يُصَانَ كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنِ الظُّنُونِ الْبَاطِلَةِ،
وَالْإِعْتِقَادَاتِ الْفَاسِدَةِ» (٢).

الوجه الثالث: لَيْسَ فِي الْقَوْلِ بِإِلَازِمِ النُّزُولِ مَحْذُورٌ الْبَتَّةَ، وَلَا

(١) انظر: «شرح العقيدة الواسطية» (ص ٤٠٠)، للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٨/١٢٩ - ١٣٠).

يَسْتَلِزِمُ ذَلِكَ نَقْصًا وَلَا سَلْبَ كَمَالٍ، بَلْ هُوَ الْكَمَالُ نَفْسُهُ. وَهَذِهِ الْأَفْعَالُ كَمَالٌ وَمَدْحٌ، فَهِيَ حَقٌّ دَالٌّ عَلَيْهِ النَّقْلُ، وَلَا زِمُ الْحَقِّ حَقٌّ.

وَقَوْلُنَا: إِنَّهُ نُزُولٌ لَا مَحْذُورَ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ كَانْتِقَالُ الْأَجْسَامِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ كَمَا قُلْتُمْ: إِنَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَحَيَاتَهُ وَقُدْرَتَهُ وَإِرَادَتَهُ لَيْسَتْ كَصِفَاتِ الْأَجْسَامِ، فَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ.

وَنَحْنُ لَمْ نَتَقَدَّمْ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، بَلْ أَثْبَتْنَا لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ وَأَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ. فَأَلْزَمْتُمْ أَنْتُمْ مَنْ أَثْبَتَ ذَلِكَ الْقَوْلَ بِالْإِنْتِقَالِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا الْإِلْزَامَ إِنَّمَا هُوَ الْإِزَامُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنَّا لَمْ نَتَعَدَّ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، فَكَأَنَّكُمْ قُلْتُمْ: مَنْ أَثْبَتَ لَهُ نُزُولًا لَزِمَهُ وَصْفُهُ بِالْإِنْتِقَالِ، وَالرَّسُولُ ﷺ هُوَ الَّذِي أَثْبَتَ ذَلِكَ لِلَّهِ، فَهُوَ حَقٌّ بِلَا رَيْبٍ.

فَكَانَ جَوَابُنَا: إِنَّ الْإِنْتِقَالَ إِنْ لَزِمَ مِنْ إِبْثَاتٍ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِبْثَاتِهِ ضَرُورَةً، إِذْ لَا زِمُ الْحَقِّ حَقٌّ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَزِمًا لَهُ، فَأَنْتُمْ مُعْتَرِضُونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كَاذِبُونَ عَلَيْهِ، مُتَقَدِّمُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَبَطَلَ الْإِزَامُكُمْ.

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا نُسَلِّمُ لُزُومَهُ؛ فَإِنْ نُزُولُهُ لَيْسَ كَنُزُولِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلِهَذَا نَقَلَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ: أَنَّهُ يَنْزِلُ، وَلَا يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ ^(١).

وَقَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الصَّوَابُ فِي حَدِيثِ النُّزُولِ وَنَحْوِهِ مَا قَالَهُ مَالِكٌ وَأَقْرَانُهُ: يُمَرُّ كَمَا جَاءَ بِلا كَيْفِيَّةٍ، وَلَا زِمُ الْحَقِّ حَقٌّ، وَنَفْيُ الْإِنْتِقَالِ وَإِبْثَاتُهُ عِبَارَةٌ مُحَدَّثَةٌ، فَإِنْ ثَبَّتَ فِي الْأَثَرِ رَوَيْنَاهَا وَنَطَقْنَا بِهَا، وَإِنْ نُفَيْتَ فِي الْأَثَرِ نَطَقْنَا بِالنَّفْيِ، وَإِلَّا لَزِمْنَا السُّكُوتَ وَآمَنَّا بِمَا ثَبَّتَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْأَحْسَنُ فِي هَذَا الْبَابِ مُرَاعَاةُ أَلْفَاظِ
النُّصُوصِ. فَالْأَلْفَاظُ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فِي الْإِثْبَاتِ تُثَبَّتُ،
وَالَّتِي جَاءَتْ بِالنَّفْيِ تُنْفَى. وَالْأَلْفَاظُ الْمُجْمَلَةُ كَلْفَظِ «الْحَرَكَةِ» وَ«النُّزُولِ»
وَالْإِنْتِقَالِ، يَجِبُ أَنْ يُقَالَ فِيهَا: إِنَّهُ مُنَزَّهُ عَنْ مُمَائِلَةِ الْمَخْلُوقِينَ مِنْ كُلِّ
وَجْهِ، لَا يُمَائِلُ الْمَخْلُوقَ لَا فِي نُّزُولٍ، وَلَا فِي حَرَكَةٍ، وَلَا إِنْتِقَالٍ وَلَا زَوَالٍ،
وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ^(٢). وَهَذِهِ سَبِيلُ مَنْ اعْتَصَمَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى^(٣).

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَنْ نَزَّهَهُ عَنْ نُزُولِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَدُنُوهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ مِنْ أَهْلِ الْمَوْقِفِ، وَمَجِيئِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِرَارًا مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالْأَجْسَامِ؛ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِالْجَمَادِ الَّذِي لَا يَتَصَرَّفُ، وَلَا يَفْعَلُ، وَلَا يَجِيءُ، وَلَا يَأْتِي، وَلَا يَنْزِلُ»^(٥).

(١) «المهذب في اختصار السنن الكبير» (٢/٤٧٠).

(۳) «مجموع الفتاوی» (۱۶/۴۳۲).

(۲) «مجموع الفتاوی» (۱۶/۴۲۶).

(٥) «طريق الهجرتين» (ص ٢٩٥).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٨/٢٣).

الصَّنَاعِيَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي إِبْثَاتِهِ وَنَفْيِهِ، بَلْ يُوصَفُ بِهِ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ هُنَا طَرِيقَانِ:

(أَحَدُهُمَا): إِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ تُوصَفُ بِهَا الْأَجْسَامُ وَالْأَعْرَاضُ، فَيَقَالُ: جَاءَ الْبَرْدُ، وَجَاءَ الْحَرُّ، وَجَاءَتِ الْحُمَّى، وَهِيَ أَعْرَاضٌ. وَبِهِ يُعْلَمُ أَنَّ أَنْوَاعَ جِنْسِ الْحَرَكَةِ كَالنُّزُولِ وَنَحْوِهِ، لَيْسَ مِنْ خَصَائِصِ الْأَجْسَامِ، فَيَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِهَا اللَّهُ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ.

(الطَّرِيقُ الثَّانِي): أَنْ يُقَالَ: الْمَجِيءُ وَالْإِتْيَانُ وَالصُّعُودُ وَالنُّزُولُ تُوصَفُ بِهِ رُوحُ الْإِنْسَانِ الَّتِي تُفَارِقُهُ بِالْمَوْتِ، وَتُسَمَّى النَّفْسَ، وَتُوصَفُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ. وَلَيْسَ نُّزُولُ الرُّوحِ وَصُّعُودُهَا مِنْ جِنْسِ نُّزُولِ الْبَدَنِ وَصُّعُودِهِ، فَإِنَّ رُوحَ الْمُؤْمِنِ تَصْعَدُ إِلَى فَوْقِ السَّمَاوَاتِ ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ، فِيمَا بَيْنَ قَبْضِهَا وَوَضْعِ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ. وَهَذَا زَمَنٌ يَسِيرٌ، لَا يَصْعَدُ الْبَدَنُ إِلَى فَوْقِ السَّمَاوَاتِ ثُمَّ يَنْزِلُ إِلَى الْأَرْضِ، فِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ^(١).

وَإِذَا كَانَتِ الرُّوحُ تَعْرُجُ مِنَ النَّائِمِ إِلَى السَّمَاءِ، مَعَ أَنَّهَا فِي الْبَدَنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسَلِئِ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، عُلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ عُرُوجُهَا مِنْ جِنْسِ عُرُوجِ الْبَدَنِ الَّذِي يَمْتَنِعُ هَذَا فِيهِ.

وَعُرُوجُ الْمَلَائِكَةِ وَنُّزُولُهَا، مِنْ جِنْسِ عُرُوجِ الرُّوحِ وَنُّزُولِهَا، لَا مِنْ جِنْسِ عُرُوجِ الْبَدَنِ وَنُّزُولِهِ.

و«نُّزُولُ» الرَّبِّ ﷻ فَوْقَ هَذَا كُلِّهِ، وَأَجَلٌ مِنْ هَذَا كُلِّهِ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى أَبْعَدُ عَنْ مُمَاثَلَةِ كُلِّ مَخْلُوقٍ، مِنْ مُمَاثَلَةِ مَخْلُوقٍ بِمَخْلُوقٍ.

وَإِذَا عُرِفَ هَذَا: فَإِنَّ لِلْمَلَائِكَةِ مِنْ ذَلِكَ مَا يَلِيقُ بِهِمْ، وَأَنَّ مَا يُوصَفُ بِهِ

الرَّبُّ ﷻ: هُوَ أَكْمَلُ وَأَعْلَى وَأَتَمُّ مِنْ هَذَا كُلِّهِ^(١)، وَأَوَّلَى بِالْإِمْكَانِ، وَأَبْعَدُ عَنْ مُمَثَّلَةِ نُزُولِ الْأَجْسَامِ، بَلْ نُزُولُهُ لَا يُمَاتِلُ نُزُولَ الْمَلَائِكَةِ وَأَرْوَاحِ بَنِي آدَمَ^(٢). وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ مَا يُوصَفُ بِهِ الرَّبُّ ﷻ، لَا يَكُونُ إِلَّا مِثْلُ مَا تُوصَفُ بِهِ أَبْدَانُ بَنِي آدَمَ؛ فَغَلَطُهُ أَعْظَمُ مِنْ غَلَطِ مَنْ ظَنَّ أَنَّ مَا تُوصَفُ بِهِ الرُّوحُ، مِثْلُ مَا تُوصَفُ بِهِ الْأَبْدَانُ^(٣).

وَحُلَاصَةُ هَذِهِ الشُّبْهَةِ وَمَا تَدُورُ عَلَيْهِ عِنْدَ جَمِيعِ مَنْ يَحْتَجُّ بِهَا، سِوَاءَ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ: «إِنَّ النُّزُولَ نُقْلَةً، وَالنُّقْلَةُ مِنْ خَصَائِصِ الْأَجْسَامِ، فَيَلْزِمُهَا لَوَازِمُ تَمَتُّعٍ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى»، وَهَذِهِ اللَّوَاظِمُ الَّتِي يَذْكُرُونَهَا تَلْزِمُ فِيمَنْ نَيْسَ بِإِلَهِ، وَرَبِّ لِلْخَلْقِ. وَاللَّهُ ﷻ «مُنَزَّهٌ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مِثْلَ صِفَاتِ الْخَلْقِ، كَمَا كَانَ مُنَزَّهًا أَنْ تَكُونَ ذَاتُهُ مِثْلَ ذَوَاتِ الْخَلْقِ؛ فَمَجِيئُهُ وَإِتْيَانُهُ وَنُزُولُهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَلِيقُ بِصِفَاتِهِ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ وَكَيْفٍ»^(٤).

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

الرَّبُّ رَبٌّ وَإِنْ تَنَزَّلَ وَالْعَبْدُ عَبْدٌ وَإِنْ تَرَقَّى!^(٥)
وَفِي خِتَامِ الرَّدِّ عَلَى الشُّبْهَةِ الْمَذْكُورَةِ، أَقُولُ بِإِلَهِ التَّوْفِيقِ:

فَمَا لَزِمَ مِنْ إِثْبَاتِ صِفَةِ النُّزُولِ «فَإِنَّا بِهِ قَائِلُونَ، وَلَهُ مُلْتَزِمُونَ، كَمَا أَنَا مُلْتَزِمُونَ لِكُلِّ مَا لَزِمَ مِنْ كَوْنِهِ حَيًّا، عَلِيمًا قَدِيرًا، سَمِيعًا بَصِيرًا مُتَكَلِّمًا، أَمْرًا نَاهِيًا، فَوْقَ عَرْشِهِ، بَاطِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِأَبْصَارِهِمْ عَيْنَانَا فِي الْجَنَّةِ، وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَيُكَلِّمُهُمْ وَيُكَلِّمُونَهُ، فَإِنَّ هَذَا حَقٌّ، وَلَا زِمُ الْحَقِّ مِثْلُهُ،

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/٥٢٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/٥٢٧).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٥/٤٥٨ - ٤٥٩).

(٤) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص ٥٩)، تحقيق: بدر البدر.

(٥) «السراج الوهاج» (١٠/٥١٤ - ٥١٥).

وَمَا لَمْ يَلْزَمْ مِنْ إِبْثَاتِ ذَلِكَ مِنَ الْبَاطِلِ الَّذِي تَتَخَيَّلُهُ خَفَافِشُ الْعُقُولِ، فَحَنْ لَهُ مُنْكَرُونَ، وَعَنِ الْقَوْلِ بِهِ عَادِلُونَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ»^(١).

الشُّبْهَةُ الرَّابِعَةُ

قَالَ السَّقَّافُ: لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْزِلَ بِذَاتِهِ - كَمَا تَتَخَيَّلُ الْمُجَسِّمَةُ -، إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ حُلُولَ الْخَالِقِ فِي الْمَخْلُوقِ، وَهُوَ كُفْرٌ بَوَاحٍ^(٢).

اعْلَمْ - سَلَّمَكَ اللَّهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ - بِأَنَّ «الْأَوْهَامَ الْبَاطِلَةَ وَالْعُقُولَ الْفَاسِدَةَ لَمَّا فَهَمَّتْ مِنْ نُزُولِ الرَّبِّ مَا يُفْهَمُ مِنْ نُزُولِ الْمَخْلُوقِ - وَهُوَ أَنْ يُفْرِغَ مَكَانًا وَيَشْغَلَ مَكَانًا -، نَفَتْ حَقِيقَةَ ذَلِكَ فَوَقَعَتْ فِي مَحْذُورَيْنِ: مَحْذُورِ التَّشْبِيهِ وَمَحْذُورِ التَّعْطِيلِ. وَلَوْ عَلِمْتَ هَذِهِ الْعُقُولُ الضَّعِيفَةُ أَنَّ نُزُولَهُ سُبْحَانَهُ لَا يُشْبِهُ نُزُولَ الْمَخْلُوقِ، كَمَا أَنَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَعِلْمَهُ وَحَيَاتَهُ كَذَلِكَ. وَإِذَا كَانَ نُزُولًا لَيْسَ كَمِثْلِهِ نُزُولٌ، فَكَيْفَ تَنْفِي حَقِيقَتَهُ؟»^(٣)

وَالْكَلِمَاتُ الْمَذْكُورَةُ بَاطِلَةٌ وَعَنْ حُلَى التَّحْقِيقِ عَارِيَةٌ.

وَزَعَمُ السَّقَّافِ أَنَّ مَنْ قَالَ يَنْزِلُ بِذَاتِهِ أَنَّهُ مُجَسِّمٌ حُلُولِيٌّ: قَوْلٌ بِلَا عِلْمٍ وَكَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

وَالسَّقَّافُ وَأَمْثَالُهُ لَمْ يَفْهَمُوا مِنْ نُزُولِ الْخَالِقِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، إِلَّا كَمَا فَهَمُوا مِنْ نُزُولِ الْمَخْلُوقَاتِ، «وَهَذَا عَيْنُ التَّمْثِيلِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ جَعَلُوهُ كَالْوَاحِدِ الْعَاجِزِ مِنْهُمْ، الَّذِي لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَجْمَعَ مِنَ الْأَفْعَالِ مَا يَعْجُزُ غَيْرُهُ عَنْ جَمْعِهِ»^(٤). وَكَذَّبُوا فِي هَذَا الْفَهْمِ، وَضَلُّوا فِي هَذَا الظَّنِّ وَالْوَهْمِ الْكَاسِدِ. فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَالَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ

(١) «شفاء العليل» (٢/ ٦٥٤).

(٢) «دفع شبه التشبيه» (ص ٣٥).

(٣) «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٢٨ - ٢٢٩). (٤) «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٢٢٨ - ٢٢٩).

الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾ [الزمر: ٦٧].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَطْوِي اللَّهُ ﷻ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟!»^(١).

فَمَنْ هَذِهِ عَظَمَتُهُ، كَيْفَ يَحْضَرُهُ مَخْلُوقٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ. سَمَاءٌ أَوْ غَيْرُ سَمَاءٍ؟ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّهُ إِذَا نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا صَارَ الْعَرْشُ فَوْقَهُ، أَوْ يَصِيرُ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ يَحْضَرُهُ وَيُحِيطُ بِهِ ﷻ^(٢).

وَاللَّهُ - وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى - أَعْظَمُ مَنْ أَنْ يُظَنَّ ذَلِكَ بِهِ، وَإِنَّمَا يَظُنُّهُ الَّذِينَ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]^(٣).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعَلِيُّ الْأَعْلَى الْعَظِيمُ، فَهُوَ أَعْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَلَا يَكُونُ نُزُولُهُ وَإِتْيَانُهُ بِحَيْثُ تَكُونُ الْمَخْلُوقَاتُ تُحِيطُ بِهِ، أَوْ تَكُونُ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَكْبَرُ، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ^(٤).

فَالْمَخْلُوقُ إِذَا نَزَلَ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى سُفْلٍ، زَالَ وَصْفُهُ بِالْعُلُوِّ وَتَبَدَّلَ إِلَى وَصْفِهِ بِالسُّفُولِ، وَصَارَ غَيْرُهُ أَعْلَى مِنْهُ.

وَالرَّبُّ تَعَالَى لَا يَكُونُ شَيْءٌ أَعْلَى مِنْهُ قَطُّ، بَلْ هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، وَلَا يَزَالُ هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى مَعَ أَنَّهُ يَقْرُبُ إِلَى عِبَادِهِ وَيَدْنُو مِنْهُمْ، وَيَنْزِلُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ، وَيَأْتِي كَمَا شَاءَ. وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، الْكَبِيرُ

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٨٢).

(١) رواه مسلم [٢٤ - (٢٧٨٨)].

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٤٢٢).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٨٢ - ٥٨٣).

الْمُتَعَالِ، عَلَيَّ فِي دُنُوهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

فَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهِ غَيْرُهُ، فَلِعَجْزِ الْمَخْلُوقِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا. كَمَا يَعَجْزُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ وَالظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ^(١).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَنَزَلَتْ كُلُّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا سَلَامٌ مِمَّا يُضَادُّ عُلُوَّهُ، وَسَلَامٌ مِمَّا يُضَادُّ غِنَاهُ وَكَمَالَهُ، سَلَامٌ مِنْ كُلِّ مَا يَتَوَهَّمُ مُعْطَلٌ أَوْ مُشَبَّهٌ، وَسَلَامٌ مِنْ أَنْ يَصِيرَ تَحْتَ شَيْءٍ أَوْ مُحْصُورًا فِي شَيْءٍ. تَعَالَى اللَّهُ رَبُّنَا عَنْ كُلِّ مَا يُضَادُّ كَمَالَهُ^(٢).

فَتَبَيَّنَ بِهَذَا الْكَلَامِ النَّفِيسِ، بُطْلَانُ مَا ذَكَرَهُ السَّقَافُ؛ وَأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ مِنَ الْخَيَالَاتِ وَالْأَوْهَامِ.

وَلِيَتَأَمَّلِ السَّقَافُ وَأَمْثَالُهُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ، الْأَثَرِ التَّالِي:

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ الْمُظَفَّرِيِّ: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ: كَانَ أَبُو مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرُ يُحَدِّثُ هَارُونَ الرَّشِيدَ، فَحَدَّثَهُ بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «احتج آدم وموسى»^(٣). فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ: كَيْفَ هَذَا وَبَيْنَ آدَمَ وَمُوسَى مَا بَيْنَهُمَا؟! قَالَ: فَوُتِّبَ بِهِ هَارُونُ، وَقَالَ: يُحَدِّثُكَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَتُعَارِضُهُ بِكَيْفٍ؟! فَمَا زَالَ يَقُولُ حَتَّى سَكَتَ عَنْهُ^(٤).

قَالَ الْمُحَدِّثُ الصَّابُونِيُّ مُعَقَّبًا: هَكَذَا يَنْبَغِي لِلْمَرءِ أَنْ يُعْظَمَ أَخْبَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُقَابِلَهَا بِالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّصَدِيقِ، وَيُنْكَرَ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ يَسْلُكُ فِيهَا غَيْرَ هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَ هَارُونُ الرَّشِيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) «مجموع الفتاوى» (٤٢٤/١٦). (٢) «بدائع الفوائد» (١٣٦/٢).

(٣) رواه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١٨١/٢)، وعنه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٤٣/٥) من طريق آخر وبألفاظ مختلفة، وإسناده صحيح. انظر: «عقيدة السلف أصحاب

الحديث» (ص ١٢٧)، تحقيق: بدر البدر.

مَعَ مَنْ اعْتَرَضَ عَلَى الْخَبَرِ الصَّحِيحِ الَّذِي سَمِعَهُ بِ«كَيْفَ»؟! عَلَى طَرِيقِ
الْإِنْكَارِ لَهُ، وَالْإِبْتِعَادِ عَنْهُ، وَلَمْ يَتَلَقَّهُ بِالْقَبُولِ كَمَا يَجِبُ أَنْ يُتَلَقَّى جَمِيعُ
مَا يَرِدُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ.

جَعَلَنَا اللَّهُ ﷻ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ وَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ،
وَيَتَمَسَّكُونَ فِي دُنْيَاهُمْ مُدَّةَ حَيَاتِهِمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَجَنَّبَنَا الْأَهْوَاءَ الْمُضِلَّةَ
وَالْآرَاءَ الْمُضْمَحِلَّةَ وَالْأَسْوَاءَ الْمُدِلَّةَ، فَضْلاً مِنْهُ وَمِنَّةً^(١).

وَفِي خِتَامِ الرَّدِّ عَلَى الشُّبُهَاتِ الْوَارِدَةِ عَلَى حَدِيثِ التَّنْزِيلِ، نَقُولُ
- وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ -:

إِنَّ «الْحَقَّ الْحَقِيقَ الَّذِي يَنْبَغِي عَلَيْهِ التَّعْوِيلُ أَنْ نُؤْمِنُ بِمَا وَصَلَ إِلَيْنَا عَنْ
طَرِيقِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِأَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى الثَّلَاثُ
الْآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ؟ مَنْ
يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟!

وَلَا يُغْتَرُّ بِمَا فَاهَ بِهِ: جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ، وَرَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِ
الْأَوْهَامِ؛ النَّاكِبُونَ عَنِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ، وَالْمَنْهَجِ النَّبَوِيِّ. الْجَامِدُونَ
عَلَى سَيْرِ الْمَنْطِقِيِّينَ وَالْمُتَفَلْسِفِينَ، فَإِنَّهُمْ بِمَعَزِلٍ عَنْ طَرِيقَةِ السَّلَفِ
الصَّالِحِينَ، وَعَلَى مَرَاجِلٍ شَاسِعَةٍ عَنْ مِنْهَاجِ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ.

فَدَعُ عَنْكَ نَهَبًا صِيحَ فِي حُجْرَاتِهِ وَهَاتِ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرَّوَاجِلِ^(٢)



(١) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص ١٢٧ - ١٢٨)، تحقيق: بدر البدر.

(٢) «السراج الوهاج» (١٠/ ٥٠٩ - ٥١١).

أَسْئَلَةُ مُهِمَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِحَدِيثِ النُّزُولِ

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: هَلْ نَقُولُ: يَنْزِلُ بِذَاتِهِ؟

وَالْجَوَابُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا..» خَبَرٌ وَقَعَ عَنْ نَفْسِ ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا عَنْ غَيْرِهِ. فَإِذَا قُلْتُ: جَاءَ مُحَمَّدٌ أَي: بِنَفْسِهِ جَاءَ، لَا مُجَرَّدُ أَمْرِهِ وَقَصْدِهِ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى. فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، هُوَ خَبَرٌ عَنْ ذَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى، فَلَا يَحْتَاجُ الْمُخْبِرُ أَنْ يَقُولَ: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ بِذَاتِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ رُبُّكُمْ﴾ [يونس: ٣٢]، قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْخَبَرَ عَنْ نَفْسِ ذَاتِهِ. وَكَذَلِكَ جَمِيعُ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، إِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ عَنْ ذَاتِهِ.

فَلَا حَاجَةَ بِنَا أَنْ نَقُولَ: اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِذَاتِهِ^(١)، وَيَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ بِذَاتِهِ، كَمَا لَا نَحْتَاجُ أَنْ نَقُولَ: خَلَقَ بِذَاتِهِ، وَقَدَّرَ بِذَاتِهِ، وَسَمِعَ وَتَكَلَّمَ بِذَاتِهِ، وَإِنَّمَا قَالَ أَيْمَةُ السُّنَّةِ ذَلِكَ إِبْطَالًا لِقَوْلِ الْمُعْطَلَةِ^(٢).

وَمِمَّنْ صَرَّحَ بِالنُّزُولِ بِالذَّاتِ: الْإِمَامُ ابْنُ حَامِدٍ^(٣)، وَالْإِمَامُ عَبْدُ الْجَلِيلِ كُوتَاهُ. قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ السَّمْعَانِيُّ: لَمَّا وَرَدَتْ أَصْبَهَانَ كَانَ - كُوتَاهُ - مَا يَخْرُجُ مِنْ دَارِهِ إِلَّا لِحَاجَةِ مُهِمَّةٍ، كَانَ شَيْخُهُ إِسْمَاعِيلُ الْحَافِظُ هَجَرَهُ، وَمَنَعَهُ مِنْ حُضُورِ مَجْلِسِهِ لِمَسْأَلَةِ جَرَتْ فِي النُّزُولِ، وَكَانَ كُوتَاهُ يَقُولُ:

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّوَاعِقُ» (٤/ ١٣٨٥): «أَي: ذَاتُهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، عَالِيَةً عَلَيْهِ».

(٢) «مَخْتَصَرُ الصَّوَاعِقُ» (١/ ٢٢٢).

(٣) ذَكَرَ ذَلِكَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فَتْحِ الْبَارِي» (٩/ ٢٧٨).

النُّزُولُ بِالذَّاتِ، فَأَنْكَرَ إِسْمَاعِيلُ هَذَا، وَأَمَرَهُ بِالرُّجُوعِ عَنْهُ، فَمَا فَعَلَ^(١).
وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ يُوَافِقُهُ عَلَى اعْتِقَادِهِ، لَكِنْ أَنْكَرَ إِطْلَاقَ اللَّفْظِ لِعَدَمِ
الْأَثَرِ بِهِ^(٢).

قَالَ الذَّهَبِيُّ مُعَلِّقًا عَلَى قَوْلِ كُوتَاهُ السَّابِقِ: «وَمَسْأَلَةُ النُّزُولِ، فَلَا إِيمَانُ
بِهِ وَاجِبٌ، وَتَرَكَ الْخَوْصِ فِي لَوَازِمِهِ أُولَى، وَهُوَ سَبِيلُ السَّلَفِ، فَمَا قَالَ هَذَا:
نُزُولُهُ بِذَاتِهِ، إِلَّا إِرْغَامًا لِمَنْ تَأَوَّلَهُ، وَقَالَ: نُزُولُهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِالْعِلْمِ فَقَطْ،
تَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ مِرَاءٍ فِي الدِّينِ، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] وَنَحْوُهُ،
فَنَقُولُ: جَاءَ وَيَنْزِلُ، وَتَنْتَهِي عَنِ الْقَوْلِ: يَنْزِلُ بِذَاتِهِ، كَمَا لَا نَقُولُ: يَنْزِلُ بِعِلْمِهِ،
بَلْ نَسْكُتُ وَلَا نَتَفَاصَحُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ بِعِبَارَاتٍ مُبْتَدَعَةٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(٣).

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الْأَحَادِيثَ صَرِيحَةً فِي إِطْلَاقِ لَفْظِ النُّزُولِ، وَلَمْ يَرِدْ فِيهَا
لَفْظَةُ «بِذَاتِهِ»؛ فَمَنْ أَطْلَقَهَا إِنَّمَا أَرَادَ بِهَا الرَّدَّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْطَلَةِ وَالْمُفَوَّضَةِ،
وَمَنْ لَمْ يُطْلِقْهَا فَقَدْ وَقَفَ مَعَ النُّصُوصِ، مَعَ إِقْرَارِهِ بِإِثْبَاتِ مَعْنَى النُّزُولِ.

السُّؤَالُ الثَّانِي: كَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ
نِصْفَ اللَّيْلِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيَسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى؟ هَلْ
مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفَرِّجَ عَنْهُ؟ فَلَا يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ، إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ ﷻ
لَهُ، إِلَّا زَانِيَةً تَسْعَى بِفَرْجِهَا، أَوْ عَشَارًا»^(٤). وَحَدِيثِ النُّزُولِ؟

قُلْنَا: وَأَيُّ مُنَافَاةٍ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا فَيَقُولُ؟» وَهَلْ يَسُوعُ
أَنْ يَقَالَ: إِنَّ الْمُنَادِيَ يَقُولُ: «أَنَا الْمَلِكُ»، وَيَقُولُ: «لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي»،

(١) «السَّيَر» (٢/ ٣٣٠).

(٢) «السَّيَر» (٢/ ٣٣١).

(٤) رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٧٦٩) من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي (رضي الله عنه)، وصححه
الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٢٩٧١).

وَيَقُولُ: «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرْ لَهُ؟». وَأَيُّ بُعْدٍ فِي أَنْ يَأْمُرَ مُنَادِيًا يُنَادِي: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ؟» ثُمَّ يَقُولُ هُوَ سَبَّحَ اسْمُهُ: «مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟». وَهَلْ هَذَا إِلَّا أَبْلَغُ فِي الْكَرَمِ وَالْإِحْسَانِ: أَنْ يَأْمُرَ مُنَادِيَهُ يَقُولُ ذَلِكَ، وَيَقُولُهُ سَبَّحَ اسْمُهُ بِنَفْسِهِ؟ وَتَتَصَادَقُ الرِّوَايَاتُ كُلُّهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نَصَدَّقُ بَعْضَهَا، وَنُكَذِّبُ مَا هُوَ أَصَحُّ مِنْهُ، وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ ^(١).

السُّؤَالُ الثَّالِثُ: كَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ، وَنُزُولِهِ إِلَى

السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟

لَا تَعَارُضُ بَيْنَ نُزُولِهِ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنْ كُلِّ لَيْلَةٍ مَعَ اخْتِلَافِ الْأَقْطَارِ، وَبَيْنَ اسْتِوَاءِهِ ﷻ عَلَى الْعَرْشِ؛ لِأَنَّهُ سَبَّحَ اسْمُهُ لَا يُشْبِهُ خَلْقَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ، فَفِي الْإِمْكَانِ أَنْ يَنْزِلَ كَمَا يَشَاءُ نُزُولًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كُلِّ قِطْرٍ، وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ عُلُوُّهُ وَاسْتِوَاءُهُ عَلَى الْعَرْشِ؛ لِأَنَّنَا فِي ذَلِكَ لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ النُّزُولِ، وَلَا كَيْفِيَّةَ الْإِسْتِوَاءِ، بَلْ ذَلِكَ مُخْتَصٌّ بِهِ سَبَّحَ اسْمُهُ، بِخِلَافِ الْمَخْلُوقِ فَإِنَّهُ يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ أَنْ يَنْزِلَ فِي مَكَانٍ وَيُوجَدُ بِمَكَانٍ آخَرَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ، إِلَّا اللَّهُ ﷻ، فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَلَا يُقَاسُ وَلَا يُمَثَّلُ بِهِمْ لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وَقَوْلِهِ سَبَّحَ اسْمُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿[الشورى: ١١]﴾ ^(٢).

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْه رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٣٨هـ): دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ طَاهِرٍ فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ؟ تَرَوْنَّ أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، رَوَاهَا الثَّقَاتُ الَّذِينَ يَرَوْنَهَا أَحْكَامًا. فَقَالَ: يَنْزِلُ وَيَدْعُ عَرْشَهُ؟

(١) «تهذيب سنن أبي داود» (١٢٦/٧ - ١٢٧)، لابن القيم.

(٢) «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (١٣٦/٣)، فتوى رقم (١٦٤٣).

فَقُلْتُ: يَقْدِرُ أَنْ يَنْزِلَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْلُوَ مِنْهُ الْعَرْشُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَلِمَ تَتَكَلَّمُ فِي هَذَا؟^(١)

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَام رَحِمَهُ اللَّهُ: وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ - وَهُوَ مِنْ خِيَارِ مَنْ وَلِيَ الْأَمْرَ بِخُرَاسَانَ - كَانَ يَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَشْكَلَ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَنْزِلُ لِتَوْهُمِهِ أَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ يَخْلُوَ مِنْهُ الْعَرْشُ، فَأَقَرَّهُ الْإِمَامُ إِسْحَاقُ عَلَى أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَقَالَ لَهُ: يَقْدِرُ أَنْ يَنْزِلَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْلُوَ مِنْهُ الْعَرْشُ؟ فَقَالَ لَهُ الْأَمِيرُ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: لِمَ تَتَكَلَّمُ فِي هَذَا؟

يَقُولُ: فَإِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَلْزَمْ مِنْ نُزُولِهِ خُلُوعُ الْعَرْشِ مِنْهُ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْتَرَضَ عَلَى النُّزُولِ بِأَنَّهُ يَلْزَمْ مِنْهُ خُلُوعُ الْعَرْشِ، وَكَانَ هَذَا أَهْوَنَ مِنْ اعْتِرَاضِ مَنْ يَقُولُ: لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ شَيْءٌ، فَيُنْكَرُ هَذَا وَهَذَا^(٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا الْبَابُ وَنَحْوُهُ إِنَّمَا اشْتَبَهَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ؛ لِأَنَّهُمْ صَارُوا يَظُنُّونَ أَنَّ مَا وَصَفَ اللَّهُ ﷻ مِنْ جِنْسٍ مَا تُوصَفُ بِهِ أَجْسَامُهُمْ، فَيَرَوْنَ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ الْجَمْعَ بَيْنَ الضَّدَّيْنِ، فَإِنْ كَوْنَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ مَعَ نُزُولِهِ يَمْتَنِعُ فِي مِثْلِ أَجْسَامِهِمْ، لَكِنْ مِمَّا يُسَهِّلُ عَلَيْهِمْ مَعْرِفَةَ إِمْكَانِ هَذَا مَعْرِفَةُ أَرْوَاحِهِمْ وَصِفَاتِهَا وَأَفْعَالِهَا، وَأَنَّ الرُّوحَ قَدْ تَعَرَّجَ مِنَ النَّائِمِ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ لَمْ تُفَارِقِ الْبَدَنَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]^(٣).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيُّ (٢٨٠هـ): سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١١٢٥)، وصحَّح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في «شرح حديث النزول» (ص ١٥٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/٥٢٣).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٥/٣٧٧).

رَاهُوِيَه يَقُولُ: «اجْتَمَعَتِ الْجَهْمِيَّةُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ يَوْمًا، فَقَالُوا لَهُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ! إِنَّكَ تُقَدِّمُ إِسْحَاقَ وَتُكْرِمُهُ وَتُعَظِّمُهُ، وَهُوَ كَافِرٌ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ، وَيَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ! قَالَ: فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ وَبَعَثَ إِلَيَّ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْتُ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ غَضَبًا، وَلَمْ يَسْتَجِلْسْنِي، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِي: وَيْلَكَ يَا إِسْحَاقُ! مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ؟

قَالَ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي. قَالَ: تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَيَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ؟!

فَقُلْتُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ! لَسْتُ أَنَا قُلْتُهُ، قَالَهُ النَّبِيُّ ﷺ؛ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ: عَنْ إِسْحَاقَ، عَنِ الْأَعْرَبِيِّ بْنِ مُسْلِمٍ: أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ: أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى سَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟...» الْحَدِيثَ، وَلَكِنْ مُرُّهُمْ يُنَاطِرُونِي. قَالَ: فَلَمَّا ذَكَرْتُ لَهُ النَّبِيَّ ﷺ سَكَنَ غَضَبُهُ، وَقَالَ لِي: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: مُرُّهُمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ يُنَاطِرُونِي، قَالَ: نَاطِرُوهُ.

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْزِلَ، وَلَا يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ، أَمْ لَا يَسْتَطِيعُ؟ قَالَ: فَسَكْتُوْا وَأَطَرِقُوا رُؤُوسَهُمْ. فَقُلْتُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ! مُرُّهُمْ يُجِيبُوا، فَسَكْتُوْا. فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا إِسْحَاقُ! مَاذَا سَأَلْتَهُمْ؟! قَالَ: قُلْتُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ! قُلْ لَهُمْ: يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْزِلَ، وَلَا يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ، أَمْ لَا؟ قَالَ: فَأَيْشَ هَذَا؟

قُلْتُ: إِنْ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْزِلَ، إِلَّا أَنْ يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ، فَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَاجِزٌ مِثْلِي وَمِثْلَهُمْ، وَقَدْ كَفَرُوا؛ وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ

يَنْزِلُ، وَلَا يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ، فَهُوَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَا يَخْلُو مِنْهُ الْمَكَانُ»^(١).

أَي: لَا يَخْلُو مَكَانٌ مِنْ عِلْمِهِ وَاطَّلَاعِهِ.

وَمِمَّا ذَكَرْنَا يَتَّضِحُ لَكَ: أَنَّهُ لَا تَعَارُضَ بَيْنَ نُزُولِ اللَّهِ ﷻ وَاسْتِوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ.

وَأَمَّا الْمُشْتَغِلُونَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ، فَأَنْكَرُوا عُلُوَّ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ وَنُزُولَهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

السُّؤَالُ الرَّابِعُ: مَا يُسْتَفَادُ مِنْ حَدِيثِ النُّزُولِ؟

يُسْتَفَادُ مِنْ حَدِيثِ النُّزُولِ مَا يَلِي:

أَوَّلًا: إِبْثَاتُ الْعُلُوِّ لِلَّهِ مِنْ قَوْلِهِ: «يَنْزِلُ».

ثَانِيًا: إِبْثَاتُ الْأَفْعَالِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ الَّتِي هِيَ الصِّفَاتُ الْفِعْلِيَّةُ، مِنْ قَوْلِهِ: «يَنْزِلُ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ».

ثَالِثًا: إِبْثَاتُ الْقَوْلِ لِلَّهِ مِنْ قَوْلِهِ: «يَقُولُ».

رَابِعًا: إِبْثَاتُ الْكَرَمِ لِلَّهِ ﷻ مِنْ قَوْلِهِ: «مَنْ يَدْعُونِي... مَنْ يَسْأَلْنِي... مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي...».

وَفِيهِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَسْلُكِيَّةِ:

أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَغْتَنِمَ هَذَا الْجُزْءَ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْأَلَ اللَّهَ ﷻ وَيَدْعُوهُ وَيَسْتَغْفِرُهُ، مَا دَامَ الرَّبُّ ﷻ يَقُولُ: «مَنْ يَدْعُونِي... مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي...» وَ«مَنْ»: لِلتَّشْوِيقِ؛ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَسْتَغْلَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ؛

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٨٧/٥ - ٣٨٩). وانظر: «الحجة على تارك المحجة» (٢/٦٥٢ - ٦٥٥)، لمحمد بن طاهر المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ.

لَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْعُمُرِ إِلَّا مَا أَمْضَيْتُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَسَتَمُرُّ بِكَ الْأَيَّامُ؛ فَإِذَا نَزَلَ بِكَ الْمَوْتُ، فَكَأَنَّكَ وُلِدْتَ تِلْكَ السَّاعَةَ، وَكُلُّ مَا مَضَى لَيْسَ بِشَيْءٍ^(١).

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ قُدَّامَةَ الْمَقْدِسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٦٢٠ هـ): وَتَيَقَّظْ فِي سَاعَاتِ الْأَسْحَارِ عِنْدَ نُزُولِ الْجَبَّارِ، وَأَخْضِرْ بِقَلْبِكَ قَوْلَ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(٢).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنْ وَقْتِ النُّزُولِ: «إِنَّهُ وَقْتُ قَسَمِ الْغَنَائِمِ، وَتَفْرِيقِ الْجَوَائِزِ، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثَرٌ وَمَحْرُومٌ»^(٣).



(١) «شرح العقيدة الواسطية» (ص ٤٠٢ - ٤٠٣)، للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «وصية العالم الجليل موفق الدين ابن قدامة المقدسي» (ص ٥٠).

(٣) «تحفة المودود في أحكام المولود» (ص ٢٤١) [مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى].

أَسْئَلَةٌ وَأَجْوِبَتُهَا

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ

اِخْتَلَفَ رَجُلَانِ فِي الْإِعْتِقَادِ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ فَهُوَ ضَالٌّ. وَقَالَ الْآخَرُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْحَصِرُ فِي مَكَانٍ؛ فَبَيَّنَا لَنَا مَا نَتَّبِعُهُ؟ وَمَا الصَّوَابُ فِي ذَلِكَ؟

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْجَوَابُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي جَوْفِ السَّمَاوَاتِ مُحْصُورٌ مُحَاطٌ بِهِ، أَوْ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْعَرْشِ، أَوْ غَيْرِ الْعَرْشِ - مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ -، أَوْ أَنَّ اسْتِوَاءَهُ عَلَى عَرْشِهِ كَاسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِ عَلَى كُرْسِيِّهِ؛ فَهُوَ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ جَاهِلٌ.

وَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ يُعْبَدُ، وَلَا عَلَى الْعَرْشِ رَبٌّ يُصَلَّى لَهُ وَيُسَجَّدُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يُعْرَجْ بِهِ إِلَى رَبِّهِ، وَلَا نَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِهِ، فَهُوَ مُعْطَلٌ فِرْعَوْنِيٌّ، ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ؛ فَإِنَّ فِرْعَوْنَ كَذَّبَ مُوسَى فِي أَنَّ رَبَّهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَقَالَ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيَنِي بَنِي لِي صَرَخًا لَعَلِّي آتِلُغُ الْأَسْبَابَ ۖ (٢٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنه كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

وَبَيَّنَّا مُحَمَّدًا ﷺ، صَدَقَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ رَبَّهُ تَعَالَى فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْمِعْرَاجِ، وَعُرِجَ بِهِ إِلَى اللَّهِ ﷻ؛ وَفَرَضَ عَلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً، ذَكَرَ أَنَّهُ رَجَعَ إِلَى مُوسَى، وَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ. فَمَنْ وَافَقَ فِرْعَوْنَ، وَخَالَفَ مُوسَى وَمُحَمَّدًا ﷺ، فَهُوَ ضَالٌّ؛ وَمَنْ

مَثَلُ اللَّهِ تَعَالَى، وَشَبَّهَهُ بِخَلْقِهِ، فَهُوَ ضَالٌّ.

وَالْقَائِلُ الَّذِي قَالَ: مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ فَهُوَ ضَالٌّ، إِنْ أَرَادَ بِذَلِكَ مَنْ لَا يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ، بِحَيْثُ تَحْصُرُهُ وَتُحِيطُ بِهِ فَقَدْ أَخْطَأَ. وَإِنْ أَرَادَ بِذَلِكَ مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَيْمَنُهَا، مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدْ أَصَابَ؛ فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ ذَلِكَ يَكُونُ مُكَذِّبًا لِلرَّسُولِ ﷺ، مُتَّبِعًا غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ؛ بَلْ يَكُونُ فِي الْحَقِيقَةِ مُعْطَلًّا لِرَبِّهِ نَافِيًا لَهُ؛ فَلَا يَكُونُ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَهٌ يَعْبُدُهُ، وَلَا رَبٌّ يَسْأَلُهُ، وَيَقْصِدُهُ. وَهَذَا قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ، مِنْ أَتْبَاعِ فِرْعَوْنَ الْمُعْطَلِّ.

وَاللَّهُ ﷻ قَدْ فَطَرَ الْعِبَادَ - عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ - عَلَى أَنَّهُمْ إِذَا دَعَوْهُ تَوَجَّهَتْ قُلُوبُهُمْ إِلَى الْعُلُوِّ، وَلَا يَقْصِدُونَهُ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ: يَا اللَّهُ!! إِلَّا وَجَدَ فِي قَلْبِهِ - قَبْلَ أَنْ يَتَحَرَّكَ لِسَانُهُ - مَعْنَى يَطْلُبُ الْعُلُوَّ، لَا يَلْتَفِتُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً.

وَأَمَّا الْقَائِلُ الَّذِي يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْحَصِرُ فِي مَكَانٍ» إِنْ أَرَادَ بِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْحَصِرُ فِي جَوْفِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا، فَقَدْ أَصَابَ، وَإِنْ أَرَادَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَيْسَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَلَا هُوَ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ اسْتِوَاءً لَا يُقَا بِذَاتِهِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ إِلَهٌ يُعْبَدُ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ لَمْ يُعْرَجْ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ فَهَذَا جَهْمِيٌّ فِرْعَوْنِيٌّ مُعْطَلٌّ.

وَمَنْشَأُ الضَّلَالِ أَنْ يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ صِفَاتِ الرَّبِّ ﷻ كَصِفَاتِ خَلْقِهِ، فَيَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ، كَالْمَلِكِ الْمَخْلُوقِ عَلَى سَرِيرِهِ؛ فَهَذَا تَمَثِيلٌ وَضَلَالٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ مُفْتَقِرٌ إِلَى سَرِيرِهِ، وَلَوْ زَالَ سَرِيرُهُ لَسَقَطَ، وَاللَّهُ ﷻ غَنِيٌّ عَنِ الْعَرْشِ، وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ

حَامِلُ الْعَرْشِ وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ؛ وَعُلُوُّهُ عَلَيْهِ لَا يُوجِبُ افْتِقَارَهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ الْمَخْلُوقَاتِ عَالِيًا وَسَافِلًا، وَجَعَلَ الْعَالِيَّ غَنِيًّا عَنِ السَّافِلِ، كَمَا جَعَلَ الْهَوَاءَ فَوْقَ الْأَرْضِ، وَلَيْسَ هُوَ مُفْتَقِرًا إِلَيْهَا، وَجَعَلَ السَّمَاءَ فَوْقَ الْهَوَاءِ، وَلَيْسَتْ مُحْتَاجَةً إِلَيْهِ. فَالْعَلِيُّ الْأَعْلَى رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا أَوْلَى أَنْ يَكُونَ غَنِيًّا عَنِ الْعَرْشِ، وَسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَإِنْ كَانَ عَالِيًا عَلَيْهَا، ﷻ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوءًا كَبِيرًا.

وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ: أَهْلُ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ، وَأَهْلُ النَّفْيِ وَالْجُحُودِ، وَأَهْلُ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ.

فَأَهْلُ الْحُلُولِ يَقُولُونَ: إِنَّهُ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَقَدْ يَقُولُونَ بِالِاتِّحَادِ وَالْوَحْدَةِ فَيَقُولُونَ: وَجُودُ الْمَخْلُوقَاتِ وَجُودُ الْخَالِقِ...

وَأَمَّا أَهْلُ النَّفْيِ وَالْجُحُودِ فَيَقُولُونَ: لَا هُوَ دَاخِلُ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجُ وَلَا مُبَايِنٌ لَهُ وَلَا حَالٌ فِيهِ، وَلَا فَوْقَ الْعَالَمِ وَلَا فِيهِ، وَلَا يَنْزِلُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَيْهِ شَيْءٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَهَذَا قَوْلُ مُتَكَلِّمَةِ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعْطَلَةِ، كَمَا أَنَّ الْأَوَّلَ قَوْلُ عِبَادِ الْجَهْمِيَّةِ؛ فَمُتَكَلِّمَةُ الْجَهْمِيَّةِ لَا يَعْبُدُونَ شَيْئًا، وَمُتَعَبِّدَةُ الْجَهْمِيَّةِ يَعْبُدُونَ كُلَّ شَيْءٍ، وَكَلَامُهُمْ يَرْجِعُ إِلَى التَّعْطِيلِ وَالْجُحُودِ الَّذِي هُوَ قَوْلُ فِرْعَوْنَ.

وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، ثُمَّ خَلَقَهُمَا؛ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ دَخَلَ فِيهِمَا، وَهَذَا حُلُولٌ بَاطِلٌ؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ دَخَلًا فِيهِ، وَهُوَ أَبْطَلُ وَأَبْطَلُ؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ ﷻ بَائِنًا عَنْهُمَا، لَمْ يَدْخُلْ فِيهِمَا وَلَمْ يَدْخُلَا فِيهِ، وَهَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالتَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ.

وَلِأَهْلِ الْجُحُودِ وَالتَّعْطِيلِ فِي هَذَا الْبَابِ شُبُهَاتٌ، يُعَارِضُونَ بِهَا كِتَابَ اللَّهِ ﷻ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ، وَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَتَمَّتْهَا، وَمَا فَطَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ عِبَادَهُ، وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الدَّلَائِلُ الْعَقْلِيَّةُ الصَّحِيحَةُ؛

فَإِنَّ هَذِهِ الْأَدِلَّةَ كُلَّهَا مُتَّفِقَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ مَخْلُوقَاتِهِ، عَالٍ عَلَيْهَا، قَدْ فَطَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ الْعَجَائِزَ وَالْأَعْرَابَ وَالصَّبِيَّانَ فِي الْكِتَابِ؛ كَمَا فَطَرَهُمْ عَلَى الْإِقْرَارِ بِالْخَالِقِ تَعَالَى.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجَّسِنَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَطَرَتْ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الْآيَةُ [الروم: ٣٠] (١).

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عَلَيْكَ بِدِينِ الْأَعْرَابِ وَالصَّبِيَّانِ فِي الْكِتَابِ، وَعَلَيْكَ بِمَا فَطَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ»؛ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ فَطَرَ عِبَادَهُ عَلَى الْحَقِّ، وَالرُّسُلُ بُعِثُوا بِتَكْمِيلِ الْفِطْرَةِ وَتَقْرِيرِهَا، لَا بِتَحْوِيلِ الْفِطْرَةِ وَتَغْيِيرِهَا.

وَأَمَّا أَعْدَاءُ الرُّسُلِ كَالْجَهْمِيَّةِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ: فَيُرِيدُونَ أَنْ يُغَيِّرُوا فِطْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَدِينَهُ ﷻ، وَيُورِدُونَ عَلَى النَّاسِ شُبُهَاتٍ بِكَلِمَاتٍ مُشْتَبِهَاتٍ، لَا يَفْهَمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَقْصُودَهُمْ بِهَا، وَلَا يُحْسِنُ أَنْ يُجِيبَهُمْ. وَأَصْلُ ضَلَالِهِمْ تَكَلُّمُهُمْ بِكَلِمَاتٍ مُجْمَلَةٍ؛ لَا أَصْلَ لَهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ وَلَا قَالَهَا أَحَدٌ مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ كَلَفِظِ التَّحْيِيزِ وَالْجِسْمِ وَالْجِهَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَمَنْ كَانَ عَارِفًا بِحُلِّ شُبُهَاتِهِمْ بَيِّنَتَهَا، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَارِفًا بِذَلِكَ، فَلْيُعْرِضْ عَنْ كَلَامِهِمْ، وَلَا يَقْبَلْ إِلَّا مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨]. وَمَنْ يَتَكَلَّمُ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ بِمَا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، فَهُوَ

(١) رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مِنَ الْخَائِضِينَ فِي آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْبَاطِلِ.

وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَنْسِبُ إِلَى أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ يَقُولُوهُ؛ فَيَنْسِبُونَ إِلَى الشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَمَالِكٍ، وَأَبِي حَنِيفَةَ؛ مِنَ الْإِعْتِقَادَاتِ مَا لَمْ يَقُولُوا، وَيَقُولُونَ لِمَنْ اتَّبَعَهُمْ: هَذَا اعْتِقَادُ الْإِمَامِ الْفُلَانِيِّ؛ فَإِذَا طُولُوا بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ عَنِ الْأَيْمَةِ، تَبَيَّنَ كَذِبُهُمْ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: حُكِمَ فِي أَهْلِ الْكَلَامِ: أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنُّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ.

قَالَ أَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي: مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلامِ، تَزَفَدَ.

قَالَ أَحْمَدُ: مَا اِزْتَدَى أَحَدٌ بِالْكَلامِ، فَأَفْلَحَ.

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الْمُعْطَلُ يَعْبُدُ عَدَمًا، وَالْمُمَثِّلُ يَعْبُدُ صَنْمًا. الْمُعْطَلُ أَعْمَى، وَالْمُمَثِّلُ أَعْمَى^(١)؛ وَدَيْنُ اللَّهِ بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ، وَالْجَافِي عَنْهُ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وَالسُّنَّةُ فِي الْإِسْلَامِ كَالْإِسْلَامِ فِي الْمِلَّةِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٢).

السُّؤَالُ الثَّانِي

إِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، فَقَبْلَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْعَرْشِ؟
قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْإِسْتِوَاءُ عُلُوٌّ خَاصٌّ، فَكُلُّ مُسْتَوٍ عَلَى شَيْءٍ عَالٍ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ كُلُّ عَالٍ عَلَى شَيْءٍ مُسْتَوٍ عَلَيْهِ.

(١) الأعمى: مرادف للأعمى، أو هو سبى البصر بالليل والنهار.

(٢) انظر لزائماً: «الجواب الفاصل بتمييز الحق من الباطل» (ص ١١ - ٣٧)، لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَلِهَذَا لَا يُقَالُ لِكُلِّ مَا كَانَ عَالِيًا عَلَى غَيْرِهِ: إِنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَيْهِ، وَاسْتَوَى عَلَيْهِ؛ وَلَكِنْ كُلُّ مَا قِيلَ فِيهِ: إِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ عَالٍ عَلَيْهِ.

وَالَّذِي أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ «الِاسْتِوَاءُ»، لَا مُطْلَقُ الْعُلُوِّ، مَعَ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنَّهُ كَانَ مُسْتَوِيًّا عَلَيْهِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَمَّا كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ لَمَّا خَلَقَ هَذَا الْعَالَمَ، كَانَ عَالِيًّا عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَوِيًّا عَلَيْهِ، فَلَمَّا خَلَقَ هَذَا الْعَالَمَ اسْتَوَى عَلَيْهِ.

فَالْأَصْلُ أَنَّ عُلوَّهُ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ وَصِفٌ لَا زِمَ لَهُ، كَمَا أَنَّ عَظَمَتَهُ وَكِبَرِيَاءَهُ وَقُدْرَتَهُ كَذَلِكَ، وَأَمَّا «الِاسْتِوَاءُ»، فَهُوَ فِعْلٌ يَفْعَلُهُ ۞ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَلِهَذَا قَالَ فِيهِ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ [يونس: ٣].

وَلِهَذَا كَانَ الْإِسْتِوَاءُ مِنَ الصِّفَاتِ السَّمْعِيَّةِ الْمَعْلُومَةِ بِالْخَبَرِ، وَأَمَّا عُلوُّهُ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ، فَهُوَ عِنْدَ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ مِنَ الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ الْمَعْلُومَةِ بِالْعَقْلِ مَعَ السَّمْعِ^(١).

السُّؤَالُ الثَّلَاثُ

مَا هُوَ التَّعْلِيْقُ عَلَى قَوْلِ الدُّسُوقِيِّ: «أُصُولُ الْكُفْرِ سِتَّةٌ - وَعَدَدُ خَمْسَةٍ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: سَادِسًا: التَّمَسُّكُ فِي أُصُولِ الْعَقَائِدِ بِمُجَرَّدِ ظَوَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ غَيْرِ عَرْضِهَا عَلَى الْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْقَوَاطِعِ الشَّرْعِيَّةِ... إِلَى أَنْ قَالَ: وَالتَّمَسُّكُ فِي أُصُولِ الْعَقَائِدِ بِمُجَرَّدِ ظَوَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ غَيْرِ بَصِيرَةٍ فِي الْعَقْلِ وَهُوَ أَصْلُ ضَلَالَةِ الْحَشَوِيَّةِ، فَقَالُوا بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ وَالْجِهَةِ عَمَلًا بِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]»^(٢).

(١) «مجموع الفتاوى» (٥٢٣/٥).

(٢) «حاشية الدسوقي على أم البراهين» (ص ٢١٩)، للسنوسي.

وَيَا لِلَّهِ الْعَجَبُ! كَيْفَ كَانَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ قَبْلَ وَضْعِ هَذِهِ الْقَوَانِينِ الَّتِي أَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ، وَقَبْلَ اسْتِخْرَاجِ هَذِهِ الْأَرَءِ وَالْمَقَائِيسِ وَالْأَوْضَاعِ، هَلْ كَانُوا مُهْتَدِينَ مُكْتَفِينَ بِالنُّصُوصِ؟ أَمْ كَانُوا عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ؟! حَتَّى جَاءَ الْمُتَأَخَّرُونَ فَكَانُوا أَعْلَمَ مِنْهُمْ، وَأَهْدَى وَأَضْبَطَ لِلشَّرِيعَةِ مِنْهُمْ، وَأَعْلَمَ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَا يَجِبُ لَهُ وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ؟ فَوَاللَّهِ، لَأَنْ يَلْقَى اللَّهُ عَبْدُهُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا الْإِشْرَاقَ، لَخَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِهَذَا الظَّنِّ الْفَاسِدِ وَالْإِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ! ^(١)

وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْأَخْذَ بِظَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أُصُولِ الْكُفْرِ، لَا يَصْدُرُ الْبَيِّنَةُ عَنْ عَالِمِ بَيْتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَإِنَّمَا يَصْدُرُ عَمَّنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَصْلًا؛ لِأَنَّهُ لِحُجْلِهِ بِهِمَا يَعْتَقِدُ ظَاهِرَهُمَا كُفْرًا، وَالْوَاقِعُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ أَنَّ ظَاهِرَهُمَا بَعِيدٌ مِمَّا ظَنَّهُ أَشَدُّ مِنْ بُعْدِ الشَّمْسِ مِنَ اللَّمَسِ ^(٢).

وَهَذَا يَتَبَيَّنُ مِنْ وَجْهِ:

الوجه الأول: اعْلَمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِأَنَّ الطَّائِفَةَ الْمَنْصُورَةَ وَالْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ «عَنْ رَبِّهِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَلَا عُدُولَ عَنْهُ، وَأَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِتَلْقَى الْهُدَى إِلَّا مِنْهُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ الصَّحِيحَةِ مَا ظَاهِرُهُ كُفْرٌ أَوْ تَشْبِيهُ، أَوْ مُسْتَحِيلٌ؛ بَلْ كُلُّ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، أَوْ أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ، فَإِنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ يَجِبُ اعْتِقَادُ ثُبُوتِهِ، مَعَ نَفْيِ التَّمَثِيلِ عَنْهُ.

فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ، فَكَذَلِكَ فِي صِفَاتِهِ.

وَكَلِمَةُ السَّلَفِ وَأَيْمَةُ الْحَدِيثِ مُتَّفِقَةٌ عَلَى أَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثَهَا

الصَّحِيحَةُ ثَمَرٌ كَمَا جَاءَتْ: مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ.
وَمِنْ جُمْلَةِ صِفَاتِ اللَّهِ الَّتِي يُؤْمَنُ بِهَا، وَثَمَرٌ كَمَا جَاءَتْ عَنْهُمْ^(١)
قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥].

وَأَمَّا الْمُشْتَغِلُونَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ «مِنَ الْمُعْتَرِلَةِ وَغَيْرِهِمْ، زَعَمُوا أَنَّ ظَاهِرَ
مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ تَشْبِيهُ وَتَجْسِيمٌ وَضَلَالٌ، وَاشْتَقُوا مِنْ ذَلِكَ - لِمَنْ
آمَنَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ -، أَسْمَاءٌ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، بَلْ هِيَ
افْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ، يُنْفَرُونَ بِهَا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَزَعَمُوا أَنَّ مَا وَرَدَ
فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ ذَلِكَ مَعَ كَثْرَتِهِ وَانْتِشَارِهِ مِنْ بَابِ التَّوَسُّعِ وَالتَّجَوُّزِ،
وَأَنَّهُ يُحْمَلُ عَلَى مَجَازَاتِ اللُّغَةِ الْمُسْتَبْعَدَةِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الْقَدَحِ فِي
الشَّرِيعَةِ الْمُحْكَمَةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَهُوَ مِنْ جِنْسِ حَمْلِ الْبَاطِنِيَّةِ نُصُوصَ الْإِخْبَارِ
عَنِ الْغُيُوبِ كَالْمَعَادِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، عَلَى التَّوَسُّعِ وَالْمَجَازِ دُونَ الْحَقِيقَةِ،
وَحَمْلِهِمْ نُصُوصَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ.

وَهَذَا كُلُّهُ مُرَوِّقٌ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَنْهَ عُلَمَاءُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَأَئِمَّةُ
الْإِسْلَامِ كَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ، وَغَيْرِهِمَا عَنِ الْكَلَامِ، وَحَذَرُوا عَنْهُ؛ إِلَّا خَوْفًا
مِنَ الْوُقُوعِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، وَلَوْ عَلِمَ الْأَئِمَّةُ أَنَّ حَمْلَ النُّصُوصِ عَلَى ظَاهِرِهَا
كُفْرٌ، لَوَجَبَ عَلَيْهِمْ تَبْيِينُ ذَلِكَ، وَتَحْذِيرُ الْأُمَّةِ مِنْهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ تَمَامِ نَصِيحَةِ
الْمُسْلِمِينَ، فَكَيْفَ كَانُوا يَنْصَحُونَ الْأُمَّةَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةِ، وَيَدْعُونَ
نَصِيحَتَهُمْ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأُصُولِ الْإِعْتِقَادَاتِ؟! هَذَا مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ^(٢).

الوجه الثاني: يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ بِأَنَّ كُلَّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ حَقٌّ،
وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَلْزَمَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ.

(١) «فتح الباري» (٧/ ٢٣٣ - ٢٣٤)، لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٢٣٠ - ٢٣١)، لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَلَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنَّ الَّذِي يَقُولُ: إِنَّ الْأَخْذَ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]، يَلْزَمُ مِنْهُ الْكُفْرُ وَالتَّشْبِيهُ وَالضَّلَالُ. «أَنَّ إِلْزَامَهُ هَذَا اعْتِرَاضٌ صَرِيحٌ عَلَى مَنْ أَخْبَرَ بِالِاسْتِوَاءِ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى» (١).

الوجه الثالث: لَا شَكَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، عَالِمٌ كُلِّ الْعِلْمِ، بِأَنَّ الظَّاهِرَ الْمُتَبَادَرِ مِمَّا مَدَحَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ، فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ هُوَ التَّنْزِيهِ التَّامُّ عَنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ، وَلَوْ كَانَ يَخْطُرُ فِي ذَهْنِهِ أَنَّ ظَاهِرَهُ لَا يَلِيقُ؛ لِأَنَّهُ تَشْبِيهُ بِصِفَاتِ الْخَلْقِ، لَظَهَرَ التَّحْذِيرُ مِنْهُ وَمِنْ أَصْحَابِهِ وَتَوَاتَرَ أَعْظَمُ مِمَّا حَذَرُوا مِنَ الدَّجَالِ الْأَعْوَرِ الْكَذَّابِ، وَلَبَادَرَ كُلَّ الْمُبَادَرَةِ إِلَى بَيَانِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِ تَأْخِيرُ الْبَيَانِ عَنْ وَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَلَا سِيَّمَا فِي الْعَقَائِدِ، وَلَا سِيَّمَا فِيمَا ظَاهِرُهُ الْكُفْرُ وَالتَّشْبِيهُ. وَلَوْ آخَرَ الْبَيَانِ، لَكَانَ قَدْ كَلَّفَ الْعِبَادَ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ (٢).

أَلَا تَرَى أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ لَمَّا اعْتَقَدُوا قُبْحَ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ، تَوَاتَرَ عَنْهُمْ التَّحْذِيرُ عَنْهَا وَالتَّأْوِيلُ لَهَا وَصَنَّفُوا فِي ذَلِكَ وَأَيَقَطُّوا الْغَافِلِينَ، وَعَلَّمُوا الْجَاهِلِينَ، وَكَفَّرُوا الْمُخَالَفِينَ، وَأَشَاعُوا ذَلِكَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ بَلْ بَيْنَ الْعَالَمِينَ. فَكَانَ أَحَقَّ مِنْهُمْ بِذَلِكَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَقَدَمَاءُ السَّابِقِينَ، وَأَنْصَارُ الدِّينِ (٣).

الوجه الرابع: إِنَّ الْقَوْلَ الْمَذْكُورَ يَتَضَمَّنُ الظَّنَّ السَّيِّئَ بِاللَّهِ ﷻ. وَمَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ ﷻ أَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ بِمَا ظَاهِرُهُ بَاطِلٌ، وَتَشْبِيهِ، وَتَمَثِيلٌ، وَتَرَكَ الْحَقَّ، لَمْ يُخْبِرْ بِهِ، وَإِنَّمَا رَمَزَ إِلَيْهِ رُمُوزًا بَعِيدَةً، وَأَشَارَ إِلَيْهِ إِشَارَاتٍ مُلْغِزَةً لَمْ يُصَرِّحْ بِهِ، وَصَرَّحَ دَائِمًا بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّمَثِيلِ وَالْبَاطِلِ، وَأَرَادَ مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يُتَعَبُّوا أَذْهَانَهُمْ وَقَوَاهُمْ وَأَفْكَارَهُمْ فِي تَحْرِيفِ كَلَامِهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَتَأْوِيلِهِ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، وَيَتَطَلَّبُوا لَهُ وَجُوهَ الْإِحْتِمَالَاتِ

(١) انظر: «منع جواز المجاز» (ص ٦١). (٢) «أضواء البيان» (٧/ ٤٤٩).

(٣) «إيثار الحق على الخلق» (ص ١٣٨ - ١٣٩).

الْمُسْتَكْرَهَةِ، وَالتَّأْوِيلَاتِ الَّتِي هِيَ بِالْأَلْغَازِ وَالْأَحَاجِي أَشْبَهُ مِنْهَا بِالْكَشْفِ وَالْبَيَانِ، وَأَحَالَهُمْ فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ عَلَى عُقُولِهِمْ وَآرَائِهِمْ، لَا عَلَى كِتَابِهِ، بَلْ أَرَادَ مِنْهُمْ أَنْ لَا يَحْمِلُوا كَلَامَهُ عَلَى مَا يَعْرِفُونَ مِنْ خَطَابِهِمْ وَلُغَتِهِمْ، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى أَنْ يُصَرِّحَ لَهُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي يَنْبَغِي التَّصْرِيحُ بِهِ، وَيُرِيحَهُمْ مِنَ الْأَلْفَافِ الَّتِي تُوقِعُهُمْ فِي اعْتِقَادِ الْبَاطِلِ، فَلَمْ يَفْعَلْ، بَلْ سَلَكَ بِهِمْ خِلَافَ طَرِيقِ الْهُدَى وَالْبَيَانِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ، فَإِنَّهُ إِنْ قَالَ: إِنَّهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الْحَقِّ بِاللَّفْظِ الصَّرِيحِ الَّذِي عَبَّرَ بِهِ هُوَ وَسَلَفُهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِقُدْرَتِهِ الْعَجْزَ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ قَادِرٌ وَلَمْ يُبَيِّنْ، وَعَدَلَ عَنِ الْبَيَانِ، وَعَنِ التَّصْرِيحِ بِالْحَقِّ إِلَى مَا يُوهِمُ، بَلْ يُوقِعُ فِي الْبَاطِلِ الْمُحَالِ، وَالْإِعْتِقَادِ الْفَاسِدِ، فَقَدْ ظَنَّ بِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ظَنَّ السَّوِّءِ، وَظَنَّ أَنَّهُ هُوَ وَسَلَفُهُ عَبَّرُوا عَنِ الْحَقِّ بِصَرِيحِهِ دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنَّ الْهُدَى وَالْحَقَّ فِي كَلَامِهِمْ وَعِبَارَاتِهِمْ. وَأَمَّا كَلَامُ اللَّهِ، فَإِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنْ ظَاهِرِهِ التَّشْبِيهِ، وَالتَّمثِيلِ، وَالضَّلَالِ، وَظَاهِرُ كَلَامِ الْمُتَهَوِّكِينَ^(١) الْحَيَارَى، هُوَ الْهُدَى وَالْحَقُّ، وَهَذَا مِنْ أَسْوَأِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، فَكُلُّ هَؤُلَاءِ مِنَ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوِّءِ، وَمِنَ الظَّانِّينَ بِهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ^(٢).

وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوِّءِ، وَظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ الْمَنْسُوبَ إِلَى أَهْلِ الْجَهْلِ، وَظَنَّ غَيْرِ الْحَقِّ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ غَيْرَ مَا يَلِيْقُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، وَذَاتِهِ الْمُبَرَّأَةِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَسُوءٍ^(٣).

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْأَخْذَ بِظَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أَصُولِ الْكُفْرِ، لَا يَعْلَمُونَ مَا هِيَ الظَّوَاهِرُ وَأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ شَيْئًا ظَاهِرَ النَّصِّ. وَالْوَاقِعُ أَنَّ النَّصَّ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ

(١) التَّهْوُوكُ: كالتَّهَوُّرِ، وهو الوقوع في الأمر بغير رَوِيَّة.

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٢٢٩).

(٣) «زاد المعاد» (٣/ ٢٣١).

ظَاهِرُهُ، فَبَنَوْا بَاطِلًا عَلَى بَاطِلٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْبَاطِلَ لَا يُبْنَى عَلَيْهِ إِلَّا الْبَاطِلُ. وَلَوْ تَصَوَّرُوا مَعَانِي ظَوَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى حَقِيقَتِهَا، لَمَنَعَهُمْ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَقُولُوا مَا قَالُوا.

وَأُصُولُ الْكُفْرِ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَحْذَرَ مِنْهَا كُلَّ الْحَذَرِ، وَيَتَّبِعَ مِنْهَا كُلَّ التَّبَاعِدِ، وَيَتَجَنَّبَ أَسْبَابَهَا كُلَّ اجْتِنَابٍ، فَيَلْزِمُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْمُنْكَرِ الشَّيْعِ وَجُوبُ التَّبَاعِدِ مِنَ الْأَخْذِ بِظَوَاهِرِ الْوَحْيِ.

فَتَنْفِيهِ النَّاسِ وَإِبْعَادُهُمْ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، بِدَعْوَى أَنْ الْأَخْذَ بِظَوَاهِرِهِمَا مِنْ أُصُولِ الْكُفْرِ، هُوَ مِنْ أَشْنَعِ الْبَاطِلِ وَأَعْظَمِهِ كَمَا تَرَى.

وَهَذَا كَمَا تَرَى، وَبِمَا ذَكَرْنَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الضَّلَالِ، ادِّعَاءُ أَنَّ ظَوَاهِرَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ دَالَّةٌ عَلَى مَعَانٍ قَبِيحَةٍ، لَيْسَتْ بِلَائِقَةٍ. وَالْوَاقِعُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ بَعْدُهَا وَبَرَاءَتُهَا مِنْ ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الظَّاهِرُ ظَاهِرَانِ: ظَاهِرٌ يَلِيْقُ بِالْمَخْلُوقِينَ وَيَخْتَصُّ بِهِمْ، فَهُوَ غَيْرُ مُرَادٍ.

وَالظَّاهِرُ يَلِيْقُ بِذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَهُوَ مُرَادٌ، وَنَفْيُهُ تَعْطِيلٌ»^(١). وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، «أَرْحَمُ بِنَا مِنْ كُلِّ رَاحِمٍ، أَرْحَمُ بِنَا مِنْ آبَائِنَا، وَأُمَّهَاتِنَا، وَأَوْلَادِنَا، وَأَنْفُسِنَا»^(٢).

فَلَوْ كَانَ إِثْبَاتُ عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ يَتَضَمَّنُ مَحْذُورًا وَفَهْمًا فَاسِدًا، لَحَذَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ مِنْ هَذَا الْإِعْتِقَادِ الَّذِي يَزْعُمُ الْمُشْتَغِلُونَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ أَنَّهُ بِدْعَةٌ وَضَلَالٌ وَكُفْرٌ وَتَشْبِيهٌ، وَإِلَى آخِرِ الْكَلَامِ الَّذِي تَهَجَّمُوا بِهِ عَلَى اللَّهِ

(١) «فتح الباري» (٧/٢٣٣)، لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٤٠٥).

تَعَالَى وَعَلَى آيَاتِهِ الْبَيِّنَاتِ، ثُمَّ عَلَى السَّلَفِيِّينَ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ.

فَنُوصِي «أَنْفُسَنَا وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَعَدَمِ التَّهَجُّمِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى كِتَابِهِ بِالِدَّعَاوَى الْبَاطِلَةِ، وَالتَّمَسُّكِ بِنُورِ الْوَحْيِ الصَّحِيحِ فِي الْمُعْتَقَدِ وَغَيْرِهِ؛ لِأَنَّ السَّلَامَةَ مُتَحَقِّقَةٌ فِي اتِّبَاعِ الْوَحْيِ، وَلَيْسَتْ مُتَحَقِّقَةً فِي شَيْءٍ غَيْرِهِ»^(١). وَالسَّلَامَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْغَايَاتِ الَّتِي يَطْلُبُهَا الْمُسْلِمُ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ وَمَالِهِ، وَمَا سِوَاهَا هُوَ التَّعَرُّضُ لِلْهَلَاكِ وَالْبَوَارِ: وَنَهْجُ سَبِيلِي وَاضِحٌ لِمَنْ اهْتَدَى وَلَكِنَّهَا الْأَهْوَاءُ عَمَتْ فَأَعْمَتْ^(٢)

وَكَلَامُ الدُّسُوفِيِّ «مَعَ كَوْنِهِ ظُلْمًا لَنَا، يَا لَيْتَهُ كَانَ كَلَامًا صَحِيحًا مُسْتَقِيمًا، فَكُنَّا نُحْلِلُهُ مِنْ حَقِّنَا وَيُسْتَفَادُ مَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ!! وَلَكِنْ فِيهِ مِنْ تَحْرِيفِ كِتَابِ اللَّهِ وَالْإِلْحَادِ فِي آيَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَالْكَذِبِ وَالظُّلْمِ، وَالْعُدْوَانِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِحُقُوقِ اللَّهِ مِمَّا فِيهِ؛ لَكِنْ إِنْ عَفَوْنَا عَنْ حَقِّنَا، فَحَقُّ اللَّهِ إِلَيْهِ، لَا إِلَى غَيْرِهِ»^(٣).

السُّؤَالُ الرَّابِعُ

مَا مَعْنَى قَوْلِ السَّلَفِ: أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلاَ كَيْفٍ؟

قَوْلُهُمْ عليه السلام: «أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ» رَدُّ عَلَى الْمُعْطَلَةِ، وَقَوْلُهُمْ: «بِلاَ كَيْفٍ» رَدُّ عَلَى الْمُمَثَّلَةِ.

وَسَأَلَ رَجُلٌ رِبِيعَةَ بْنَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿٥﴾ [طه: ٥]، كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَقَالَ: «الْإِسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَمِنَ اللَّهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَى الرُّسُولِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّضَدِيقُ»^(٤).

(١) «آداب البحث والمناظرة» (٢/ ١٦٢)، للعلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) البيت لابن الفارض، انظر: «ديوانه» (ص ٥٥)، دار صادر.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٧٥). (٤) راجع: «مختصر العلو» (ص ١٣٢).

وَقَالَ رَجُلٌ لِإِمَامٍ مَالِكٍ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: «الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالِاسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالِإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعَةٌ»^(١).

فَقَوْلُ رَبِيعَةَ وَمَالِكٍ: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالِإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ» مُوَافِقٌ لِقَوْلِ الْبَاقِينَ: «أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ بِهَا كَيْفٍ»؛ فَإِنَّمَا نَفَّوْا عِلْمَ الْكَيْفِيَّةِ، وَلَمْ يَنْفُوا حَقِيقَةَ الصِّفَةِ.

وَلَوْ كَانَ الْقَوْمُ قَدْ آمَنُوا بِاللَّفْظِ الْمُجَرَّدِ مِنْ غَيْرِ فَهَمَّ لِمَعْنَاهُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللَّهِ؛ لَمَا قَالُوا: «أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ بِهَا كَيْفٍ»؛ فَإِنَّ الْإِسْتِوَاءَ حَيْثُذِ لَا يَكُونُ مَعْلُومًا؛ بَلْ مَجْهُولًا بِمَنْزِلَةِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ.

وَأَيْضًا؛ فَإِنَّهُ لَا يُحْتَاجُ إِلَى نَفْيِ عِلْمِ الْكَيْفِيَّةِ، إِذَا لَمْ يُفْهَمْ عَنِ اللَّفْظِ مَعْنَى؛ وَإِنَّمَا يُحْتَاجُ إِلَى نَفْيِ عِلْمِ الْكَيْفِيَّةِ إِذَا أُثْبِتَتِ الصِّفَاتُ.

وَأَيْضًا؛ فَإِنَّ مَنْ يَنْفِي عُلُوَّ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ وَالزُّوْلَ لَا يَحْتَاجُ أَنْ يَقُولَ: بِهَا كَيْفٍ! فَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ، لَا يَحْتَاجُ أَنْ يَقُولَ: «بِهَا كَيْفٍ»، فَلَوْ كَانَ مَذْهَبُ السَّلَفِ التَّقْوِيضُ فِي الْمَعْنَى؛ لَمَا قَالُوا: بِهَا كَيْفٍ.

وَأَيْضًا؛ فَقَوْلُهُمْ: «أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ»: يَقْتَضِي إِبْقَاءَ دَلَالَتِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهَا جَاءَتْ أَلْفَظًا دَالَّةً عَلَى مَعَانٍ؛ فَلَوْ كَانَتْ دَلَالَتُهَا مُتَنَبِّهَةً؛ لَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يُقَالَ: «أَمَرُوا لَفْظَهَا مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ الْمَفْهُومَ مِنْهَا غَيْرُ مُرَادٍ»، أَوْ «أَمَرُوا لَفْظَهَا مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ حَقِيقَةُ». وَحَيْثُذِ فَلَا تَكُونُ قَدْ أُمِرَتْ كَمَا جَاءَتْ، وَلَا يُقَالُ حَيْثُذِ: بِهَا كَيْفٍ؛ إِذْ نَفْيُ الْكَيْفِ عَمَّا لَيْسَ بِثَابِتٍ، لَعَوٌّ مِنَ الْقَوْلِ^(٢).

فَلَا يُقَالُ: إِنَّ السَّلَفَ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى -، تَلَقَّوْا النُّصُوصَ فَلَمْ

(١) راجع: «مختصر العلو» (ص ١٤١). (٢) راجع: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٩-٤٢).

يَفْهَمُوهَا، فَفَوَّضُوا مَعْنَاهَا. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَشْتَمِلَ الْقُرْآنُ عَلَى مَا لَا يُعْلَمُ
مَعْنَاهُ^(١) - حَاشَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ -، «بَلْ كَفُّوا عَنِ الثَّرَثَةِ، وَالتَّشْدُقِ، لَا عَجْزًا
بِحَمْدِ اللَّهِ عَنِ الْجِدَالِ وَالْخِصَامِ، وَلَا جَهْلًا بِطُرُقِ الْكَلَامِ، وَإِنَّمَا أَمْسَكُوا عَنِ الْخَوْضِ
فِي ذَلِكَ عَنْ عِلْمٍ وَدِرَآيَةٍ، لَا عَنْ جَهْلٍ وَعِمَايَةٍ»^(٢).

السُّؤَالُ الْخَامِسُ

كَيْفَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ؟

مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ صِفَاتِ كُلِّ مَوْصُوفٍ تُنَاسِبُ ذَاتَهُ وَتُلَاقِي حَقِيقَتَهُ؛ فَمَنْ
لَمْ يَفْهَمْ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ - الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ -، إِلَّا مَا يُنَاسِبُ الْمَخْلُوقَ
فَقَدْ ضَلَّ فِي عَقْلِهِ وَدِينِهِ.

فَقَوْلُ السَّائِلِ: كَيْفَ اسْتَوَى؟ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ: كَيْفَ يَنْزِلُ؟ وَقَوْلِهِ: كَيْفَ
يَسْمَعُ؟ وَكَيْفَ يُبْصِرُ؟ وَكَيْفَ يَعْلَمُ وَيَقْدِرُ؟ وَكَيْفَ يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ؟

فَنَحْنُ نَعْلَمُ مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ وَلَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ، وَنَعْلَمُ مَعْنَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، وَلَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ. وَنَعْلَمُ مَعْنَى الرَّحْمَةِ وَالْغَضَبِ وَالرِّضَا
وَالْفَرَحِ وَالضَّحِكِ، وَلَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ^(٣).

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا صَحَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، فَلَا يُقَالُ
فِيهِ: لِمَ؟ وَكَيْفَ؟»^(٤).

وَقَالَ الْبَرْبَهَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَا يَقُولُ فِي صِفَاتِ الرَّبِّ: كَيْفَ؟ وَلِمَ؟ إِلَّا
شَاكَ فِي اللَّهِ ﷻ»^(٥).

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨٥/١٣). (٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢٠٧/٢).

(٣) انظر: «شرح حديث النزول» (ص ١٣٢ - ١٣٣).

(٤) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢٠٣/٣) رقم (١٥٧)، بإسناد صحيح.

(٥) «شرح السنة» (ص ٧٠).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ الْإِسْمَاعِيلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَنَّهُ ﷺ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، بَلَا كَيْفٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى انْتَهَى مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَلَمْ يَذْكُرْ كَيْفَ كَانَ اسْتِوَاؤُهُ»^(١).

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٤٠هـ) فِي «الرَّدِّ عَلَى الزَّنادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ»: «فَقَالَ الْجَهْمِيُّ: أَخْبِرْنِي كَيْفَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ؟ أَهْوَ كَمَا يُقَالُ: اسْتَوَى فُلَانٌ عَلَى السَّرِيرِ، فَيَكُونُ السَّرِيرُ قَدْ حَوَى فُلَانًا وَحْدَهُ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ، فَيَلْزَمُكَ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ الْعَرْشَ قَدْ حَوَى اللَّهَ وَحْدَهُ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّا لَا نَعْقِلُ الشَّيْءَ عَلَى الشَّيْءِ إِلَّا هَكَذَا. قَالَ: فَيَقَالُ لَهُ: أَمَّا قَوْلُكَ: كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ كَيْفٌ، وَقَدْ أَخْبَرْنَا أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا كَيْفَ اسْتَوَى، فَوَجَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُصَدِّقُوا رَبَّهُمْ بِاسْتِوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَصِفُوا كَيْفَ اسْتَوَى؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْهُمْ كَيْفَ ذَلِكَ، وَلَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ فِي الدُّنْيَا فَتَصِفُهُ بِمَا رَأَتْ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُولُوا عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، فَأَمَّنُوا بِخَبَرِهِ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ، ثُمَّ رَدُّوا عِلْمَ كَيْفَ اسْتَوَى إِلَى اللَّهِ»^(٢).

وَقَالَ مَعْمَرُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَصْبَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٤١٨هـ): «جَمِيعُ مَا وَرَدَ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي الصِّفَاتِ؛ كُلُّ ذَلِكَ بَلَا كَيْفٍ وَلَا تَأْوِيلَ، نُؤْمِنُ بِهَا إِيمَانِ أَهْلِ السَّلَامَةِ وَالتَّسْلِيمِ، وَلَا نَتَفَكَّرُ فِي كَيْفِيَّتِهَا، وَسَاحَةُ التَّسْلِيمِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ، وَالسَّلَامَةُ وَاسِعَةٌ بِحَمْدِ اللَّهِ وَمَنِّهِ، وَطَلَبُ السَّلَامَةِ فِي مَعْرِفَةِ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ أَوْجَبُ وَأَوْلَى، وَأَقْمَنُ وَأَخْرَى، فَإِنَّهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿[الشورى: ١١]﴾؛ فَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ: يَنْفِي كُلَّ تَشْبِيهِ وَتَمْثِيلٍ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ: يَنْفِي كُلَّ تَعْطِيلٍ وَتَأْوِيلٍ، فَهَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

(١) «اعتقاد أئمة الحديث» (ص ٥٠)، لأبي بكر الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ١١٧ - ١١٨).

وَالْآثَرِ، فَمَنْ فَارَقَ مَذْهَبَهُمْ فَارَقَ السُّنَّةَ، وَمَنْ اقْتَدَى بِهِمْ وَافَقَ السُّنَّةَ، وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنَ الْمُقْتَدِينَ بِهِمْ، الْمُتَنَحِّلِينَ لِمَذَاهِبِهِمْ، الْقَائِلِينَ بِفَضْلِهِمْ، جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي الدَّارَيْنِ، فَالسُّنَّةُ طَرِيقَتُنَا، وَأَهْلُ الْآثَرِ أُيْمَتُنَا، فَأَحْيَانَا اللَّهُ عَلَيْهَا وَأَمَاتَنَا عَلَيْهَا بِرَحْمَتِهِ، إِنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ»^(١).

وَقَالَ الْحَافِظُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ التِّيمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٥٣٥هـ): «الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ كَوْنُهُ، مَجْهُولٌ كَيْفِيَّتُهُ، وَاسْتِوَاءُ نُوحٍ عَلَى السَّفِينَةِ مَعْلُومٌ كَوْنُهُ، مَعْلُومٌ كَيْفِيَّتُهُ؛ لِأَنَّهُ صِفَةٌ لَهُ، وَصِفَاتُ الْمَخْلُوقِينَ مَعْلُومَةٌ كَيْفِيَّتُهَا. وَاسْتِوَاءُ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ غَيْرُ مَعْلُومٍ كَيْفِيَّتُهُ؛ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ صِفَاتِ الْخَالِقِ؛ لِأَنَّهُ غَيْبٌ، وَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ، وَلِأَنَّ الْخَالِقَ إِذَا لَمْ يُشَبَّهْ ذَاتُهُ ذَاتَ الْمَخْلُوقِ، لَمْ يُشَبَّهْ صِفَاتُهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ. فَتَبَّتْ أَنَّ الْإِسْتِوَاءَ مَعْلُومٌ، وَالْعِلْمَ بِكَيْفِيَّتِهِ مَعْدُومٌ؛ فَعِلْمُهُ مَوْكُولٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]»^(٢).

وَقَالَ السَّفَارِينِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

سُبْحَانَهُ قَدِ «اسْتَوَى» كَمَا وَرَدَ مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ قَدْ تَعَالَى أَنْ يُحَدَّ (٣)
وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ، مُخَاطِبًا لِلزَّمَخْشَرِيِّ، مُنْكَرًا عَلَيْهِ نَفْيَ الصِّفَاتِ، شِعْرًا:
قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولُ قِصَرَ الْقَوْلِ فَذَا شَرْحٌ يَطُولُ
أَنْتَ لَا تَفْهَمُ إِلَّاكَ وَلَا مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُصُولُ
لَا وَلَا تَدْرِي خَفَايَا رُكْبَتِ فَيْكَ حَارَتْ فِي خَبَايَا الْعُقُولُ
أَنْتَ أَكُلُ الْخُبْزِ لَا تَعْرِفُهُ كَيْفَ يَجْرِي مِنْكَ أَمْ كَيْفَ تَبُولُ

(١) «الحجة في بيان المحجة» (١/٢٤٣ - ٢٤٤).

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (٢/٢٥٨ - ٢٥٩).

(٣) «العقيدة السفارينية» (ص ٥٤)، تحقيق: أشرف عبد المقصود.

أَيْنَ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا كَيْفَ تَسْرِي فِيكَ؟ أَمْ كَيْفَ تَجُولُ؟
فَإِذَا كَانَتْ طَوَايَاكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ كَذَا فِيهَا ضُلُولُ
كَيْفَ تَدْرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَا تَقُلْ: كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ النُّزُولُ^(١)
وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ:

عَلَى عَرْشِهِ الرَّحْمَنُ سُبْحَانَهُ اسْتَوَى كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ وَالْمُصْطَفَى رَوَى
وَذَاكَ اسْتِوَاءٌ لَا يُقْبَلُ بِجَلَالِهِ وَأَبْرَأُ مِنْ قَوْلِي: لَهُ الْعَرْشُ قَدْ حَوَى
فَمَنْ قَالَ: مِثْلَ الْفُلْكِ كَانَ اسْتِوَاءُهُ عَلَى جَبَلِ الْجُودِيِّ مِنْ شَاهِقِ هَوَى
وَمَنْ يَتَّبِعْ مَا قَدْ تَشَابَهَ يَبْتَغِي بِهِ فِتْنَةً أَوْ يَبْغِي تَأْوِيلَهُ غَوَى
فَلَمْ أَقُلْ: اسْتَوَى وَلَسْتُ مُكَلِّفًا بِتَأْوِيلِهِ كَلَّا وَلَمْ أَقُلْ: احْتَوَى
وَمَنْ قَالَ لِي: كَيْفَ اسْتَوَى لَا أُجِيبُهُ بِشَيْءٍ سِوَى أَنِّي أَقُولُ لَهُ اسْتَوَى^(٢)

السُّؤَالُ السَّادِسُ

هَلْ مَذْهَبُ السَّلَفِ أَسْلَمٌ، وَمَذْهَبُ الْخَلْفِ أَحْكَمُ وَأَعْلَمُ؟
شَاعَ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ: أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ أَسْلَمٌ، وَأَنَّ
طَرِيقَةَ الْخَلْفِ أَحْكَمُ، وَهَذَا لَيْسَ بِمُسْتَقِيمٍ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ مُجَرَّدُ
الْإِيمَانِ بِالْفَاطِظِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ مِنْ غَيْرِ فِقْهِ فِي ذَلِكَ، وَأَنَّ طَرِيقَةَ الْخَلْفِ
هِيَ اسْتِخْرَاجُ مَعَانِي النُّصُوصِ الْمَصْرُوفَةِ عَنْ حَقَائِقِهَا بِأَنْوَاعِ الْمَجَازَاتِ.
فَجَمَعَ هَذَا الْقَائِلُ بَيْنَ الْجَهْلِ بِطَرِيقَةِ السَّلَفِ، وَالِدَّعْوَى فِي طَرِيقَةِ الْخَلْفِ.
ثُمَّ هَذَا الْقَوْلُ إِذَا تَدَبَّرَهُ الْإِنْسَانُ، وَجَدَهُ فِي غَايَةِ الْجَهَالَةِ؛ بَلْ فِي غَايَةِ الضَّلَالَةِ.
أَلَيْسَ هَذَا صَرِيحًا: أَنَّ السَّلَفَ كَانُوا ضَالِّينَ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ

(٢) «شرح العقيدة السفارينية» (ص ١٠١).

(١) «الدرر السنية» (٣/ ٢٩١ - ٢٩٢).

وَعَلِمَهُ الْمُتَأَخِّرُونَ؟! وَهَذَا فَاسِدٌ بِضُرُورَةِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَالِدِّينِ الْمَتِينِ...
فَيَصِفُونَ إِخْوَانَهُمْ بِالْفَضِيلَةِ فِي الْعِلْمِ وَالْبَيَانِ، وَالتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ، وَالسَّلَفِ
بِالنَّقْصِ فِي ذَلِكَ وَالتَّقْصِيرِ فِيهِ، أَوْ الْخَطَأِ وَالْجَهْلِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَكْفِيرًا لِلْسَّلَفِ، وَلَا تَفْسِيرًا لَهُمْ، كَانَ
تَجْهِيلًا لَهُمْ وَتَخْطِئَةً وَتَضْلِيلًا، وَنِسْبَةً لَهُمْ إِلَى الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَإِنْ لَمْ
يَكُنْ فِسْقًا، فَرَعْمًا: أَنَّ أَهْلَ الْقُرُونِ الْمَفْضُولَةِ فِي الشَّرِيعَةِ، أَعْلَمُ وَأَفْضَلُ مِنْ
أَهْلِ الْقُرُونِ الْفَاضِلَةِ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ لِمَنْ تَدَبَّرَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ
السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ: أَنَّ خَيْرَ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ - فِي الْأَعْمَالِ
وَالْأَقْوَالِ وَالْإِعْتِقَادِ - وَغَيْرِهَا مِنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ، أَنَّ خَيْرَهَا: الْقَرْنُ الْأَوَّلُ، ثُمَّ
الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ،
وَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْخَلْفِ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ: مِنْ عِلْمٍ وَعَمَلٍ وَإِيمَانٍ وَعَقْلِ وَدِينٍ
وَبَيَانٍ وَعِبَادَةٍ، وَأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْبَيَانِ لِكُلِّ مُشْكِلٍ. هَذَا لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا مَنْ كَابَرَ
الْمَعْلُومَ بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ.

هَذَا وَقَدْ قَالَ ﷺ: «لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ، إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى
تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»^(١). فَكَيْفَ يَحْدُثُ لَنَا زَمَانٌ فِيهِ الْخَيْرُ فِي أَعْظَمِ الْمَعْلُومَاتِ،
وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى؟ هَذَا لَا يَكُونُ أَبَدًا.

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي رِسَالَتِهِ: «هُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ
وَعَقْلٍ وَدِينٍ وَفَضْلٍ، وَكُلُّ سَبَبٍ يُنَالُ بِهِ عِلْمٌ أَوْ يُدْرَكُ بِهِ هُدًى، وَرَأَيْتُكُمْ لَنَا خَيْرَ مَنْ
رَأَيْنَا لِنَفْسِنَا»^(٢).

(١) رواه البخاري (٧٠٦٨)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٥٨/٤).

وَقَالَ الْعَلَامَةُ الشَّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُمْ: «إِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ أَسْلَمُ، وَمَذْهَبَ الْخَلَفِ أَحْكَمُ وَأَعْلَمُ» فَقُولُ:

أَوَّلًا: وَصَفُوا مَذْهَبَ السَّلَفِ بِأَنَّهُ أَسْلَمُ، وَهِيَ صِغَةُ تَفْضِيلٍ مِنَ السَّلَامَةِ وَمَا كَانَ يَفُوقُ غَيْرَهُ وَيَفْضُلُهُ فِي السَّلَامَةِ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْهُ وَأَحْكَمُ.

ثَانِيًا: اَعْلَمُوا أَنَّ الْمُؤَوَّلِينَ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِمُ بَيْتُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

رَامَ نَفْعًا فَضَرَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَمِنْ الْبِرِّ مَا يَكُونُ عُقُوقًا^(١)

وَإِيضًا الْمُقَارَنَةُ: أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى مُعْتَقِدِ السَّلَفِ الصَّالِحِ إِذَا سَمِعَ مَثَلًا

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، امْتِلَأَ قَلْبُهُ مِنَ الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ

وَالْإِكْبَارِ لِصِفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّتِي مَدَحَ بِهَا نَفْسَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِهَا، فَجَزَمَ

بِأَنَّ تِلْكَ الصِّفَةَ الَّتِي تَمَدَّحَ بِهَا خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، بِالْغَةِ مِنْ غَايَاتِ

الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ مَا يَقْطَعُ عِلَاقَتَهُ أَوْهَامِ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صِفَاتِ الْخَلْقِ.

وَبِإِجْلَالِ تِلْكَ الصِّفَةِ وَتَعْظِيمِهَا، وَحَمْلِهَا عَلَى أَشْرَفِ الْمَعَانِي اللَّائِقَةِ

بِكَمَالِ مَنْ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ وَجَلَّالَهُ، يَسْهُلُ عَلَى الْمُؤْمِنِ السَّلَفِيِّ أَنْ يُؤْمِنَ

بِتِلْكَ الصِّفَةِ، وَيُثَبِّتَهَا لِلَّهِ كَمَا أَثْبَتَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ عَلَى أَساسِ التَّنْزِيهِ.

فَيَكُونُ أَوَّلًا: مُنْزَهَا سَالِمًا مِنْ أَقْدَارِ التَّشْبِيهِ.

وِثَانِيًا: مُؤْمِنًا بِالصِّفَاتِ، مُصَدِّقًا بِهَا، عَلَى أَساسِ التَّنْزِيهِ. فَيَكُونُ سَالِمًا

مِنْ أَقْدَارِ التَّعْطِيلِ.

فَيَجْمَعُ بَيْنَ التَّنْزِيهِ وَالْإِيمَانِ بِالصِّفَاتِ عَلَى نَحْوِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿[الشورى: ١١]﴾.

فَمُعْتَقَدُهُ طَرِيقُ سَلَامَةٍ مُحَقَّقَةٍ؛ لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ آيَةُ ﴿لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴿١١﴾ الْآيَةُ [الشورى: ١١]، مِنَ التَّنْزِيهِ، وَالْإِيمَانِ بِالصِّفَاتِ.

فَهُوَ تَنْزِيهٌ مِنْ غَيْرِ تَعْطِيلٍ، وَإِيمَانٌ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ وَلَا تَمَثِيلٍ.
وَكُلُّ هَذَا طَرِيقُ سَلَامَةٍ مُحَقَّقَةٍ، وَعَمَلٌ بِالْقُرْآنِ. فَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ.
وَأَمَّا مَا يُسَمُّونَهُ مَذْهَبَ الْخَلْفِ، فَالْحَامِلُ لَهُمْ فِيهِ عَلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ
وَتَأْوِيلِهَا: هُوَ قَصْدُهُمْ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ.

وَلَكِنَّهُمْ فِي مُحَاوَلَتِهِمْ لِهَذَا التَّنْزِيهِ، وَقَعُوا فِي ثَلَاثِ بَلَايَا، لَيْسَتْ
وَاحِدَةً مِنْهَا إِلَّا وَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتَيْهَا:

الأُولَى: مِنْ هَذِهِ الْبَلَايَا الثَّلَاثِ: أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ
أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، زَعَمُوا أَنَّ ظَاهِرَ الْإِسْتِوَاءِ فِي الْآيَةِ هُوَ مُشَابَهَةُ
إِسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِينَ. فَتَهَجَّمُوا عَلَى مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ،
وَادَّعَوْا عَلَيْهِ أَنَّ ظَاهِرَهُ الْمُتَبَادَرُ مِنْهُ هُوَ التَّشْبِيهُ بِالْمَخْلُوقِينَ فِي اسْتِوَائِهِمْ.

فَكَانَهُمْ يَقُولُونَ لِلَّهِ: هَذَا الْإِسْتِوَاءُ الَّذِي أَثْنَيْتَ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ فِي سَبْعِ
آيَاتٍ مِنْ كِتَابِكَ ظَاهِرُهُ قَدَرٌ نَجِسٌ لَا يَلِيقُ بِكَ لِأَنَّهُ تَشْبِيهُ بِالْمَخْلُوقِينَ، وَلَا شَيْءَ
مِنَ الْكَلَامِ أَقْدَرُ وَأَنْجَسُ مِنْ تَشْبِيهِ الْخَالِقِ بِخَلْقِهِ! سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ!
وَهَذِهِ هِيَ الْبَلِيَّةُ الْأُولَى الَّتِي هِيَ التَّهْجُمُ عَلَى نُصُوصِ الْوَحْيِ، وَادِّعَاءُ
أَنَّ ظَاهِرَهَا تَشْبِيهُ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ، وَنَاهِيكَ بِهَا بَلِيَّةٌ.

ثُمَّ لَمَّا تَقَرَّرَتْ هَذِهِ الْبَلِيَّةُ فِي أَذْهَانِهِمْ، وَتَقَدَّرَتْ قُلُوبُهُمْ بِأَقْدَارِ
التَّشْبِيهِ، اضْطَرُّوا بِسَبَبِهَا إِلَى نَفْيِ صِفَةِ الْإِسْتِوَاءِ، فِرَارًا مِنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ
الَّتِي افْتَرَوْهَا عَلَى نُصُوصِ الْقُرْآنِ، أَنَّهَا هِيَ ظَاهِرُهَا.

وَنَفْيُ الصِّفَةِ الَّتِي أَثْنَى اللَّهُ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ، مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى كِتَابٍ أَوْ
سُنَّةٍ، هُوَ الْبَلِيَّةُ الثَّانِيَّةُ الَّتِي وَقَعُوا فِيهَا.

فَحَمَلُوا نُصُوصَ الْقُرْآنِ أَوَّلًا عَلَى مَعَانٍ غَيْرِ لَاطِقَةٍ بِاللَّهِ، ثُمَّ نَفَوْهَا مِنْ

أَصْلِهَا، فِرَارًا مِنَ الْمَحْذُورِ الَّذِي زَعَمُوا.

وَالْبَلِيَّةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّهُمْ يُفَسِّرُونَ الصِّفَةَ الَّتِي نَفَوْهَا بِصِفَةٍ أُخْرَى، مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى وَحْيٍ؛ مَعَ أَنَّ الصِّفَةَ الَّتِي فَسَّرَهَا بِهَا هِيَ بِالْعَةِ غَايَةُ التَّشْبِيهِ بِالْمَخْلُوقِينَ. فَيَقُولُونَ: ﴿أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ظَاهِرُهُ مُشَابَهَةُ اسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِينَ. فَمَعْنَى ﴿أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]: اسْتَوَى، وَيَسْتَدِلُّونَ بِقَوْلِ الرَّاجِزِ فِي إِطْلَاقِ الْإِسْتِوَاءِ عَلَى الْإِسْتِيْلَاءِ:

قَدْ اسْتَوَى بِشَرٍّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقٍ^(١)
وَلَا يَدْرُونَ أَنَّهُمْ شَبَّهُوا اسْتِيْلَاءَ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ الَّذِي زَعَمُوهُ، بِاسْتِيْلَاءِ
«بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ» عَلَى الْعِرَاقِ!!

فَأَيُّ تَشْبِيهِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا؟! وَهَلْ يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُشَبَّهَ
صِفَةَ اللَّهِ الَّتِي هِيَ الْإِسْتِيْلَاءُ الْمَزْعُومُ بِصِفَةِ بِشْرِ الَّتِي هِيَ اسْتِيْلَاؤُهُ عَلَى الْعِرَاقِ؟
وَصِفَةُ الْإِسْتِيْلَاءِ مِنْ أَوْغَلِ الصِّفَاتِ فِي التَّشْبِيهِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛
لِأَنَّ فِيهَا التَّشْبِيهَ بِاسْتِيْلَاءِ مَالِكِ الْحِمَارِ عَلَى حِمَارِهِ، وَمَالِكِ الشَّاةِ عَلَى
شَاتِهِ، وَيَدْخُلُ فِيهَا كُلُّ مَخْلُوقٍ قَهَرَ مَخْلُوقًا وَاسْتَوَلَى عَلَيْهِ.

وَفِي هَذَا مِنْ أَنْوَاعِ التَّشْبِيهِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ.

فَإِنْ زَعَمَ مَنْ شَبَّهَ أَوَّلًا، وَعَطَّلَ ثَانِيًا، وَشَبَّهَ ثَالِثًا أَيْضًا، أَنَّ الْإِسْتِيْلَاءَ
الْمَزْعُومَ مُنْزَعٌ عَنْ مُشَابَهَةِ اسْتِيْلَاءِ الْمَخْلُوقِينَ. قُلْنَا لَهُ: نَحْنُ نَسْأَلُكَ وَنَطْلُبُ
مِنْكَ الْجَوَابَ بِإِنْصَافٍ: أَيُّهُمَا أَحَقُّ بِالتَّنْزِيهِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ! الْإِسْتِوَاءُ
الَّذِي مَدَحَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ وَهُوَ فِي نَفْسِ الْقُرْآنِ الَّذِي يُتْلَى،
وَلِتَالِيهِ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ؛ لِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، أَمْ الْأَحَقُّ بِالتَّنْزِيهِ هُوَ

(١) ينسب للأخطل النصراني، انظر: «ديوانه» (ص ٥٥٧)، دار الفكر المعاصر، ١٤١٦هـ.

الإستيلاء الذي جئتم به من تلقاء أنفسكم من غير استناد إلى وحي؟! ولا شك أن الجواب الحق: أن اللفظ الوارد في القرآن أحق بالتنزيه والحمل على أشرف المعاني وأكملها، من اللفظ الذي جاء به معطل من كيسه الخاص، لا مستند له من الوحي!

وبهذه الكلمات القليلة يظهر لكم: «أن مذهب السلف أسلم وأحكم وأعلم»^(١)، وأهدى إلى الطريق الأقوم. ومذهب الخلف - الذي هو التأويل -، بدعة أحدثها المنتحلون، وتمسك بها المبطلون^(٢).

السؤال السابع

هل التحدث بآيات الصفات وأحاديثها، فيه تلبيس على العامة، وفتنة لهم، وفيه تمزيق وحدة الأمة؟

اعلم - ﷺ - بأن المشتغلين بعلم الكلام ينكرون على السلفيين التحدث بأحاديث الصفات، زاعمين أنه فتنه على العامة، وفيه من الإضلال وتمزيق وحدة الأمة.

وهذا الكلام باطل من وجهين:

(الأول:) أن النبي ﷺ كان يتلو آيات الصفات ويتكلم بكلامه الذي فيه خبر عن الله تعالى وصفاته، وكان يغشاه عليه الحضري والبدوي، فلو كان بيان توحيد الأسماء والصفات تلبيساً على العامة، لم يتفوه النبي ﷺ بشيء من ذلك.

ومن «زعم: أن إطلاق ما أطلقه رسول الله ﷺ على الله ﷻ، في

(١) «القواعد الطيبات في الأسماء والصفات» (ص ٨٨ - ٩٢).

(٢) «عون الباري» (٧١٨/٤)، لصديق حسن خان رحمته.

فَهَذَا الرَّعْمُ - مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ وَالْكَلَامِ -: مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلَاتِ، وَأَنْكَرِ الْمُنْكَرَاتِ.

فَنَحْنُ نُسَبِّحُهُ وَنُقَدِّسُهُ عَنْ جَمِيعِ سِمَاتِ النَّقْصِ وَالزَّوَالِ، وَنُثَبِّتُ لَهُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ، وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ - فِيمَا صَحَّ عَنْهُ، رِوَايَةً -، وَهَذَا هُوَ مُخْتَارُ جُمْهُورِ السَّلَفِ، وَمَشْرَبُ الصَّالِحِينَ مِنَ الْخَلَفِ. وَمَنْ خَالَفَ ذَلِكَ: فَقَدْ خَالَفَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ، بَلِ الشَّرَائِعَ كُلَّهَا^(١).

وَأَمَّا السَّلَفِيُّونَ فَهُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ
هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا يُجَمِّعُ شَمْلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِتَوْحِيدِ الْعَقِيدَةِ وَتَوْحِيدِ الصُّفُوفِ.
وَهَذَا لَا يُمَكِّنُ إِلَّا بِالْتَّمَسْكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا عَلَيْهِ أَيْمَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي

(۱) «السراج الوهاج» (۱۱/۱۲۷)، لصديق حسن خان رحمہ اللہ.

الْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ^(١).

وَنَحْنُ نَقُولُ: لَا مَخَافَةَ عَلَى الْعَامَّةِ مِنْ فَهْمِ الْإِسْتِوَاءِ فَهَمًّا فَاسِدًا. فَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ قَدْ نَلَقَتْهُمَا الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ، وَلَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَى أَذْهَانِ أَحَدٍ مِنْهُمْ هَذَا الْمَفْهُومُ الْخَاطِئُ، وَإِنَّمَا يُخَافُ عَلَى الْعَامَّةِ مِنْ تَأْوِيلَاتِ أَهْلِ الْكَلَامِ وَدَعَاوِيهِمُ الْبَاطِلَةِ. الَّذِينَ يُرَدِّدُونَ فِي مَجَالِسِهِمْ: «كَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانَ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ»، وَ«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَرْشَ إِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ، وَلَمْ يَتَّخِذْهُ مَكَانًا لِدَايِهِ»، وَأَمْثَالِ هَذَا الْهَذْيَانِ الَّذِي هُوَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ.

السُّؤَالُ الثَّامِنُ

هَلْ آيَاتُ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُتَشَابِهِ؟

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ بِأَنَّ أَهْلَ الْكَلَامِ جَعَلُوا آيَاتِ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُتَشَابِهِ، الَّتِي لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهَا إِلَّا اللَّهُ ﷻ.

وَهَذَا افْتِرَاءٌ قَبِيحٌ، وَبَهْتٌ صَرِيحٌ، وَكَذِبٌ شَنِيعٌ، وَتَقْوُلٌ فَطِيعٌ، وَضَلَالٌ وَإِضْلَالٌ. وَهَذَا يَتَبَيَّنُ مِنْ وُجُوهِ:

الوجه الأول: أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (١٤) ﴿[محمد: ٢٤]، وَقَالَ ﷻ: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبَرُوا عَابِتِيهِ وَلِيَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١٩) ﴿[ص: ٢٩]، وَقَالَ ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَذَكَّرُوا أَلْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٦٨) ﴿[المؤمنون: ٦٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢) ﴿[النساء: ٨٢].

فَاللَّهُ ﷻ «قَدْ أَمَرَ بِتَذَكُّرِ الْقُرْآنِ مُطْلَقًا، وَلَمْ يَسْتَنْ مِنْهُ شَيْئًا لَا يُتَذَكَّرُ، وَلَا

(١) «التنبيهات السننية» (ص ١٩١ - ١٩٢)، بتصرف يسير.

قَالَ: لَا تَدَبَّرُوا الْمُتَشَابِهَ، وَالتَّدَبُّرُ بِدُونِ الْفَهْمِ مُمْتَنِعٌ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَا يُتَدَبَّرُ لَمْ يُعْرَفْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُمَيِّزِ الْمُتَشَابِهَ بِحَدِّ ظَاهِرٍ، حَتَّى يُجْتَنَّبَ تَدَبُّرُهُ^(١).

الثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ ﷻ وَصَفَ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، وَوَصَفَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هُمْ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

فَلَمَّا أَخْبَرَ ﷻ بِأَنَّ الْقُرْآنَ شِفَاءٌ، وَهُدًى، وَرَحْمَةٌ، وَنُورٌ، وَمُبِينٌ، وَلَمْ يَسْتَنْ مِنْهُ شَيْئًا؛ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ كُلُّهُ كَذَلِكَ، وَأَنَّهُ مِمَّا يُمَكِّنُ فَهْمَ مَعْنَاهُ، وَلَوْ لَمْ يُمَكِّنْ فَهْمَ مَعْنَاهُ، لَمْ تَتَحَقَّقْ فِيهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ^(٢).

الثَّالِثُ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وَقَالَ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].

فَبَيَّنَ ﷻ أَنَّهُ أَنْزَلَهُ عَرَبِيًّا لِيُعْقَلَ، وَالْعَقْلُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ الْعِلْمِ بِمَعَانِيهِ^(٣).

الرَّابِعُ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

فَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ ذَمَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ الْكِتَابَ إِلَّا تِلَاوَةً دُونَ فَهْمِ مَعَانِيهِ، كَمَا ذَمَّ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، فَإِنَّهُ ﷻ قَالَ عَقِبَ الْآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ، ثُمَّ نَأْخِذُ بِقَوْلٍ لَّهُمْ مِمَّا كُنْتُ أَتِيهِمْ وَيَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧/٣٩٦).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٧/٣٩٦).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/١٥٨).

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كِلَا النَّوعَيْنِ مَذْمُومٌ: الْجَاهِلُ الَّذِي لَا يَفْهَمُ مَعَانِيَ النَّصُوصِ، وَالكَاذِبُ الَّذِي يُحَرِّفُ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ^(١).

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ ذَمَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ مِنْ كِتَابِهِ إِلَّا مُجَرَّدَ التَّلَاوَةِ، دُونَ فِقْهِهِ وَلَا فَهْمٍ لِمَعَانِيهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ خِصَالِ الْيَهُودِ.

وَلِذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ۝ (١٥) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۝ (الإسراء: ٤٥ - ٤٦)﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝ (٧٨)﴾ [النساء: ٧٨].
فَلَوْ «كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَا يَفْقَهُونَهُ أَيْضًا، لَكَانُوا مُشَارِكِينَ لِلْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِيمَا ذَمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ»^(٢).

الخامس: أَنَّهُ تَعَالَى ذَمَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ حَظُّهُ مِنَ السَّمَاعِ إِلَّا سَمَاعُ الصَّوْتِ دُونَ فَهْمِ الْمَعْنَى وَاتِّبَاعِهِ، فَقَالَ: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ (١٧١)﴾ [البقرة: ١٧١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝ (١١)﴾ [الفرقان: ٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنِفًا ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۝ (١٦)﴾ [محمد: ١٦].

فَمَنْ جَعَلَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، غَيْرَ عَالِمِينَ بِمَعَانِيَ الْقُرْآنِ، جَعَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِيمَا

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧/٤٣٢ - ٤٤٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/١٥٨).

ذَمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ (١).

السَّادِسُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ رَحْمَةً وَذِكْرَى﴾ [العنكبوت: ٥١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ مَفْهُومًا وَمَعْلُومًا، لَمْ يَكُنْ كَافِيًا، وَلَمْ يَكُنْ بُرْهَانًا. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنْ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ الْكِتَابُ الَّذِي يُخَالِفُهُ صَرِيحُ الْعَقْلِ كَافِيًا، وَإِنَّمَا يَكُونُ كَافِيًا لِمَنْ قَدَّمَهُ عَلَى كُلِّ مَعْقُولٍ، وَرَأَى وَقِيَاسٍ وَذَوْقٍ، وَحَقِيقَةٍ وَسِيَاسَةٍ، فَهَذَا الْكِتَابُ فِي حَقِّهِ كَافٍ لَهُ، كَمَا أَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ رَحْمَةً وَذِكْرَى لَهُ دُونَ غَيْرِهِ؛ وَأَمَّا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ، أَوْ عَارَضَهُ بِآرَاءِ الرِّجَالِ، فَلَيْسَ بِكَافٍ لَهُ، وَلَا هُوَ فِي حَقِّهِ هُدًى وَلَا رَحْمَةً، بَلْ هُوَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ (٢).

السَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ جَمِيعَ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، فَيَكُونُ جَمِيعُ الْمُنْزَلِ مُبَيَّنًا عَنْهُ يُمَكِّنُ مَعْرِفَتَهُ وَفَهْمَهُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ التَّفَكُّرَ طَرِيقٌ إِلَى الْعِلْمِ، وَمَا لَا يُمَكِّنُ الْعِلْمَ بِهِ، لَا يُؤْمَرُ بِالتَّفَكُّرِ فِيهِ.

الثَّامِنُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/١٥٨-١٥٩). (٢) «الصواعق» (ص ١٣٥٢-١٣٥٣).

وَمَعْلُومٌ أَنَّ اتِّبَاعَ مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ، إِنَّمَا يُمَكِّنُ بَعْدَ فَهْمِهِ وَتَصَوُّرِ مَعْنَاهُ، وَمَا كَانَ مِنَ الْكَلَامِ لَا يُمَكِّنُ أَحَدًا فَهْمُهُ، لَمْ يُمَكِّنِ اتِّبَاعُهُ، بَلْ كَانَ الَّذِي يَسْمَعُهُ كَالَّذِي لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً، وَإِنَّمَا الْإِتِّبَاعُ لِمَعَانِي الْكَلَامِ.

التَّاسِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِينَ مُبَشِّرِينَ وَنَذِيرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وَمَعْلُومٌ أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ بِالْكِتَابِ أَوْ حُكْمَ الْكِتَابِ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ، لَا يُمَكِّنُ إِلَّا إِذَا عَرَفُوا مَا حَكَمَ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَمَا تَضَمَّنَهُ الْكِتَابُ مِنَ الْحُكْمِ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يُمَكِّنُ إِذَا كَانَ مِمَّا يُمَكِّنُ فَهْمُ مَعْنَاهُ وَتَصَوُّرُ الْمُرَادِ بِهِ، دُونَ مَا يَمْتَنِعُ ذَلِكَ مِنْهُ.

الْعَاشِرُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤].

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: لَوْ جَعَلَهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَأَنْكَرُوا ذَلِكَ، وَقَالُوا: هَلَّا بَيَّنَّتْ آيَاتِهِ بِلُغَةِ الْعَرَبِ لِفَهْمِهِ، أَقْرَأَنُ أَعْجَمِيٌّ وَرَسُولٌ عَرَبِيٌّ؟^(١)

فَقَدْ بَيَّنَّ ﷺ أَنَّهُ لَوْ جَعَلَهُ أَعْجَمِيًّا لَأَنْكَرُوهُ، فَجَعَلَهُ عَرَبِيًّا لِفَهْمِ مَعْنَاهُ، وَلِيَنْدَفِعَ مِثْلُ هَذَا الْقَوْلِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَوْ كَانَ أَعْجَمِيًّا لَأَمْكَنَهُمُ التَّوَصُّلُ إِلَى فَهْمِهِ بِأَنْ يُتَرْجِمَ لَهُمْ مُتَرْجِمٌ، إِمَّا أَنْ يَسْمَعَهُ مِنَ الرَّسُولِ وَيُتَرْجِمَهُ، أَوْ يَحْفَظُهُ لَهُمْ أَعْجَمِيًّا ثُمَّ يُتَرْجِمَهُ لَهُمْ، كَمَا أَنَّ مِنَ الْعَجَمِ مَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا وَلَا يَفْهَمُ، وَيُتَرْجِمُ لَهُ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ عَرَبِيًّا لَا يُمَكِّنُ أَحَدًا أَنْ يَفْهَمَهُ، لَا الرَّسُولُ وَلَا الْمُرْسَلُ إِلَيْهِمْ؛ فَإِنْكَارُ هَذَا أَعْظَمُ مِنْ إِنْكَارِ كَوْنِهِ أَعْجَمِيًّا، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ بَيَّنَّ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ الْأَوَّلَ، فَهُوَ أَلَّا يَفْعَلَ هَذَا أَوْلَى وَأَحْرَى.

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٠٤) [طبعة دار الفكر، بيروت].

الحادي عشر: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ آيَاتِ الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: ﴿كَتَبَ أَحْكَمَ آيَاتِهِ، ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١]، وَقَوْلِهِ: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١]، وَقَوْلِهِ: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ١].

وَمَا لَا يُمَكِّنُ فَهْمُهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يُحْكَمْ، وَلَمْ يُفَصَّلْ، وَلَمْ يُبَيِّنْ.

الثاني عشر: إِنَّ اللَّهَ مَدَحَ الْقُرْآنَ وَبَيَّنَّ اشْتِمَالَهُ عَلَى عِلْمِهِ، كَمَا قَالَ ﷺ: ﴿لَيْكِنَ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ، يَعْلِمُهُ﴾ [النساء: ١٦٦].

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، دَلَّ عَلَى أَنَّ مَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يَسْتَأْثِرِ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، بَلْ أَنْزَلَهُ إِلَى عِبَادِهِ وَعَلَّمَهُمْ إِيَّاهُ، وَهُوَ مِنْ عِلْمِهِ الَّذِي قَالَ فِيهِ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا إِذَا أَمَكَّنَ فَهْمُ مَعْنَاهُ، وَإِلَّا فَالْلَفْظُ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ فَهْمُ مَعْنَاهُ لَا عِلْمَ فِيهِ لِأَحَدٍ، وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالَّذِي يَسْتَحْيِبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٤].

الثالث عشر: وَأَيْضًا فَالْكَلَامُ إِنَّمَا الْمَقْصُودُ بِهِ الْإِفْهَامُ، فَإِذَا لَمْ يُقْصَدْ بِهِ ذَلِكَ، كَانَ عَبَثًا وَبَاطِلًا، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ فِعْلِ الْبَاطِلِ وَالْعَبَثِ. فَكَيْفَ يَقُولُ الْبَاطِلَ وَالْعَبَثَ، وَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يُنْزَلُهُ عَلَى خَلْقِهِ، لَا يُرِيدُ بِهِ إِفْهَامَهُمْ؟! ^(١)

الرابع عشر: إِنَّ اللَّهَ ﷻ تَحَدَّى الْعَرَبَ بِالْقُرْآنِ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ مَعَانِيهِ مَعْلُومَةً لَدَيْهِمْ، لَمْ يَصِحَّ أَنْ يَتَحَدَّاهُمْ بِهِ.

الخامس عشر: إِنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ قَدْ تَكَلَّمُوا فِي مَعَانِي آيَاتِ الصِّفَاتِ، بَلْ قَدْ فَسَّرُوا جَمِيعَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مَعَانِيهِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالسَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ الْأُمَّةِ،

قَدْ تَكَلَّمُوا فِي جَمِيعِ نُصُوصِ الْقُرْآنِ: آيَاتِ الصِّفَاتِ وَغَيْرِهَا، وَفَسَّرُوهَا بِمَا يُوَافِقُ دَلَالَتَهَا وَبَيِّنَاتَهَا، وَرَوَوْا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً تُوَافِقُ الْقُرْآنَ، وَأَثَمَةُ الصَّحَابَةِ فِي هَذَا أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهِمْ^(١).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ - ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ؟ وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَنْ أُنْزِلَتْ؟ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»^(٢).

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، لَمْ نَتَعَلَّمْ مِنَ الْعَشْرِ الَّتِي نَزَلَتْ بَعْدَهَا، حَتَّى نَعْلَمَ مَا فِيهِ»^(٣).

فَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نَقَلُوا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ التَّفْسِيرَ مَعَ التَّلَاوَةِ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْهُ قَطُّ أَنَّهُ امْتَنَعَ مِنْ تَفْسِيرِ آيَةٍ^(٤).

فَمَنْ قَالَ: إِنَّ جَبْرِيلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمُحَمَّدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ وَسَلَفَ الْأُمَّةِ، كَانُوا يَقْرَأُونَ نُصُوصَ الصِّفَاتِ، وَلَا يَعْرِفُونَ لَهَا مَعْنَى، بَلْ مَعْنَاهَا مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ؛ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى الْقَوْمِ، وَالنُّقُولُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنْهُمْ تُكَذِّبُ هَذَا الزَّعَمَ^(٥).

السادس عشر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ

مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [سبأ: ١٦]. فَلَوْلَا أَنََّّهُمْ عَرَفُوا مَعْنَى مَا أُنْزِلَ، كَيْفَ عَرَفُوا أَنَّهُ حَقٌّ أَوْ بَاطِلٌ، وَهَلْ يُحْكَمُ عَلَى كَلَامٍ لَمْ يَتَصَوَّرَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ حَقٌّ أَوْ بَاطِلٌ؟!^(٦)

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٠٧/١٣). (٢) رواه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣).

(٣) رواه الحاكم (٥٥٧/١)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) «مجموع الفتاوى» (٣٠٨/١٣). (٥) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤٢٥/١٧).

(٦) «مجموع الفتاوى» (٤٢٩/١٧).

السَّابِعُ عَشَرَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ (١٢) ﴿[الطارق: ١٣]؛ أَي: فَاصِلٌ يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَكَيْفَ يَكُونُ فَصْلًا إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَعْنَاهُ سَبِيلٌ؟^(١)

الثَّامِنُ عَشَرَ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَسِّرُ الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (١٧) ﴿[القمَر: ١٧]. وَتَيْسِيرُهُ لِلذِّكْرِ يَتَضَمَّنُ أَنْوَاعًا مِنْ التَّيْسِيرِ:

إِحْدَاهَا: تَيْسِيرُ أَلْفَاظِهِ لِلْحِفْظِ.

الثَّانِي: تَيْسِيرُ مَعَانِيهِ لِلْفَهْمِ.

الثَّالِثُ: تَيْسِيرُ أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ لِلإِمْتِثَالِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَوْ كَانَ بِالْأَفَاطِ لَا يَفْهَمُهَا الْمُخَاطَبُ، لَمْ يَكُنْ مُيسِّرًا لَهُ، بَلْ كَانَ مُعَسِّرًا عَلَيْهِ، فَهَكَذَا إِذَا أُريدَ مِنَ الْمُخَاطَبِ أَنْ يَفْهَمَ مِنْ أَلْفَاظِهِ مَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي، أَوْ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِهِ، فَهَذَا مِنْ أَشَدِّ التَّعْسِيرِ، وَهُوَ مُنَافٍ لِلتَّيْسِيرِ؛ فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَعَسَرَ عَلَى الْأُمَّةِ مِنْ أَنْ يُرَادَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْهَمُوا مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ مَا لَا تَدُلُّ عَلَيْهِ، بَلْ تَدُلُّ عَلَى خِلَافِهِ وَيَقُولُ: اْعْلَمُوا يَا عِبَادِي أَنِّي أَرَدْتُ مِنْكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا أَنِّي لَسْتُ فَوْقَ الْعَالَمِ، وَلَا تَحْتَهُ، وَلَا فَوْقَ عَرْشِي، وَلَا تُرْفَعُ الْأَيْدِي إِلَيَّ، وَلَا يَعْرُجُ إِلَيَّ شَيْءٌ، وَلَا يَنْزِلُ مِنْ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِي: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) ﴿[طه: ٥]، وَمِنْ قَوْلِي: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْفِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وَمِنْ قَوْلِي: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وَمِنْ قَوْلِي: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وَمِنْ قَوْلِي: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]، وَمِنْ قَوْلِي: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَمِنْ قَوْلِي: ﴿سَبِّحْ

أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ [الأعلى: ١]، وَمِنْ قَوْلِي: ﴿أَمِنُّمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ [الملك: ١٦]، وَمِنْ قَوْلِي: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وَمِنْ قَوْلِي: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

فَإِنَّكُمْ إِذَا فَهِمْتُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَافِ حَقَائِقَهَا وَظَوَاهِرَهَا، فَهِمْتُمْ خِلَافَ مُرَادِي مِنْهَا، بَلْ مُرَادِي مِنْكُمْ أَنْ تَفْهَمُوا مِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ حَقَائِقَهَا وَظَوَاهِرَهَا. فَأَيُّ تَيْسِيرٍ يَكُونُ هُنَاكَ؟! وَأَيُّ تَعْقِيدٍ وَتَعْسِيرٍ لَمْ يَحْصُلْ بِذَلِكَ؟! وَمَعْلُومٌ أَنَّ خِطَابَ الرَّجُلِ بِمَا لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا بِتَرْجَمَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ خِطَابِهِ بِمَا كُتِفَ أَنْ يَفْهَمَ مِنْهُ خِلَافَ مَوْضُوعِهِ وَحَقِيقَتِهِ بِكَثِيرٍ. فَإِنَّ تَيْسِيرَ الْقُرْآنِ مُنَافٍ لِبَطْرِيقَةِ النُّفَاةِ الْمُحَرِّفِينَ أَعْظَمَ مُنَافَاةً^(١)، الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ ظَاهِرَهَا التَّشْبِيهَ، فَنَفَوْضُ أَوْ نُؤَوِّلُ، كَمَا قَالَ قَائِلُهُمْ:

وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهًا أَوْلَهُ أَوْ فَوَّضَ وَزُمَ تَنْزِيهًا^(٢)

فَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ، وَعَرَفَ مَقْصُودَ الْقُرْآنِ: تَبَيَّنَ لَهُ الْمُرَادُ، وَعَرَفَ الْهُدَى وَالرَّسَالَهَ، وَعَرَفَ السَّدَادَ مِنَ الْإِنْجِرَافِ وَالْإِعْوِجَاجِ^(٣)، وَتَبَيَّنَ لَهُ بَطْلَانُ قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُتَشَابِهِ.

وَالْحَقُّ أَبْلَجُ لَا تَزِيغُ سَبِيلُهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ^(٤)

السُّؤَالُ التَّاسِعُ

مَا هُوَ التَّعْلِيْقُ عَلَى قَوْلِ ابْنِ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيِّ^(٥): «وَيَاكَ أَنْ تَغْتَرَّ أَيْضًا بِمَا وَقَعَ فِي [الْغُنْيَةِ] لِإِمَامِ الْعَارِفِينَ وَقُطْبِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ الْأُسْتَاذِ

(٢) «متن جوهرة التوحيد» (رقم البيت: ٤٠).

(٤) «منع جواز المجاز» (ص ٦٢).

(١) «الصواعق» (ص ٣٣٠ - ٣٣٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٩٤/١٥).

(٥) في «الفتاوى الحديثية» (١٤٥/١).

عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي، فَإِنَّهُ دَسَّهُ عَلَيْهِ فِيهَا مَنْ سَيَتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ، وَإِلَّا فَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ؟

وَهَذَا الْكَلَامُ أَوْهَى مِنْ خُيُوطِ الْعَنْكَبُوتِ، وَعَارٍ مِنَ الصَّحَّةِ، وَقَائِمٌ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ مِنَ الْأَوْهَامِ وَالْخَيَالَاتِ.

وَكَلَامُ الْجِيلَانِي فِي إِبْطَاتِ الْجِهَةِ وَالْعُلُوِّ لِلَّهِ تَعَالَى، ذَكَرَهُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْ كُتُبِهِ^(١)، وَالذَّهَبِيُّ فِي «الْعُلُوِّ»^(٢)، وَابْنُ الْقَيْمِ فِي «اجْتِمَاعِ الْجِيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ»^(٣)، وَابْنُ رَجَبٍ فِي «الذَّيْلِ عَلَى طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ»^(٤)، وَابْنُ عَبْدِ الْهَادِي الْحَنْبَلِيُّ (٧٤٤هـ) فِي «الْكَلَامِ عَلَى مَسْأَلَةِ الْإِسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ»^(٥)، وَابْنُ عِمَادٍ الْحَنْبَلِيُّ فِي «شَذَرَاتِ الذَّهَبِ»^(٦). فَهَلْ تَوَاطَأَ هَؤُلَاءِ الْأَيْمَةُ الْكِبَارُ عَلَى الْكَذِبِ عَلَى هَذَا الْإِمَامِ؟! سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ مُبِينٌ.

السُّؤَالُ الْعَاشِرُ

كَيْفَ نَرُدُّ عَلَى مَنْ يَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ رَفْعِ الْبَصَرِ فِي الصَّلَاةِ إِلَى السَّمَاءِ، كَيْ لَا يَعْتَقِدُوا أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ؟

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَيْسَ نَهْيُ الْمُصَلِّي عَنْ رَفْعِ بَصَرِهِ فِي الصَّلَاةِ، رَدًّا عَلَى «أَهْلِ الْإِبْطَاتِ» الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، كَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ جُهَالِ الْجَهْمِيَّةِ؛ فَإِنَّ الْجَهْمِيَّةَ عِنْدَهُمْ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْعَرْشِ وَقَعْرِ الْبَحْرِ،

(١) «مجموع الفتاوى» (٥٨/٥)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٥/٥).

(٢) «العلو» (٢/١٣٧٠).

(٣) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٦٧٢ - ٧٧٢).

(٤) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٣/٢٩٦).

(٥) «الكلام على مسألة الاستواء على العرش» (ص ٨٨).

(٦) «شذرات الذهب» (٦/٣٣٤).

فَالْجَمِيعُ سَوَاءٌ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ، لَمْ يَنْهَ عَنْ رَفْعِ الْبَصَرِ إِلَى جِهَةٍ، وَيُؤْمَرُ بِرَدِّهِ إِلَى أُخْرَى، لِأَنَّ هَذِهِ وَهَذِهِ عِنْدَ الْجَهْمِيَّةِ سَوَاءٌ.

وَأَيْضًا: فَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، لَكَانَ النَّهْيُ عَنْ رَفْعِ الْبَصَرِ شَامِلًا لِجَمِيعِ أَحْوَالِ الْعَبْدِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ زَرَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فَلَيْسَ الْعَبْدُ يُنْهَى عَنْ رَفْعِ بَصَرِهِ مُطْلَقًا، وَإِنَّمَا يُنْهَى فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُؤْمَرُ فِيهِ بِالْخُشُوعِ؛ لِأَنَّ خَفْضَ الْبَصَرِ مِنْ تَمَامِ الْخُشُوعِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿خُشِعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ [القمر: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَبَّيْتُمْ يَعْرِضُونَ عَلَيْهَا خُشُوعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].

وَأَيْضًا: فَلَوْ كَانَ النَّهْيُ عَنْ رَفْعِ الْبَصَرِ إِلَى السَّمَاءِ، وَلَيْسَ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ، لَكَانَ لَا فَرْقَ بَيْنَ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَرَدِّهِ إِلَى جَمِيعِ الْجِهَاتِ، وَلَوْ كَانَ مَقْصُودُهُ أَنْ يَنْهَى النَّاسَ أَنْ يَعْتَقِدُوا أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، أَوْ يَقْصِدُوا بِقُلُوبِهِمُ التَّوَجُّهَ إِلَى الْعُلُوِّ، لَبَيَّنَ لَهُمْ ذَلِكَ، كَمَا بَيَّنَّ لَهُمْ سَائِرَ الْأَحْكَامِ.

فَكَيْفَ وَلَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ، وَلَا فِي قَوْلِ سَلَفِ الْأُمَّةِ، حَرْفٌ وَاحِدٌ يُذَكِّرُ فِيهِ أَنَّهُ لَيْسَ اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، أَوْ أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ السَّمَاءِ، أَوْ أَنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا مُحَايِثٌ لَهُ، وَلَا مُبَايِنٌ لَهُ، أَوْ أَنَّهُ لَا يَقْصِدُ الْعَبْدُ إِذَا دَعَاهُ الْعُلُوُّ، دُونَ سَائِرِ الْجِهَاتِ؟!

بَلْ جَمِيعُ مَا يَقُولُهُ الْجَهْمِيَّةُ مِنَ النَّفْيِ - وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ -، لَيْسَ مَعَهُمْ بِهِ حَرْفٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ، وَلَا قَوْلِ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَيْمَتِهَا، بَلْ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَأَقْوَالُ السَّلَفِ وَالْأَيْمَةِ، مَمْلُوءَةٌ بِمَا يَدُلُّ عَلَى نَقِيضِ قَوْلِهِمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ ظَاهِرَ ذَلِكَ كُفْرٌ، فَنُؤَوِّلُ، أَوْ نُفَوِّضُ؛ فَعَلَى قَوْلِهِمْ، لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ السَّلَفِ وَالْأَيْمَةِ فِي هَذَا الْبَابِ، إِلَّا مَا ظَاهِرُهُ الْكُفْرُ، وَلَيْسَ فِيهَا مِنَ الْإِيمَانِ فِي هَذَا الْبَابِ

شَيْءٌ، وَالسَّلْبُ الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ - الَّذِي يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَوْ خَوَاصِّ الْمُؤْمِنِينَ اعْتِقَادُهُ عِنْدَهُمْ -، لَمْ يَنْطِقْ بِهِ رَسُولٌ، وَلَا نَبِيٌّ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ وَالَّذِي نَطَقَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَوَرَثَتُهُمْ، لَيْسَ عِنْدَهُمْ هُوَ الْحَقُّ، بَلْ هُوَ مُخَالِفٌ لِلْحَقِّ فِي الظَّاهِرِ؛ بَلْ وَحْدًا قَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْحَقِّ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ.

لَكِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُمَكِّنْهُمْ أَنْ يُخَاطِبُوا النَّاسَ إِلَّا بِخِلَافِ الْحَقِّ الْبَاطِنِ؛ فَلَبَّسُوا وَكَذَّبُوا لِمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ. فَيَقَالُ لَهُمْ: فَهَلَّا نَطَقُوا بِالْبَاطِنِ لِمَخَاصِصِهِمُ الْأَذْكِيَاءِ الْفُضَّلَاءِ، إِنْ كَانَ مَا يَزْعُمُونَهُ حَقًّا؟ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ خَوَاصَّ الرُّسُلِ هُمْ عَلَى الْإِثْبَاتِ أَيْضًا، وَأَنَّهُ لَمْ يَنْطِقْ بِالنَّفْيِ أَحَدٌ مِنْهُمْ، إِلَّا أَنْ يَكْذِبَ عَلَى أَحَدِهِمْ...

ثُمَّ إِنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ: أَنَّ مَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ هَادِيًا مُبْلَغًا، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، إِذَا كَانَ لَا يَتَكَلَّمُ قَطُّ إِلَّا بِمَا يُخَالِفُ الْحَقَّ الْبَاطِنَ الْحَقِيقِيَّ، فَهُوَ إِلَى الضَّلَالِ وَالتَّدْلِيسِ، أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى الْهُدَى وَالْبَيَانِ^(١).

السُّؤَالُ الْحَادِي عَشَرَ

مَا هُوَ التَّعْلِيقُ عَلَى كَلَامِ النَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ؛ لَا فِي جِهَةٍ»^(٢).

قَالَ صَدِيقُ حَسَنِ خَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا الَّذِي قَالَهُ، سَلَكَ فِيهِ مَسْلَكَ الْمُتَكَلِّمَةِ.

وَمَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ وَمَا ضَاهَاهُ: إِمْرَارُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ، مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ؛ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ: قَوْلُهُ ﷺ

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٧٧ - ٥٨٠). (٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٣/ ١٦).

لِلجَارِيَةِ: «أَيَّنَ اللَّهُ؟»، وَفِي أُخْرَى: الْإِشَارَةُ بِالِاصْبَحِ إِلَى السَّمَاءِ، وَالْأَخْبَارُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا. وَكَذَلِكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ تَدُلُّ عَلَيْهِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ، وَتُفِيدُ الْفَوْقَ، وَالْعُلُوَّ، وَالِاسْتِوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ، وَالْكَوْنَ فِي السَّمَاءِ، فَأَيَّنَ هَذَا مِنْ ذَاكَ؟ رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَنْصَفَ، وَلَمْ يَتَأَوَّلْ، وَلَمْ يَتَعَسَّفْ^(١).

وَفِي الْخِتَامِ: «يَتَعَيَّنُ عَلَى مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ، وَعَلِمَ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا قَالَ وَفَعَلَ، وَمُحَاسَبٌ عَلَى اعْتِقَادِهِ وَقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ: أَنْ يُعِدَّ لِذَلِكَ جَوَابًا، وَيَخْلُعَ ثَوْبِي الْجَهْلِ وَالتَّعَصُّبِ، وَيُخْلِصَ الْقَصْدَ فِي طَلَبِ الْحَقِّ»^(٢).
وَلِيَجْعَلَ نُصَبَ عَيْنَيْهِ، قَوْلَ إِمَامِ الشَّامِ فِي عَصْرِهِ الْأَوْرَاعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:
«عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ، وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ؛ وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخَرَفُوا لَكَ بِالْقَوْلِ»^(٣).



(١) «السراج الوهاج» (١/٣٤٧).

(٢) «الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين» (ص ٨٧).

(٣) أخرجه الأَجْرِيُّ فِي «الشريعة» (١/٤٤٥ رقم ١٢٧)، وصحح سنده الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي

«مختصر العلو» (ص ١٣٨).

كَلَامُ نَفِيسٍ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي الْعُلُوِّ وَالْفُوقِيَّةِ

لَقَدْ كَثُرَتِ الْإِفْتِرَاءَاتُ وَالْكَاذِبُ وَالْأَبَاطِيلُ عَلَى عِلْمِ الْأَعْلَامِ، وَشَامَةِ الشَّامِ، صَاحِبِ الْعِلْمِ الْغَزِيرِ، وَالرَّأْيِ السَّيِّدِ، شَيْخِ الْإِسْلَامِ بِحَقِّ، لِقَاءِ اللَّهِ رِضْوَانَهُ، وَأَسْكَنَهُ فَيْسِحَ جَنَّاهِ.

وَحُلَاصَةُ الْإِفْتِرَاءَاتِ تَدُورُ حَوْلَ اتِّهَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ بِالتَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ، وَبِأَنَّهُ يَقُولُ بِجُلُوسِ الرَّحْمَنِ عَلَى الْعَرْشِ، وَيَنْزُولِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَنُزُولِ الْمَخْلُوقِ.

وَمِنْ افْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ: مَا ذَكَرَهُ الْكَتَّانِيُّ فِي كِتَابِهِ: «فَهْرَسِ الْفَهَارِسِ» نَقْلًا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُقْرِي حَيْثُ قَالَ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ: كَانَ لَهُ مَقَالَاتٌ شَنِيعَةٌ مِنْ إِمْرَارِ حَدِيثِ النَّزُولِ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَقَوْلِهِ فِيهِ: كُنْتُ وَلِي هَذَا^(١).

وَمِنْ ذَلِكَ: مَا يَدَّعِيهِ أَبُو بَكْرِ الْحُصَيْنِيُّ^(٢): أَنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةَ كَانَ يَجْلِسُ فِي صَحْنِ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، فَذَكَرَ وَوَعِظَ وَتَعَرَّضَ لِآيَاتِ الْإِسْتِوَاءِ، ثُمَّ قَالَ: وَاسْتَوَى اللَّهُ عَلَى عَرْشِهِ كَاسْتِوَائِي هَذَا.

وَفِيمَا يَلِي نُورِدُ قُطُوفًا دَانِيَةً مِنْ كَلَامِهِ، وَظِلَالًا وَارِفَةً مِنْ بَيَانِهِ، تَتَضَمَّنُ دِفَاعًا عَنْهُ.

١ - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ الْعَالَمِ مُبَايِنٌ لَهُ، وَالْمَخْلُوقَاتُ لَا تَحْصُرُهُ وَلَا

(١) «فَهْرَسِ الْفَهَارِسِ» (١/ ٢٧٧).

(٢) فِي كِتَابِهِ: «دَفْعُ شُبُهَةِ مَنْ شُبُهَ وَتَمَرَّدُ» (ص ٤١).

تَحُوزُهُ وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى الْعَرْشِ وَلَا غَيْرِهِ، مَعَ أَنَّهُ عَالٍ عَلَيْهَا مُبَايِنٌ لَهَا، وَلَيْسَ مُمَاتِلًا لَهَا، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَيْهَا^(١).

٢ - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ الْعَرْشِ، وَلَيْسَ هُوَ دَاخِلًا فِي الْعَرْشِ، وَلَا هُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْعَرْشِ؛ بَلْ هُوَ الْحَامِلُ بِقُوَّتِهِ لِلْعَرْشِ وَلِحَمَلَةِ الْعَرْشِ، فَكَيْفَ يَلْزَمُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ دَاخِلًا فِي الْعَرْشِ أَوْ مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ؟!^(٢)

٣ - الْخَالِقُ ﷻ فَهُوَ الْغَنِيُّ عَمَّا سِوَاهُ، فَلَا يَفْتَقِرُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ إِلَى أَمْرِ مُنْفَصِلٍ عَنْهُ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ مُنْفَصِلًا عَنْهُ فَهُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنِ ذَلِكَ الْمُنْفَصِلِ الَّذِي هُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ، فَلَا يَحْتَاجُ فِيمَا يُجَدِّدُهُ مِنْ أَفْعَالِهِ الْقَائِمَةِ بِنَفْسِهِ الَّتِي يُرِيدُهَا وَيَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَى أَمْرِ مُسْتَعْنٍ عَنْهُ^(٣).

٤ - إِنَّ اللَّهَ لَا يُمَاتِلُ غَيْرَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ حَتَّى يَتَسَاوَا فِي حُكْمِ الْقِيَاسِ، بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ أَحَقُّ بِكُلِّ حَمْدٍ، وَأَبْعَدُ عَنْ كُلِّ ذَمٍّ، فَمَا كَانَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ الْمَحْضَةِ الَّتِي لَا تَقْصُ فِيهَا بَوَاجِهُ مِنَ الْوُجُوهِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَمَا كَانَ مِنْ صِفَاتِ النِّقْصِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِتَنْزِيهِهِ عَنْهُ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ^(٤).

٥ - الرُّوحُ تُوصَفُ بِأَنَّهَا تَعْرُجُ إِذَا نَامَ الْإِنْسَانُ، وَهِيَ مَعَ هَذَا فِي بَدَنِ صَاحِبِهَا لَمْ تُفَارِقْهُ بِالْكُلِّيَّةِ... فَهَذَا الصُّعُودُ الَّذِي تُوصَفُ بِهِ الرُّوحُ لَا يُمَاتِلُ صُّعُودَ الْمَشْهُودَاتِ، فَإِنَّهَا إِذَا صَعِدَتْ إِلَى مَكَانٍ فَارَقَتْ الْأَوَّلَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَحَرَكَتُهَا إِلَى الْعُلُوِّ حَرَكَةٌ انْتِقَالٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَحَرَكَةُ الرُّوحِ بِعُرُوجِهَا وَسُجُودِهَا لَيْسَ كَذَلِكَ.

فَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ إِذَا وَصَفَهُ رَسُولُهُ ﷺ بِأَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلِّ لَيْلَةٍ، وَأَنَّهُ يَدْنُو عَشِيَّةَ عَرَفَةَ إِلَى الْحُبَّاجِ: لَمْ يَلْزَمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأَفْعَالُ مِنْ

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٦/٣١٥).

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/٣٠٧).

(٤) «درء تعارض العقل والنقل» (٧/١٥٤).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٢/٢٣٢).

جِنْسٍ مَا نُشَاهِدُهُ مِنْ نُزُولِ هَذِهِ الْأَعْيَانِ الْمَشْهُودَةِ، حَتَّى يُقَالَ: ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ تَفْرِيعَ مَكَانٍ وَشُغْلَ آخَرَ، فَإِنَّ نُزُولَ الرُّوحِ وَصُعودَهَا لَا يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ، فَكَيْفَ يَرْبُّ الْعَالَمِينَ؟! وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ صُعودٌ وَنُزُولٌ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ.

فَلَا يَجُوزُ نَفْيُ مَا أَثَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَلَا يَجُوزُ تَمْثِيلُ ذَلِكَ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ، لَا سِيَّمَا مَا لَا نُشَاهِدُهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ. فَإِنَّ مَا ثَبَتَ لِمَا لَا نُشَاهِدُهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، لَيْسَ مُمَثِّلًا لِمَا نُشَاهِدُهُ مِنْهَا، فَكَيْفَ يَرْبُّ الْعَالَمِينَ الَّذِي هُوَ أَبْعَدُ عَنْ مُمَثَّلَةِ كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنْ مُمَثَّلَةِ مَخْلُوقٍ لِمَخْلُوقٍ؟! وَكُلُّ مَخْلُوقٍ فَهُوَ أَشْبَهُ بِالْمَخْلُوقِ الَّذِي لَا يُمَثِّلُهُ مِنَ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ، ﷺ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلوًّا كَبِيرًا^(١).

٦ - الَّذِي يَجِبُ الْقَطْعُ بِهِ أَنَّ اللَّهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:

١١]، فِي جَمِيعِ مَا يَصِفُ بِهِ نَفْسَهُ، فَمَنْ وَصَفَهُ بِمِثْلِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، فَهُوَ مُخْطِئٌ قَطْعًا، كَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ يَنْزِلُ فَيَتَحَرَّكُ وَيَتَقَلُّ كَمَا يَنْزِلُ الْإِنْسَانُ مِنَ السَّطْحِ إِلَى أَسْفَلِ الدَّارِ، كَقَوْلِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ، فَيَكُونُ نُزُولُهُ تَفْرِيعًا لِمَكَانٍ وَشُغْلًا لِآخَرَ. فَهَذَا بَاطِلٌ يَجِبُ تَنْزِيهِ الرَّبِّ عَنْهُ... فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ أَخْبَرَ أَنَّهُ الْأَعْلَى وَقَالَ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]... فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْأَعْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، كَمَا أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَوْ صَارَ تَحْتَ شَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِ، لَكَانَ بَعْضُ مَخْلُوقَاتِهِ أَعْلَى مِنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ الْأَعْلَى، وَهَذَا خِلَافُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ^(٢).

٧ - عُلوُّهُ عَلَى الْعَرْشِ وَعَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ لَا يُوجِبُ افْتِقَارَهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّ

السَّمَاءَ عَالِيَةً عَلَى الْأَرْضِ وَلَيْسَتْ مُفْتَقِرَةً إِلَيْهَا، وَالْهَوَاءُ عَالٍ عَلَى الْأَرْضِ وَلَيْسَ مُفْتَقِرًا إِلَيْهَا، وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ عَالُونَ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَيْسُوا مُفْتَقِرِينَ

إِلَيْهَا. فَإِذَا كَانَ الْمَخْلُوقُ الْعَالِي لَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُفْتَقِرًا إِلَى السَّافِلِ،
فَالْعَلِيُّ الْأَعْلَى، الْخَالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، أَوْلَى أَنْ لَا يَكُونَ مُفْتَقِرًا إِلَى
الْمَخْلُوقَاتِ، مَعَ عُلُوِّهِ عَلَيْهَا^(١).

٨ - إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، امْتَنَعَ أَنْ
يَكُونَ مَحْصُورًا أَوْ مُحَاطًا بِشَيْءٍ مَوْجُودٍ غَيْرِهِ... وَيَمْتَنِعُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ
مُحْتَاجًا إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ؛ لَا عَرْشٍ وَلَا غَيْرِهِ، بَلْ هُوَ بِقُدْرَتِهِ
الْحَامِلُ لِلْعَرْشِ وَلِحَمَلَتِهِ، فَإِنَّ الْبَائِنَ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَالِي عَلَيْهَا،
يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ فِي جَوْفِ شَيْءٍ مِنْهَا^(٢).

٩ - الْعَرْشُ إِذَا سُمِّيَ جِهَةً وَمَكَانًا وَحَيْزًا، فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ رَبُّهُ وَخَالِقُهُ،
وَالْعَرْشُ مُفْتَقِرٌ إِلَى اللَّهِ افْتِقَارَ الْمَخْلُوقِ إِلَى خَالِقِهِ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ^(٣).

١٠ - أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُشَبِّتُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ، وَأَنَّ حَمَلَةَ
الْعَرْشِ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِمَّنْ دُونَهُمْ، وَأَنَّ مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ
مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، صَارَ يَزْدَادُ
قُرْبًا إِلَى رَبِّهِ بِعُرُوجِهِ وَصُعودِهِ، وَكَانَ عُرُوجُهُ إِلَى اللَّهِ، لَا إِلَى مُجَرَّدِ خَلْقٍ
مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنَّ رُوحَ الْمُصَلِّي تَقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ فِي السُّجُودِ، وَإِنْ كَانَ بَدْنُهُ
مُتَوَاضِعًا. وَهَذَا هُوَ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ نُصُوصُ الْكِتَابِ^(٤).

١١ - إِنَّ النُّصُوصَ كُلَّهَا دَلَّتْ عَلَى وَصْفِ الْإِلَهِ بِالْعُلُوِّ، وَالْفَوْقِيَّةِ عَلَى
الْمَخْلُوقَاتِ، وَاسْتِوَاءِهِ عَلَى الْعَرْشِ.

فَيُظَنُّ الْمُتَوَهِّمُ أَنَّهُ إِذَا وُصِفَ بِالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ: كَانَ اسْتِوَاؤُهُ

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٣١٣/٦).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (١٥/٧ - ١٦).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (١٧/٧). (٤) «مجموع الفتاوى» (٧/٦).

كَاسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى ظُهُورِ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ (١١١) لِنَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴿١١٢﴾ [الزخرف: ١٢، ١٣]؛ فَيَتَخَيَّلُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُسْتَوِيًّا عَلَى الْعَرْشِ، كَانَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ؛ كَحَاجَةِ الْمُسْتَوِي عَلَى الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ، فَلَوْ انْخَرَقَتِ السَّفِينَةُ لَسَقَطَ الْمُسْتَوِي عَلَيْهَا، وَلَوْ عَثَرَتِ الدَّابَّةُ لَخَرَّ الْمُسْتَوِي عَلَيْهَا. فِقِيَاسُ هَذَا أَنَّهُ لَوْ عُدِمَ الْعَرْشُ لَسَقَطَ الرَّبُّ ﷻ.. وَكَانَ هَذَا الْخَطَأُ مِنْ خَطِئِهِ فِي مَفْهُومِ اسْتِوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ، حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُ مِثْلُ اسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى ظُهُورِ الْأَنْعَامِ وَالْفُلْكِ.

وَلَيْسَ فِي هَذَا اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ أَضَافَ الْإِسْتِوَاءَ إِلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، كَمَا أَضَافَ إِلَيْهَا سَائِرَ أَفْعَالِهِ وَصِفَاتِهِ... فَلَمْ يَذْكُرِ اسْتِوَاءَ مُطْلَقًا يَصْلُحُ لِلْمَخْلُوقِ، وَلَا عَامًّا يَتَنَاوَلُ الْمَخْلُوقَ، كَمَا لَمْ يَذْكُرْ مِثْلَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ صِفَاتِهِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ اسْتِوَاءَ أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ.

فَلَوْ قُدِّرَ - عَلَى وَجْهِ الْفَرَضِ الْمُمْتَنِعِ - أَنَّهُ مِثْلُ خَلْقِهِ - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ -، لَكَانَ اسْتِوَاؤُهُ مِثْلَ اسْتِوَاءِ خَلْقِهِ، أَمَّا إِذَا كَانَ هُوَ لَيْسَ مُمَازِلًا لِخَلْقِهِ، بَلْ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ الْغَنِيُّ عَنِ الْخَلْقِ، وَأَنَّهُ الْخَالِقُ لِلْعَرْشِ وَغَيْرِهِ، وَأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنِ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَهُوَ لَمْ يَذْكُرْ إِلَّا اسْتِوَاءَ يَخْصُهُ، لَمْ يَذْكُرْ اسْتِوَاءَ يَتَنَاوَلُ غَيْرَهُ وَلَا يَصْلُحُ لَهُ، كَمَا لَمْ يَذْكُرْ فِي عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَرُؤْيَيْهِ وَسَمْعِهِ وَخَلْقِهِ إِلَّا مَا يَخْتَصُّ بِهِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُسْتَوِيًّا عَلَى الْعَرْشِ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَوْ سَقَطَ الْعَرْشُ لَخَرَّ مَنْ عَلَيْهِ! ﷻ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاحِدُونَ عُلوًّا كَبِيرًا.

هَلْ هَذَا إِلَّا جَهْلٌ مَحْضٌ وَضَلَالٌ مِّمَّنْ فَهِمَ ذَلِكَ وَتَوَهَّمَهُ، أَوْ ظَنَّهُ ظَاهِرَ اللَّفْظِ وَمَدْلُولُهُ، أَوْ جَوَزَ ذَلِكَ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ الْغَنِيِّ عَنِ الْخَلْقِ! بَلْ لَوْ قُدِّرَ أَنَّ جَاهِلًا فَهِمَ مِثْلَ هَذَا وَتَوَهَّمَهُ، لَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ، وَأَنَّهُ لَمْ يَدُلَّ اللَّفْظُ

عَلَيْهِ أَصْلًا، كَمَا لَمْ يَدُلَّ عَلَى نَظَائِرِهِ فِي سَائِرِ مَا وَصَفَ بِهِ الرَّبُّ نَفْسَهُ^(١).

١٢ - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْعَالَمَ بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْهِ مُفْتَقِرًا إِلَى سَافِلِهِ. فَالْهَوَاءُ فَوْقَ الْأَرْضِ، وَلَيْسَ مُفْتَقِرًا إِلَى أَنْ تَحْمِلَهُ الْأَرْضُ، وَالسَّحَابُ أَيْضًا فَوْقَ الْأَرْضِ، وَلَيْسَ مُفْتَقِرًا إِلَى أَنْ تَحْمِلَهُ، وَالسَّمَاوَاتُ فَوْقَ الْأَرْضِ وَلَيْسَتْ مُفْتَقِرَةً إِلَى حَمْلِ الْأَرْضِ لَهَا.

فَالْعَلِيُّ الْأَعْلَى رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، إِذَا كَانَ فَوْقَ جَمِيعِ خَلْقِهِ: كَيْفَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا إِلَى خَلْقِهِ، أَوْ عَرْشِهِ، أَوْ كَيْفَ يَسْتَلْزِمُ عُلُوُّهُ عَلَى خَلْقِهِ هَذَا الْإِفْتِقَارَ، وَهُوَ لَيْسَ بِمُسْتَلْزَمٍ فِي الْمَخْلُوقَاتِ! وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ مَا ثَبَتَ لِمَخْلُوقٍ مِنَ الْغِنَى عَنْ غَيْرِهِ، فَالْخَالِقُ ﷻ أَحَقُّ بِهِ وَأَوْلَى^(٢).

١٣ - قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، إِنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ لَمْ يَقْتَضِ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ اسْتِوَاءً كَاسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِ^(٣).

١٤ - لِلَّهِ تَعَالَى اسْتِوَاءٌ عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةٌ، وَلِلْعَبْدِ اسْتِوَاءٌ عَلَى الْفُلْكِ حَقِيقَةٌ، وَلَيْسَ اسْتِوَاءُ الْخَالِقِ كَاسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى شَيْءٍ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ، بَلْ هُوَ الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ.

وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْمِلُ الْعَرْشَ وَحَمَلَتْهُ بِقُدْرَتِهِ، وَيُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا. فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ قَوْلَ الْأَيُّمَةِ: إِنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةٌ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ اسْتِوَاءُ مِثْلِ اسْتِوَاءِ الْعَبْدِ عَلَى الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ، لَزِمَهُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ: إِنَّ اللَّهَ لَهُ عِلْمٌ حَقِيقَةٌ، وَسَمْعٌ حَقِيقَةٌ، وَبَصَرٌ حَقِيقَةٌ، وَكَلَامٌ حَقِيقَةٌ، يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ عِلْمُهُ وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَكَلَامُهُ مِثْلَ الْمَخْلُوقِينَ وَسَمْعِهِمْ وَبَصَرِهِمْ وَكَلَامِهِمْ^(٤).

١٥ - مَنْ قَالَ: إِنَّ عِلْمَ اللَّهِ كَعِلْمِي، أَوْ قُدْرَتُهُ كَقُدْرَتِي، أَوْ كَلَامُهُ مِثْلُ

(٢) «الرسالة التدمرية» (ص ٨٤ - ٨٥).

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٩ - ٥١).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٩٩).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٦).

كَلَامِي، أَوْ إِرَادَتُهُ وَمَحَبَّتُهُ وَرِضَاهُ وَغَضَبُهُ مِثْلُ إِرَادَتِي وَمَحَبَّتِي وَرِضَائِي وَغَضَبِي؛ أَوْ اسْتِوَاؤُهُ عَلَى الْعَرْشِ كَاسْتِوَائِي، أَوْ نَزْوُلُهُ كَنَزْوُلِي، أَوْ إِتْيَانُهُ كَاتْيَانِي، وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَهَذَا قَدْ شَبَّهَ اللَّهُ وَمَثَّلَهُ بِخَلْقِهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ، وَهُوَ ضَالٌّ خَبِيثٌ مُبْطِلٌ، بَلْ كَافِرٌ.

وَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ، وَلَا قُدْرَةٌ، وَلَا كَلَامٌ، وَلَا مَشِيئَةٌ، وَلَا سَمْعٌ، وَلَا بَصَرٌ، وَلَا مَحَبَّةٌ، وَلَا رِضَى، وَلَا غَضَبٌ، وَلَا اسْتِوَاءٌ، وَلَا إِتْيَانٌ، وَلَا نَزْوُلٌ، فَقَدْ عَطَلَ أَسْمَاءَ اللَّهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى، وَالْحَدَّ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَهُوَ ضَالٌّ خَبِيثٌ مُبْطِلٌ، بَلْ كَافِرٌ^(١).

١٦ - وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، لَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ، وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَرْشِ وَعَنِ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ، لَا يَفْتَقِرُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، بَلْ هُوَ الْحَامِلُ بِقُدْرَتِهِ الْعَرْشَ وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ.

وَقَدْ جَعَلَ تَعَالَى الْعَالَمَ طَبَقَاتٍ، وَلَمْ يَجْعَلْ أَعْلَاهُ مُفْتَقِرًا إِلَى أَسْفَلِهِ، فَالسَّمَاءُ لَا تَفْتَقِرُ إِلَى الْهَوَاءِ، وَالْهَوَاءُ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى الْأَرْضِ. فَالْعُلَى الْأَعْلَى رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا - الَّذِي وَصَفَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٧) [الزمر: ٦٧] -، أَجَلٌ وَأَعْظَمُ وَأَغْنَى وَأَعْلَى مِنْ أَنْ يَفْتَقِرَ إِلَى شَيْءٍ بِحَمَلٍ أَوْ غَيْرِ حَمَلٍ، بَلْ هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، الَّذِي كُلُّ مَا سِوَاهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ^(٢).

١٧ - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ عَرْشِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَلَا

أَقُولُ: فَوْقَهُ كَالْمَخْلُوقِ عَلَى الْمَخْلُوقِ كَمَا تَقُولُهُ الْمُشَبِّهَةُ، وَلَا يُقَالُ: إِنَّهُ لَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ وَلَا عَلَى الْعَرْشِ رَبٌّ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْطَلَّةُ الْجَهْمِيَّةُ، بَلْ يُقَالُ: إِنَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ^(١).

١٨ - مِمَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ، مِثْلَ أَنْ يَرَوِيَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَحَادِيثَ يَجْزِمُ بِهَا وَهُوَ لَا يَعْلَمُ صِحَّتَهَا، أَوْ يَصِفَ اللَّهَ بِصِفَاتٍ لَمْ يَنْزِلْ بِهَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَا أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سِوَاءٍ كَانَتْ مِنْ صِفَاتِ النَّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ، مِثْلَ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ: إِنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَلَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَإِنَّهُ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ، وَإِنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يُحِبُّ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا كَذَّبُوا بِهِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أَوْ كَانَتْ مِنْ صِفَاتِ الْإِبْطَاتِ وَالتَّمْثِيلِ، مِثْلَ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَمْشِي فِي الْأَرْضِ أَوْ يُجَالِسُ الْخَلْقَ، أَوْ أَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بِأَعْيُنِهِمْ، أَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ تَحْوِيهِ وَتُحِيطُ بِهِ، أَوْ أَنَّهُ سَارٍ فِي مَخْلُوقَاتِهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْفِرْيَةِ عَلَى اللَّهِ^(٢).

١٩ - الْمَكَانُ يُرَادُ بِهِ مَا يُحِيطُ بِالشَّيْءِ، وَاللَّهُ لَا يُحِيطُ بِهِ مَخْلُوقٌ. أَوْ يُرَادُ بِهِ مَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ الْمُمْكِنُ، وَاللَّهُ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى شَيْءٍ. وَقَدْ يُرَادُ بِالْمَكَانِ مَا يَكُونُ الشَّيْءُ فَوْقَهُ، وَاللَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ^(٣).

٢٠ - مَتَى جُنِبَ الْمُؤْمِنُ طَرِيقَ التَّحْرِيفِ وَالتَّعْطِيلِ، وَطَرِيقَ التَّمْثِيلِ؛ سَلَكَ سِوَاءَ السَّبِيلِ، فَإِنَّهُ قَدْ عُلِمَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، مَا يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَعْمَالِهِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِشَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِغَايَةِ الْكَمَالِ، مُتَزَّةٌ عَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٠٧-٢٠٨). (٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٢٥).

(٣) «الاستقامة» (١/ ١٢٧).

غَنِيٍّ عَنْ مَا سِوَاهُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ؛ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ كَذَبَ عَلَى الْقُرْآنِ، لَيْسَ فِي كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَا يُوجِبُ وَصْفَهُ بِذَلِكَ، بَلْ قَدْ يُؤْتَى الْإِنْسَانُ مِنْ سُوءِ فَهْمِهِ، فَيَفْهَمُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَعَانِي، يَجِبُ تَنْزِيهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْهَا، وَلَكِنْ حَالُ الْمُبْطِلِ مَعَ كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، كَمَا قِيلَ:

وَكَمْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَأَفْتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ ^(١)

٢١ - الرَّبُّ مُنْزَعٌ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى مَا سِوَاهُ بِكُلِّ وَجْهِ. وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى الْعَرْشِ، أَوْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، فَهُوَ جَاهِلٌ ضَالٌّ. بَلْ هُوَ الْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ. وَهُوَ الصَّمَدُ الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ يَصْمُدُ إِلَيْهِ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] ^(٢).

٢٢ - إِنَّ الرُّوحَ إِذَا كَانَتْ مَوْجُودَةً حَيَّةً، عَالِمَةً قَادِرَةً، سَمِيعَةً بَصِيرَةً، تَصْعَدُ وَتَنْزِلُ، وَتَذْهَبُ وَتَجِيءُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ، وَالْعُقُولُ قَاصِرَةٌ عَنْ تَكْيِيفِهَا وَتَحْدِيدِهَا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُشَاهِدُوا لَهَا نَظِيرًا، وَالشَّيْءُ إِنَّمَا تُدْرِكُ حَقِيقَتُهُ إِمَّا بِمُشَاهَدَتِهِ أَوْ بِمُشَاهَدَةِ نَظِيرِهِ، فَإِذَا كَانَتِ الرُّوحُ مُتَّصِفَةً بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مَعَ عَدَمِ مُمَثَّلَتِهَا لِمَا يُشَاهَدُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَالْخَالِقُ أَوْلَى بِمُبَايَنَتِهِ لِمَخْلُوقَاتِهِ مَعَ اتِّصَافِهِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَهْلُ الْعُقُولِ هُمْ أَعْجَزُ عَنْ أَنْ يُحَدِّثُوهُ أَوْ يُكَيِّفُوهُ مِنْهُمْ عَنْ أَنْ يُحَدِّثُوا الرُّوحَ أَوْ يُكَيِّفُوهَا.

فَإِذَا كَانَ مِنْ نَفَى صِفَاتِ الرُّوحِ جَاحِدًا مُعْطَلًا لَهَا، وَمَنْ مَثَلَهَا بِمَا يُشَاهَدُهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ جَاهِلًا مُمَثَّلًا لَهَا بِغَيْرِ شَكْلِهَا - وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ ثَابِتَةٌ، بِحَقِيقَةِ الْإِثْبَاتِ، مُسْتَحَقَّةٌ لِمَا لَهَا مِنَ الصِّفَاتِ -، فَالْخَالِقُ سُبْحَانَهُ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ مِنْ نَفَى صِفَاتِهِ جَاحِدًا مُعْطَلًا، وَمَنْ قَاسَهُ بِخَلْقِهِ جَاهِلًا بِهِ مُمَثَّلًا، وَهُوَ سُبْحَانَهُ

ثَابِتٌ بِحَقِيقَةِ الْإِثْبَاتِ، مُسْتَحَقٌّ لِمَا لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ (١).

٢٣ - لَا يَجُوزُ أَنْ يُفْهَمَ مِنْ اسْتِوَاءِ اللَّهِ الْخَاصِيَّةِ الَّتِي تَثْبُتُ لِلْمَخْلُوقِ دُونَ

الْخَالِقِ (٢).

٢٤ - إِنَّهُ سَبَّحَ مِنْزَرُهُ مِنْ أَنْ تُحِيطَ بِهِ الْمَخْلُوقَاتُ، أَوْ أَنْ يَكُونَ مُقْتَصِرًا إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا؛ الْعَرْشِ وَغَيْرِهِ. «وَمَنْ ظَنَّ مِنَ الْجَهَالِ أَنَّهُ إِذَا نَزَلَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، يَكُونُ الْعَرْشُ فَوْقَهُ، وَيَكُونُ مَحْصُورًا بَيْنَ طَبَقَتَيْنِ مِنَ الْعَالَمِ! فَقَوْلُهُ مُخَالِفٌ لِجَمَاعِ السَّلَفِ، مُخَالِفٌ لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» (٣).

٢٥ - إِذَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ مَخْلُوقُونَ مِنَ النُّورِ، وَهُمْ لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ؛ بَلْ هُمْ صَمَدٌ لَيْسُوا جَوْفًا - كَالْإِنْسَانِ -، وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ وَيَسْمَعُونَ وَيُبْصِرُونَ وَيَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ بِالنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا تُمَازِلُ صِفَاتُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ صِفَاتِ الْإِنْسَانِ وَفِعْلُهُ؛ فَالْخَالِقُ تَعَالَى: أَعْظَمُ مُبَايَنَةٍ لِمَخْلُوقَاتِهِ مِنْ مُبَايَنَةِ الْمَلَائِكَةِ لِلْأَدَمِيِّينَ؛ فَإِنَّ كُلَّيْهِمَا مَخْلُوقٌ، وَالْمَخْلُوقُ أَقْرَبُ إِلَى مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِ مِنَ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْخَالِقِ ﷻ.

وَكَذَلِكَ رُوحُ ابْنِ آدَمَ: تَسْمَعُ وَتُبْصِرُ وَتَتَكَلَّمُ وَتَنْزِلُ وَتَصْعَدُ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ بِالنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ، وَالْمَعْقُولَاتِ الصَّرِيحَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ: فَلَيْسَتْ صِفَاتُهَا وَأَفْعَالُهَا كَصِفَاتِ الْبَدَنِ وَأَفْعَالِهِ.

فَإِذَا لَمْ يَجْزْ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ صِفَاتِ الرُّوحِ وَأَفْعَالَهَا: مِثْلُ صِفَاتِ الْجِسْمِ الَّذِي هُوَ الْجَسَدُ، وَهِيَ مَقْرُونَةٌ بِهِ وَهُمَا جَمِيعًا الْإِنْسَانُ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ رُوحُ الْإِنْسَانِ مُمَازِلًا لِلْجِسْمِ الَّذِي هُوَ بَدَنُهُ؛ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ الرَّبُّ ﷻ

(١) «الرسالة التدمرية» (ص ٥٦ - ٥٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٣/ ١٨٥).

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٢٢٢) (باختصار يسير) [طبعة المكتب الإسلامي، التاسعة،

١٤٠٨ هـ]، للعلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَصِفَاتُهُ وَأَفْعَالُهُ مِثْلَ الْجِسْمِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ!!^(١)

٢٦ - مَنْ فِيهِمْ مَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]، مَا يَخْتَصُّ بِالْمَخْلُوقِ، كَمَا يَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، فَقَدْ أُتِيَ مِنْ سُوءِ فَهْمِهِ، وَنَقْصِ عَقْلِهِ، لَا مِنْ قُصُورٍ فِي بَيَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ فَإِنَّ ظَاهِرَ اللَّفْظِ يَدُلُّ عَلَى اسْتِوَاءٍ يُضَافُ إِلَى اللَّهِ ﷻ، كَمَا يَدُلُّ فِي تِلْكَ الْآيَةِ عَلَى اسْتِوَاءٍ يُضَافُ إِلَى الْعَبْدِ.

وَإِذَا كَانَ الْمُسْتَوَى لَيْسَ مُمَثِّلًا لِلْمُسْتَوَى، لَمْ يَكُنِ الْإِسْتِوَاءُ مُمَثِّلًا لِلْإِسْتِوَاءِ. فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ فَقِيرًا إِلَى مَا اسْتَوَى عَلَيْهِ، يَحْتَاجُ إِلَى حَمْلِهِ، وَكَانَ الرَّبُّ ﷻ غَنِيًّا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَالْعَرْشُ وَمَا سِوَاهُ فَقِيرًا إِلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي يَحْمِلُ الْعَرْشَ، وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ، ثُمَّ يُلْزَمُ إِذَا كَانَ الْفَقِيرُ مُحْتَاجًا إِلَى مَا اسْتَوَى عَلَيْهِ، أَنْ يَكُونَ الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ - وَكُلُّ شَيْءٍ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ -، مُحْتَاجًا إِلَى مَا اسْتَوَى عَلَيْهِ.

وَلَيْسَ فِي ظَاهِرِ كَلَامِ اللَّهِ ﷻ، مَا يَدُلُّ عَلَى مَا يَخْتَصُّ بِهِ الْمَخْلُوقُ مِنْ حَاجَةٍ إِلَى حَامِلٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، بَلْ تَوَهُّمٌ هَذَا مِنْ سُوءِ الْفَهْمِ، لَا مِنْ دَلَالَةِ اللَّفْظِ. لَكِنْ إِذَا تَخَيَّلَ الْمُتَخَيَّلُ فِي نَفْسِهِ أَنَّ اللَّهَ مِثْلُهُ، تَخَيَّلَ أَنْ يَكُونَ اسْتِوَاؤُهُ كَاسْتِوَائِهِ، وَإِذَا عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، عَلِمَ أَنَّ اسْتِوَاءَهُ لَيْسَ كَاسْتِوَائِهِ، وَلَا مَجِيئُهُ كَمَجِيئِهِ، كَمَا أَنَّ عِلْمَهُ وَقُدْرَتَهُ وَرِضَاهُ وَغَضَبُهُ، لَيْسَ كَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَرِضَاهُ وَغَضَبِهِ.

فَصِفَاتُ الرَّبِّ ﷻ مُخْتَصَّةٌ بِهِ، وَصِفَاتُ الْمَخْلُوقِ مُخْتَصَّةٌ بِهِ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا اشْتِرَاكٌ، وَلَا بَيْنَ مَخْلُوقٍ وَمَخْلُوقٍ^(٢).

٢٧ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]: أَنْ يُقَالَ:

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٥٤/٥).

(٢) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٤٢٦/٤ - ٤٢٨).

اَسْتَوَاءُ كَاسْتَوَاءِ الْمَخْلُوقِ، أَوْ يُفَسَّرَ بِاَسْتَوَاءِ مُسْتَلَزِمٍ حُدُوثًا أَوْ نَقْصًا. فَهَذَا الَّذِي يُحْكِي عَنِ الضَّلَالِ الْمُشَبَّهَةِ وَالْمُجَسِّمَةِ، وَهُوَ بَاطِلٌ قَطْعًا بِالْقُرْآنِ وَبِالْعَقْلِ.

وَأَمَّا أَنْ يُقَالَ: مَا تَمَّ اسْتَوَاءُ حَقِيقَتِي أَصْلًا، وَلَا عَلَى الْعَرْشِ إِلَهًا، وَلَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ رَبًّا، فَهَذَا مَذْهَبُ الضَّالَّةِ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعْطَلَةِ. وَهُوَ بَاطِلٌ قَطْعًا بِمَا عَلَّمَ بِالِاضْطِرَّارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ لِمَنْ أَمَعَنَ النَّظَرَ فِي الْعُلُومِ النَّبَوِيَّةِ، وَبِمَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَلِيقَتَهُ مِنَ الْإِقْرَارِ بِأَنَّهُ فَوْقَ خَلْقِهِ؛ كإِقْرَارِهِمْ بِأَنَّهُ رَبُّهُمْ.

أَوْ يُقَالَ: بَلِ اسْتَوَى سُبْحَانَهُ عَلَى الْعَرْشِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَيُنَاسِبُ كِبَرِيَاءَهُ، وَإِنَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، مَعَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ حَامِلٌ لِلْعَرْشِ وَلِحَمَلَةِ الْعَرْشِ، وَأَنَّ الْإِسْتَوَاءَ مَعْلُومٌ، وَالْكَيفَ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانَ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالَ عَنْهُ بِدْعَةٌ! فَهَذَا مَذْهَبُ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ الظَّاهِرُ مِنْ لَفْظِ ﴿أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥] عِنْدَ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَاقِينَ عَلَى الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، الَّتِي لَمْ تَنْحَرْفْ إِلَى تَعْطِيلٍ وَلَا إِلَى تَمْثِيلٍ ^(١).

٢٨ - مَنْ أَكْثَرَ النَّظَرَ فِي آثَارِ الرُّسُولِ ﷺ عَلِمَ بِالِاضْطِرَّارِ أَنَّهُ أَلْقَى إِلَى الْأُمَّةِ أَنَّ رَبَّكُمُ الَّذِي تَعْبُدُونَهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَوْقَ الْعَرْشِ، وَفَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَعَلِمَ أَنَّ عَامَّةَ السَّلَفِ كَانَ هَذَا عِنْدَهُمْ مِثْلَ مَا عِنْدَهُمْ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ لَا يُنْقَلُ عَنْ وَاحِدٍ لَفْظٌ يَدُلُّ لَا نَصًّا وَلَا ظَاهِرًا عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، وَلَا قَالَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ: إِنَّ رَبَّنَا لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ، أَوْ إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ، أَوْ إِنَّ اسْتَوَاءَهُ عَلَى الْعَرْشِ كَاسْتَوَائِهِ عَلَى الْبَحْرِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ثُرَاهَاتِ الْجَهْمِيَّةِ، وَلَا مِثْلَ اسْتَوَاءِهِ بِاسْتَوَاءِ الْمَخْلُوقِ، وَلَا أَثَبَّتَ لَهُ صِفَةً مُسْتَلَزِمَةً حُدُوثًا أَوْ نَقْصًا ^(٢).

٢٩ - كَثِيرٌ مِمَّنْ يَتَنَازَعُونَ فِي «أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ» أَوْ «لَيْسَ فِي السَّمَاءِ».

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٣/ ١٧٧ - ١٧٩). (٢) «مجموع الفتاوى» (٣٣/ ١٨٣).

فَالْمُثَبِّتَةُ تُطْلَقُ الْقَوْلُ بِأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، كَمَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ؛ بِمَعْنَى: أَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ. وَآخَرُونَ يَنْفُونَ الْقَوْلَ بِأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، وَمَقْصُودُهُمْ: أَنَّ السَّمَاءَ لَا تَحْوِيهِ وَلَا تَحْصُرُهُ وَلَا تَحْمِلُهُ وَلَا تُقَلُّهُ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ أَيْضًا، فَإِنَّ اللَّهَ لَا تَحْصُرُهُ مَخْلُوقَاتُهُ، بَلْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؛ وَالْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ كَحَلَقَةٍ مُتَلَقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ هُوَ مُفْتَقِرًا إِلَى غَيْرِهِ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ، بَلْ هُوَ الْغَنِيُّ عَنِ خَلْقِهِ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ الصَّمَدُ، فَلَيْسَ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ تَضَادٌّ، وَلَكِنْ هُوَ لَا أَخْطَأُوا فِي تَفْهِيمِ اللَّفْظِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَفِي تَوْهَمِ أَنَّ إِطْلَاقَهُ دَالٌّ عَلَى مَعْنَى فَاسِدٍ.

وَقَدْ يُعْذَرُ بَعْضُهُمْ إِذَا رَأَى مَنْ أَطْلَقَ هَذَا اللَّفْظَ، وَأَرَادَ بِهِ أَنَّ السَّمَاءَ تُقَلُّهُ أَوْ تُظَلُّهُ، وَإِذَا أَخْطَأَ مَنْ عَنِ هَذَا الْمَعْنَى فَقَدْ أَصَابَ، وَأَمَّا الْأَوَّلُ فَقَدْ أَصَابَ فِي اللَّفْظِ لِإِطْلَاقِهِ مَا جَاءَ بِهِ النَّصُّ، وَفِي الْمَعْنَى الَّذِي تَقَدَّمَ؛ لِأَنَّهُ الْمَعْنَى الْحَقُّ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ النَّصُّ، لَكِنْ قَدْ يُخْطِئُ بَعْضُهُمْ فِي تَكْفِيرِ مَنْ يُطْلِقُ اللَّفْظَ الثَّانِي، إِذَا كَانَ مَقْصُودُهُ الْمَعْنَى الصَّحِيحَ، فَإِنَّ مَنْ عَنِ الْمَعْنَى الصَّحِيحِ لَمْ يَكْفُرْ بِإِطْلَاقِ لَفْظٍ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا أَوْ فَاعِلًا أَمْرًا مُحَرَّمًا.

وَأَمَّا مَنْ فَسَّرَ قَوْلَهُ: «إِنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ» بِمَعْنَى: أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ^(١) شَيْءٌ أَصْلًا، وَلَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ إِلَّا عَدَمٌ مُحَضَّ، وَلَيْسَ هُنَاكَ إِلَهٌ يُعْبَدُ، وَلَا رَبٌّ يُدْعَى وَيُسْأَلُ، وَلَا خَالِقُ خَلْقِ الْخَلَائِقِ، وَلَا عُرْجٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رَبِّهِ أَصْلًا^(٢)، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْجَهْمِيَّةُ الضَّلَالُ، الْمُخَالِفُونَ لِجَمَاعِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلِفِطْرَةِ الْعُقَلَاءِ^(٣).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩/١٤٠ - ١٤١). (٢) «مجموع الفتاوى» (٤/٥٩).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٩/١٤٠ - ١٤١).

٣٠ - مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ فِي دَاخِلِ الْمَخْلُوقَاتِ تَحْوِيهِ الْمَصْنُوعَاتِ، وَتَحْصُرُهُ السَّمَاوَاتُ، وَيَكُونُ بَعْضُ الْمَخْلُوقَاتِ فَوْقَهُ، وَبَعْضُهَا تَحْتَهُ، فَهَذَا مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ.

وَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ يَفْتَقِرُ إِلَى شَيْءٍ يَحْمِلُهُ - إِلَى الْعَرْشِ، أَوْ غَيْرِهِ -، فَهُوَ أَيْضًا مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ.

وَكَذَلِكَ إِنْ جَعَلَ صِفَاتِ اللَّهِ مِثْلَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، فَيَقُولُ: اسْتَوَاءُ اللَّهِ كَاسْتَوَاءِ الْمَخْلُوقِ، أَوْ نُزُولُهُ كَنُزُولِ الْمَخْلُوقِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَهَذَا مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ؛ فَإِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ مَعَ الْعَقْلِ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا تُمَائِلُهُ الْمَخْلُوقَاتُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَدَلَّتْ عَلَى أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَدَلَّتْ عَلَى أَنَّ اللَّهَ مُبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقَاتِ عَالٍ عَلَيْهَا.

وَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْخَالِقَ تَعَالَى بَائِنٌ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَنَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، لَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ، وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَرْشِ وَعَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، لَا يَفْتَقِرُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، بَلْ هُوَ مَعَ اسْتَوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ يَحْمِلُ الْعَرْشَ وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ بِقُدْرَتِهِ، وَلَا يُمَثَّلُ اسْتَوَاءُ اللَّهِ بِاسْتَوَاءِ الْمَخْلُوقِينَ، بَلْ يُثَبِّتُ لِلَّهِ مَا أَثَبَّتَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَيَنْفِي عَنْهُ مُمَائِلَةَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ: لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا أَعْمَالِهِ. فَهَذَا مُصِيبٌ فِي اعْتِقَادِهِ، مُوَافِقٌ لِسَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَثَمَتِهَا^(١).

٣١ - الرَّبُّ تَعَالَى يَمْتَنِعُ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ لَا إِلَى الْعَرْشِ، وَلَا إِلَى غَيْرِهِ، أَوْ يُحِيطَ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ، إِذْ هُوَ

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/٢٦٢ - ٢٦٣). وانظر: «التدمرية» (ص ٦٦ - ٦٨)، و«الجواب الصحيح» (٤/٣١٧ - ٣١٨)، و«منهاج السنة» (٢/٣٢٣ - ٣٢٤).

الظَّاهِرُ، فَلَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ...

فَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ مُمَازِلًا لِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، كَمَا لَمْ تَكُنْ ذَاتُهُ كَذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، كَمَا أَخْبَرَنَا عَنْ نَفْسِهِ، مَعَ غِنَاهُ عَنِ الْعَرْشِ. وَالْمَخْلُوقُ الْمُسْتَوِي عَلَى السَّرِيرِ أَوْ الْفُلْكِ أَوْ الدَّابَّةِ، لَوْ ذَهَبَ مَا تَحْتَهُ لَسَقَطَ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَهُوَ الْحَامِلُ بِقُدْرَتِهِ لِلْعَرْشِ وَلِحَمَلَةِ الْعَرْشِ^(١).

٣٢ - إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فَهُوَ الصَّمَدُ الْمُسْتَغْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ.

فَمَنْ قَالَ، إِنَّهُ مُفْتَقِرٌ إِلَى مَخْلُوقٍ بِوَجْهِ مَا، فَهُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ كَاذِبٌ، فَكَيْفَ يَمُنُّ قَالَ: إِنَّهُ مُفْتَقِرٌ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ؟! تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عَلَوتًا كَبِيرًا^(٢).

٣٣ - الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، لَا يَفْهَمُونَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ وَكَلَامِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي «بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ»، إِلَّا الْمَعَانِي الَّتِي تَلِيْقُ بِالْخَلْقِ، لَا بِالْخَالِقِ؛ ثُمَّ يُرِيدُونَ تَحْرِيفَ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ إِذَا وَجَدُوا ذَلِكَ فِيهَا، وَإِنْ وَجَدُوهُ فِي كَلَامِ التَّابِعِينَ لِلْسَّلَفِ افْتَرَوْا الْكَذِبَ عَلَيْهِمْ، وَنَقَلُوا عَنْهُمْ بِحَسَبِ الْفَهْمِ الْبَاطِلِ الَّذِي فَهَمُوهُ، أَوْ زَادُوا عَلَيْهِمْ فِي الْأَلْفَاظِ، وَغَيَّرُواهَا قَدْرًا وَوَصَفًا، كَمَا نَسَمِعُ مِنْ أَلْسِنَتِهِمْ، وَنَرَى فِي كُتُبِهِمْ^(٣). وَهَذَا كُلُّهُ بَيْنٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ، وَالْأَمْرُ فَوْقَ مَا أَصِفُهُ وَأُبَيِّنُهُ^(٤).

٣٤ - يَجِبُ الْقَطْعُ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ؛ لَا فِي نَفْسِهِ، وَلَا فِي

(١) «الجواب الصحيح» (٣/ ٤٩١ - ٤٩٢).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٣٧٧ - ٣٧٨).

(٤) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٢٥٧).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٣/ ١٧٠).

صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَعْمَالِهِ، وَأَنَّ مُبَايَّتَهُ لِلْمَخْلُوقِينَ، وَتَنَزُّهُهُ عَنِ مُشَارَكَتِهِمْ، أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِمَّا يَعْرِفُهُ الْعَارِفُونَ مِنْ خَلِيقَتِهِ، وَيَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ. وَأَنَّ كُلَّ صِفَةٍ تَسْتَلِزُّمُ حُدُوثًا أَوْ نَقْصًا، فَيَجِبُ نَقِيضُهَا عَنْهُ^(١).

٣٥ - مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ مُفْتَقِرٌ إِلَى عَرْشٍ يُقْلَهُ، أَوْ أَنَّهُ مَحْصُورٌ فِي سَمَاءٍ تُظِلُّهُ، أَوْ أَنَّهُ مَحْصُورٌ فِي شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَوْ أَنَّهُ يُحِيطُ بِهِ جِهَةٌ مِنْ جِهَاتِ مَصْنُوعَاتِهِ، فَهُوَ مُخْطِئٌ ضَالٌّ.

وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ رَبٌّ، وَلَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ خَالِقٌ، بَلْ مَا هُنَالِكَ إِلَّا الْعَدَمُ الْمَحْضُ وَالنَّفْيُ الصَّرْفُ، فَهُوَ مُعْطَلٌ جَاوِدٌ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، مُضَاهٍ لِفِرْعَوْنَ الَّذِي قَالَ: ﴿يَنْهَمْنُنِ ابْنِ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٢١) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا ﴿[غافر: ٣٦، ٣٧].

بَلْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ، وَسَلَفُ الْأُمَّةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، لَيْسَ فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَلَا فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ، وَعَلَى ذَلِكَ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَيْمَةُ السُّنَّةِ، بَلْ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ؛ وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَسَلَفُ الْأُمَّةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ تَأَوَّلَ اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوَى، أَوْ بِمَعْنَى آخَرَ يَنْفِي أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ ضَالٌّ^(٢).

٣٦ - الرَّبُّ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَهَذَا مَعْنَى اسْمِهِ «الصَّمَدُ»؛ فَإِنَّ الصَّمَدَ الَّذِي يَصْمُدُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ لِافْتِقَارِهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، لَا يَصْمُدُ إِلَى شَيْءٍ تَعَالَى، فَكَيْفَ يَكُونُ قِوَامُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ؟!^(٣)

(٢) «الفتاوى الكبرى» (٦/٤٦٨).

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٣/١٧٥).

(٣) «الجواب الصحيح» (٤/٢٩٨-٢٩٩).

٣٧ - وَصَفَ اللَّهُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ، فَذَكَرَ فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِهِ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَوَصَفَ بَعْضَ خَلْقِهِ بِالِاسْتِوَاءِ عَلَى غَيْرِهِ، فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، وَلَيْسَ الْإِسْتِوَاءُ كَالِاسْتِوَاءِ^(١).

٣٨ - لَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ مَا أَثَبَّهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، وَنَفْيِ مُمَائِلَتِهِ لِخَلْقِهِ، فَمَنْ قَالَ: لَيْسَ لِلَّهِ عِلْمٌ وَلَا قُوَّةٌ وَلَا رَحْمَةٌ وَلَا كَلَامٌ، وَلَا يُحِبُّ وَلَا يَرْضَى، وَلَا نَادَى وَلَا نَاجَى، وَلَا اسْتَوَى، كَانَ مُعْطَلًا جَاحِدًا مُمَثَّلًا لِلَّهِ بِالْمَعْدُومَاتِ وَالْجَمَادَاتِ. وَمَنْ قَالَ: لَهُ عِلْمٌ كَعِلْمِي، أَوْ قُوَّةٌ كَقُوَّتِي، أَوْ حُبٌّ كَحُبِّي، أَوْ رِضَا كَرِضَائِي، أَوْ يَدَانِ كَيَدَيَّ، أَوْ اسْتِوَاءٌ كَاسْتِوَائِي، كَانَ مُشَبَّهًا مُمَثَّلًا لِلَّهِ بِالْحَيَوَانَاتِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ بِلَا تَمَثِيلٍ، وَتَنْزِيهِ بِلَا تَعْطِيلٍ^(٢).

٣٩ - لَمْ نَعْلَمْ أَحَدًا قَالَ: إِنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا إِلَى غَيْرِ مَخْلُوقَاتِهِ. وَلَا يَقُولُ أَحَدٌ: إِنَّ اللَّهَ مُحْتَاجٌ إِلَى الْعَرْشِ، مَعَ أَنَّهُ خَالِقُ الْعَرْشِ، وَالْمَخْلُوقُ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْخَالِقِ، لَا يَفْتَقِرُ الْخَالِقُ إِلَى الْمَخْلُوقِ، وَبِقُدْرَتِهِ قَامَ الْعَرْشُ وَسَائِرُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنِ الْعَرْشِ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ.

وَإِذَا كَانَ اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَمْ يَجِبْ أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ خَلَقَ الْعَالَمَ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْهِ مُحْتَاجًا إِلَى سَافِلِهِ، فَالْهَوَاءُ فَوْقَ الْأَرْضِ وَلَيْسَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، وَكَذَلِكَ السَّحَابُ فَوْقَهَا وَلَيْسَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، وَكَذَلِكَ السَّمَاوَاتُ فَوْقَ السَّحَابِ وَالْهَوَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَيْسَتْ مُحْتَاجَةً إِلَى ذَلِكَ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْسَ مُحْتَاجًا إِلَى

ذَلِكَ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، مُحْتَاجًا إِلَى مَخْلُوقَاتِهِ، لِكُونِهِ
فَوْقَهَا عَالِيًا عَلَيْهَا؟

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ، وَأَنَّ
القُوَّةَ الَّتِي فِي الْعَرْشِ وَفِي حَمَلَةِ الْعَرْشِ هُوَ خَالِقُهَا، بَلْ نَقُولُ: إِنَّهُ خَالِقُ
أَفْعَالِ الْمَلَائِكَةِ الْحَامِلِينَ لِلْعَرْشِ؛ فَإِذَا كَانَ هُوَ الْخَالِقُ لِهَذَا كُلِّهِ، وَلَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ، امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا إِلَى غَيْرِهِ.

لَمْ نَقُلْ: إِنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى غَيْرِهِ، بَلْ مَا زَالَ غَنِيًّا عَنِ الْعَرْشِ وَغَيْرِهِ، وَلَكِنْ
قُلْنَا: إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِذَا جَعَلْنَاهُ قَادِرًا عَلَى هَذَا، كَانَ ذَلِكَ وَصْفًا لَهُ
بِكَمَالِ الْإِقْتِدَارِ، لَا بِالْحَاجَةِ إِلَى الْأَغْيَارِ^(١).

٤٠ - الرَّبُّ تَعَالَى مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي لَا غَايَةَ فَوْقَهَا، مُنَزَّةٌ
عَنِ النَّقْصِ بِكُلِّ وَجْهِ مُمْتَنِعٌ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلٌ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ.
فَأَمَّا صِفَاتُ النَّقْصِ، فَهِيَ مُنَزَّةٌ عَنْهَا مُطْلَقًا. وَأَمَّا صِفَاتُ الْكَمَالِ، فَلَا يُمَازِلُهَا
- بَلْ وَلَا يُقَارِبُهَا - فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ.

وَالْتَنَزِيهِ يُجْمَعُ نَوْعَانِ: نَفْيُ النَّقْصِ، وَنَفْيُ مُمَازِلَةِ غَيْرِهِ لَهُ فِي
صِفَاتِ الْكَمَالِ^(٢).

٤١ - وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْكَمَالِ الْمُطْلَقِ، وَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ مُفْتَقِرًا
إِلَى غَيْرِهِ بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ، إِذْ لَوْ افْتَقَرَ إِلَى غَيْرِهِ بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ، كَانَ
مُحْتَاجًا إِلَى الْغَيْرِ، وَالْحَاجَةُ إِمَّا إِلَى حُصُولِ كَمَالٍ لَهُ، وَإِمَّا إِلَى دَفْعِ مَا
يُنْقِصُ كَمَالَهُ^(٣).

٤٢ - إِنَّ الرَّبَّ تَعَالَى مُنَزَّةٌ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَمَوْصُوفٌ بِالْكَمَالِ الَّذِي لَا

(٢) «منهاج السنة» (٢/ ١٥٦ - ١٥٧).

(١) «منهاج السنة» (٢/ ٦٤٦ - ٦٤٧).

(٣) «منهاج السنة» (٢/ ١٦٠).

نَقَصَ فِيهِ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ فِي صِفَاتِ الْكَمَالِ أَنْ يُمَازِلَ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِهِ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، فَلَيْسَ لَهُ كُفُؤًا أَحَدٌ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ، لَا فِي عِلْمِهِ وَلَا قُدْرَتِهِ وَلَا إِرَادَتِهِ وَلَا رِضَاهُ وَلَا غَضَبِهِ، وَلَا خَلْقِهِ، وَلَا اسْتِوَائِهِ، وَلَا إِتْيَانِهِ وَلَا نُزُولِهِ، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، بَلْ مَذْهَبُ السَّلَفِ أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ. وَمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ. فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا أَثَبَّتَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الصِّفَاتِ، وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَالْثَّانِي مُعْطَلٌ، وَالْمُعْطَلُ يَعْبُدُ عَدَمًا، وَالْمُشَبَّهُ مُمَثَّلٌ، وَالْمُمَثَّلُ يَعْبُدُ صَنْمًا.

مَذْهَبُ السَّلَفِ إِثْبَاتُ بِلَا تَمَثِيلٍ وَتَنْزِيهِ بِلَا تَعْطِيلٍ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْمُثَبِّلَةِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، رَدٌّ عَلَى الْمُعْطَلَةِ^(١).

٤٣ - مَنْ فَهِمَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مَا هُوَ مُسْتَلَزِمٌ لِلْحُدُوثِ، مُجَانِسٌ لِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَنْفِيَ ذَلِكَ عَنِ اللَّهِ، فَقَدْ شَبَّهَ وَعَطَّلَ؛ بَلِ الْوَاجِبُ أَنْ لَا يُوصَفَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، لَا نَتَجَاوَزُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ. وَأَنْ نَعْلَمَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا فِي نَفْسِهِ، وَلَا فِي أَوْصَافِهِ، وَلَا فِي أَعْمَالِهِ، وَأَنَّ الْخَلْقَ لَا تُطِيقُ عَقُولُهُمْ كُنْهَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا تَقْدِرُ أَلْسِنَتُهُمْ عَلَى بُلُوغِ صِفَتِهِ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٧) ﴿[الصفات: ١٨٠ - ١٨٢] (٢)﴾.

٤٤ - يُوصَفُ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، لَا يُتَجَاوَزُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، وَيُتَّبَعُ فِي ذَلِكَ سَبِيلُ السَّلَفِ الْمَاضِينَ أَهْلِ الْعِلْمِ

وَالْإِيمَانِ، وَالْمَعَانِي الْمَفْهُومَةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا تُرَدُّ بِالشُّبُهَاتِ، فَتَكُونُ مِنْ بَابِ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ؛ وَلَا يُعْرَضُ عَنْهَا فَيَكُونُ مِنْ بَابِ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يَخَرُّونَ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمِيَانًا، وَلَا يَتْرُكُ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ فَيَكُونُ مِنْ بَابِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ^(١).

٤٥ - الْجَاهِلُ يَضِلُّ بِقَوْلِ الْمُتَكَلِّمِينَ: إِنَّ الْعَرَبَ وَضَعُوا لَفْظَ الْإِسْتِوَاءِ لِإِسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى الْمَنْزِلِ أَوْ الْفُلْكِ، أَوْ اسْتِوَاءِ السَّفِينَةِ عَلَى الْجُودِيِّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ اسْتِوَاءِ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ.

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ هَذَا الْإِسْتِوَاءَ إِذَا كَانَ حَقِيقَةً، يَتَنَاوَلُ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، مَعَ كَوْنِ النَّصِّ قَدْ خَصَّهُ بِاللَّهِ، كَانَ جَاهِلًا جِدًّا بِدَلَالَةِ اللُّغَاتِ، وَمَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ.

وَهَؤُلَاءِ الْجُهَالُ يُمَثِّلُونَ فِي ابْتِدَاءِ فَهْمِهِمْ صِفَاتِ الْخَالِقِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِ؛ ثُمَّ يَنْفُونَ ذَلِكَ وَيُعْطِلُونَهُ، فَلَا يَفْهَمُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا يَخْتَصُّ بِالْمَخْلُوقِ، وَيَنْفُونَ مَضْمُونَهُ، وَيَكُونُونَ قَدْ جَحَدُوا مَا يَسْتَحِقُّهُ الرَّبُّ مِنْ خَصَائِصِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالْحَدُّوا فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَخَرَجُوا عَنِ الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ وَالنَّصِّ الشَّرْعِيِّ، فَلَا يَبْقَى بِأَيْدِيهِمْ لَا مَعْقُولٌ صَرِيحٌ، وَلَا مَنْقُولٌ صَحِيحٌ^(٢).

٤٦ - الْبَارِي قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْعَالَمَ كَانَ هُوَ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْلُقْهُ فِي ذَاتِهِ، فَيَكُونُ هُوَ مَحِلًّا لِلْمَخْلُوقَاتِ، وَلَا جَعَلَ ذَاتَهُ فِيهِ، فَيَكُونُ مُفْتَقِرًا مَحْمُولًا قَائِمًا بِالْمَصْنُوعَاتِ، بَلْ جَعَلَهُ بَائِنًا عَنْهُ، فَيَكُونُ فَوْقَهُ، وَهُوَ جِهَةُ الْعُلُوِّ^(٣).

٤٧ - الَّذِي يَجِبُ نَفْيُهُ عَنِ الرَّبِّ تَعَالَى، اتِّصَافُهُ بِشَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِ

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/٢٠٨-٢٠٩).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/٣٠٥).

(٣) «الفتاوى الكبرى» (٦/٣٥٧).

الْمَخْلُوقِينَ، كَمَا أَنَّ الْمَخْلُوقَ لَا يَتَّصِفُ بِشَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِ الْخَالِقِ، أَوْ أَنْ يُثَبَّتَ لِلْعَبْدِ شَيْءٌ يُمَاتِلُ فِيهِ الرَّبَّ^(١).

٤٨ - إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ، وَإِنَّ مُبَايَنَّتَهُ لِلْمَخْلُوقِينَ فِي صِفَاتِهِمْ أَعْظَمُ مِنْ مُبَايَنَةِ كُلِّ مَخْلُوقٍ لِمَخْلُوقٍ، وَإِنَّهُ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُمَاتِلًا لِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، أَوْ مُقَارِبًا لَهُ فِي صِفَاتِهِ^(٢).

٤٩ - إِذَا كَانَتْ نَفْسُ الْإِنْسَانِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ - بَلْ هِيَ هَوِيَّتُهُ - وَهُوَ لَا يَعْرِفُ كَيْفِيَّتَهَا، وَلَا يُحِيطُ عِلْمًا بِحَقِيقَتِهَا، فَالْخَالِقُ بِجَلِّ جَلَالِهِ أَوْلَى أَنْ لَا يَعْلَمَ الْعَبْدُ كَيْفِيَّتَهُ، وَلَا يُحِيطُ عِلْمًا بِحَقِيقَتِهِ^(٣).

٥٠ - إِنَّ اللَّهَ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَخَلَقَهَا فَلَمْ يَدْخُلْ فِيهَا، وَلَمْ يَدْخُلْهَا فِيهِ، فَلَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ، وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ^(٤).

٥١ - مَنْ قَالَ: كَيْفَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟

قِيلَ لَهُ: كَيْفَ هُوَ؟

فَإِذَا قَالَ: لَا أَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ.

قِيلَ لَهُ: وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ نُزُولِهِ، إِذِ الْعِلْمُ بِكَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِكَيْفِيَّةِ الْمَوْصُوفِ، وَهُوَ فَرَعٌ لَهُ، وَتَابِعٌ لَهُ، فَكَيْفَ تُطَالِبُنِي بِالْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، وَتَكْلِيمِهِ، وَاسْتِوَائِهِ وَنُزُولِهِ، وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَاتِهِ؟!^(٥)

٥٢ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وَقَالَ:

﴿وَأَسْتَوَى عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، وَقَالَ: ﴿فَأَسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩]،

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٨١).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٨٤).

(١) «منهاج السنّة» (٢/ ٥٩٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٩/ ٢٩٨).

(٥) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٥).

وَقَالَ: ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَاحِ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وَقَالَ: ﴿لِئَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣]؛ فَهَذَا الْإِسْتِوَاءُ كُلُّهُ يَتَضَمَّنُ حَاجَةَ الْمُسْتَوِي إِلَى الْمُسْتَوَى عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَوْ عُدِمَ مَنْ تَحْتَهُ لَخَرَّ، وَاللَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنِ الْعَرْشِ، وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ، بَلْ هُوَ بِتَبَخُّؤِهِ بِقُدْرَتِهِ يَحْمِلُ الْعَرْشَ، وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ.

فَصَارَ لَفْظُ الْإِسْتِوَاءِ مُتَشَابِهًا، يَلْزِمُهُ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِينَ مَعَانٍ يُنَزِّهُ اللَّهُ عَنْهَا. فَنَحْنُ نَعْلَمُ مَعْنَاهُ، وَأَنَّهُ الْعُلُوُّ وَالْإِعْتِدَالُ؛ لَكِنْ لَا نَعْلَمُ الْكِيفِيَّةَ الَّتِي اخْتَصَّ بِهَا الرَّبُّ، الَّتِي يَكُونُ بِهَا مُسْتَوِيًا مِنْ غَيْرِ افْتِقَارٍ مِنْهُ إِلَى الْعَرْشِ، بَلْ مَعَ حَاجَةِ الْعَرْشِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ؛ وَأَنَا لَمْ نَعْهَدْ فِي الْمَوْجُودَاتِ مَا يَسْتَوِي عَلَى غَيْرِهِ مَعَ غِنَاهُ عَنْهُ، وَحَاجَةِ ذَلِكَ الْمُسْتَوَى عَلَيْهِ إِلَى الْمُسْتَوِي، فَصَارَ مُتَشَابِهًا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، فَإِنَّ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ وَالْمَعْنَيْنِ قَدْرًا مُشْتَرَكًا، وَبَيْنَهُمَا قَدْرًا فَارِقًا هُوَ مُرَادٌ فِي كُلِّ مِنْهُمَا، وَنَحْنُ لَا نَعْرِفُ الْفَارِقَ الَّذِي اِمْتَّازَ الرَّبُّ بِهِ، فَصُرْنَا نَعْرِفُهُ مِنْ وَجْهِ، وَنَجْهَلُهُ مِنْ وَجْهِ، وَذَلِكَ هُوَ تَأْوِيلُهُ، وَالْأَوَّلُ هُوَ تَفْسِيرُهُ^(١).

٥٣ - وَهُوَ بِتَبَخُّؤِهِ لَيْسَ لَهُ كُفُوفٌ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِهِ، فَهُوَ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ، مُنَزَّةٌ فِيهَا عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، وَمُنَزَّةٌ عَنِ النَّقَائِصِ مُطْلَقًا؛ فَإِنَّ وَصْفَهُ بِهَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَبَاطِيلِ، وَكَمَالُهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ^(٢).

٥٤ - الْمُسْلِمُونَ وَسَطٌ يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهِ رُسُلُهُ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، يَصِفُونَهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَيُنَزِّهُونَهُ عَنِ النَّقَائِصِ الَّتِي تَمْتَنِعُ عَلَى الْخَالِقِ، وَلَا يَتَّصِفُ بِهَا إِلَّا الْمَخْلُوقُ، فَيَصِفُونَهُ بِالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ،

وَيُنْزَهُونَهُ عَنِ الْمَوْتِ وَالنَّوْمِ وَالْجَهْلِ وَالْعَجْزِ وَالظُّلْمِ وَالْفَنَاءِ، وَيَعْلَمُونَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا مِثِيلَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ؛ فَلَا أَحَدٌ يَعْلَمُ كَعِلْمِهِ، وَلَا يَقْدِرُ كَقُدْرَتِهِ، وَلَا يَرْحَمُ كَرَحْمَتِهِ، وَلَا يَسْمَعُ كَسَمْعِهِ، وَلَا يُبْصِرُ كَبَصَرِهِ، وَلَا يَخْلُقُ كَخَلْقِهِ، وَلَا يَسْتَوِي كَاسْتِوَائِهِ، وَلَا يَأْتِي كَأَتْيَانِهِ، وَلَا يَنْزِلُ كَنْزُولِهِ^(١).

٥٥ - وَقَوْلُ الرَّسُولِ: (فِي السَّمَاءِ)؛ أَي: فِي الْعُلُوِّ، لَيْسَ مُرَادُهُمْ أَنَّهُ فِي جَوْفِ الْأَفْلَاقِ؛ بَلِ السَّمَاءُ الْعُلُوُّ، وَهُوَ إِذَا كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ، فَهُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَخْلُوقٌ، حَتَّى يَكُونَ الرَّبُّ مَحْصُورًا فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَا هُوَ فِي جِهَةٍ مَوْجُودَةٍ، بَلِ لَيْسَ مَوْجُودًا إِلَّا الْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ، وَالْخَالِقُ بَائِنٌ عَنِ مَخْلُوقَاتِهِ، عَالٍ عَلَيْهَا، فَلَيْسَ هُوَ فِي مَخْلُوقٍ أَصْلًا، سِوَاءِ سُمِّيَ ذَلِكَ الْمَخْلُوقُ جِهَةً، أَوْ لَمْ يُسَمَّ جِهَةً^(٢).

٥٦ - فَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ كَاسْتِوَاءِ الْمَلِكِ، بِحَيْثُ يَكُونُ مُحْتَاجًا إِلَى الْعَرْشِ، فَهَذَا تَمَثِيلٌ مُنْكَرٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنِ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَالْعَرْشُ وَكُلُّ مَخْلُوقٍ مُفْتَقِرٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَهُوَ بِقُدْرَتِهِ يَحْمِلُ الْعَرْشَ وَحَمَلَتْهُ^(٣).

انْتَهَى كَلَامُهُ الشَّرِيفُ. وَمَا أَجَلَّهُ، وَأَجْمَعَهُ، وَأَنْفَعَهُ، وَأَصَحَّهُ، وَأَتَقَنَهُ، وَأَرْجَحَهُ! تَلَوُّحٌ مِنْهُ أَنْوَارُ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ. وَعَلَيْهِ مِنْ مَلَائِسِ التَّحْقِيقِ بُرُودُ الْإِنْصَافِ. لَا شَكَّ فِيهِ مِنْ وَجْهِ، وَلَا ارْتِيَابٍ^(٤).

رَحِمَ اللَّهُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ كَلَامَهُ هُوَ الْحَقُّ الصَّرِيحُ، وَالصَّدَقُ الصَّحِيحُ. صَدَرَ عَنْ ذِهْنٍ صَافٍ، وَعِلْمٍ غَزِيرٍ وَافٍ. مَا أَبْلَغَ تَفْصِيلَهُ وَتَنْقِيحَهُ! وَأَكْمَلَ تَوْضِيحَهُ وَتَصْحِيحَهُ!

(١) «الجواب الصحيح» (٢/ ١٤٢ - ١٤٣). (٢) «الجواب الصحيح» (٤/ ٣١٧).

(٣) «بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ٥٤٢)، طبعة مجمع الملك فهد.

(٤) «السراج الوهاج» (٣/ ٣٨٦).

وَفِي خِتَامِ هَذَا الْفَصْلِ: أَذْكَرُ الْمُفْتَرِينَ عَلَى السَّلَفِيِّينَ عُمُومًا، وَخُصُوصًا شَيْخَ الْإِسْلَامِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (٥٨) [الأحزاب: ٥٨].

وَبِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ، أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْعَةَ الْخَبَالِ، حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»^(١).

وَمَعْنَى رَدْعَةِ الْخَبَالِ: عُصَاةُ أَهْلِ النَّارِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ^(٢).

عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ، حَبَسَهُ اللَّهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»^(٣).
تُوبُوا إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ افْتِرَائِكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ النَّدَمُ، لِمَنْ زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ.



(١) قطعة من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رواه أبو داود (٣٥٩٧)، وصححه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «صحيح سنن أبي داود» (٣٩٦/٢).

(٢) انظر: «صحيح مسلم» (٢٠٠٢)، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) قطعة من حديث: رواه أبو داود (٤٨٨٣)، وحسنه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «صحيح سنن أبي داود» (١٩٨/٣).

أَثَرُ الْإِيمَانِ بِغُلُوِّ الرَّحْمَنِ

مَنْ شَهِدَ مَشْهَدَ غُلُوِّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَفَوْقِيَّتَهُ لِعِبَادِهِ، وَاسْتِوَاءَهُ عَلَى عَرْشِهِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ أَعْرَفُ الْخَلْقِ وَأَعْلَمُهُمْ بِهِ، الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، وَتَعَبَّدَ بِمُقْتَضَى هَذِهِ الصِّفَةِ، بِحَيْثُ يَصِيرُ لِقَلْبِهِ صَمَدٌ يَعْرُجُ الْقَلْبُ إِلَيْهِ مُنَاجِيًا لَهُ، مُطْرِقًا وَاقِفًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقُوفَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ، فَيَشْعُرُ بِأَنَّ كَلِمَتَهُ وَعَمَلَهُ صَاعِدٌ إِلَيْهِ، مَعْرُوضٌ عَلَيْهِ مَعَ أَوْفَى خَاصَّتِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، فَيَسْتَحْيِي أَنْ يَصْعَدَ إِلَيْهِ مِنْ كَلِمَةٍ مَا يُخْزِيهِ وَيَفْضَحُهُ هُنَاكَ، وَيَشْهَدُ نُزُولَ الْأَمْرِ وَالْمَرَاسِمِ الْإِلَهِيَّةِ إِلَى أَقْطَارِ الْعَوَالِمِ كُلِّ وَقْتٍ بِأَنْوَاعِ التَّدْبِيرِ وَالْمَصْرِفِ - مِنَ الْإِمَانَةِ وَالْإِحْيَاءِ، وَالتَّوَلِّيَةِ وَالْعَزْلِ، وَالْخَفْضِ وَالرَّفْعِ، وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَكَشْفِ الْبَلَاءِ وَإِرْسَالِهِ، وَتَقَلُّبِ الدُّوَلِ وَمُدَاوَلَةِ الْأَيَّامِ بَيْنَ النَّاسِ - إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ فِي الْمَمْلَكَةِ الَّتِي لَا يَتَصَرَّفُ فِيهَا سِوَاهُ، فَمَرَّاسِمُهُ نَافِذَةٌ فِيهَا كَمَا يَشَاءُ ﴿يُذِيرُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٥) [السَّجْدَةُ: ٥].

فَمَنْ أَعْطَى هَذَا الْمَشْهَدَ حَقَّهُ مَعْرِفَةً وَعُبُودِيَّةً اسْتَغْنَى بِهِ ^(١)، بِخِلَافِ مَنْ لَا يَدْرِي أَيْنَ رَبُّهُ؟! فَإِنَّهُ ضَائِعٌ مُشْتَّتٌ الْقَلْبِ، لَيْسَ لِقَلْبِهِ قِبْلَةٌ يَتَوَجَّهُ نَحْوَهَا، وَلَا مَعْبُودٌ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ قَصْدُهُ ^(٢).

وَمَتَى شَهِدَ الْعَبْدُ غُلُوَّ الْقَهْرِ «وَأَنَّ نَوَاصِيَ الْعِبَادِ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ،

(٢) المصدر السابق (٣٣).

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٧٥).

يُصَرِّفُهُمْ كَيْفَ يَشَاءُ؛ لَمْ يَخَفْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَرْجُهُمْ، وَلَمْ يُنْزِلْهُمْ مَنَزَلَةَ الْمَالِكِينَ، بَلْ مَنَزَلَةَ عَبِيدِ مَقْهُورِينَ مَرْبُوبِينَ، الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمْ سَوَاهُمْ، وَالْمُدَبِّرُ لَهُمْ غَيْرُهُمْ»^(١).

وَمَتَى شَهِدَ الْعِبَادُ عُلُوَّ الصِّفَاتِ مِنَ الْمَثَلِ الْأَعْلَى، وَهُوَ «مَا يَقُومُ بِقُلُوبِ عَابِدِيهِ وَمُحِبِّيهِ، وَالْمُنِيِّينَ إِلَيْهِ»^(٢) مِنْ مَعْرِفَتِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَذَاتِهِ، فَهَذَا الْمَثَلُ الْأَعْلَى هُوَ الَّذِي آمَنَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَنَسَ بِهِ الْعَارِفُونَ، فَعَرَفُوهُ بِهِ «وَعَبَدُوهُ بِهِ، وَسَأَلُوهُ بِهِ، فَأَحَبُّوهُ وَخَافُوهُ وَرَجَوْهُ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، وَأَنَابُوا إِلَيْهِ وَاطْمَأَنَّنُوا بِذِكْرِهِ، وَأَنَسُوا بِحُبِّهِ»^(٣). وَهُوَ الْبَاعِثُ لَهُمْ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْخَشْيَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَتَفَاوُثُهُمْ فِيهِ لَا يَنْحَصِرُ طَرَفَاهُ، فَكُلُّ مِنْهُمْ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ لَا يَتَعَدَّاهُ^(٤).

فَإِذَا قَالُوا: يَا اللَّهُ! «قَامَ بِقُلُوبِهِمْ: رَبًّا قِيَوْمًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ، مُسْتَوِيًّا عَلَى عَرْشِهِ، مُكَلَّمًا، مُتَكَلِّمًا، سَامِعًا رَائِيًّا، قَدِيرًا مُرِيدًا، فَعَالًا لِمَا يَشَاءُ؛ يَسْمَعُ دُعَاءَ الدَّاعِينَ، وَيَقْضِي حَوَائِجَ السَّائِلِينَ، وَيُفَرِّجُ عَنِ الْمَكْرُوبِينَ، تُرْضِيهِ الطَّاعَاتُ، وَتُغْضِبُهُ الْمَعَاصِي، تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ بِالْأَمْرِ إِلَيْهِ، وَتَنْزِلُ بِالْأَمْرِ مِنْ عِنْدِهِ»^(٥).



(٢) «تهذيب مدارج السالكين» (ص ٦٣٩).

(٤) «شفاء العليل» (ص ٧٣٩).

(١) «فوائد الفوائد» (ص ٢٥).

(٣) «الصواعق المرسلة» (ص ٢٣٤).

(٥) «الصواعق المرسلة» (ص ٤٢٩ - ٤٣٠).

الْخَاتِمَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، مُبَارَكًا عَلَيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا
وَيَرْضَى، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

فَقَدْ تَبَيَّنَ لِلْقَارِئِ اللَّيِّبِ: أَنَّ نَفْيَ عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ، مَقُولُهُ جَهْمِ بْنِ
صَفْوَانَ الضَّالِّ الْمُبْتَدِعِ، رَأْسِ الْجَهْمِيَّةِ، الَّذِي زَرَعَ شَرًّا عَظِيمًا.

«فَكَيْفَ تَطِيبُ نَفْسُ مُؤْمِنٍ، بَلْ نَفْسُ عَاقِلٍ: أَنْ [يَسْلُكَ سَبِيلَ الْجَهْمِيَّةِ]، وَيَدْعَ
سَبِيلَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ؟!»^(١).

فَبَعْدًا لِمَنْ كَانَ جَهْمٌ سَلَفُهُ، وَاسْتَبَدَلَ سَبِيلَهُ بِسَبِيلِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَحَابَتِهِ.

وَمَا عَوِضَ لَنَا مِنْهَا جَهْمٌ بِمِنْهَاجِ ابْنِ أَمْنَةَ الْأَمِينِ^(٢)

وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ - وَفِيهِ مَا يَرَوِي الْغَلِيلُ، وَيَشْفِي الْعَلِيلَ مِنَ
الْمَرَضَى بِأَدْوَاءِ التَّحْرِيفِ وَالتَّعْطِيلِ - مِنْ صِفَةِ الْعُلُوِّ وَالْفُوقِيَّةِ «مَا نَزَلَ بِهِ
الْقُرْآنُ، وَصَحَّتْ بِرِوَايَتِهِ الْأَثَارُ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ فَقَهَاءُ الْأَمْصَارِ وَعُلَمَاءُ الْأُمَّةِ
مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ؛ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ هُدَاةً لِلْمُسْتَبْصِرِينَ وَقُدُوةً فِي الدِّينِ،
وَجَعَلَ ذِكْرَهُمْ أُنْسًا لِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِيَعْلَمَ ذَلِكَ وَيَتَمَسَّكَ بِهِ مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ
خَيْرَهُ، وَأَنْ يَسْتَنْقِذَهُ مِنْ حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ، وَيَفُكَّهُ مِنْ فُخُوحِ الْجَا حِدِينَ الَّذِينَ
زَاغَتْ قُلُوبُهُمْ فَاسْتَهْوَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ؛ الَّذِينَ خَطِئَ بِهِمْ طَرِيقُ الرَّشَادِ، وَحُرِّمُوا

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٥/٥).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/١٤٨).

التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ؛ فَفَنَيْتُ أَعْمَارُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَمَالُهُمْ بِالْخُصُومَةِ فِي رَبِّهِمْ،
وَالْمُحَارَبَةِ فِي إِلَهِهِمْ، يَقُولُونَ فِي اللَّهِ وَفِي كِتَابِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا
يَقُولُهُ الضَّالُّونَ عَلُودًا كَبِيرًا»^(١).

فَالزَّمِ رَحِمَكَ اللَّهُ مَا ذَكَرْتَ لَكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ، وَكَلَامِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ، وَلَا
تَحِذْ عَنْهُ، وَلَا تَبْتَغِ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ، وَلَا تَغْتَرَّ بِزُخَارِفِ الْمُبْطِلِينَ، وَأَرَاءِ الْمُتَكَلِّفِينَ،
فَإِنَّ الرُّشْدَ وَالْهُدَى وَالْفُوزَ وَالرِّضَا فِيمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَا فِيمَا أَحَدُهُ
الْمُخْدِثُونَ، وَأَتَى بِهِ الْمُتَنَطِّعُونَ مِنْ آرَائِهِمُ الْمُضْمَحَلَّةِ، وَتَنَائِجِ عُقُولِهِمُ الْفَاسِدَةِ،
وَارِضٌ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، عِوَضًا مِنْ قَوْلِ كُلِّ قَائِلٍ، وَزُخْرَفٍ وَبَاطِلٍ^(٢).

وَالزَّمِ رَحِمَكَ اللَّهُ مَا صَحَّ عَنْ «صَالِحِ سَلَفِ الْأُمَّةِ بِمَا حَصَلَ مِنَ الْإِتِّفَاقِ عَلَيْهِ
مِنْ خِيَارِ الْأُمَّةِ، وَدَعِ أَقْوَالَ مَنْ عَدَاهُمْ مُحَقَّقًا مَهْجُورًا، مُبَعَّدًا مَذْهُورًا، مَذْمُومًا
مَلُومًا؛ وَإِنْ اغْتَرَّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِأَقْوَالِهِمْ، وَجَنَحُوا إِلَى اتِّبَاعِهِمْ، فَلَا تَغْتَرَّ
بِكَثْرَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (١٢) ﴿[سبا: ١٣]﴾^(٣).

فَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ الْحَقَّ وَإِظْهَارَ الصَّوَابِ اكْتَفَى بِمَا قَدَّمَاهُ، وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ
الْجِدَالَ وَالْقِيلَ وَالْقَالَ وَالْمُكَابَرَةَ^(٤)، فَإِنَّ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ، وَكَلَامُ رَسُولِهِ، وَلَا
يَزِيدُهُ ذَلِكَ إِلَّا مَرَضًا عَلَى مَرَضِهِ^(٥). فَلَا يُبْصِرُ لِلشَّمْسِ ضِيَاءً، وَلَا لِلْقَمَرِ نُورًا.
فَهُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]،
وَقَالَ ﷻ: ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ
إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨١) [الإسراء: ٨٢]، وَقَالَ ﷻ: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي
بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (١١) [البقرة: ٢٦]، وَقَالَ ﷻ:

(١) «المختار من الإبانة» (٣/ ١٩١).

(٢) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ٢٠٥ - ٢٠٧)، للحافظ: عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر» (ص ١٥٤).

(٥) «الصواعق» (٤/ ١٢٥٤).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٧).

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (١١٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴿ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]، وَقَالَ ﷺ: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ [فصلت: ٤٤].

وَكَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَلَكِنْ عَلَى تِلْكَ الْقُلُوبِ أَكِنَّةٌ فَلَيْسَتْ وَإِنْ أَصْغَتْ تُجِيبُ الْمُنَادِيَا^(١)
وَلَا سِيَمًا إِذَا صَادَفَتْ أَذْهَانًا سَقِيمَةً، فَكَيْفَ إِذَا انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ هَوًى وَتَعْصَبُ؟
فَقُلْ لِلْعُيُونِ الرُّمْدِ إِيَّاكَ أَنْ تَرَى سَنَا الشَّمْسِ فَاسْتَغْشَى ظِلَامَ اللَّيَالِيَا^(٢)
وَخُذْ قَوْلَ الْمُتَنَبِّي:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ^(٣)
رُبَّ عَائِبٍ لِلْقَوْلِ الصَّحِيحِ، لِأَنَّهُ لَا يَفْهَمُهُ.
وَرَجِمَ اللَّهُ الْبُوصِيرِيَّ إِذْ يَقُولُ:

قَدْ تُنَكِّرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمْدٍ وَيُنَكِّرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ^(٤)
وَرَجِمَ اللَّهُ الْقَائِلَ:

وَمَا ضَرَّ الْوُرُودَ وَمَا عَلَيْهَا إِذَا الْمَزْكُومُ لَمْ يَطْعَمْ شَذَاهَا^(٥)
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ مَنْصُورِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ التَّمِيمِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

عَابَ التَّفَقُّهُ قَوْمٌ لَا عُقُولَ لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرَرٍ

(١) «البيان في أقسام القرآن» (ص ٢٢١). (٢) «زاد المعاد» (٣/ ٤١).

(٣) «ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري» (٤/ ١٢٠) [الطبعة المصوّرة في دار المعرفة، بيروت].

(٤) «شرح قصيدة البردة» للبوصيري (ص ١٥٨). (٥) لم أهد إلى معرفة قائله.

مَا ضَرَّ شَمْسُ الضُّحَى وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ أَلَا يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ^(١)
وَأُخِذَ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي أَيْضًا:

وَمَنْ يَكُ ذَا قِمٍّ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدُ مُرَّابِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا^(٢)
كَوْنُ مَذَاقِ الْمَاءِ الْعَذْبِ مُرًّا عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ، فَهَذَا لَا يُؤَثِّرُ عَلَى طَبِيعَةِ
الْمَاءِ الْعَذْبِ^(٣).

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

فَقُلْ لِلْعُيُونِ الرُّمْدِ لِلشَّمْسِ أَعْيُنٌ سِوَاكِ تَرَاهَا فِي مَغِيبٍ وَمَطْلَعٍ
وَسَامِخٌ نُفُوسًا بِالقُشُورِ قَدْ ارْتَضَتْ وَلَيْسَ لَهَا لُلبُّ مِنْ مُتَطَلِّعٍ^(٤)
وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْأَبْصَارُ طَلْعَتَهُ وَالذَّنْبُ لِلْعَيْنِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغَرِ
وَمِثْلُهُ:

إِنْ عَابَ نَاسٌ عَلَيَّ قَوْلِي فَلَيْسَ بِي قَوْلُهُمْ يَضِيرُ
قَدْ قِيلَ إِنَّ الْقُرْآنَ سِحْرٌ وَمَا يَقُولُ الرَّسُولُ زُورٌ^(٥)
وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ:

فَالْحَقُّ شَمْسٌ وَالْعُيُونُ نَوَاطِرُ لَا تَخْتَفِي إِلَّا عَلَى الْعُمَيَّانِ^(٦)

(١) «طبقات الشافعية الكبرى» (٣٣٨/٢) [طبعة دار الكتب العلمية، بيروت]، تأليف: تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي.

(٢) «ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري» (٨٢٢/٣).

(٣) «تفسير القرآن الكريم (الفاتحة - البقرة)» (٢٧/١) [طبعة دار ابن الجوزي - الرياض].

(٤) «إعلام الموقعين» (٤٤/٤).

(٥) «ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري» (١٢١/٤).

(٦) «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ص ٤٠٤).

وَقَالَ الْمُتَنَبِّي:

وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٌ أَيْغَمَى الْعَالِمُونَ عَنِ الضُّيَاءِ^(١)
وَقَالَ أَيضًا:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ
يَقُولُ: مَنْ احتَاجَ إِلَى أَنْ يَعْلَمَ النَّهَارَ بِدَلِيلٍ يَدُلُّهُ عَلَيْهِ، لَمْ يَصِحَّ فِي
فَهْمِهِ شَيْءٌ، لِأَنَّهُ لَا فَهْمَ لَهُ؛ كَذَلِكَ كَلَامِي كَانَ وَاضِحًا، فَمَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ،
كَانَ كَمَنْ لَا يَعْلَمُ النَّهَارَ نَهَارًا^(٢).

وَبَعْدَ هَذَا: فَاسْأَلِ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ: أَنْ يُوفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ
لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَيَرْزُقَنَا اتِّبَاعَ هَدْيِ نَبِيِّهِ ﷺ بَاطِنًا
وَزَاهِرًا، وَيَجْمَعَ عَلَى الْهُدَى شَمْلَنَا، وَيَقْرِنَ بِالتَّوْفِيقِ أَمْرَنَا، وَيَجْعَلَ قُلُوبَنَا
عَلَى قَلْبِ خِيَارِنَا، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَيُعِيدَنَا مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ
سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا^(٣).

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا عَلَى السُّنَّةِ وَأَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَاجْعَلْ أَنْفُسَنَا بِكَ مُطْمَئِنَّةً،
نُحِبُّ فِيكَ أَوْلِيَاءَكَ وَتُبْغِضُ فِيكَ أَعْدَاءَكَ، وَنَسْتَغْفِرُ لِلْعَصَاةِ مِنْ عِبَادِكَ،
وَنَعْمَلُ بِمُحْكَمِ كِتَابِكَ وَنُؤْمِنُ بِمُتَشَابِهِهِ، وَنُصَفِّكَ بِمَا وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ،
وَنُصَدِّقُ بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، آمِينَ^(٤).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم
تَسْلِيمًا كَثِيرًا، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ^(٥).

(١) «ديوان أبي الطيب المتنبّي بشرح الواحدي» (ص ١٢٧) [طبعة برلين، ١٨٦١ م].

(٢) «ديوان أبي الطيب المتنبّي بشرح الواحدي» (ص ٤٩٧).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/٥٠٦).

(٤) «تاريخ الإسلام»، حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠ (ص ١٥٧).

(٥) «مجموع الفتاوى» (٤/٥٠٦).

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
أدلة علو الله على العرش	٩
التصريح بالفوقية مقرونا بأداة «من» المعينة للفوقية بالذات	١٠
ذكرها مجردة عن الأداة	١٠
التصريح بالعرُوج إليه ﷺ	١١
التصريح بالصعود إليه ﷺ	١١
التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه ﷺ	١٥
التصريح بالعلو المطلق	١٥
التصريح بتنزيل الكتاب منه ﷺ	١٧
التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده	١٨
التصريح بأنه تعالى في السماء	٢٣
شهادته ﷺ لمن قال: «إن ربه في السماء» بالإيمان	٣٠
التصريح بالاستواء على العرش	٣١
الإشارة إليه ﷺ حسا إلى العلو	٣٤
التصريح برفع الأيدي والأبصار إليه ﷺ	٣٥
النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة لله ﷺ	٣٧
التصريح بنزوله ﷺ كل ليلة إلى السماء الدنيا	٤٥
إخباره ﷺ أنه تردد بين موسى عليه السلام وربه ليلة المعراج	٥٢

- النُّصُوصُ الْوَارِدَةُ فِي ذِكْرِ الْعَرْشِ ٥٣
- إِخْبَارُهُ ﷺ عَنْ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ رَأَى الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ ٥٦
- تَنْزِيهِهُ ﷺ نَفْسَهُ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنُقْصَانٍ ٥٩
- الدَّلِيلُ الْعَظِيمُ وَالْبُرْهَانُ الْقَاطِعُ ٦١
- أَقْوَالُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ فِي الْعُلُوِّ وَالْفُوقِيَّةِ ٦٢
- ١ - حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ ٦٣
- ٢ - ابْنُ عَبَّاسٍ ٦٣
- ٣ - زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ ٦٣
- ٤ - ابْنُ مَسْعُودٍ ٦٤
- ٥ - عَائِشَةُ ٦٤
- ٦ - أَبُو ذَرٍّ ٦٤
- ٧ - ابْنُ عُمَرَ ٦٤
- ٨ - مَسْرُوقٌ ٦٥
- ٩ - أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ ٦٥
- ١٠ - سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ ٦٥
- ١١ - مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ (قَبْلَ ١٥٠ هـ) ٦٥
- ١٢ - الْأَوْزَاعِيُّ (١٥٧ هـ) ٦٥
- ١٣ - سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَالِمُ زَمَانِهِ (١٦١ هـ) ٦٦
- ١٤ - مَالِكُ إِمَامُ دَارِ الْهَجْرَةِ (١٧٩ هـ) ٦٦
- ١٥ - حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ الْبَصْرِيُّ (١٧٩ هـ) ٦٧
- ١٦ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ (١٨١ هـ) ٦٨
- ١٧ - جَرِيرُ الصَّبِيِّ، مُحَدِّثُ الرَّيِّ (١٨٨ هـ) ٦٩
- ١٨ - عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُهَلِّبٍ (١٩٨ هـ) ٦٩

- ١٩ - أَبُو مُعَاذٍ الْبَلْخِيُّ الْفَقِيهُ (١٩٩هـ) ٦٩
- ٢٠ - مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ (٢٠٠هـ) ٧١
- ٢١ - الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ (٢٠٤هـ) ٧١
- ٢٢ - يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ الْوَاسِطِيُّ (٢٠٦هـ) ٧٢
- ٢٣ - سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ الضُّبَيْعِيُّ عَالِمُ الْبَصْرَةِ (٢٠٨هـ) ٧٣
- ٢٤ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ ٧٣
- ٢٥ - الْقَعْنَبِيُّ (٢٢١هـ) ٧٣
- ٢٦ - عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ (٢٢١هـ) ٧٣
- ٢٧ - هِشَامُ بْنُ عُبيدِ اللَّهِ الرَّازِيُّ (٢٢١هـ) ٧٣
- ٢٨ - بِشْرُ الْحَافِي، زَاهِدُ الْعَصْرِ (٢٢٧هـ) ٧٤
- ٢٩ - مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ الْعَابِدُ: شَيْخُ بَغْدَادَ (٢٢٨هـ) ٧٤
- ٣٠ - نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ الْخَزَاعِيُّ الْحَافِظُ (٢٢٨هـ) ٧٤
- ٣١ - أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْأَعْرَابِيِّ، لُغَوِيٌّ زَمَانِيهِ (٢٣١هـ) ٧٥
- ٣٢ - أَبُو مَعْمَرٍ الْقَطِيعِيُّ (٢٣٦هـ) ٧٦
- ٣٣ - إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهَ عَالِمُ خُرَاسَانَ (٢٣٨هـ) ٧٦
- ٣٤ - قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ: شَيْخُ خُرَاسَانَ (٢٤٠هـ) ٧٦
- ٣٥ - أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ شَيْخُ الْإِسْلَامِ (٢٤١هـ) ٧٧
- ٣٦ - الْإِمَامُ الرَّبَّانِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ الطُّوسِيُّ (٢٤٢هـ) ٧٨
- ٣٧ - الْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْمُحَاسِبِيُّ (٢٤٣هـ) ٧٨
- ٣٨ - عَبْدُ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقُ (٢٥٠هـ) ٨١
- ٣٩ - خُشَيْشُ بْنُ أَصْرَمَ (٢٥٣هـ) ٨١
- ٤٠ - الدُّهْلِيُّ (٢٥٨هـ) ٨٢
- ٤١ - إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى الْمُرْنَبِيُّ (٢٦٤هـ) ٨٢

- ٤٢ - أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ (٢٦٤هـ) ٨٣
- ٤٣ - أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ (٢٧٧هـ) ٨٣
- ٤٤ - حَرْبُ الْكَرْمَانِيِّ (٢٨٠هـ) ٨٤
- ٤٥ - ابْنُ قُتَيْبَةَ (٢٧٦هـ) ٨٥
- ٤٦ - أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ (٢٧٩هـ) ٨٥
- ٤٧ - عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ الْحَافِظُ (٢٨٠هـ) ٨٥
- ٤٨ - ثَعْلَبُ إِمَامُ الْعَرَبِيَّةِ (٢٩١هـ) ٨٦
- ٤٩ - أَبُو مُسْلِمٍ الْكَجِّيُّ الْحَافِظُ (٢٩٢هـ) ٨٦
- ٥٠ - عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْمَكِّيَّ (٢٩٧هـ) ٨٧
- ٥١ - ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٢٩٧هـ) ٨٨
- ٥٢ - زَكَرِيَّا السَّاجِيُّ (٣٠٧هـ) ٨٩
- ٥٣ - مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ (٣١٠هـ) ٨٩
- ٥٤ - ابْنُ الْأَخْرَمِ (٣١١هـ) ٩٠
- ٥٥ - إِمَامُ الْأَيْمَةِ ابْنُ خُزَيْمَةَ (٣١١هـ) ٩٠
- ٥٦ - نَفْطَوَيْهِ شَيْخُ الْعَرَبِيَّةِ (٣٢٣هـ) ٩٠
- ٥٧ - أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ (٣٢٤هـ) ٩١
- ٥٨ - الْبَرْبَهَارِيُّ (٣٢٩هـ) ٩٢
- ٥٩ - الْوَزِيرُ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى (٣٣٤هـ) ٩٣
- ٦٠ - الْعَلَّامَةُ أَبُو بَكْرِ الصَّبْغِيُّ (٣٤٢هـ) ٩٣
- ٦١ - ابْنُ شَعْبَانَ (٣٥٥هـ) ٩٣
- ٦٢ - الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ الْأَجْرِيُّ (٣٦٠هـ) ٩٤
- ٦٣ - الْحَافِظُ أَبُو الشَّيْخِ (٣٦٩هـ) ٩٧
- ٦٤ - الْعَلَّامَةُ أَبُو بَكْرِ الْإِسْمَاعِيلِيُّ (٣٧١هـ) ٩٧

الصفحة

الموضوع

- ٦٥ - أَبُو الْحَسَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ الْمُتَكَلِّمُ (هـ ٣٨٠) ٩٧
- ٦٦ - ابْنُ بَطَّةَ (هـ ٣٨٧) ٩٩
- ٦٧ - ابْنُ أَبِي زَيْدٍ (هـ ٣٨٦) ١٠٢
- ٦٨ - ابْنُ مَنَدَه (هـ ٣٩٥) ١٠٣
- ٦٩ - ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ (هـ ٣٩٩) ١٠٣
- ٧٠ - الْقَصَّابُ (هـ ٤٠٠) ١٠٤
- ٧١ - ابْنُ الْبَاقِلَانِيِّ (هـ ٤٠٣) ١٠٤
- ٧٢ - ابْنُ مَوْهَبٍ (هـ ٤٠٦) ١٠٦
- ٧٣ - مَعْمَرُ بْنُ زِيَادٍ (هـ ٤١٨) ١٠٧
- ٧٤ - أَبُو الْقَاسِمِ اللَّالِكَايُ (هـ ٤١٨) ١٠٨
- ٧٥ - السُّلْطَانُ (هـ ٤٢١) ١٠٨
- ٧٦ - يَحْيَى بْنُ عَمَّارٍ (هـ ٤٢٢) ١٠٩
- ٧٧ - الْقَادِرُ بِاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (هـ ٤٢٢) ١١٠
- ٧٨ - أَبُو عَمَرَ الطَّلَمَنْكِيُّ (هـ ٤٢٩) ١١٠
- ٧٩ - أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ (هـ ٤٣٠) ١١١
- ٨٠ - أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ (هـ ٤٤٠) ١١١
- ٨٢ - عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ الْحَرَبِيُّ (هـ ٤٤٢) ١١٣
- ٨٣ - أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ (هـ ٤٤٩) ١١٣
- ٨٤ - أَبُو نَصْرِ السَّجَزِيُّ (هـ ٤٤٤) ١١٤
- ٨٥ - الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى (هـ ٤٥٨) ١١٥
- ٨٦ - الْبَيْهَقِيُّ (هـ ٤٥٨) ١١٧
- ٨٧ - ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ (هـ ٤٦٣) ١١٨
- ٨٨ - الْخَطِيبُ (هـ ٤٦٣) ١٢٣

- ١٢٣ ٨٩ - سَعْدُ الزَّنْجَانِيُّ (٤٧١هـ)
- ١٢٤ ٩٠ - إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ (٤٧٨هـ)
- ١٢٤ ٩١ - شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْهَرَوِيُّ (٤٨١هـ)
- ١٢٥ ٩٢ - الْقَيَّرَوَانِيُّ (٤٨٩هـ)
- ١٢٦ ٩٣ - الْفَقِيهَةُ نَضْرُ الْمَقْدِسِيُّ (٤٩٠هـ)
- ١٢٦ ٩٤ - الْحَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ الْمَقْدِسِيِّ (٥٠٧هـ)
- ١٢٧ ٩٥ - ابْنُ الْحَدَّادِ (٥١٧هـ)
- ١٢٧ ٩٦ - أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الرَّاغُونِيِّ (٥٢٧هـ)
- ١٢٧ ٩٧ - الْحَسَنُ الْكَرْجِيُّ (٥٣٢هـ)
- ١٢٧ ٩٨ - إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ التِّمِّيُّ الْأَصْبَهَانِيُّ (٥٣٥هـ)
- ١٣٠ ٩٩ - عَدِيُّ بْنُ مُسَافِرِ الْأُمَوِيِّ الْهَكَارِيُّ (٥٥٥هـ)
- ١٣٠ ١٠٠ - الْعَلَّامَةُ يَحْيَى بْنُ أَبِي الْخَيْرِ الْعِمْرَانِيُّ (٥٥٨هـ)
- ١٣٣ ١٠١ - الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ (٥٦٢هـ)
- ١٣٤ ١٠٢ - ابْنُ رُشْدٍ الْمَالِكِيُّ (٥٩٥هـ)
- ١٣٥ ١٠٣ - الْمَقْدِسِيُّ (٦٠٠هـ)
- ١٣٦ ١٠٤ - الْقُرْطُبِيُّ (٦٧٧هـ)
- ١٣٧ ١٠٥ - الشَّيْخُ الْفَقِيهَةُ الصَّالِحُ تَقِيُّ الدِّينِ الْمَقْدِسِيُّ (٦٠٨-؟؟؟هـ)
- ١٣٧ ١٠٦ - ابْنُ شَيْخِ الْحَزَامِيِّ (٧١١هـ)
- ١٥٤ ١٠٧ - ابْنُ الْمُبَرِّدِ (٩٠٩هـ)
- ١٥٤ ١٠٨ - الْعَلَّامَةُ الشَّوْكَانِيُّ (١٢٥٥هـ)
- ١٥٧ الدَّلِيلُ مِنَ الْفِطْرَةِ
- ١٦٠ الرَّدُّ عَلَى مَنْ يَقُولُ بِأَنَّ السَّمَاءَ قَبْلَهُ الدُّعَاءِ
- ١٦٣ الرَّدُّ عَلَى مَنْ يَسْتَدِلُّ بِالسُّجُودِ عَلَى نَفْيِ الْعُلُوِّ

- ١٦٧ هل نجزم بإثبات العلو أو نقوض؟
- ١٦٨ ما يلزم من اللوازم الباطلة على قول النفاة
- ١٧٦ ما يلزم من اللوازم الباطلة على قول المفوضة
- ١٧٨ شبهات والرد عليها
- ١٧٩ الفرق بين أصول أهل الحديث وأصول أهل الكلام
- ١٨١ الشبهة الأولى: شبهة أن العلو يقتضي الحيز والجهة والمكان
- ١٨١ الرد على هذه الشبهة بكلام نفيس لشيخ الإسلام رحمه الله
- ١٨٥ الشبهة الثانية: لو كان فوق العرش لكان محمولاً
- ١٨٦ الرد عليها من وجهين
- ١٨٦ الوجه الأول:
- ١٨٨ الوجه الثاني:
- ١٨٩ الشبهة الثالثة: لو كان في السماء لكان محصوراً
- ١٨٩ الرد عليها بكلام نفيس لشيخ الإسلام رحمه الله
- الشبهة الرابعة: العالم كرهة، فلو كان فوق العرش، لكان أسفل بالنسبة إلى سكان
- ١٩٣ الوجه الآخر
- ١٩٣ الرد عليها من وجهين
- ١٩٣ الوجه الأول:
- ١٩٥ الوجه الثاني:
- ١٩٨ الشبهة الخامسة: لو كان الله فوق العرش لكان جسماً
- ١٩٨ الرد عليها من وجوه
- ١٩٨ الوجه الأول:
- ١٩٩ الوجه الثاني:
- ٢٠٠ الوجه الثالث:

- ٢٠٢ الوجه الرابع: الردُّ عليها بكلام نفيس
- الشُّبْهَةُ السَّادِسَةُ: لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَلَزِمَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ مِنَ الْعَرْشِ أَوْ أَصْغَرَ
- أَوْ مُسَاوِيًا ٢٠٥
- ٢٠٦ الردُّ عليها بكلام نفيس
- الشُّبْهَةُ السَّابِعَةُ: يَسْتَدِلُّ أَهْلُ الْكَلَامِ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ، فَلَا يَبْصُقُ قَبْلَ وَجْهِهِ» عَلَى نَفْيِ الْعُلُوِّ ٢١٠
- ٢١٠ الردُّ عليها بكلام نفيس لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ
- الشُّبْهَةُ الثَّامِنَةُ: يَسْتَدِلُّ أَهْلُ الْكَلَامِ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» عَلَى نَفْيِ الْعُلُوِّ ٢١٢
- ٢١٢ الردُّ عليها مِنْ وَجْهَيْنِ: الردُّ على الأول: الوجه الأول: ٢١٢
- ٢١٣ الوجه الثاني: الردُّ عليها بكلام نفيس لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ
- الشُّبْهَةُ التَّاسِعَةُ: الْإِسْتِدْلَالُ بِمَعْنَى الْمَعْنَى عَلَى تَأْوِيلِ الْإِسْتِوَاءِ بِالْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ ٢١٤
- الردُّ عليها بكلام نفيس لِابْنِ قُدَامَةَ، وَشَيْخِ الْإِسْلَامِ، وَالْعَلَّامَةِ يَحْيَى بْنِ أَبِي
- الْخَيْرِ الْعِمْرَانِيِّ ٢١٤
- الشُّبْهَةُ الْعَاشِرَةُ: تَأْوِيلُ النَّسْفِيِّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمِنُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]
- بِالتَّأْوِيلِ الْفَاسِدِ، وَالرَّدُّ عَلَيْهِ ٢١٩
- الشُّبْهَةُ الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ: لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَمَا صَحَّ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ ﷺ قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ. ٢٢١
- الردُّ عَلَى الشُّبْهَةِ الْمَذْكُورَةِ ٢٢١
- الشُّبْهَةُ الثَّانِيَةُ عَشْرَةَ: كَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانَ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ ٢٢٥
- الشُّبْهَةُ الثَّالِثَةُ عَشْرَةَ: نَقَلَ الْقُسَيْرِيُّ عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ قَوْلَهُ: مَنْ رَعِمَ أَنَّ اللَّهَ فِي شَيْءٍ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ. ٢٢٦
- الردُّ عليها مِنْ وَجْهَيْنِ: ٢٢٦

- الوجه الأول: ٢٢٦
- الوجه الثاني: ٢٢٦
- الشبهة الرابعة عشرة: كَلَامٌ لِلزُّرْقَانِي فِي مَنَاهِلِ الْعُرْفَانِ، وَالرَّدُّ عَلَيْهِ ٢٢٧
- الشبهة الخامسة عشرة: كَلَامٌ فِي كِتَابِ حُسْنِ الْمُحَاجَجَةِ وَالرَّدُّ عَلَيْهِ ٢٢٨
- الشبهة السادسة عشرة: الْإِسْتِوَاءُ فِعْلٌ حَادِثٌ - كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ - فَلَوْ قَامَ بِهِ
الْإِسْتِوَاءُ لَقَامَتْ بِهِ الْحَوَادِثُ، وَإِنَّ قِيَامَ الْحَوَادِثِ بِذَاتِهِ تَغْيِيرٌ، وَاللَّهُ مُنْزَعٌ عَنِ التَّغْيِيرِ . ٢٣١
- الرَّدُّ عَلَى الشُّبْهَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ وَجْهِ: ٢٣١
- الأول: ٢٣١
- الثاني: ٢٣٢
- الثالث: ٢٣٣
- الرَّدُّ عَلَى مَنْ ادَّعَى الْمَجَازَ بِالْفَوْقِيَّةِ بِفَوْقِيَّةِ الْقَدْرِ وَالرُّتْبَةِ ٢٣٨
- الوجه الأول: ٢٣٨
- الوجه الثاني: ٢٤٠
- الوجه الثالث: ٢٤١
- الوجه الرابع: ٢٤١
- الوجه الخامس: ٢٤٢
- الوجه السادس: ٢٤٢
- الوجه السابع: ٢٤٢
- الوجه الثامن: ٢٤٣
- الوجه التاسع: ٢٤٣
- الوجه العاشر: ٢٤٤
- الوجه الحادي عشر: ٢٤٥
- الوجه الثاني عشر: ٢٤٥

المَوْضُوعُ

الصَّفْحَةُ

٢٤٦	الْوَجْهُ الثَّالِثُ عَشَرَ:
٢٤٦	الْوَجْهُ الرَّابِعُ عَشَرَ:
٢٥٠	الرَّدُّ عَلَى مَنْ تَأَوَّلَ الْإِسْتِوَاءَ بِالْإِسْتِيْلَاءِ:
٢٥٢	الْوَجْهُ الْأَوَّلُ:
٢٥٢	الْوَجْهُ الثَّانِي:
٢٥٣	الْوَجْهُ الثَّالِثُ:
٢٥٣	الْوَجْهُ الرَّابِعُ:
٢٥٣	الْوَجْهُ الْخَامِسُ:
٢٥٤	الْوَجْهُ السَّادِسُ:
٢٥٤	الْوَجْهُ السَّابِعُ:
٢٥٥	الْوَجْهُ الثَّامِنُ:
٢٥٥	الْوَجْهُ التَّاسِعُ:
٢٥٦	الْوَجْهُ الْعَاشِرُ:
٢٥٦	الْوَجْهُ الْحَادِي عَشَرَ:
٢٥٦	الْوَجْهُ الثَّانِي عَشَرَ:
٢٥٧	الْوَجْهُ الثَّالِثُ عَشَرَ:
٢٥٧	الْوَجْهُ الرَّابِعُ عَشَرَ:
٢٥٨	الْوَجْهُ الْخَامِسُ عَشَرَ:
٢٦٢	الرَّدُّ عَلَى مَنْ تَأَوَّلَ نُزُولَ اللَّهِ:
٢٦٣	الْوَجْهُ الْأَوَّلُ:
٢٦٤	الْوَجْهُ الثَّانِي:
٢٦٤	الْوَجْهُ الثَّالِثُ:
٢٦٥	الْوَجْهُ الرَّابِعُ:

المَوْضُوعُ الصَّفْحَةُ

الْوَجْهُ الْخَامِسُ:	٢٦٥
الْوَجْهُ السَّادِسُ:	٢٦٥
الْوَجْهُ السَّابِعُ:	٢٦٦
الْوَجْهُ الثَّامِنُ:	٢٧٠
الْوَجْهُ التَّاسِعُ:	٢٧١
الرَّدُّ عَلَى مَنْ ادَّعَى الْمَجَازَ بِصِفَةِ النُّزُولِ	٢٧٢
الْوَجْهُ الْأَوَّلُ:	٢٧٢
الْوَجْهُ الثَّانِي:	٢٧٢
الْوَجْهُ الثَّلَاثُ:	٢٧٢
الْوَجْهُ الرَّابِعُ:	٢٧٣
الْوَجْهُ الْخَامِسُ:	٢٧٣
الْوَجْهُ السَّادِسُ:	٢٧٣
الْوَجْهُ السَّابِعُ:	٢٧٣
الْوَجْهُ الثَّامِنُ:	٢٧٣
الْوَجْهُ التَّاسِعُ:	٢٧٤
الشُّبُهَاتُ الْوَارِدَةُ عَلَى صِفَةِ النُّزُولِ	٢٧٩
الشُّبُهَةُ الْأُولَى: شُبُهَةٌ اخْتِلَافِ ثُلُثِ اللَّيْلِ فِي الْبِلَادِ	٢٨٠
الرَّدُّ عَلَيْهَا بِكَلَامِ نَفِيسٍ لَشَيْخِ الْإِسْلَامِ، وَابْنِ رَجَبٍ، وَالْهَرَّاسِيِّ، وَابْنِ عُثَيْمِينَ	
رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى	٢٨٠
الشُّبُهَةُ الثَّانِيَّةُ: كَلَامُ لِلرَّازِيِّ، وَالرَّدُّ عَلَيْهِ مِنْ وَجْوهٍ:	٢٨٥
الْأَوَّلُ:	٢٨٥
الثَّانِي:	٢٨٦
الثَّلَاثُ:	٢٨٦

- الرَّابِعُ: ٢٨٧
- الخَامِسُ: ٢٨٧
- الشُّبْهَةُ الثَّلَاثَةُ: شُبْهَةُ الْحَرَكَةِ وَالْإِنْتِقَالِ ٢٨٨
- الرَّدُّ عَلَيْهَا مِنْ وَجْوهٍ: ٢٨٩
- الْأَوَّلُ: ٢٨٩
- الثَّانِي: ٢٨٩
- الثَّلَاثُ: ٢٨٩
- الرَّابِعُ: ٢٩١
- الخَامِسُ: ٢٩١
- الشُّبْهَةُ الرَّابِعَةُ: يَلْزَمُ مِنَ النَّزُولِ حُلُولُ الْخَالِقِ فِي الْمَخْلُوقِ ٢٩٤
- الرَّدُّ عَلَى الشُّبْهَةِ الْمَذْكُورَةِ ٢٩٤
- أَسْئَلَةُ مُهِمَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِحَدِيثِ النَّزُولِ ٢٩٨
- السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: هَلْ نَقُولُ: يَنْزِلُ بِذَاتِهِ؟ ٢٩٨
- السُّؤَالُ الثَّانِي: الْجَمْعُ بَيْنَ حَدِيثِ النَّزُولِ وَحَدِيثِ: «فَيَنَادِي مُنَادٍ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيَسْتَجَابُ لَهُ؟» ٢٩٩
- السُّؤَالُ الثَّلَاثُ: الْجَمْعُ بَيْنَ عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ وَنُزُولِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ٣٠٠
- السُّؤَالُ الرَّابِعُ: مَا يُسْتَفَادُ مِنْ حَدِيثِ النَّزُولِ؟ ٣٠٣
- أَسْئَلَةٌ وَأَجَوِبَتُهَا ٣٠٥
- السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: حُكْمُ مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ؟ ٣٠٥
- السُّؤَالُ الثَّانِي: الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِسْتَوَاءِ وَالْعُلُوِّ ٣٠٩
- السُّؤَالُ الثَّلَاثُ: التَّعْلِيْقُ عَلَى مَنْ يَقُولُ: بِأَنَّ الْأَخَذَ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥] تَجْسِيمٌ وَتَشْبِيهٌُ وَضَلَالٌ ٣١٠
- السُّؤَالُ الرَّابِعُ: مَا مَعْنَى قَوْلِ السَّلَفِ: أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ؟ ٣١٦

- السُّؤَالُ الْخَامِسُ: كَيْفَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ؟ ٣١٨
- السُّؤَالُ السَّادِسُ: هَلْ مَذْهَبُ السَّلَفِ أَسْلَمَ، وَمَذْهَبُ الْخَلَفِ أَحْكَمُ وَأَعْلَمُ؟ ... ٣٢١
- السُّؤَالُ السَّابِعُ: هَلِ التَّحَدُّثُ بِآيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا، فِيهِ تَلْيِيسٌ عَلَى الْعَامَّةِ، وَفِيهِ تَمْزِيقٌ وَحِدَةُ الْأُمَّةِ؟ ٣٢٦
- السُّؤَالُ الثَّامِنُ: هَلِ آيَاتُ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُتَشَابِهِ؟ ٣٢٨
- السُّؤَالُ التَّاسِعُ: مَا هُوَ التَّعْلِيقُ عَلَى قَوْلِ ابْنِ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيِّ فِي الْفَتَاوَى الْحَدِيثِيَّةِ (١ / ١٤٥): وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ أَيْضًا بِمَا وَقَعَ فِي [الْغُنْيَةِ] لِإِمَامِ الْعَارِفِينَ وَقُطْبِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ الْأُسْتَاذِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ، فَإِنَّهُ دَسَّهَ عَلَيْهِ فِيهَا مَنْ سَيَتَقِمُّ اللَّهُ مِنْهُ، وَإِلَّا فَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ؟ ٣٣٦
- السُّؤَالُ الْعَاشِرُ: كَيْفَ نَزَدُ عَلَى مَنْ يَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ رَفْعِ الْبَصَرِ فِي الصَّلَاةِ إِلَى السَّمَاءِ، كَيْ لَا يَعْتَقِدُوا أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ؟ ٣٣٧
- السُّؤَالُ الْحَادِي عَشَرَ: مَا هُوَ التَّعْلِيقُ عَلَى كَلَامِ النَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ؟ لَا فِي جِهَةٍ»؟ ٣٣٩
- كَلَامُ نَفِيسٍ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي الْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ ٣٤١
- أَثَرُ الْإِيمَانِ بِعُلُوِّ الرَّحْمَنِ ٣٦٥
- الْخَاتِمَةُ ٣٦٧
- الْمُحْتَوَيَاتُ ٣٧٢

